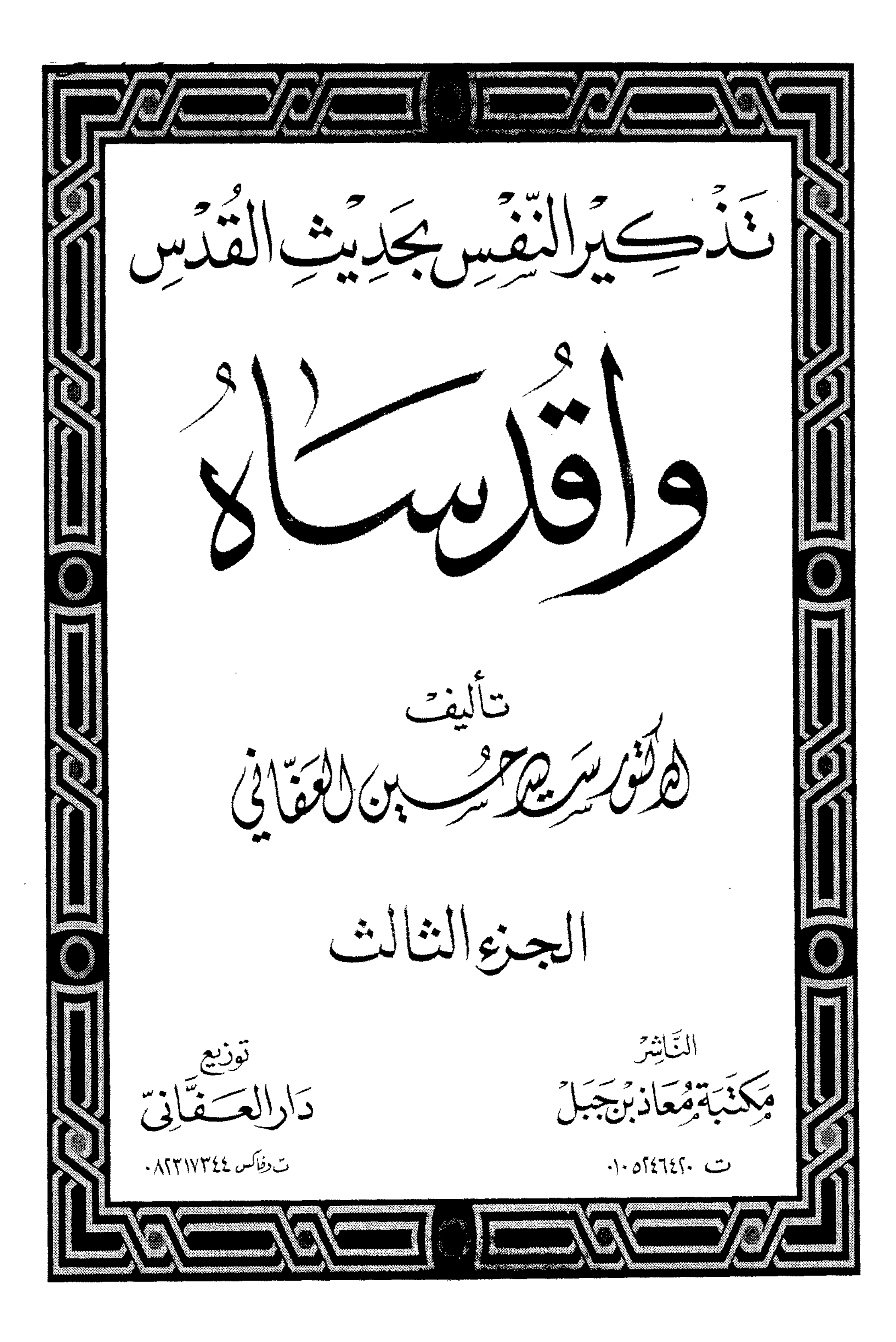


تذكير النفس بحديث القدس

واقدساه

تأليف

الدكتور سيد حسين العفاني

الجزء الثالث

الناشر
مكتبة معاذ بن جبل
ت ٠١٠٥٢٤٦٤٢٠

توزيع
دار العفاني
ت وفاكس ٠٨٢٣١٧٣٤٤

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

الطبعة الأولى

التوزيع داخل جمهورية مصر العربية

مكتبة معاذ بن جبل

جوال: ٠١٢٣٤٣٩١٦٨

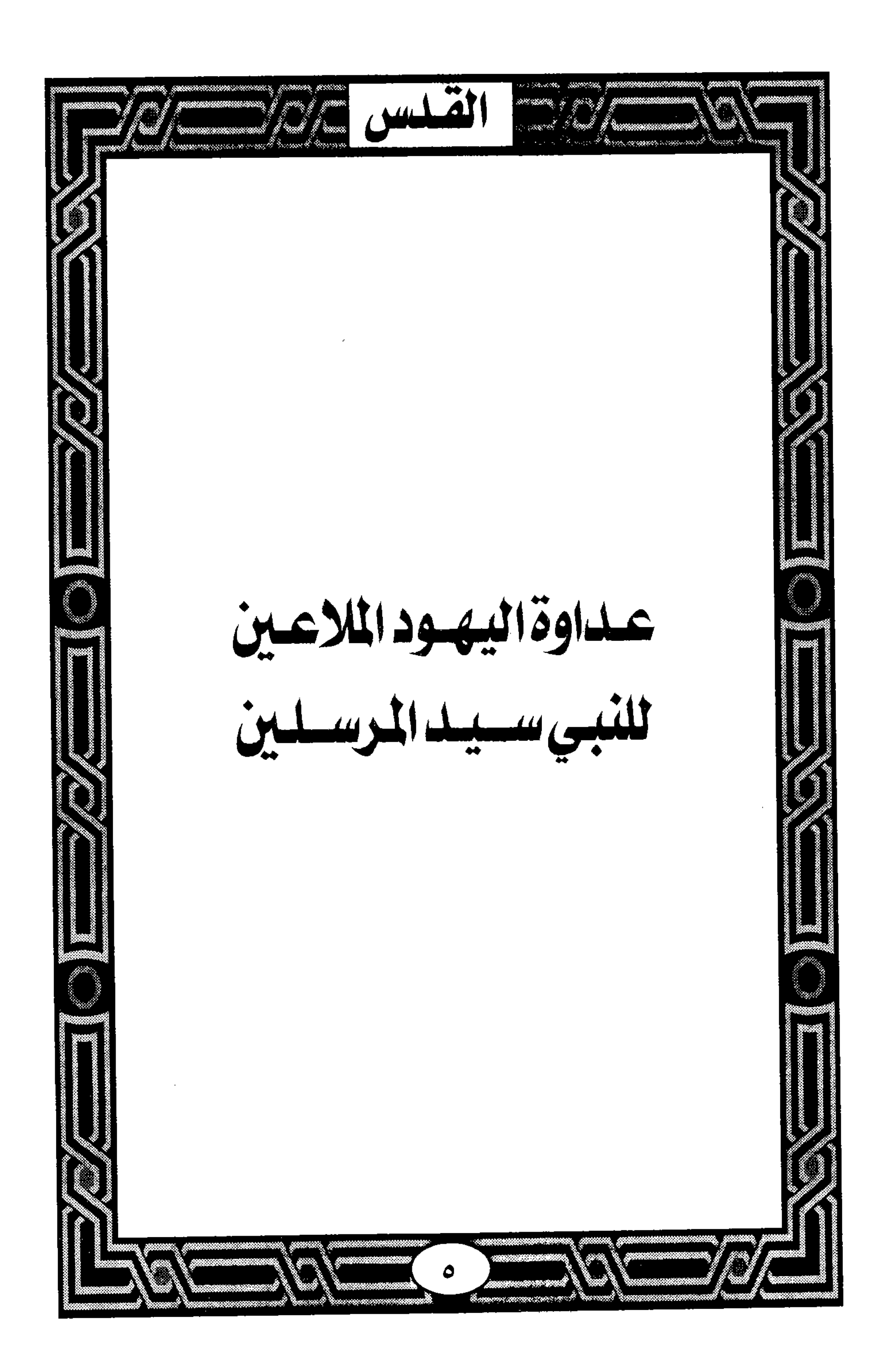
بني سويف ت: ٣١٧٣٤٤/ ٠٨٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠١ / ٢٧٢٧

تذكير النفس بحديث القدس واقدساه





عداوة اليهود الملاعين للنبي سيد المرسلين



عداوة اليهود الملاعين للنبي سيد المرسلين

منذ أول لحظة ظهر نور الإسلام ناصبه يهود العداء، واليهود أشد الناس عداوة للذين آمنوا بنص كتاب اللَّه ومن أصدق من اللَّه قيلا؟.

وهم الذين قال تلمودهم:

- العرب.. الأمة المحتقرة.
- والعرب هم مرتكبوا تسعة أعشار الجرائم في العالم.
- و«العربي يعبد الغبار الذي يعلق بصندله»[(١)].

وهؤلاء السفهاء من الناس معشر يهود وقفوا من رسول اللَّه ﷺ موقفًا مخزيًا مشينًا كله عار عليهم وشنار.. وهذه سطور من مواقفهم مع سيد البشر ﷺ.

(١) كفرهم بالنبي ﷺ، وجدالهم في نبوته:

لقد كان اليهود يعلمون قرب ظهور النبي ﷺ، وكانوا يستفتحون به على الأوس والخزرج وغيرهم كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

عن عاصم بن عمر بن قتادة عن رجال من قومه قالوا: إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة اللَّه تعالى وهداه لنا، لما كنا نسمع من رجال يهود، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان، وكانوا أهل كتاب، عندهم علم

---

(١) «بروتوكولات حكماء صهيون» (٤/ ١٦١ ـ ١٦٢) لعجاج نويهض بتصرف.

ليس لنا، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا: إنه قد تقارب زمان نبي يُبعث الآن، نقتلكم معه قتل عاد وإرم، فكنا كثيرًا ما نسمع ذلك منهم، فلما بعث اللَّه رسول اللَّه ﷺ أجبناه حين دعانا إلى اللَّه تعالى، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم إليه، فآمنا به وكفروا به»[١].

وعن معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعتبة بن وهب - رضي اللَّه عنهم - أنهم قالوا لليهود: يا معشر اليهود اتقوا اللَّه، فواللَّه إنكم لتعلمون أنه رسول اللَّه، لقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه، وتصفونه لنا بصفته، فقال رافع بن حرملة ووهب بن يهوذا: ما قلنا هذا لكم، وما أنزل اللَّه من كتاب بعد موسى، ولا أرسل بشيرًا ولا نذيرًا بعده، فأنزل اللَّه - عز وجل - في قولهما: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [المائدة: ١٩].

● عن أنس بن مالك - رضي اللَّه عنه - قال: بلغ عبد اللَّه بن سلام مقدم رسول اللَّه ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: قال: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة، ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أخبرني بهن آنفًا جبريل**»، فقال عبداللَّه:

---

(١) «سيرة ابن هشام باب إنذار يهود برسول اللَّه ﷺ» (١/ ٢١١). وقد رجّح الشيخ أحمد شاكر أن يكون الحديث موصولاً، قال: «لأن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري تابعي ثقة يحكي عن أشياخ منهم، فهم آله من الأنصار، وعلى هذا رجّحنا اتصاله» [«تفسير الطبري» بتحقيق شاكر (٢/ ٣٣)].

ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**»، قال: أشهد أنك رسول اللَّه، ثم قال: يا رسول اللَّه، إن اليهود قوم بهت، وإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود، ودخل عبد اللَّه البيت، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أي رجل فيكم عبد اللَّه بن سلام؟**» فقالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخيرنا وابن أخيرنا، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أفرأيتم إنْ أسلم عبد اللَّه؟**»، قالوا: أعاذه اللَّه من ذلك، فخرج عبد اللَّه إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا اللَّه وأشهد أن محمدًا رسول اللَّه، فقالوا: شرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه»[2].

● وعن عوف بن مالك الأشجعي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: انطلق النبي ﷺ وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدهم، وكرهوا دخولنا عليهم، فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: «**يا معشر اليهود، أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا اللَّه، يحطّ اللَّه عن كل يهودي تحت أديم السماء الذي كان عليه**»، قال: فما أجابه منهم أحد، ثم ردّ عليهم، فلم يجبه أحد، ثم ثلّث فلم يجبه أحد، فقال: «**أبيتم، فواللَّه إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفى، آمنتم أو كذّبتم**»، ثم انصرف وأنا معه حتى دنا أن يخرج، فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد، قال:

---

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ١٠٧) عن ابن عباس، ورجال إسناده ثقات.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم (٦/ ٣٦٢، ٣٦٣) برقم (٣٣٢٩)، و(٨/ ١٦٥) برقم (٤٤٨٠)، ورواه أحمد (٣/ ١٠٨)، وابن حبان في «صحيحه».

فقال ذلك الرجل: أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟ قالوا: لا نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب اللَّه ولا أفقه منك، ولا من أبيك من قبلك ولا من جدك قبل أبيك، قال: فإني أشهد: فإني أشهد له باللَّه أنه نبي اللَّه الذي تجدونه في التوراة، قالوا: كذبت، ثم ردّوا عليه شرًّا، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«كذبتم، لن يُقبل قولكم، أما آنفًا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذا آمن فكذبتموه، وقلتم فيه ما قلتم، فلن يُقبل قولكم»**، قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول اللَّه ﷺ وأنا وعبد اللَّه بن سلام، فأنزل اللَّه: ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ...** ﴾[1] [الأحقاف: ١٠].

● وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبداللَّه ابن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿ **... وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ...** ﴾[2] [الأحقاف: ١٠]. مبينًا كفر اليهود وإصرارهم على كفرهم.

* قال تعالى: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ [البقرة: ١٢٠].

---

(١) إسناده صحيح: رواه ابن حبان في «صحيحه» كتاب نبوة نبينا محمد ﷺ ـ باب فيما كان عند أهل الكتاب من علامات نبوته ﷺ، وأخرجه أحمد (٦/ ٢٥)، والطبري في «جامع البيان» (٢٦/ ١١)، والطبراني(١٨/ ٨٣)، والحاكم (٤/ ٤١٥)، وصححه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.
قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح: رجاله ثقات رجال مسلم غير محمد بن هارون النخعي وهو ثقة. انظر «الإحسان في تقريب صحيح بن حبان» (١٦/ ١١٨ ـ ١٢٠) رقم (٧١٦٢).

(٢) رواه البخاري (٣٨١٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة.

* وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥].

* وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٢٠].

(٢) تعنتهم في الأسئلة معه:

لقد وقف اليهود من الإسلام ونبي الإسلام ذلك الموقف العدائي المتعنّت المكشوف، وكادوا له ذلك الكيد المُبيّت المستمر العنيد، وهذه جبلة ليست جديدة عليهم، وليست طابع هذا الجيل وحده إنهم هم هم من عهد موسى - عليه السلام - نبيهم وقائدهم ومنقذهم - إنهم هم هم غلظ حس، وهم هم كفرًا وغدرًا، وهم هم قحة وافتراء، وموت وجدان.

* قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٥٣].

● عن محمد بن كعب القرظي قال: جاء أناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد إن موسى جاء بالألواح من عند الله

فأتينا أنت بالألواح من عند اللَّه حتى نصدقك فأنزل اللَّه: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ...﴾[1].

* وقال تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨].

جاء رافع بن حُرَيملة حبر اليهود ـ من يهود بني قينقاع ـ ووهب بن زيد ـ وهو حبر من يهود بني قريظة ـ إلى رسول اللَّه ﷺ، فقالا: يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينا من السماء نقرؤه، وفجّر لنا أنهارًا نتبعك ونصدقك.

● وجاء رافع بن حُرَيملة إلى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا محمد، إن كنت رسولاً من اللَّه كما تقول، فقل للَّه فليكلمنا حتى نسمع كلامه.

* قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

● وجاء جبل بن أبي قُشير، وشَمْويل بن زيد، وهما من أحبار يهود بني قريظة إلى رسول اللَّه ﷺ فقالا: يا محمد، أخبرنا متى تقوم الساعة إن كنت نبيًّا كما تقول. وهذا تعنت وسوء أدب مع الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

---

(١) «تفسير ابن جرير» (٦/ ٧).

يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(٣) جدالهم مع النبي ﷺ:

الجدل لذات الجدل طبع يهود، والمراء الذي لا يسير على منهج وإنما للهوى، جدال فيما يعلمون وفيما لا يعلمون.

* لقد جادلوا النبي ﷺ في شأن إبراهيم - عليه السلام - الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠].

* وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]، فجادلوه في أمره وهو سابق على وجودهم ووجود كتبهم وديانتهم.

* قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ (٦٦) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧) إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٥ - ٦٨].

● عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: اجتمعت نصارى نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًّا، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي

إِبْرَاهِيمَ...﴾ الآيات[(١)] .

* وفي شأن المسيح ـ عليه السلام ـ:

◻ جادلوا في شأن نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وقد قالوا فيه وفي أمه البتول الصديقة المطهرة ما قالوا.

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «أتى لرسول اللَّه ﷺ نفر من اليهود، فيهم أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع وأزار بن أبي أزار وأشيع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل؟ قال: «**أومن باللَّه وما أنزل إلينا، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**»، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: لا نؤمن بما آمن به، وما نعلم أهل دين أقل حظًّا في الدنيا والآخرة منكم، ولا دينًا شرًّا من دينكم، فأنزل اللَّه فيهم[(٢)] : ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ**﴾ [المائدة: ٥٩].

* وجادلوا النبي ﷺ في النسخ:

جادل اليهود النبي ﷺ في النسخ فأنكروه؛ لأنه يستلزم في زعمهم البداء، وهو الظهور بعد الخفاء، وهم يعنون بذلك أن النسخ إما أن يكون لغير حكمة، وهذا عبث محال على اللَّه، وإما أن يكون لحكمة ظهرت، ولم تكن ظاهرة من قبل، وهذا يستلزم البداء وسبق الجهل، وهو

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٧٢).

(٢) «تفسير ابن جرير» (٦/ ٢٩٢).

محال على اللَّه تعالى.

◻ واستدلالهم هذا فاسد؛ لأن كلاًّ من حكمة الناسخ وحكمة المنسوخ معلوم للَّه تعالى من قبل، فلم يتجدّد علمه بها، وهو سبحانه ينقل العباد من حكم إلى حكم لمصلحة معلومة له من قَبْل بمقتضى حكمته وتصرفه المطلق في ملكه.

واليهود أنفسهم يعترفون بأن شريعة موسى ناسخة لما قبلها، وجاء في نصوص التوراة النسخ، كتحريم كثير من الحيوان على بني إسرائيل بعد حله قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقال: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦]. وثبت في التوراة أن آدم كان يُزَوِّج من الأخت، وقد حرم اللَّه ذلك على موسى، وأن موسى أمر بني إسرائيل أن يقتلوا من عبد منهم العجل، ثم أمرهم برفع السيف عنهم»[1].

※ جدالهم معه في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام:

● عن البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ صلّى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا، وكان رسول اللَّه ﷺ يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان معه فمرّ على أهل المسجد وهم راكعون، فقال: أشهد باللَّه لقد صليت مع النبي ﷺ جهة مكة فداروا كما هم قِبَل البيت، وكان اليهود قد أعجبهم إذ كان

---

(١) «مباحث في علوم القرآن» لمناع القطان ص(٢٣٤ ـ ٢٣٥) ـ مكتبة المعارف بالرياض.

يصلي قِبَل بيت المقدس، فلما ولّى وجهه قِبَل البيت أنكروا ذلك»[١] .

* قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٤٢ ـ ١٤٤].

وعلّم اللَّه نبيه الرد على أقاويل اليهود، ولجاجهم الذي يقوده الهوى، وتؤرثه المصلحة، ويحدوه الغرض والكيد الناصب الذي لا يفتر، وفتنتهم للمسلمين ليل نهار، ودسائسهم وتمويههم وتضليلهم وبلبلتهم وتلبيسهم واللَّه كفيل برد مكرهم وكيدهم.

(٤) إيذاؤهم لرسول اللَّه ﷺ بالقول السيئ والخطاب القبيح:

لسوء أدب اليهود وقحتهم نالوا من رسول اللَّه ﷺ .

يقول الحكيم السَّمَوْءل الحبر اليهودي الذي أسلم: «وأما رسول اللَّه ﷺ وشرف وكرم وعظم، فله فيما بينهم اسمان فقط. فعليهم لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين: أحدهما (فاسول) وتفسيره: الساقط.

(١) أخرجه البخاري ـ كتاب الإيمان، باب الصلاة، وأحمد (١/ ٢٥٠)، والترمذي (١/ ٨٦).

والثاني: (موشكاع) وتأويله: المجنون.

وأما القرآن العظيم، فإنه يُسَمّى فيما بينهم (قالون) وهم اسم للسوءة بلسانهم. يعنون بذلك أنه عورة المسلمين وسوءتهم»[١]، لعنهم اللّه ولعنهم اللاعنون، هم السفهاء وما بعد قول اللّه من قول.

● عن جابر بن عبد اللّه ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: سلّم ناس من اليهود على رسول اللّه ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقال: «وعليكم»، فقالت عائشة ـ وغضبت ـ: عليكم السام واللعنة، فقال رسول اللّه ﷺ: **«مهلاً يا عائشة! فإن اللّه يحب الرفق في الأمر كله»**، فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: **«بلى قد سمعت فرددت (وعليكم) وإنما نجاب ولا يجابون علينا»**[٢].

* قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٠٤].

سوء أدب، وخسة وسيلة، وانحطاط سلوك من سفهاء اليهود الذين كانوا يميلون ألسنتهم في نطق هذا اللفظ وهم يوجهونه لسيد البشر ﷺ حتى يؤدي معنًا آخر مشتقًّا من الرعونة والحمق والخفة. فنهى اللّه تعالى المسلمين عن استعمال هذه الكلمة.

* وقال تعالى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ**

(١) «بذل المجهود في إفحام اليهود» ص(١٥٩).

(٢) رواه مسلم ـ كتاب السلام ـ باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [النساء: ٤٦].

تبجح والتواء في أقذر مظاهره مع الطيب الذي أدّبه ربه، وهجاء كعب بن الأشرف سفيه يهود للنبي ﷺ، وكذا سفيه اليهود أبو عفك تسود به صفحات التاريخ ونالهما به الخزي في الدارين.

(٥) استهزاؤهم بالدين وشعائره:

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٧ ـ ٥٨].

هذا قول اللَّه في يهود أفلا يغار المسلم إذا أُهين دينه، وأُهينت عبادته، واتخذ موقفه بين يدي اللَّه مادة للهزء واللعب من السفهاء الكافرين، فهم أعداء المسلمين، يعادونهم من أجل دينهم، ومن أجل ما منّ اللَّه به عليهم من استوائهم على صراط اللَّه المستقيم.

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«المؤمن يغار واللَّه أشد غَيْرًا»**(١).

رُفع إلى عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ رجل قد قتل يهوديًا فسأله عن قصته فقال: إن فلانًا خرج غازيًا وأوصاني بامرأته، فبلغني أن يهوديًا يختلف إليها فكمنت له حتى جاء، فجعل ينشد، ويقول:

(١) رواه مسلم.

وأبيضَ غـرَّه الإسـلام منـي خَلَوْت بعُرْسـه ليـلَ التمـام
أبيت على ترائبهـا ويُمسي على جـرداء لاحقـةِ الحِزَامِ
كأن مواضـع الرَّبَـلات منـها فِئـامٌ ينظـرون إلى فئـام

فقمت إليه فقتلته، فأهدر عمر دمه.

❑ للَّه در هذا الغيور ممن يغضب لمحارم اللَّه والمسلمين إذا استُحِلّت كما يغضب النمر إذا حُرب، فكيف بمن يستهزئون بدين اللَّه ومقدسات المسلمين، يطلقون الكعبة والأقصى ومكة على اسم نواديهم الليلية، وأنواع خمورهم، ودعاياتهم السياحية، أو يطبعون آيات من القرآن على أحذيتهم، وهذا الاستهزاء تكتب فيه المجلدات.

❑ «كان إذا أذّن المؤذن وقام المسلمون إلى الصلاة قال اليهود: قاموا، لا قاموا، وكانوا يضحكون إذا ركع المسلمون وسجدوا، وقالوا في حق الأذان: لقد ابتدعت يا محمد شيئًا لم نسمع به فيما مضى من الأمم، فمن أين لك صياح مثل صياح العير؟ فما أقبحه من صوت، وما أسمجه من أمر.

وقيل: إنهم كانوا إذا أذّن المؤذن للصلاة تضاحكوا فيما بينهم، وتغامزوا على طريق السخف والمجون، وتجهيلاً لأهلها وتنفيرًا للناس عنها، وعن الداعي إليها»[1].

وثارات لاسلامي تعايشني تُغَذِّيني
تبث النور في قلبي وتنبض في شراييني
وإسلامي له عرقي له نبضي وتكويني

---

(١) تفسير القرطبي (ج٦) ص(٢٤٤) ـ طبع دار الكتب.

أنا ماذا أكون أنا

بلا ربي بلا ديني

أنا ماذا أكون أنا

أجيبوني أجيبوني؟

(٦) بذر النفاق في المجتمع الإسلامي وإيجادهم المنافقين من العرب:

عمد اليهود إلى بعض حلفائهم من عرب يثرب ممن لم يدخلوا بعد في الإسلام، وإلى آخرين دخلوا فيه دون أن يتمكن الإسلام في قلوبهم، وجعلوا يوسوسون لهؤلاء وهؤلاء، وبذلك استطاع اليهود أن يكوّنوا حزبًا مستورًا من المنافقين من عرب يثرب، وصاروا يغذّونهم بعوامل النفاق التي لهم فيها باع طويل مارسوه منذ آلاف السنين في مختلف الأمم، ويؤكد ذلك خمود صوت المنافقين في المدينة بعد إجلاء اليهود عنها.

* قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة: ١٤].

والشياطين هم يهود بجبلتهم الملتوية المؤوفة الطبع، وتسويلاتهم للمنافقين ووساوسهم التي كان يوسوسون بها إلى المنافقين بما يصدّعون به بنيان المجتمع المسلم ويوهنون قواه، ويكونون سندًا ليهود إذا ما ألّمت بهم داهية.

مثلما فعل معهم عبد اللَّه بن أبيّ بن سلول لما حاصر النبي ﷺ يهود بني قينقاع ونزلوا على حكمه، فتقدّم عبد اللَّه بن أبيّ بن سلول، وألحّ على الرسول أن يكفّ عنهم ويؤمّنهم، ففعل الرسول ذلك،

واكتفى بإجلائهم عن المدينة، فذهبوا إلى الشام ونزلوا بأذرعات وفيها هلكوا.

(٧) تظاهر بعض اليهود بالدخول في الإسلام نفاقًا:

اتخذ بعض أحبار اليهود في أيام النبي ﷺ من النفاق ردءًا وتعوذًا بالإسلام، وسعيًا في تفريق المسلمين من داخل صفوفهم ودسًّا على الإسلام.

وممن دخل في الإسلام نفاقًا من يهود بني قينقاع: سعيد بن حنيف، وزيد بن اللُّصيت، ونعمان بن أوفى، وعثمان بن أوفى، وكنانة بن صورياء، ورفاعة بن زيد بن التابوت، وسلسلة بن برهام.. وكم كان لهؤلاء من دسائس وفتن كادوا بها الإسلام والمسلمين.

□ فهذا زيد بن اللُّصيت لما ضلّت ناقة النبي ﷺ، يحاول أن يلقي الشك في قلوب المسلمين فيقول: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟! فبلغت كلمته الخبيثة هذه رسول اللَّه ﷺ، فقال: «**إن قائلاً قال: يزعم محمداً أنه يأتيه خبر السماء، وهو لا يدري أين ناقته، وإني واللَّه ما أعلم إلا ما علّمني اللَّه، وقد دلّني اللَّه عليها، فهي في هذا الشِّعْب قد حبستها شجرة بزمامها**»، فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول اللَّه ﷺ، وكما وصف[1].

(٨) الوقيعة وإشعال الفتن بين المسلمين من الأوس والخزرج:

حاول اليهود أن يوقدوا العداوة بين الأوس والخزرج بتذكير الحيّين

---

(١) «مكايد يهودية» ص(٥١ ـ ٥٢)، والأثر أخرجه الواقدي في المغازي (٢/ ٤٢٣) بسنده عن ابن رومان وعاصم بن عمر بن قتادة بنحوه، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٥٩) عن جابر ابن عبد اللَّه في قصة طويلة.

بيوم «بعاث» في الجاهلية لتقطيع حبل اللَّه بين المتحابين فيه، وكادوا يردون المسلمين كفارًا يضرب بعضهم رقاب بعض، والتحذيرات القرآنية تشي بشدة ما كانت تلقاه الجماعة المسلمة من كيد اليهود في المدينة، ومن بذرهم لبذور الشقاق والبلبلة باستمرار... وهو دأب يهود في كل زمان، وفي كل مكان.

◘ عن زيد بن أسلم، قال: «مَرّ شاس بن قيس ـ وكان شيخًا قد عتا ـ كبر وأسنّ ـ في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم، ـ على نفر من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة[1] بهذه البلاد، واللَّه ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم بها من قرار، فأمر فتى شابًّا من اليهود كان معه، فقال: اعمد إليهم فاجلس معهم، وذكّرهم يوم بعاث، وما كان قبله وأنشِدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ـ وكان يوم بعاث يومًا اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ـ ففعل، فتكلم القوم عند ذلك، فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيّين على الرّكب: «أوس بن قيظي» ـ أحد بني الحارثة بن الحارث ـ من الأوس ـ و«جبار بن صخر» أحد بني سلمة من الخزرج، فتقاولا ـ ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم واللَّه رددناها الآن جذعة[2] ، وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاح

(١) أمّ الأوس والخزرج.

(٢) يريد عودة الحرب شابة فتية قوية.

السلاح، موعدكم الظاهرة ـ وهي الحرّة ـ فخرج إليهم رسول اللَّه ﷺ فيمن معه من المهاجرين من أصحابه، حتى جاءهم فقال: «**يا معشر المسلمين، اللَّه اللَّه، أبدعوى الجاهلية، وأنا بين أظهركم، بعد إذ هداكم اللَّه إلى الإسلام، وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألّف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟**»، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول اللَّه ﷺ سامعين مطيعين، قد أطفأ اللَّه كيد عدو اللَّه «شاس بن قيس» فأنزل اللَّه في شاس بن قيس وما صنع: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ...﴾ الآية، وأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ في أوس بن قيظي وجبار بن صخر ومن كان معهما من قومهما، الذين صنعوا ما صنعوا مما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا

تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٥][1].

(٩) كيدهم للإسلام بالدخول فيه ثم الارتداد عنه:

من مكر يهود الأسود دخول بعضهم في الإسلام على سبيل النفاق، ثم الردة عنه سخطة عليه، وذلك ليصيدوا عند ردتهم بعض المسلمين فيفتنوهم عن دينهم ويرتدّوا معهم، ويحدثوا في صفوف المسلمين تصديعًا، ويقذفوا في قلوب المسلمين الشك والحيرة.

اجتمع عبد اللَّه بن ضيف، وعديّ بن زيد، وهما من يهود بني قينقاع، والحارث بن عوف، وهو من يهود بني قريظة، فقال بعضهم لبعض: تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ونكفر به عشية، حتى نلبّس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينهم، ففضح اللَّه سوءتهم هذه، ونزل قول اللَّه تعالى فيهم: ﴿وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٧٢ ـ ٧٣].

(١٠) تلاعبهم بأحكام اللَّه تعالي ومحاولتهم فتنة الرسول عند تقاضيهم إليه:

وانظر إلى العرض المغري الماكر الخبيث، وانظر هل أخذه الشيطان

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٢٣، ٢٤).

منهم أم أخذوه منه؟:

اجتمع من أحبار يهود كعب بن أسد، وابن صَلُوبا، وعبد اللَّه بن صُوري، وشاس بن قيس، فقال بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فإنما هو بشر. فأتوا إلى رسول اللَّه ﷺ، فقالوا له: يا محمد، إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود، وأشرافهم وسادتهم، وإنا إن اتبعناك اتبعك يهود، ولم يخالفونا، وإن بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك».. يا لقبح يهود حين يذهبون إلى النبي الأمين المعصوم، ويطلبون منه هذا، عميت بصيرتهم وقلوبهم. قال تعالى: ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠].

(١١) تعييرهم من أسلم منهم وضغطهم عليهم:

لما أسلم من أسلم من أحبار يهود سلّطوا عليهم ألسنتهم بالتعيير والتنقيص والشتائم، بعد أن كانوا سادتهم ووجهاءهم:

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: لما أسلم عبد اللَّه بن سلام وثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية وأسيد بن عبيد ومن أسلم من يهود فآمنوا وصدّقوا ورغبوا في الإسلام ورسخوا فيه، قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم: ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا أشرارنا، ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ في

ذلك من قولهم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾(١) [آل عمران: ١١٣].

وقصد اليهود من التعيير صد من لم يسلم بعد من اليهود، ومعارضة الحجج التي ستتوجه إليهم بسبب إسلام طائفة من الأحبار والرؤساء.

(١٢، ١٣) نقض عهودهم مع النبي ﷺ وحربهم إياه:

رحم اللَّه الشيخ محمد الغزالي إذ يقول: «لو تركت الحمير نهيقها والأفاعي لدغها لترك اليهود نقضهم للعهود»(٢).

يهود هم يهود، حافظ النبي ﷺ على عهده معهم ووفّى لهم، ولم ينكث به، فإذا بهم ينقضون العهد كعادتهم، وقابلوا دعوته لهم بالاستهانة والتحدي، وإعلان استعدادهم لمحاربته.

* غدر بني قينقاع:

كان (بنو قينقاع) أول جماعة يهودية هددت المسلمين بالحرب ونكث العهد، فإنه لما انتصر المسلمون في «بدر» كان لذلك النصر وقع الصاعقة على قلوبهم فاستشاطوا غضبًا وسخطًا، وأعلنوا استهانتم بالنصر وقلّلوا

---

(١) رواه ابن هشام في «السيرة» في باب ما أنزل اللَّه من البقرة في المنافقين ويهود (١/ ٥٥٧)، ورواه البيهقي في «دلائله» في باب ما جاء في دخول عبد اللَّه بن سلام ـ رضي اللَّه عنه ـ على رسول اللَّه ﷺ (٢/ ٢٥٥) عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: . . . فذكره بهذا اللفظ، ورجال إسناده موثّقون، وقد صرح ابن إسحاق بالسماع هنا.

(٢) «فقه السيرة» للشيخ محمد الغزالي ص(٣٢٤).

من شأنه وقيمته، وهذا أول ما تمخضت عنه الليالي من مكر يهود ولؤمهم، وخرجت الأفاعي من جحورها تبث سمومها ويعلو فحيحها، وسعى بنو قينقاع إلى حتفهم بظلفهم:

● عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: لما أصاب رسول اللَّه ﷺ قريشًا يوم بدر، وقدم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: «**يا معشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم مثل ما أصاب قريشًا**»[١]، قالوا: يا محمد، لا يغرنّك من نفسك أنك قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا[٢]، لا يعرفون القتال، إنك لو قاتلتنا لعرفت أنّا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا، فأنزل اللَّه ـ عز وجل ـ في ذلك: ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [آل عمران: ١٢ ـ ١٣].

● روى ابن هشام في «السيرة» بسنده إلى محمد بن كعب القرظي: أن امرأة من العرب قدمت بجلب لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ لها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله، وكان يهوديًّا، وشدّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل

---

(١) **ضعيف الإسناد**: أخرجه أبو داود في «سننه» (٣٠٠١) ـ كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة وضعّفه الشيخ الألباني في «ضعيف سنن أبي داود».

(٢) الأغمار: جمع غُمر، وهو الجاهل الغرّ الذي لم يجرّب الأمور. «النهاية» (٣/ ٣٨٥).

المسلم بالمسلمين على اليهود، فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع.

وحين علم رسول اللَّه ﷺ بذلك سار إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار، وكان حامل اللواء حمزة بن عبد المطلب - رضي اللَّه عنه -.

وحين علم اليهود بمقدمه ﷺ إليهم تحصنوا في حصونهم، فحاصرهم النبي ﷺ فيها خمس عشرة ليلة، واستمر الحصار حتى قذف اللَّه في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم رسول اللَّه ﷺ فأمر بهم فرُبطوا، قال: فكانوا يكتفون أكتافًا، واستعمل الرسول ﷺ على كتافهم المنذر بن قدامة السالمي[1].

وأتى عبد اللَّه بن أبيّ إلى النبي ﷺ ليحسن إلى مواليه - وكانوا حلفاء الخزرج - فخلى رسول اللَّه ﷺ سبيلهم - وكانوا أربع مائة حاسر وثلاث مائة دارع -، وغنم رسول اللَّه ﷺ والمسلمون ما كان لديهم من مال، وأجلاهم النبي ﷺ عن المدينة، واستقروا بأذرعات. وكان إجلاؤهم في ذي القعدة في السنة الثانية من الهجرة.

* بنو النضير ونقضها عهدها مع رسول اللَّه ﷺ:

نقض بنو النضير عهدهم مع رسول اللَّه ﷺ، وكان على رأس الناكثين لعهدهم سلام بن مشكم كبير بني النضير.

● عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت: كانت غزوة بني النضير، وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم

---

(١) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٢٩).

ونخلهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول اللَّه ﷺ، حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أنّ لهم ما أقلّت الإبل من الأمتعة والأموال، إلا الحلقة - يعني: السلاح - فأنزل اللَّه فيهم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ [الحشر: ١]، إلى قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ...﴾ [الحشر: ٢].. فقاتلهم النبي ﷺ حتى صالحهم على الجلاء فأجلاهم إلى الشام، وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما خلا، وكان اللَّه قد كتب عليهم ذلك؛ ولولا ذلك لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، وأما قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ فكان جلاؤهم ذلك أول حشر في الدنيا إلى الشام[١] .

● عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى عبد اللَّه بن أبيّ بن سلول ومن كان يعبد الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول اللَّه ﷺ يومئذ بالمدينة، قبل وقعة بدر، يقولون: إنكم آويتم صاحبنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عددًا، وإنما نقسم باللَّه لنقتلنه أو لتخرجنه، أو لنستعين عليكم بالعرب، ثم لنسيرن إليكم بأجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم ونستبيح نساءكم. فلما بلغ ذلك بن أبيّ ومن معه من عبدة الأوثان، تراسلوا فاجتمعوا، وأرسلوا، وأجمعوا لقتال النبي ﷺ وأصحابه، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ فلقيهم في جماعة، فقال: **«لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت لتكيدكم بأكثر مما**

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» (٤٨٣/٢)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٣٥٧/٥)، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين وسكت عنه الذهبي. وقد روى البخاري أول هذا الحديث معلقًا عن عروة حيث قال: قال الزهري عن عروة: كانت على رأس ستة أشهر من وقعة بدر قبل وقعة أحد.. انظر «فتح الباري» (٣٢٩/٧).

تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناءكم وإخوانكم»، فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرّقوا، فلما بلغ ذلك كفار قريش، وكانت وقعة بدر، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود، إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء ـ وهو الخلاخل ـ فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير على الغدر فأرسلت إلى النبي ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، ولنخرج في ثلاثين حبرًا حتى نلتقي في مكان كذا، نصف بيننا وبينكم، فيسمعوا منك، فإن صدّقوك وآمنوا بك آمنا كلنا. فخرج النبي ﷺ في ثلاثين من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حبرًا من يهود، حتى إذا برزوا في براز من الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه كلهم يحب أن يموت قبله؟ فأرسلوا إليه: كيف تفهم ونفهم ونحن ستون رجلاً؟ اخرج في ثلاثة من أصحابك، ويخرج إليك ثلاثة من علمائنا فليسمعوا منك، فإن آمنوا بك آمنا كلنا وصدّقناك، فخرج النبي ﷺ في ثلاثة نفر من أصحابه، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفتك برسول اللَّه ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النضير إلى ابن أخيها، وهو رجل مسلم من الأنصار، فأخبرته خبر ما أرادت بنو النضير من الغدر برسول اللَّه ﷺ، فأقبل أخوها سريعًا حتى أدرك النبي ﷺ، فسارّه بخبرهم قبل أن يصل النبي ﷺ إليهم، فرجع النبي ﷺ، فلما كان من الغد غدا عليهم رسول اللَّه ﷺ بالكتائب فحاصرهم، وقال لهم: «**إنكم لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه**»، فأبوا أن يعطوه عهدًا فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون، ثم غدا الغد

على بني قريظة بالخيل والكتائب، وترك بني النضير، ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم، وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم، حتى نزلوا على الجلاء، وعلى أن لهم ما أقلّت الإبل إلا الحلقة.. والحلقة: السلاح ـ فجاءت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم وخشبها، فيهدمونها، فيحلون ما وافقهم من خشبها، وكان جلاؤهم ذلك أول حشر الناس إلى الشام»[1].

●ولابن إسحاق وجلّ أهل المغازي سبب آخر في غزوة بني النضير:

❑ قال ابن إسحاق: خرج رسول اللَّه ﷺ إلى بني النضير، يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري، للجوار الذي كان رسول اللَّه ﷺ عقد لهما.. وكان بين بني النضير وبين بني عامر عقد وحلف، فلما أتاهم رسول اللَّه ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم يا أبا القاسم، نعينك على ما أصبت مما استعنت بنا عليه، ثم خلا بعضهم ببعض، فقالوا: إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه ـ ورسول اللَّه ﷺ إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد ـ فَمَن رجل يعلو هذا البيت، فيلقي عليه صخرة فيريحنا منه، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ـ أحدهم ـ فقال: أنا لذلك، فصعد ليلقي عليه صخرة، كما قال: ورسول اللَّه

---

(١) **إسناد صحيح**: رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/٣٥٨) رقم (٩٧٣٣)، وأبو داود في «سننه» برقم (٣٠٠٤).. إلا أنه لم يذكر القصة، وقد ذكر ابن حجر في «فتح الباري» (٧/٣٣١) أن ابن مردويه روى هذه القصة بإسناد صحيح، قال ابن حجر ص(٢٣٣): «فهذا أقوى مما ذكر ابن إسحاق من أن سبب غزوة بني النضير طلبه ﷺ أن يعينوه في ديّة الرجلين، ولكن وافق ابن إسحاق جلّ أهل المغازي فاللَّه أعلم..

ﷺ في نفر من أصحابه، فيهم أبو بكر وعمر وعلي - رضي الله عنهم -، فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعًا إلى المدينة، فلما استلبث[1] النبي ﷺ أصحابه، قاموا في طلبه فلقوا رجلاً مقبلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ، حتى انتهوا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كانت اليهود أرادت من الغدر به، وأمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم[2].

● روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: حاربت قريظة والنضير، فأجلى بني النضير، وأقرّ قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة.. ولفظ مسلم: «أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ».

* إجلاء بني النضير:

▭ قال ابن سعد: «وبعث إليهم رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة أن اخرجوا من بلدي، فلا تساكنوني بها، وقد هممتم بما هممتم به من الغدر، وقد أجّلتكم عشرًا، فمن رُئِي بعد ذلك ضُرِبت عنقه، فمكثوا على ذلك أيامًا يتجهزون، وأرسلوا إلى ظهر لهم بذي الجدر، وتكاروا من ناس من أشجع إبلاً، فأرسل إليهم ابن أبيّ: لا تخرجوا من دياركم، وأقيموا في حصنكم؛ فإن معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب،

---

(١) استلبث: استفعل من اللبث، وهو الإبطاء والتأخر، كأنه تأخر عليهم فاستلبثوه أي: استبطئوه.. «النهاية» (٤/ ٢٢٤).

(٢) رواه ابن هشام في «السيرة» (٢/ ١٩٠)، والبيهقي في «سننه» (٩/ ٢٠٠، ٢٠١)، وهو مرسل، ورواه ابن جرير في «تفسيره» (٦/ ٩٢ - ٩٤)، وهو مرسل عنعنه ابن إسحاق.

يدخلون معكم حصنكم فيموتون عن آخرهم، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان، فطمع حييّ فيما قال ابن أبيّ، فأرسل إلى رسول اللَّه ﷺ : إنا لا نخرج من ديارنا فاصنع ما بدا لك، فأظهر رسول اللَّه ﷺ التكبير، وكبّر المسلمون، وقال: «**حاربت يهود**».

قال ابن سعد: فسار رسول اللَّه ﷺ إليهم وصلى العصر في فضاء بني النضير، وعلي ـ رضي اللَّه عنه ـ يحمل رايته، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم. وكان اليهود قد أغلقوا عليهم باب الحصن، ولبثوا في داخله، وغدر بهم ابن أبيّ، ولم يف بما وعدهم به»(١) .

◻ وحاصر رسول اللَّه ﷺ بني النضير ست ليال كما ذكر ابن هشام(٢) ، وقد ذكر الواقدي وابن سعد أن مدة الحصار دامت خمسة عشر يومًا(٣) ، ولم يجد المسلمون بُدًّا من التضييق عليهم فعمدوا إلى بعض بساتينهم، فقطعوا من نخلها وحرّقوا.

◻ عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ حَرّق رسول اللَّه ﷺ نخل بني النضير وقطع، وهي البُوَيْرة فنزلت: ﴿ **مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ**... ﴾(٤) [الحشر: ٥].

وحين طال الحصار على يهود، ورأوا ما يفعله رسول اللَّه ﷺ والمسلمون؛ أرسل إليه حيي بن أخطب قائلاً: يا محمد، إن كنت تنهى

(١) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٥٧، ٥٨)، و«السيرة» لابن هشام (٢/ ١٩١).
(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ١٩١).
(٣) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٥٨)، و«المغازي» للواقدي (١/ ٣٧٢، ٣٧٣).
(٤) رواه البخاري (٤٠٣١)، ومسلم، والترمذي (١٥٥٢)، وأبو داود (٢٦١٥)، وابن ماجه (٢٨٤٤)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٥٢، ١٢٣).

عن الفساد لِمَ تقطع النخل؟ نحن نعطيك الذي سألت[١] ونخرج من بلادك، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا أقبله اليوم، ولكن اخرجوا منها، ولكم ما حملت الإبل إلا الحلقة**»، فقبل اليهود بذلك[٢].

وقد تولى عملية إخراجهم من المدينة محمد بن مسلمة، بأمر من رسول اللَّه ﷺ، فخرجوا في ستمائة بعير[٣].

❑ قال ابن إسحاق: فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به، فخرجوا إلى خيبر، ومنهم مَن سار إلى الشام فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر: سلاّم ابن أبي الحقيق، وكنانة بن الربيع، وحُيَيّ بن أخطب، فلما نزلوها، دان لهم أهلها[٤].

❑ ولم يسلم من بني النضير إلا رجلان: يامين بن عمير، وأبو سعد بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها[٥].

* قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ**﴾ [الحشر: ٢ ـ ٣].

---

(١) يعني بذلك: ديّة العامريين.

(٢) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٥٨).

(٣) «الطبقات» (٢/ ٥٨).

(٤) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ١٩١).

(٥) «السيرة» (٢/ ١٩٢).

* مقتل عمرو بن جحَّاش شيطان يهود لعنه اللَّه:

كان عمرو بن جحّاش هو الذي حمل الصخرة الكبيرة، وهمّ بإلقائها على رسول اللَّه ﷺ وحين أسلم يامين بن عمير قال له رسول اللَّه ﷺ: «**ألم تر إلى ابن عمك عمرو بن جحّاش وما همّ به من قتلي؟**» فقال: أنا أكفيكه يا رسول اللَّه، فجعل لرجل من قيس جُعْلاً على أن يقتل عَمْرًا، فاغتاله فقتله[1].

* بنو النضير وتحزيب الأحزاب ضد رسول اللَّه ﷺ:

منذ أن استقر سادة بني النضير في خيبر، لم يهدأ لهم بال، وأصبح شغلهم الشاغل العمل على الانتقام من نبي اللَّه ﷺ والمسلمين بأي وسيلة، فعمدوا إلى استفزاز القبائل العربية الموتورة أو الطامعة، وتحريضها على رسول اللَّه ﷺ.

روى البيهقي في «سننه» عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وعثمان بن يهوذا قالوا: كان الذين حزّبوا الأحزاب نفر من بني النضير ونفر من بني وائل، وكان من بني النضير حيي بن أخطب، وكنانة ابن الربيع بن أبي الحقيق وأبو عمار، ومن بني وائل - حي من الأنصار من أوس اللَّه -: وحوح بن عمرو، ورجال منهم، خرجوا حتى قدموا على قريش فدعوهم إلى حرب رسول اللَّه ﷺ، فنشطوا لذلك[2] ا.هـ.

□ وقد ذكر ابن إسحاق والواقدي وابن سعد ضلوع بني النضير في

---

(١) «السيرة» لابن هشام (٢/ ١٩٢)، والواقدي في «مغازيه» (١/ ٣٧٤).
(٢) «سنن البيهقي» - كتاب الجزية - باب نقض أهل العهد أو بعضهم العهد (٩/ ٢٣٢)، و«السيرة» لابن هشام (٢/ ٢١٤).

تحزيب الأحزاب بشكل موسع، فقد ذكروا ـ واللفظ للواقدي ـ أن يهود بني النضير لما قدموا خيبر، خرج حيي بن أخطب وكنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن الحقيق وهوذة بن قيس الوائلي ـ من الأوس من بني خطمة ـ وأبو عامر الراهب، في بضعة عشر رجلاً إلى قلة يدعون قريشًا وأتباعها إلى حرب محمد ﷺ، فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدًا ﷺ، فقال أبو سفيان: هذا الذي أقدمكم ونزعكم؟! قالوا: نعم، جئنا لنحالفكم على عداوة محمد وقتاله، قال أبو سفيان: مرحبًا وأهلاً.. وقد ذكروا أن قريشًا سألتهم بصفتهم أهل الكتاب الأول ـ عن دين قريش خير أم دين محمد؟ فكان جوابهم ـ قاتلهم اللَّه ـ أنتم أولى بالحق منه إنكم لتعظمون هذا البيت وتقومون على السقاية وتنحرون البدن، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم، فأنتم أولى بالحق منه.. وأخذت وقريش في الجهاز، وسيّرت في العرب، تدعوهم إلى نصرها، وألّبت أحابيشها ومن تبعهم، ثم خرجت اليهود حتى جاؤوا بني سليم، فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قريش، ثم ساروا في غطفان، فجعلوا لهم تمر خيبر سنة وينصرونهم، ويسيرون مع قريش إلى محمد إذا ساروا، فأنعمت بذلك غطفان، ولم يكن أحد أسرع إلى ذلك من عيينة بن حصن.

ولقد أثمرت تلك الجهود اليهودية الدنيئة الخبيثة عن اجتماع عشرة آلاف مقاتل التقوا على حدود المدينة وأحاطوا بها.

❁ ❁ ❁

* **نقض بني قريظة للعهد:**

ذهب طاغية بني النضير حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد زعيم بني قريظة، يحرضه على نقض العهد ويشجعه على ذلك:

عن عروة بن الزبير ومحمد بن كعب القرظي وعثمان بن يهوذا.. فذكر خبر يهود بني النضير مع قريش، ثم قال: وخرج حيي ابن أخطب حتى أتى كعب بن أسد، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، فلما سمع به كعب أغلق حصنه دونه، فقال: ويحك يا كعب، افتح لي حتى أدخل عليك، فقال: ويحك يا حيي، إنك امرؤ مشئوم، وإنه لا حاجة لي بك ولا بما جئتني به، إني لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاء، ووادعني موادعة، فدعني وارجع عني، فقال: والله إن أغلقت دوني إلا عن جشيشتك[1] أن آكل معك منها، فأحفظه[2]، ففتح له، فلما دخل عليه قال له: ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر، بقريش معها قادتها، حتى أنزلتها برومة، وجئتك بغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتها إلى جانب أحد، جئتك ببحر طام لا يرده شيء، فقال: جئتني والله بالذل، ويلك، فدعني وما أنا فيه، فإنه لا حاجة لي بك، ولا بما تدعوني إليه، فلم يزل حيي بن أخطب يفتله في الذروة والغارب[3] حتى أطاع له وأعطاه حيي العهد والميثاق لئن رجعت قريش وغطفان قبل أن يصيبوا

---

(١) الجشيشة: نوع من الطعام، قال ابن الأثير: هي أن تطحن الحنطة طحنًا جليلاً، ثم تجعل في القدور ويُلقى عليها لحم أو تمر وتطبخ «النهاية» (١/ ٢٧٣).

(٢) فأحفظه: أي أغضبه، من الحفيظة وهي الغضب «النهاية» (١/ ٤٠٨).

(٣) قال السهيلي في «الروض الأنف» (٦/ ٣١١): هذا مثله، وأصله في البعير يستصعب عليك، فتأخذ القراد من ذروته وغارب سنامه وتفتل هناك، فيجد البعير لذة، فيأنس عند ذلك.

محمداً لأدخلن معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك، فنقض كعب العهد، وأظهر البراءة من رسول اللَّه ﷺ وما كان بينه وبينه[١] .

● قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول اللَّه ﷺ الخبر وإلى المسلمين؛ بعث رسول اللَّه ﷺ سعد بن معاذ وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن دُليم، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد اللَّه ابن رواحة.. وخوّات بن جبير.. فقال: «**انطلقوا حتى تنظروا، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقًّا فالحنوا لي لحنًا أعرفه، ولا تَفُتُّوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس**»، قال: فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، فنالوا من رسول اللَّه ﷺ ، وقالوا: مَنْ رسول اللَّه؟ لا عهد بيننا وبين محمد، ولا عقد، فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ـ وكان رجلاً فيه حِدّة ـ، فقال له سعد بن عبادة: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة؟ ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول اللَّه ﷺ فسلّموا عليه، ثم قالوا: عَضَلٌ والقارة أي: كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع، خبيب وأصحابه، فقال رسول اللَّه ﷺ : «**اللَّه أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين**»[٢] .

ولكن اللَّه ـ عز وجل ـ ثبّت المؤمنين، وقوّى عزائمهم، فأبقى رسول اللَّه ﷺ الجيش في مواقعه تجاه المشركين، وبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاثمائة رجل يحرسون المدينة ويظهرون التكبير، ليوهنوا بني قريظة ويوهموهم بالمواجهة؛ وذلك خوفًا

---

(١) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٢٠، ٢٢١)، والبيهقي في «سننه»، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ٣٦٧ ـ ٣٧١) (٩٧٣٧).

(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٢١، ٢٢٢).

على النساء والذراري منهم[١] .

* وقد كان خوف المسلمين من بني قريظة أشد كثيرًا من خوفهم من مشركي العرب؛ وذلك لوجود الخندق حاجزًا عن المشركين، ولا حاجز بين المسلمين ويهود.

وعظم بلاء المسلمين واشتد خوفهم، وكانوا كما وصفهم اللَّه ـ عز وجل ـ: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠ ـ ١١].

● عن عبد اللَّه بن الزبير ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كنت يوم الأحزاب جُعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت: يا أبت، رأيتك تختلف، قال: أو هلْ رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول اللَّه ﷺ قال: «**من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟**» فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول اللَّه ﷺ أبويه فقال: «**فداك أبي وأمي**»[٢] .

● وعن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ يوم الخندق: «**مَن يأتينا بخبر بني قريظة؟**»، فقال الزبير: أنا، فذهب على فرسٍ،

---

(١) «المغازي» للواقدي (٢/ ٤٦٠).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة ـ باب مناقب الزبير بن العوام (٧/ ٨٠)، رقم (٣٧٢٠)، ورواه مسلم في «صحيحه»، وأحمد في «مسنده» (١/ ١٦٤، ١٦٦).

فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا. فذهب على فرسٍ، فجاء بخبرهم.، ثم الثالثة، فقال النبي ﷺ: «**لكل نبي حواريّ**[١]، **وحواريّ الزبير**»[٢].

«وقد بلغ من خوفه ﷺ على أصحابه من بني قريظة، أن كان لا يسمح لهم بمغادرة المواقع إلا في الضرورة القصوى، وكان يأمرهم بأخذ سلاحهم؛ زيادة في الحيطة والحذر»[٣].

● وفي حديث أبي سعيد الخدري ي قصة الشاب حديث العهد بالعُرْس، حين خرج النبي ﷺ إلى الخندق، وكان يستأذن في أنصاف النهار، فاستأذن يومًا، فقال له رسول اللّه ﷺ: «**خذ عليك سلاحك، فإني أخشى عليك قريظة**»[٤].

واشتد الأمر على المسلمين وضاقت عليهم السبل، حتى آن لهذه الغمّة أن تزول بتيسير اللّه وتوفيقه؛ حيث سخّر اللّه لعباده المسلمين رجلاً يدعى «نعيم بن مسعود الغطفاني انطلت حيلته على اليهود والمشركين وفرّق كلمتهم، وشتت شملهم، فارتدوا على أعقابهم إلى ديارهم خاسرين: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ**

---

(١) الحواريّ: هو الخالص من كل شيء. قاله مصعب الزبيري، والحواريّ: خالصة الإنسان وصفيّه المختص به كأنه أخلص ونقي من كل عيب. وتحوير الثياب: تبييضها وغسلها، ومنه سمي أصحاب عيسى: حواريين؛ لأنهم كانوا قصارين يبيضون الثياب. وقيل: الحواري: الناصر.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) «اليهود في السنة المطهرة» (١/ ٣٣٦).

(٤) رواه مسلم في كتاب السلام، باب قتل الحيات وغيرها (٤/ ١٧٥٦)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٧٦، ٩٧٧) رقم (٣٣).

الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

* غزوة بني قريظة:

ما كاد رسول اللَّه ﷺ يستريح من الأحزاب وجموعهم، حتى قفل راجعًا إلى المدينة، وبينما هو يغتسل من وعثاء الحرب وغبارها إذا بجبريل ـ عليه السلام ـ يوجهه إلى بني قريظة.

● عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ أن رسول اللَّه ﷺ لما رجع يوم الخندق وضع السلاح واغتسل، فأتاه جبريل، وقد عصب رأسه الغبار، فقال: وضعتَ السلاح؟! فواللَّه ما وضعتُه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فأين؟**» قال: ها هنا، وأومأ إلى بني قريظة، قالت: فخرج إليهم رسول اللَّه ﷺ[(١)].

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «**لا يُصلين أحد العصر إلا في بني قريظة**»، فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد بنا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يُعنف واحدًا منهم»[(٢)].

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كأني أنظر إلي الغبار ساطعًا في زقاق بني غَنْم، موكب جبريل ـ عليه السلام ـ حين سار

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الجهاد باب الغسل بعد الحرب والغبار (٦/ ٣٠) رقم (٢٨١٣)، (٤١١٧)، ومسلم (٣/ ١٣٨٩)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٥٦).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب المغازي ـ باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٧/ ٤٠٧، ٤٠٨) ورواه مسلم في «صحيحه» (٣/ ١٣٩١) قريبًا من هذا اللفظ، لكن فيه «الظهر» بدل «العصر»، والبيهقي في سننه (٧/ ٤٠٨).

رسول اللَّه ﷺ إلى بني قريظة»[١].

◻ وحين وصل إلى بني قريظة نزل على بئر من آبارهم يُقال لها بئر أنا أو أنى[٢] وكان رسول اللَّه ﷺ في ثلاثة آلاف مقاتل، والخيل ست وثلاثون[٣].

● وكان رسول اللَّه ﷺ قد قدّم علي بن أبي طالب في كوكبة من فرسان المسلمين يستطلعون الطريق.

قال أبو قتادة: انتهينا إليهم، فلما رأونا أيقنوا بالشر، وغرز علي - رضي اللَّه عنه - الراية عند أصل الحصن، فاستقبلونا في صياصيهم، يشتمون رسول اللَّه ﷺ وأزواجه. قال أبو قتادة: فسكتنا وقلنا: السيف بيننا وبينكم، وطلع رسول اللَّه ﷺ، فلما رآه علي - رضي اللَّه عنه - رجع إلى رسول اللَّه ﷺ، وأمرني أن ألزم اللواء، فلزمته، وكره أن يسمع رسول اللَّه أذاهم وشتمهم.

● وعن عائشة - رضي اللَّه عنها - أن رسول اللَّه ﷺ حين وصل إلى حصونهم أمر أصحابه أن يستتروا بالحجف ويستروه بها، حتى يسمعوا كلامهم، وحين سمع ما سمع قال: «**يا إخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت أتشتموني؟**»، قال: فجعلوا يحلفون بالتوراة التي أُنزلت على موسى ما فعلنا، ويقولون: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً..

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم (٧/ ٤٠٧) رقم (٤١١٨)، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢١٣).

(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٣) «الطبقات» لابن سعد (٢/ ٧٤).

ثم دعاهم رسول اللَّه ﷺ وإلى كلمة الحق التي يعرفونها، ولكنهم أبوا واستكبروا(١).

● وحين لم يستجيبوا أمرَ النبي ﷺ برميهم بالنبال، فتراموا ساعة من الزمن حتى دخل الليل فانجحروا فلم يطلع منهم أحد.

واستمر المسلمون على حصارهم فترة من الزمن، يترامون بالنبل والحجارة، وقد حصل بينهم أثناء ذلك قتال ومبارزة.

وحين ملّوا الحصار وأرهقتهم الحرب؛ أرسلوا نبّاش بن قيس إلى رسول اللَّه ﷺ يعرض عليه أن ينزلوا على ما نزلت عليه بنو النضير. فأبى رسول اللَّه ﷺ إلا أن ينزلوا على حكمه ﷺ.

◻ وعلمت يهود أن الأمر خطير، وأن عاقبتهم ستكون وخيمة؛ جزاء نقضهم للعهد، ومحاربتهم للَّه ولرسوله وللمؤمنين وقال لهم كعب ابن أسد سيدهم: «ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمًا».

◻ وقبل أن يستسلم بنو قريظة لرسول اللَّه ﷺ والمؤمنين أسلم نفر من اليهود وهم ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد.

◻ وفي الليلة التي استسلم في صبيحتها بنو قريظة دعا عمرو بن سعدي قومه إلى المهادنة وإعطاء الجزية فلم يرضوا بذلك، وكان عمرو هذا قد سخط غدرهم، ولم يرض بالدخول فيه من أول الأمر. وخرج ونجّاه اللَّه بوفائه.

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه» في كتاب المغازي (٣/ ٣٤، ٣٥)، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبي، ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٥/ ٣٧٠) رقم (٩٧٣٧).

◘ ولقد ذكر الواقدي وابن سعد[١] أن الحصار دام خمسة عشر يومًا، وذكر ابن إسحاق أن مدة الحصار كانت خمسًا وعشرين ليلة[١] ، واستسلمت بنو قريظة.

* سعد بن معاذ يحكم في اليهود بحكم الله من فوق سبع سماوات:

● عن عائشة - رضي اللَّه عنها - قالت - بعد ما ذكرت مصاب سعد يوم الخندق، ومسير رسول اللَّه ﷺ إلى بني قريظة - قالت: فأتاهم رسول اللَّه ﷺ فنزلوا على حكمه، فردّ الحكم إلى سعد فقال: إني أحكم فيهم أن تقتل المقاتلة، وأن تسبى النساء والذرية، وأن تُقَسّم أموالهم[٢] .

◘ وعن أبي سعيد الخدري - رضي اللَّه عنه - قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ، فأرسل النبي ﷺ إلى سعد فأتي به على حمار، فلما دنا من المسجد قال للأنصار: «**قوموا إلى سيدكم أو خيركم**»، فقال: هؤلاء نزلوا على حكمك، فقال: تُقَتّل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم، قال: «**قضيت بحكم اللَّه**»، وربما قال: «**بحكم الملك**»[٣] .

---

(١) «المغازي» للواقدي (٢/ ٤٩٦)، و«الطبقات» لابن سعد (٢/ ٧٤).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٧/ ٤١١، ٤١٢) رقم (٤١٢٢)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير - باب جواز قتال من نقض العهد (٣/ ١٣٨٩)، والبيهقي في «سننه» (٩/ ٩٧).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب المغازي - باب مرجع النبي ﷺ من الأحزاب (٧/ ٤١١)، ورواه في (٦/ ١٦٥) رقم (٣٠٤٣)، ورواه مسلم في «صحيحه» في كتاب الجهاد والسير باب جواز قتال من نقض العهد (٣/ ١٣٨٨)، وأبو داود في «سننه» - كتاب الأدب (٥/ ٣٩٠) رقم (٥٢١٥)، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٢)، والبيهقي في موضعين (٦/ ٥٧، ٥٨) (٩/ ٦٣).

● وعن جابر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «رمي سعد يوم الأحزاب، فقطعوا أكحله، فحسمه النبي ﷺ بالنار، فانتفخت يده، فتركه فنزفه الدم، فحسمه مرة أخرى، فانتفخت يده، فلما رأى ذلك قال: اللَّهم لا تخرج نفسي حتى تقرّ عيني من بني قريظة، فاستمسك عِرْقه، فما قطرت منه قطرة حتى نزلوا على حكم سعد، فأرسل إليه رسول اللَّه ﷺ، فحكم أن يقتل رجالهم، وتُسبى نساؤهم وذراريهم، قال: وكانوا أربعمائة، فلما فرغ من قتلهم، انفتق عرقه»[1] .

* للَّه در سعد بن معاذ، ودرّ أم أوحدت به:

سعد بن معاذ! وما أدراك ما سعد.. سعد يحكم في اليهود بحكم اللَّه، سعد الذي اهتز لموته عرش الرحمن.. ما أحوجنا إلى قلامة ظفره ما أحوجنا وأحوج أمتنا إلى من يقتفي أثره.. قلتُ في اليهود:

هم قوم البهت ويا طيري ... ذي قولة حبر الإيمان

وصفية أم الأبرار ... هارون وموسى عمران

برآء منهم.. هم منا ... صاحوا: يا حكم القرآن

يذرون الدمع لغيبته ... ولغيبة سعد الفرسان

سعد بن معاذ تعرفه ... و«اهتز سرير الرحمن»

* ما فعله ﷺ ببني قريظة:

حين نطلق سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ بالحكم استُنْزِل بنو قريظة من حصنهم، ثم أمر رسول اللَّه ﷺ بالرجال فسيقوا إلى دار أسامة بن

(١) إسناده حسن: رواه أحمد وابن سعد والدارمي.

زيد مُكَتَّفين، وقد تولى كتافهم محمد بن مسلمة، وأمر ﷺ بالنساء والذراري، والسلاح والأثاث فجُمعوا في دار بنت الحارث[١] ، وتُرِكت الإبل والغنم في مواقعها ترعى الشجر[٢] .

❑ وأُمر بحفر خنادق عميقة في سوق المدينة، وأمر رسول اللَّه ﷺ بإحضار الرجال المحكوم عليهم وأمر بإعدامهم، فأعدموا دفعة بعد دفعة، حتى لم يبق منهم أحد. ولقد أعدم هؤلاء اليهود في ليلة واحدة، وجرت عملية الإعدام على ضوء سعف النخيل[٣] ، وتولى عملية قتل اليهود الخونة علي بن أبي طالب والزبير بن العوّام.

❑ وذكر ابن حجر احتمال أن يكون عدد اليهود ٤٠٠ وما ذُكر من الزيادة هم أتباع لبني قريظة[٤] .

وقال ابن إسحاق: إنهم ست مائة أو سبع مائة[٥] .

* قتل شيطان يهود حُيَيّ بن أخطب:

ذكر ابن إسحاق أنه أُتي بحييّ بن أخطب شيطان بني النضير وعليه حُلّة له فُقّاحِيّة[٦] ، قد شقّها عليه من كل ناحية قدر أنملة؛ لئلا يُسلبها، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول اللَّه ﷺ قال: أما واللَّه ما لُمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يَخْذل اللَّه يُخْذَل، ثم أقبل

---

(١) واسمها: كيسة بنت الحارث بن كريز قاله السهيلي في «الروض الأنف» (٦/ ٣٣٣).
(٢) «السيرة» لابن هشام (٢/ ٢٤٠)، و«المغازي» للواقدي (٢/ ٥١٢، ٥١٣).
(٣) «السيرة الحلبية» (٢/ ١٢٠).
(٤) انظر «فتح الباري» (٧/ ٤١٤).
(٥) «سيرة ابن هشام » (٢/ ٢٤١) نقلاً عن ابن إسحاق.
(٦) فقاحية: ضرب من الوشي.

على الناس، فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر اللَّه، كتاب وقدر وملحمة كتبها اللَّه على بني إسرائيل، ثم جلس فضُربت عنقه[١].

※ على كل حال لا تعقلون . . . هو واللَّه السيف :

ذكر ابن إسحاق أن بني قريظة حين دعوا للقتل أرسالاً، سأل بعضهم كعب بن أسد سيد بني قريظة قائلاً: ما ترى محمد يصنع بنا؟

قال: ما يسوؤكم وما ينوؤكم، ويلكم! على كل حال لا تعقلون، ألا ترون أن الداعي لا ينزع، وأنه من ذهب منكم لا يرجع، هو واللَّه السيف، قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم[٢].

❑ عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: «حاربت قريظة والنضير، فأجلى بني النضير، وأقرّ قريظة ومنّ عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسّم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي ﷺ فأمّنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم، بني قينقاع، وهم رهط عبد اللَّه بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهود المدينة»[٣].

وطهرت المدينة من أدران الخبث والمكر والخديعة، **«إن المدينة تنفي خبثها»**[٤] وينصع طيبها.

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ١٤١).

(٢) «سيره ابن هشام» (٢/ ٢٤١).

(٣) رواه البخاري (٤٠٢٨)، ومسلم (٣/ ١٣٨٧)، وأبو داود (٣/ ٤٠٧ رقم ٣٠٠٥)، وأحمد (٢/ ١٤٩).

(٤) جزء من حديث رواه البخاري رقم (١٨٨٣)، ومسلم (٢/ ١٠٠٦)، و«الموطأ» (٢/ ٨٨٦).

* قَتْل شياطين اليهود أكابرِ مجرميها:

بعد أن ذكرنا قتل حييّ بن أخطب نذكر قتل شيطان يهود كعب بن الأشرف لعنه اللَّه.

* مقتل كعب بن الأشرف:

كان هذا اللعين شاعرًا يقول الشعر في هجاء رسول اللَّه ﷺ والمسلمين فينسب إليهم ما ليس فيهم، ويُشبِّب بنسائهم ويحرض عليهم كفار قريش وخاصة بعد غزوة بدر إذ إنه لما جاء النبأ بهزيمة قريش في بدر جعل يقول: ويلكم، هؤلاء سراة الناس قد قُتِلوا وأُسِروا فما عندكم؟ واللَّه لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم فبطن الأرض خير من ظهرها وجعل يرثي قريشًا ويقول:

طحنت رحى بدر لمهلك أهله ... ولمثـل بـدر تسـتهلُّ وتدمـعُ

قتلت سراة الناس حول حياضه ... لا تبعـدوا إن الملوك تصـرع

● عن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**مَن لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى اللَّه ورسوله**»، فقام محمد بن مسلمة، فقال: يا رسول اللَّه أتحب أن أقتله؟ قال: «**نعم**»، قال: فأذن لي أن أقول شيئًا، قال: «**قل**».

فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عنّانا، وإني قد أتيتك أستسلفك، قال: وأيضًا واللَّه لتملنه، قال: إنا قد اتبعناه، فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه، وقد أردنا أن تسلفنا وسقًا أو وسقين، قال: نعم، ارهنوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: ارهنوني نساءكم، قالوا: كيف نرهِنك نساءنا وأنت أجمل

العرب؟! قال: ارهنوني أبناءكم، قالوا: كيف نرهنك أبناءنا فيسب الواحد، فيقال: رُهِن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا، ولكنا نرهنك اللأْمة، قال سفيان: يعني: السلاح، فواعده أن يأتيه، فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة ـ وهو أخو كعب من الرضاعة ـ فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد ابن مسلمة وأخي أبو نائلة، قالت: أسمع صوتًا كأنه يقطر منه الدم، قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعِي إلى طعنة رمح لأجاب ـ قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين[1] فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني استمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه، وقال مرة: ثم أشمكم ـ فنزل إليهم متوشحًا وهو ينفح منه ريح الطيب، فقال: ما رأيت كاليوم ريحًا أي أطيب. قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب، قال عمرو: فقال: أتأذن لي أن أشم رأسك؟ قال: نعم، فشمه، ثم أشم أصحابه، ثم قال: أتأذن لي؟ قال: نعم، فلما استمكن منه قال: دونكم، فقَتلوه، ثم أتوا النبي ﷺ فأخبروه[2].

قال الواقدي: فلما بلغوا بقيع الغرقد كبّروا، وقام رسول اللَّه ﷺ تلك الليلة يصلي، فلما سمع رسول اللَّه تكبيرهم بالبقيع كبّر، وعرف أنهم قد قتلوه، ثم انتهوا يعدون حتى وجدوا رسول اللَّه ﷺ

---

(١) قال غير عمرو: أبو عبس بن جبر والحارث بن أوس وعباد بن بشر.

(٢) رواه البخاري ـ كتاب المغازي ـ باب قتل كعب بن الأشرف (٧/ ٣٣٦ ـ ٣٣٧) برقم (٤٠٣٧)، ورواه مسلم (٣/ ١٤٢٥)، وأبو داود في «سننه» (٣/ ٢١١ ـ ٢١٢) رقم (٢٧٦٨).

واقفًا على باب المسجد فقال: «**أفلحت الوجوه**»، فقالوا: ووجهك يا رسول اللَّه، فحمد اللَّه على قتله.

● عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن محمد بن مسلمة، وأبا عبس بن جبير وعباد بن بشر قتلوا كعب بن الأشرف، فقال النبي ﷺ حين نظر إليهم: «**أفلحت الوجوه**»[(١)].

قال محمد بن مسلمة: فأصبحنا، وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو اللَّه، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه.

وكانت ليلة مقتله ليلة أربع عشرة من ربيع الأول على رأس خمسة وعشرين شهراً[(٢)].

* مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحقيق النضري رأس المحرضين للأحزاب:

ذكر ابن سعد أن قتله كان في شهر رمضان سنة ست من مهاجر رسول اللَّه ﷺ[(٣)]، كان تحزيبه للأحزاب دافعًا قويًّا مبيحًا لدمه، فقد جعله ابن إسحاق على رأس قائمة المحرضين للأحزاب.

● عن البراء بن عازب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «بعث رسول اللَّه ﷺ إلى أبي رافع اليهودي رجالاً من الأنصار، فأمّر عليهم عبد اللَّه ابن عتيك، وكان أبو رافع يؤذي رسول اللَّه ﷺ ويعين عليه، وكان

---

(١) **صحيح الإسناد:** رواه الحاكم في «مستدركه» ـ في كتاب معرفة الصحابة ـ باب ذكر مناقب محمد بن مسلمة (٣/ ٤٣٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وفيه إسماعيل بن عبد اللَّه بن عبد اللَّه بن أويس، ضعيف عندهم، وقال ابن أبي خيثمة: صدوق ضعيف العقل.

(٢) «المغازي» (١/ ١٨٩)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٣١).

(٣) «طبقات ابن سعد» (٢/ ٩١).

في حصن له بأرض الحجاز، فلما دنوا منه وقد غربت الشمس وراح الناس بسرحهم، فقال عبد اللَّه لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلق ومتلطف بالبوّاب لعلي أن أدخل، فأقبل حتى دنا من الباب، ثم تقنّع بثوبه كأنه يقضي حاجته، وقد دخل الناس، فهتف به البواب: يا عبداللَّه إن كنت تريد أن تدخل فادخل، فإني أريد أن أغلق الباب، فدخلتُ فكمنتُ، فلما دخل الناس أغلق الباب، ثم علّق الأغاليق على وتد، قال: فقمت إلى الأقاليد[1] فأخذتها، ففتحت الباب، وكان أبو رافع يُسمر عنده، وكان في علالي له، فلما ذهب عنه أهل سمره صعدت إليه، فجعلت كلما فتحت بابًا أغلقت عليّ من داخل، قلت: إن القوم نذروا إليّ حتى أقتله، فانتهيت إليه، فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله، لا أدري أين هو من البيت، فقلت: أبا رافع، فقال: من هذا؟ فأهويت نحو الصوت فأضربه ضربة بالسيف وأنا دهش، فما أغنيت شيئًا، وصاح، فخرجت من البيت، فأمكث غير بعيد، ثم دخلت إليه، فقلت: ما هذا الصوت يا أبا رافع؟ فقال: لأمك الويل، إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف، قال: فأضربه ضربة أثخنته، ولم أقتله، ثم وضعت ضبيب[2] السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره، فعرفت أني قتلته، فجعلت أفتح الباب بابًا بابًا حتى انتهيت إلى درجة له، فوضعت رجلي وأنا أرى أني قد انتهيت إلى الأرض، فوقعت في ليلة مقمرة، فانكسرت ساقي، فعصبتها بعمامة، ثم انطلقت حتى جلست على الباب

---

(١) الأقاليد: جمع إقليد وهو المفتاح «فتح الباري» (٧/ ٣٤٣).

(٢) ضبيب: ذكر الخطابي أن هذا غير محفوظ، وإنما هو «ظبة السيف» وهو حرف حد السيف، ويجمع على ظبات «الفتح» (٧/ ٣٤٤).

فقلت: لا أخرج الليلة حتى أعلم أقتلته؟ فلما صاح الديك، قام الناعي على السور، فقال: أنعي أبا رافع تاجر أهل الحجاز، فانطلقت إلى أصحابي، فقلت: النجاء، فقد قتل اللَّه أبا رافع، فانتهيت إلى النبي ﷺ فحدثته، فقال لي: «**ابسط رجلك**»، فبسطت رجلي فمسحها، فكأنها لم أشتكها قط»[١].

* مقتل أسير بن زارم[٢] شيطان يهود:

تولى أسير بن زارم زعامة يهود بعد قتل أبي رافع، وأخذ في جمع يهود الشمال وتحريضهم على رسول اللَّه ﷺ، ولم يكتف بذلك، بل بدأ بتأليب قبائل غطفان وجمعها لقتال رسول اللَّه ﷺ وقال: «إنه واللَّه ما سار محمد إلى أحد من يهود إلا بعث أحدًا من أصحابه فأصاب منهم ما أراد، ولكني أصنع ما لم يصنع أصحابي، فقالوا: وما عسيت أن تصنع ما لم يصنع أصحابك؟ قال: أسير في غطفان فأجمعهم، فسار في غطفان فجمعها.

● عن عروة بن الزبير قال: بعث رسول اللَّه ﷺ عبد اللَّه ابن رواحة في ثلاثين راكبًا فيهم عبد اللَّه بن أنيس إلى أسير بن زرام حتى أتوه بخيبر، وبلغ رسول اللَّه ﷺ أنه يجمع غطفان ليغزو رسول اللَّه ﷺ فأتوه فقالوا: إنا أرسلنا إليك رسولُ اللَّه ﷺ ليستعملك على

---

(١) رواه البخاري ـ في كتاب المغازي ـ باب قتل أبي رافع (٧/ ٣٤٠، ٣٤١) رقم (٤٠٣٩)، والبيهقي في «سننه» في كتاب «السير» (٩/ ٨٠)، والطبري في «تاريخه» (٢/ ٤٩٣ ـ ٤٩٥).

(٢) هكذا سماه ابن سعد (٢/ ٩٢)، والواقدي (٢/ ٥٦٦)، وأما ابن إسحاق فقد سمّاه: اليسير بن رزام وقال ابن هشام: ويُقال: ابن رازم (٢/ ٦١٨) وكذا سمّاه أبو نعيم في «دلائل النبوة» ص(٤٥٠).

خيبر، فلم يزالوا به يخدعونه حتى أقبل معهم في ثلاثين راكبًا مع كل واحد منهم رديف من المسلمين، فلما بلغوا قرْقرة - وهي من خيبر على ستة أميال - ندم اليسير بن رزام اليهودي، فأهوى بيده إلى السيف سيف عبد اللَّه بن أنيس، ففطن له عبد اللَّه بن أنيس، فزجر راحلته، واقتحم عبد اللَّه بن أنيس حتى استمكن من اليسير بن رزام، فضرب عبد اللَّه ابن أنيس رجله فقطعها، واقتحم اليسير بن رزام وفي يده مِخْرَش من شَوْحَط[1] فضرب عبد اللَّه بن أنيس فشَجَّه مأمومة، وانكفأ كل رجل من المسلمين إلى رديفه، فقتله، غير واحد من اليهود أعجزهم شدا، ولم يصب من المسلمين أحد، وقدموا على رسول اللَّه ﷺ فبصق في شجة عبد اللَّه فلم تقح ولم تؤذه[2].

فتْح خيبر معقل شياطين اليهود

وهي بلدة في شمال الحجاز، على بعد ١٧٣ كم من المدينة المنورة، وكانت ملجأ وملاذًا لكثير ممن أُجلي عن المدينة من يهود بني قينقاع والنضير وغيرهما.

وحين انتصر النبي ﷺ على يهود بني قريظة وقتل رجالهم جن جنون أهل خيبر وهاجوا ماجوا، وعزموا على غزو رسول اللَّه ﷺ من شدة فجورهم وبغيهم.

---

(١) مخرش من شوحط. عصا مُعْوَجّة كالصولجان، والشوحط: ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القسي «النهاية (٢/ ٢٢، ٨٠٥).

(٢) انظر: «دلائل النبوة» لأبي نعيم ص(٤٥٠)، و«طبقات ابن سعد» (٢/ ٩٢) و«المغازي» (٢/ ٥٦٧، ٥٦٨).

لما صالح رسول اللَّه ﷺ المشركين في الحديبية في شهر ذي الحجة سنة ست من الهجرة، أمر رسول اللَّه ﷺ بالمسير إلى خيبر في أواخر شهر محرم كما ذكر ابن إسحاق، أو في صفر كما ذكر الواقدي[1] في السنة السابعة من الهجرة، وأمّر النبي ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة الغفاري[2] ، وكان دليل النبي ﷺ في تلك الغزوة حسيل بن خارجة الأشجعي.

ونزل النبي ﷺ في طريقه إلى خيبر بوادٍ يُقال له: «الرجيع» بين اليهود وبين غطفان، ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر، وكانوا لهم مظاهرين على رسول اللَّه ﷺ؛ وكان عامر بن الأكوع يحدو بالقوم.

◻ عن سلمة بن الأكوع - رضي اللَّه عنه - قال: خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر، فسرنا ليلاً، فقال رجل من القوم لعامر: يا عامر ألا تسمعنا من هنيهاتك؟ وكان عامر رجلاً شاعرًا، فنزل يحدو بالقوم يقول:

اللَّهم لولا أنت ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا

فاغفر فداءً لك ما أبقينا ... وثبِّت الأقدام إن لاقينا

وألقينْ سكينةً علينا ... إنا إذا صيح بنا أبينا

وبالصياح عوَّلوا علينا

---

(١) انظر «المغازي» (٢/ ٦٣٤)، و«الطبقات» (٢/ ٦٣٤)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٢٨)، و«السيرة الحلبية» (٣/ ٣١).

(٢) انظر «صحيح ابن خزيمة» - جماع أبواب السهو (٢/ ١٢٠) رقم (١٠٣٩)، والحاكم مختصرًا (٣/ ٣٦)، وصححه الحاكم والذهبي، قال أبو هريرة: «لما خرج رسول اللَّه ﷺ إلى خيبر، استخلف سباع بن عرفطة الغفاري. . . .» الحديث.

● فقال رسول اللَّه ﷺ: «مَن هذا السائق؟» قالوا: عامر بن الأكوع، قال: «يرحمه اللَّه»، قال رجل من القوم[١]: وجبت يا نبي اللَّه، لولا أمتعتنا به»[٢].

ولما وصل المسلمون إلى الصهباء - وهي من خيبر، وهي أدنى خيبر حطوا الرِّحال وصلّوا العصر. وكان اليهود يقومون كل ليلة قبل الفجر، فيلبسون السلاح ويصفون الكتائب وهم عشرة آلاف مقاتل»[٣].

* **اللَّه أكبر خربت خيبر:**

● عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ كان إذا غزا بنا قومًا لم يكن يغزو بنا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذانًا كفّ عنهم، وإن لم يسمع أذانًا أغار عليهم، قال: فخرجنا إلى خيبر، فانتهينا إليهم ليلاً، فلما أصبح ولم يسمع أذانًا ركب وركبت خلف أبي طلحة، وإن قدمي لتمس قدم النبي ﷺ، قالوا: محمد واللَّه، محمد والخميس[٤]، قال: فلما رآهم رسول اللَّه ﷺ قال: «**اللَّه أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم**

---

(١) في رواية لمسلم في «صحيحه» (٣/ ١٤٤٠) برقم (١٨٠٧/١٣٢)، عن سلمة - رضي اللَّه عنه - غزوة ذي قرد، وذكر هذه القصة، وقال في آخرها، قال رسول اللَّه ﷺ: «**غفر لك ربك**»، قال: وما استغفر رسول اللَّه ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نبي اللَّه، لولا ما متعتنا بعامر.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» - كتاب المغازي - باب غزوة خيبر (٧/ ٤٦٣، ٤٦٤) رقم (٤١٩٦)، ورواه مسلم في «صحيحه» - في كتاب الجهاد باب غزوة خيبر (٣/١٤٢٧ - ١٤٢٩)، ورواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٧، ٤٨).

(٣) «المغازي» للواقدي (٢/ ٦٤٢).

(٤) الخميس: هو الجيش، سُمِّي به؛ لأنه مقسوم بخمسة أقسام: المقدمة والساقة، والميمنة والميسرة والقلب.

فساء صباح المنذَرين»[١] .

وعسكر النبي ﷺ بالرجيع وهو وادٍ قريب من خيبر.

* حصار حصون النطاة:

قاتل رسول اللَّه ﷺ أهل حصون النطاة، وهي عبارة عن مجموعة حصون أهمها «حصن ناعم»، وحصن «الصعب بن معاذ»، وحصن قلعة الزبير، واستمات أهل هذه الحصون في الدفاع عنها، وقاتلوا أشد القتال: مبارزة، ومراماة والتحامًا.

● عن سلمة بن الأكوع ـ رضي اللَّه عنه ـ . . . فذكر حداء عامر برسول اللَّه ﷺ ثم قال: فلما قدمنا خيبر، خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ويقول:

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

❑ قال: وبرز له عمي عامر فقال:

قد علمت خيبر أني عامر   شاكي السلاح بطل مغامر

❑ قال: فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في تُرس عامر، وذهب عامر يَسْفُلُ له، فرجع سيفه على نفسه فقطع أكحله، فكانت فيها

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ في كتاب الأذان ـ باب ما يُحقن بالأذان من الدماء (٢/ ٨٩) رقم (٦١٠)، ومسلم في «صحيحه» ـ كتاب النكاح ـ باب فضيلة إعتاق أمته (٢/ ١٠٤٥)، والترمذي في «سننه» (٥/ ٢٦٨) رقم (١٥٥٠)، ومالك في «الموطأ» رقم (٤٨)، والنسائي في «سننه» (١/ ٢٧١)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٢٠٦)، والبيهقي في «سننه» (٢/ ٢٣٠، ٩/ ١٥٣).

نفسه، قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي ﷺ يقولون: بطل عمل عامر، قتل نفسه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول اللَّه بطل عمل عامر؟ قال رسول اللَّه ﷺ: **«من قال ذلك؟»** قال: قلت: ناس من أصحابك، قال: **«كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين»**(١).

● وعن سلمة بن الأكوع - رضي اللَّه عنه -: «.... فلما تصاف القوم كان سيف عامر قصيرًا، فتناول به ساق يهودي ليضربه ويرجع ذباب سيفه فأصاب عين ركبة عامر، فمات منه، قال: فلما قفلوا، قال سلمة: رآني رسول اللَّه ﷺ وهو آخذ بيدي، قال: **«ما لك؟»**، قلت له: فداك أبي وأمي زعموا أن عامرًا حبط عمله، قال النبي ﷺ: **«كذب من قاله، إن له لأجرين»** وجمع بين أصبعيه **«إنه لجاهد مجاهد، قلّ عربي مشى بها مثله»**(٢).

* «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح اللَّه على يديه»:

كان حصن ناعم أشد حصون خيبر وأعتاها، وهو أول حصون النطاة، وقد أبلى المسلمون عنده بلاءً حسنًا.

وبعد أسبوع كامل من الحصار استخدم المسلمون خلاله كل أنواع التضييق على الأعداء، ومن بين ذلك: قطع بعض النخيل، وإتلاف المحاصيل.

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه» في كتاب الجهاد والسير - باب غزوة ذي قرد (٣/ ١٤٤٠، ١٤٤١) رقم (١٣٢/١٨٠٧)، ورواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٥١، ٥٢) عن سلمة بهذا اللفظ، ورواه البيهقي في كتاب السير (٩/ ١٥٤) عن سلمة قريبًا من هذا.

(٢) سبق تخريجه: رواه البخاري ومسلم، وأحمد.

● عن سهل بن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال يوم خيبر: لأعطين الراية غدًا رجلاً يفتح اللَّه على يديه، يحب اللَّه ورسوله، ويحبه اللَّه ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون[١] ليلتهم أيهم يُعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول اللَّه ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: «**أين علي بن أبي طالب؟**»، فقيل: هو يا رسول اللَّه يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه، فأتي به، فبصق رسول اللَّه ﷺ في عينيه ودعا له، فبرئ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول اللَّه، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «**انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق اللَّه فيه، فواللَّه لأن يهدي اللَّه بك رجلاً واحدًا خير لك من حمر النعم**»[٢، ٣].

وحين أعطى رسول اللَّه ﷺ لعليّ اللواء زحف المسلمون صفًّا واحدًا إلى حصن ناعم، ذلك الحصن الذي استعصى على المؤمنين من قبل.

---

(١) يدوكون: قال ابن الأثير: أي: يخوضون ويموجون فيمن يدفعها إليه، يقال: وقع الناس في دوكة ودوكة، أي: في خوض واختلاط. «النهاية» (٢/ ١٤٠).

(٢) حمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه. انظر «الفتح» (٧/ ٤٧٨).

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب المغازي باب غزوة خيبر (٧/ ٤٧٦) رقم (٤٢١٠) عن سهل بن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ فذكره بهذا اللفظ. ورواه مسلم في «صحيحه» في كتاب فضائل الصحابة ـ باب من فضائل علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ (٤/ ١٨٧٢) رقم (٣٤/ ٢٤٠٦) عن سهل بن سعد، فذكره بهذا اللفظ. ورواه عبد الرزاق في «مصنفه» في كتاب الجهاد (٥/ ٢٨٧، ٢٨٨) عن سهل... فذكره مختصرًا، وقد رواه البخاري في «صحيحه» عن سلمة بن الأكوع قريبًا من هذا في كتاب الجهاد (٦/ ١٢٦) رقم (٢٩٧٥)، وكذا مسلم في كتاب فضائل الصحابة (٤/ ١٨٧٢) رقم (٣٥/ ٢٤٠٧).

وقد روى الواقدي أن أول من خرج إليهم من ذلك الحصن هو الحارث أخو مرحب، وقد ثبت له علي ـ رضي اللَّه عنه ـ فتبادلا ضربات فقتله علي ـ رضي اللَّه عنه ـ، ثم بعد ذلك خرج مرحب اليهودي ـ الذي قتل عامر بن الأكوع ـ وبرز إليه عليّ وقتله.

● وفي حديث سلمة بن الأكوع عند أحمد ومسلم ذكر قصة الخروج إلى خيبر. . . إلى أن قال: فأتيتُ عليًّا فجئت به أقوده ـ وهو أرمد ـ حتى أتيت رسول اللَّه ﷺ، فبصق في عينيه فبرأ، وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

❑ فقال علي ـ رضي اللَّه عنه ـ:

أنا الذي سمتني أمي حيدره كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندرة

قال: فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه.

وبعض أهل السير يقول: إن محمد بن مسلمة هو قاتل مرحب والأول أقوى. ثم برز بعد مرحب أسير فقتله محمد بن مسلمة، ثم برز ياسر. فقتله الزبير، ثم اشتبك المسلمون مع أعداء اللَّه تحت حصن ناعم، بعد مقتل قادتهم، فقتل من اليهود خلق كثير.

❑ وبعد صولات وجولات في ساحة القتل انهزمت يهود إلى حصونهم، فلحقهم المسلمون بقيادة علي ـ رضي اللَّه عنه ـ، فدخلوا عليهم الحصن.

❑ وأخيرًا افتتح المسلمون أعظم حصون خيبر وأعتاها ـ حصن ناعم ـ

ولكن اليهود كانوا قد أخلوه من المقاتلة، وأفرغوه من المئونة، ولم يبق فيه إلا اليسير من الثقل من الذرية والنساء لم يسعفهم الوقت في نقلهم إلى حصن الصعب بن معاذ الذي يلي هذا الحصن مباشرة.

وبعد أن طهر المسلمون هذا الحصن من أدران المشركين نقلوا الحرب والجهاد إلى حصن الصعب بن معاذ، وكان ضخمًا منيعًا لا يستطيع المسلمون تسلقه ولا هدمه؛ فأخذوا في حصاره فترة طويلة من الزمن، حتى نفذ قوتهم، وانتهت مئونتهم، وأصابهم الجوع والمسبغة وأضرّ بهم مما اضطرهم إلى ذبح الحمر الأهلية، وطبخها فنهاهم النبي ﷺ وأمرهم بإكفاء القدور فأكفئوها. ثم انتقلت اليهود إلى حصن قلعة الزبير، فتحصنوا فيه فقاتلهم المسلمون قتال الأبطال حتى أجلوهم عنه إلى حصون الشق، وحين أنهى المسلمون فتح حصون النطاة، انتقل رسول اللَّه ﷺ بعسكره من وادي الرجيع إلى المنزلة.

ثم ضرب حصاره على حصون الشق وأهمها حصن أبي، وحصن النزار، وأثناء ذلك الحصار وقعت مبارزة بين المسلمين وفلول اليهود.
وبعد فترة من الزمن افتتح المسلمون حصن أبي، وتجمعت فلول اليهود في حصن النزار، واستماتوا في الدفاع عنه، ورموا المسلمين بالنبل والحجارة، وكانوا أشد أهل الشق قتالاً، ولكن عزيمة المسلمين الصادقة وإيمانهم الذي لا يتزعزع شتت شمل اليهود، فخرجوا من الحصن لا يلوون على شيء، مخلفين وراءهم النساء والذراري، متوجهين إلى الجزء الأخير من خيبر؛ ألا وهي حصون الكتيبة وهي: «القموص، والوطيح، وسلالم». ومن بين الغنائم التي استولى عليها المسلمون في هذا الحصن أم المؤمنين صفية بنت حيي - رضي اللَّه عنها -.

* حصار اليهود في حصون الكتيبة ومصالحتهم:

تحصنت اليهود في حصون الكتيبة، واجتمع إليهم فلول اليهود من النطاة والشق، فأغلقوا عليهم الأبواب، ولم يخرج منهم أحد لمبارزة ولا لغيرها. فاستمر المسلمون في حصارهم أربعة عشر يومًا حتى نفذت مؤنة اليهود، وخارت عزائمهم وأيقنوا بالهلكة، فسألوا رسول اللَّه ﷺ الصلح على الجلاء، فقبل منهم ذلك[١].

وقد صالحهم رسول اللَّه ﷺ على أن يجلوا منها، ولرسول اللَّه ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة، ولهم ما حملت ركابهم، وقد تولى جمع الأموال فروة بن عمرو البياضي، فجمعوا أثاثًا كثيرًا وبزًّا وسلاحًا كثيرًا وغنمًا وبقرًا.

ولكن لما كانت خيبر ذات نخيل وزراعة، والمسلمون مشغولون بالجهاد للدعوة إلى اللَّه وإعلاء كلمته؛ لهذا رأى رسول اللَّه ﷺ أن يبقيهم على أرضهم، يعملونها ويشتغلون في استثمارها؛ ولرسول اللَّه ﷺ والمسلمين نصف المحصول، على أن للمسلمين إجلاؤهم متى أرادوا.

● عن ابن عمر أن رسول اللَّه ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من تمر أو زرع[٢].

● عن عبد اللَّه بن عمر - رضي اللَّه عنهما - أن عمر بن الخطاب

---

(١) «السيرة النبوية» (٢/ ٣٣٧).

(٢) رواه البخاري - في الحرث والمزارعة (٥/ ١٣) برقم (٢٣٢٩)، ورواه مسلم في المساقاة (٣/ ١٨٦)، والترمذي (٥/ ٧١، ١٣٨٣)، وأبو داود (٣٤٠٨)، وأحمد (٢، ٢٢، ١٥٧)، والبيهقي (٦/ ١١٣).

أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول اللَّه ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها، وكانت الأرض لما ظهر عليها للَّه وللرسول وللمسلمين، فسأل اليهود رسول اللَّه ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل، ولهم نصف التمر، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**نقركم على ذلك ما شئنا**»، فأقروا حتى أجلاهم عمر - رضي اللَّه عنه - في إمارته إلى تيماء وأريحاء(1).

☐ وقد قُتِل من يهود خيبر كما ذكر الواقدي ثلاثة وتسعون رجلاً(2).

* يهود فدك وتيماء ووادي القرى:

ذكر ابن إسحاق أنه لما فرغ رسول اللَّه ﷺ من خيبر قذف اللَّه الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما أوقع اللَّه تعالى بأهل خيبر؛ فبعثوا إلى رسول اللَّه ﷺ يصالحونه على النصف من فدك، فقبل ذلك منهم، فكانت فدك لرسول اللَّه ﷺ خالصة؛ لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب(3).

☐ وقد ذكر الواقدي أن رسول اللَّه ﷺ حين أقبل على خيبر بعث محيصة بن مسعود إلى فدك، يدعوهم إلى الإسلام، وقد امتنعوا وأظهروا السوء؛ مُعْتَدِّين بإخوانهم من يهود خيبر وحين جاءهم الخبر بمقتل

---

(1) رواه البخاري في كتاب فرض الخمس (٦/٢٥٣) رقم (٣١٥٢) بهذا اللفظ، لكن فيه «لليهود» بل «للَّه»، ورواه مسلم في المساقاة (٣/١١٨٧، ١١٨٨) رقم (٦/١٥٥١) بهذا اللفظ، ورواه ابن ماجه في «سننه» (٢/٨٢٤) رقم (٦٧ - ٢٤٦٩)، ورواه أحمد في «مسنده» (٢/١٤٩)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (٦/٥٥) رقم (٩٩٨٩).

(2) «المغازي» (٢/٧٠٠).

(3) «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/٣٥٣).

يهود وفتح خيبر أذعنوا وصالحوا رسول اللَّه ﷺ على أن لهم نصف الأرض بتربتها، وقد ثمنها لهم عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ بخمسين ألف درهم، حين عزم على إجلائهم إلى الشام[1].

وفي طريقه ﷺ إلى المدينة مر على وادي القرى، فوجدهم قد تهيئوا للقتال وانضوى إليهم أناس من مشركي العرب.

فذكر الواقدي أن رسول اللَّه ﷺ عبأ أصحابه ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ثم دعاهم إلى الإسلام ورغبهم، فلم يستجيبوا، فكان بينهم وبين المسلمين مبارزة استمرت حتى قتل من اليهود أحد عشر رجلاً، كلما قتل رجل دعا من بقي إلى الإسلام[2].

قال الواقدي: فقاتلهم حتى أبوا، وغدا عليهم، فلم ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم، وفتحها عنوة، فغنم المسلمون أموالهم، وأصابوا أثاثًا ومتاعًا كثيرًا، وأقام رسول اللَّه ﷺ بوادي القرى، وترك النخل والأرض بأيدي اليهود وعاملهم عليها.

فلما بلغ يهود تيماء ما وطئ به رسول اللَّه ﷺ خيبر وفدك ووادي القرى صالحوا رسول اللَّه ﷺ على الجزية، وأقاموا بأيديهم وأموالهم.

* آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون:

ولما فتح المسلمون خيبر، وأخضعوا يهود وادى القرى وفدك وتيماء عادوا إلى المدينة مع رسول اللَّه ﷺ.

(١) «المغازي» (٢/ ٧٦، ٧٧).

(٢) «المغازي» للواقدي (٢/ ٧١٠، ٧١١).

● عن أنس بن مالك أنه أقبل وهو أبو طلحة مع النبي ﷺ، ومع النبي ﷺ صفية مردفها على راحلته، فلما كانوا ببعض الطريق عثرت الناقة فصرع النبي ﷺ والمرأة، وأن أبا طلحة اقتحم عن بعيره فأتى رسول اللَّه ﷺ فقال: يا نبي اللَّه جعلني اللَّه فداءك هل أصابك شيء؟ قال: **«لا، ولكن عليك بالمرأة»**، فألقى أبو طلحة ثوبه على وجهه فقصد قصدها، فألقى ثوبه عليها، فقامت المرأة، فشد لهما على راحلتهما، فركبا فسارا حتى إذا كانوا بظهر المدينة أو قال: أشرفوا على المدينة قال النبي ﷺ: **«آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»**[(١)].

* إجلاء بقية اليهود:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «بينما نحن في المسجد إذ خرج إلينا رسول اللَّه ﷺ فقال: **«انطلقوا إلى يهود»**، فخرجنا معه حتى جئناهم، فقام رسول اللَّه ﷺ فناداهم فقال: **«يا معشر يهود، أسلموا تسلموا»**، فقالوا: قد بلّغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: **«أسلموا تسلموا»**، فقالوا: قد بلّغت يا أبا القاسم، فقال لهم رسول اللَّه ﷺ: **«ذلك أريد»**، ثم قالها الثالثة: **«اعلموا أنما الأرض للَّه ورسوله، وإني أريد أن أجليكم عن هذه الأرض، فمن وجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلا فاعلموا أنما الأرض للَّه ورسوله ﷺ»**[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في الجهاد (٦/ ١٩٢، ١٩٣) برقم (٣٠٨٥) ـ عن أنس بهذا اللفظ، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٨٧، ١٨٩) عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ بهذا اللفظ أيضًا.

(٢) صحيح: رواه أبو داود في «سننه» (٣٠٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود». كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة.

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «بينما نحن في المسجد خرج النبي ﷺ فقال: «**انطلقوا إلى يهود**»، فخرجنا حتى جئنا إلى بيت المدْراس، فقال: «**أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض للَّه ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد منكم بماله شيئًا فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض للَّه ورسوله**»[1].

📖 قال ابن حجر (٦/ ٣١٣): «والظاهر أنهم بقايا من اليهود تأخروا بالمدينة بعد إجلاء بني قينقاع وقريظة والنضير، والفراغ من أمرهم؛ لأنه كان قبل إسلام أبي هريرة، وإنما جاء أبو هريرة بعد فتح خيبر».

(١٤) الحرب الاقتصادية ضد النبي ﷺ والمسلمين:

أراد اليهود أن يُخذلوا أهل المدينة عن الإنفاق على الرسول ﷺ خشية الفقر، فقد طاف رهط من أحبار يهود منهم: حييّ بن أخطب، وكردم بن قيس حليف كعب بن الأشرف، وهما من أحبار يهود بني النضير ـ وأسامة بن حبيب ونافع بن نافع ـ وهما من أحبار يهود بني قريظة، وبحري بن عمرو، ورفاعة بن زيد بن التابوت وهما من أحبار يهود بني قينقاع على أهل يثرب من الأنصار الذين كانوا يخالطونهم قبل الإسلام فيقولون لهم: لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تُسارعوا في النفقة، فإنكم لا تدرون علام يكون.

* قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا (٣٧) وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ**

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الجزية ـ والموادعة ـ باب إخراج اليهود من جزيرة العرب.

أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: ٣٧ - ٣٨].

ودفع اليهود إخوانهم المنافقين وعلى رأسهم عبد اللَّه بن أبيّ بن سلول ليقولوا: «لا تنفقوا على من عند رسول اللَّه حتى ينفضّوا».

* قال تعالى: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، وظن هؤلاء أنهم بحجبهم أموالهم عن النبي ﷺ وفاتهم أن مولًى هو الغني المُقيت الذي لا ينقص ملك هو قيمه ومفاتيح خزائن السماوات والأرضين بيده.

(١٥) شتمهم زوجات النبي - رضوان اللَّه عليهن - والتشبيب بهن، وشتمهم نساء المسلمين والخوض الدنيء في أعراضهن:

وكم لاقت أمهات المؤمنين - رضي اللَّه عنهن - ونساء المسلمين من لسان شيطان يهود كعب بن الأشرف وشعره ما لاقين، والمؤمن غيور واللَّه أغير منه، ولعلّ طرد يهود بني قَينقاع بسبب المسلمة التي تعرض لها يهود في سوق بني قينقاع دليل على ذلك، ثم يأتي قتل كعب على يد محمد بن مسلمة ورجاله ليخرس لسانه البذيء إلى الأبد ويبقى طهر الطاهرات يعطر الكون من عفافهن، وحياءهن وكرّم اللَّه إحداهن وهي أم المؤمنين عائشة بنزول عشر آيات من فوق سبع سماوات في براءتها مما نسبه إليها عملاء يهود من المنافقين.. وهذا دور يهود على مدار التاريخ بداية من إفكهم وقولهم القبيح على الصديقة مريم التي أحصنت فرجها وكانت من القانتين.

(١٦) محاولتهم قتل النبي ﷺ وسمهم إياه:

وهذي جريمة جرائم اليهود إذ كيف سوّلت لهم أنفسهم الدنيئة الخبيثة قتل الطهر في أجمل مظاهره.. وقتل التقوى والخير بمحاولة قتلهم سيد المرسلين ﷺ .. إن أنفسًا شريرة ماكرة تسمح لأن يمر هذا في خاطرها فقط دون أن تحاسب نفسها لهي خائنة لكل معنى طاهر من المعاني الجميلة التي يعرفها البشر.

لقد سحروا.. وما اكتفوا بهذا.. بل حاولوا قتله كما ذكرنا سابقًا.. لما ذهب إلى بني النضير فنجاه اللَّه من شرهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

بل وسمّوا النبي ﷺ بعد فتحه لخيبر:

فقد عمدت زينب بنت الحارث اليهودية إلى شاة مصليّة على النار فأشبعتها سمًّا، وركزت على الذراع، وقدمتها هديـة إلى رسول اللَّه ﷺ ومن معه من المسلمين.

● عن أنس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «إن امرأة يهودية أتت رسول اللَّه ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول اللَّه ﷺ فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: «**ما كان اللَّه ليسلطك على ذلك**»، أو قال: «**علي**»، قال: قالوا: ألا تقتلها؟ قال: «**لا**»، قال: فما زلت أعرفها في لهوات رسول اللَّه ﷺ»[1].

---

(١) رواه البخاري في الهبة (٥/ ٢٣٠) رقم (٢٦١٧) ـ مختصرًا، ورواه مسلم في كتاب السلام (٤/١٧٢١) رقم (٤٥/ ٢١٩٠) بهذا اللفظ، ورواه أبو داود في «الديات» =

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: «**اجمعوا لي من كان ها هنا من يهود**»، فجمعوا له. فذكر الحديث إلى أن قال: «**هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**»، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سمًّا؟**»، قالوا: نعم، قال: «**ما حملكم على ذلك؟**»، قالوا: أردنا إن كنت كاذبًا نستريح، وإن كنت نبيًّا لم يضرك[1].

وقد نقل البيهقي عن الواقدي أنه قال: المثبت عندنا أن رسول اللَّه ﷺ قتلها وأمر بلحم الشاة فأحرق[2].

ثم قال البيهقي: اختلفت الروايات في قتلها، ورواية أنس بن مالك أصحها[3]، ويحتمل أنه ﷺ في الابتداء لم يعاقبها حين لم يمت أحد من أصحابه مما أكل، فلما مات بشر بن البراء أمر بقتلها؛ فأدى كل واحد من الرواية ما شاهد.

وقد تأذى رسول اللَّه ﷺ من ذلك السم أذى شديدًا، فكان يعوده المرض بين الفينة والأخرى:

وقد تتابع المرض على رسول اللَّه ﷺ من جرّاء تلك الأكلة؛ حتى مات بسببها شهيدًا.. فما بيننا وبين اليهود أكبر ثأر وهو قتلهم لنبينا

= (٤/ ٦٤٧) رقم (٤٥٠٨)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٢١٨)، والبيهقي في «سننه» (٨/ ٤٦)، (١٠/ ١١).

(١) رواه البخاري في الجزية والموادعة (٦/ ٢٧٢) رقم (٣١٦٩) ـ عنه.. بهذا اللفظ، ورواه الدارمي في «المقدمة» (١/ ٣٥، ٣٦) رقم (٧٠)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤٥١).

(٢) «سنن البيهقي» ـ كتاب الجنايات (٨/ ٤٧).

(٣) «إن امرأة يهودية أتت رسول اللَّه....».

ﷺ كما يحلف على ذلك عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ وسمهم لأبي بكر الصديق أيضًا.

روى البخاري في «صحيحه» مُعَلقًا، والحاكم في «مستدركه» موصولاً، وغيرهما بالسند إلى عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «**يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أَبْهَرِي**[١] **من ذلك السم**»[٢].

● وعن أم مبشر ـ ويقال أم بشر ـ أنها قالت للنبي ﷺ في المرض الذي مات فيه: ما تتهم بنفسك يا رسول اللَّه؟ فإني لا أتهم بابني إلا الشاة المشوية التي أكل معك بخيبر، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**وأنا لا أتهم إلا ذلك بنفسي، هذا أوان قطع أبهري**»[٣].

● وعن أبي الأحوص عن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ

---

(١) أَبْهَرِي: الأبهر هو عرق مستبطن بالقلب إذا انقطع مات صاحبه، انظر: «فتح الباري» (٨/ ١٣١).

(٢) رواه البخاري في «المغازي» (٨/ ١٣١ رقم ٤٤٢٨) ـ معلقًا قال: قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ .. فذكره. قال الحافظ: «وهذا قد وصله البزّار والحاكم والإسماعيلي من طريق عنبسة بن خالد، عن يونس، بهذا الإسناد، وقال البزار: تفرّد به عنبسة عن يونس أي بوصله. ورواه الحاكم موصولاً في «مستدركه» في المغازي (٣/ ٥٨)، ثم قال بعده: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه البخاري فقال: وقال يونس. وقد رواه البيهقي من طريق الحاكم في «سننه» (١٠/ ١١).

(٣) رواه أبو داود في «الديات» (٤/ ٦٥١) رقم (٤٥١٣) عنها ـ بهذا اللفظ ـ بإسناد رجاله ثقات، ورواه الحاكم في «مستدركه» في معرفة الصحابة (٣/ ٢١٩)، ثم قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، كما رواه عبد الرزاق في «مصنفه» مرسلاً عن ابن كعب بن مالك (١١/ ٢٩) رقم (١٩٨١٥)، ورجال إسناده ثقات. وأم مبشر هي أم بشر بن البراء بن معرور مات من أثر سم خيبر.

قال: «لأن أحلف باللَّه تسعًا أن رسول اللَّه ﷺ قُتل قتلاً أحبّ إليّ من أن أحلف واحدة [أنه لم يقتل][(١)]، وذلك بأن اللَّه - عز وجل - اتخذه نبيًّا وجعله شهيدًا»[(٢)].

«قتل قتلاً» قال السندي: بسُمٍّ ما تناول من الذراع بأن ظهرت آثاره عند الوفاة، ولا ينافي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، إذ يكفي فيه العصمة عن القتل على الوجه المعتاد فيه، وقد عُصِم منه لا ريب.

قوله: لأن أحلف باللَّه تسعًا.. أحب إليّ...»:

قال السندي: ذلك لما فيه من إظهار شرفه ومكانته عند اللَّه بأنه نبي وشهيد، ولا شك أن غاية الاجتهاد في إظهار شرفه خير من قلة الاجتهاد.

□ وقد ذكر الإمام أحمد هذا الحديث مكررًا برقم (٣٨٧٣)....، وذلك بأن اللَّه جعله نبيًّا واتخذه شهيدًا»، قال الأعمش: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: كانوا يرون أن اليهود سمُّوه، وأبا بكر»[(٣)].

---

(١) زيادة عند الحاكم.

(٢) **إسناده صحيح**: رواه أحمد في «مسنده» (٣٦١٧)، والحاكم في «مستدركه» (٣/ ٥٨)، وقال حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي! وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر في تعليقه وتخريجه للمسند. والحديث صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الأحوص، وهو عوف بن مالك فمن رجال مسلم. قال الحاكم: «أحب إليّ من أن أحلف واحدة أنه لم يُقتل».

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٣٨٧٣)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٤): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح»ا.هـ. وإسناده صحيح على شرط مسلم.
قال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، وآخره مرسل من رواية إبراهيم النخعي فقط.

(١٧) سَمّ اليهود لأبي بكر الصديق - رضي الله عنه -:

سمّ اليهود أبا بكر الصديق - رضي اللَّه عنه - كما مرّ بك.

◻ قال ابن القيم عن الصديق - رضي اللَّه عنه -: «فهو الثاني في الإسلام، وفي بذل النفس، وفي الزهد، وفي الصحبة، وفي الخلافة، وفي العمر، وفي سبب الموت؛ لأن الرسول ﷺ مات من أثر السم، وأبو بكر سُمّ فمات»[١].

سمّ أولاد الأفاعي والحيّات سيد كهول أهل الجنة خلا النبيين والمرسلين، وهو ثاني اثنين، وهو وعمر من هذا الدين السمع والبصر.

● عن عبد اللَّه بن حنطب - رضي اللَّه عنه - «أن النبي ﷺ رأى أبا بكر وعمر، فقال: **«هذان السمع والبصر»**. يعني: أبا بكر وعمر»[٢].

● وعن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«أبو بكر وعمر من هذا الدين، كمنزلة السمع والبصر»**[٣].

(١٨) إجلاء عمر - رضي الله عنه - لليهود عن جزيرة العرب:

● عن ابن عمر - رضي اللَّه عنهما - قال: لما فدع[٤] أهل خيبر يدي

---

(١) «الفوائد» لابن القيم ص(٧٢)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (٤/ ١٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي في «سننه» (٤/ ٣١١)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٦٩) وقال صحيح الإسناد، وقال الذهبي: «حسن»، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٨١٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٠٠٤).

(٣) **صحيح، وإسناده حسن**: أخرجه الطبراني، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٨/ ٤٥٩ - ٤٦٠). وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٤٧٦، ٤٧٧): «وأما حديث الخطيب عن جابر فهو صحيح، وإسناده حسن». وقال: «هذا إسناد حسن، رجاله كلهم ثقات».

(٤) فدع: الفدع: هو زوال المفصل، فَدَعت يداه: إذا أزُيلتا من مفاصلهما.

عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ، قام (عمر) خطيبًا فقال: إن رسول اللَّه ﷺ كان قد عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: «**نقرّكم ما أقرّكم اللَّه**»، وإن عبد اللَّه بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعدي[1] عليه من الليل، ففدعت يداه ورجلاه، وليس لنا هناك عدو غيرهم، هم عدونا وتهمتنا[2]، وقد رأيت إجلاءهم. فلما أجمع[3] (عمر) على ذلك أتاه أحد بني الحقيق[4]، فقال: يا أمير المؤمنين أتخرجنا وقد أقرّنا محمد ﷺ، وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أتظن أني نسيت قول رسول اللَّه ﷺ: «**كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصك[5] ليلة بعد ليلة؟**»، فقال: هذه هُزَيْلَة[6] من أبي القاسم، فقال

---

(١) فعدي عليه من الليل: قال ابن حجر «الفتح» (٥/ ٣٨٦): «قال الخطابي: كأن اليهود سحروا عبد اللَّه بن عمر فالتوت يداه ورجلاه، كذا قال، ويُحتمل أن يكونوا ضربوه، ويؤيده تقييده بالليل في هذه الرواية».

(٢) تهمتنا: أي الذين نتهمهم بذلك. (٣) فلما أجمع: أي: عزم.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٥/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧): «وهذا لا يقتضي حصر السبب في إجلاء عمر إياهم، وقد وقع لي فيه سببان آخران: أحدهما رواه الزهري عن عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة قال: ما زال عمر حتى وجد الثبت عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**لا يجتمع بجزيرة العرب دينان**»، فقال: من كان له من أهل الكتابيْن عهد فليأت به أنفذه له، وإلا فإني مجليكم. فأجلاهم. أخرجه ابن أبي شيبة وغيره. ثانيهما: رواه عمر بن شبة في «أخبار المدينة» من طريق عثمان بن محمد الأخنسي قال: لما كثر العيال ـ أي الخدم ـ في أيدي المسلمين وقووا على العمل في الأرض أجلاهم عمر. ويحتمل أن يكون كل هذه الأشياء جزء علة في إخراجهم. والإجلاء: الإخراج عن المال والوطن على.

(٤) أحد بني الحقيق: هو رأس يهود خيبر.

(٥) القَلوص: الناقةُ الصابرة على السير، وقيل: الشابة، وقيل: أول من يركب من إناث الإبل، وقيل: الطويلة القوائم، وإشار ﷺ إلى إخراجهم من خيبر وكان ذلك من إخباره بالمغيّبات قبل وقوعها.

(٦) أخرجه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الشروط ـ باب «إذا اشترط في المزارعة «إذا شِئتُ=

عمر: كذبت يا عدو اللَّه، فأجلاهم عمر وأعطاهم قيمة ما كان لهم من الثمر مالاً وإبلاً وعروضًا من أقتاب وحبال وغير ذلك».

وقال عمر - رضي اللَّه عنه -: «إن اللَّه - عز وجل - قد أذن في جلائكم، فقد بلغني أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يجتمع بجزيرة العرب دينان**»، فمن كان عنده عهد من رسول اللَّه ﷺ فليأتني به أنفذه له، ومن لم يكن عنده عهد من رسول اللَّه من اليهود فليتجهّز للجلاء، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول اللَّه ﷺ منهم»[1].

* مقتل عمر - رضي الله عنه -:

◻ اعلم يا أخي أن كيد اليهود يدمغهم به التاريخ في كل العصور ومن الجهل بمكان استصغار مقدمات الشر، واحتقار أوائل الفتن، فمعظم أحداث التاريخ الكبرى التي تحوّل فيها تاريخ الأمم قد بدأت بنواة صغيرة لم يلق لها الناس بالاً في أول الأمر، ثم نمت فكانت شجرة كبرى ذات جذور متغلغلة وفروع ممتدة وآثار عظيمة.

فانظر: بداية سمّ اليهود رسول اللَّه ﷺ، وسمّوا أبا بكر، وكان وراء مقتل عثمان - رضي اللَّه عنه - عبد اللَّه بن سبأ اليهودي، وألّهوا عليًّا وأوجدوا التشيع في ديار المسلمين... وعمر - رضي اللَّه عنه - قد أجلاهم فماذا فعلوا معه؟!

يذهب قوم إلى أن لهم يد في مقتل عمر. ولكن هذا الأمر يحتاج إلى حجة قوية.. أما كون النصارى قتلوه عن طريق العبد النصراني أبو

= أخرجتك»، والدارقطني في «الغرائب»، وعمر بن شبة في «أخبار المدينة».

(١) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٦٨).

لؤلؤة فيروز فهذا ثابت.

□قال الأستاذ (عبد الرحمن حَبَنَكة الميداني):

«يمكن القول بأن مقتل عمر بن الخطاب قد كان نتيجة مؤامرة خبيثة دبّرها النفاق اليهودي بالاشتراك مع الحاقدين من غيرهم، ونفّذها عبد نصراني يقال له: أبو لؤلؤة فيروز، ولم يكن عذره فيها إلا عُذْرًا ملفقًا أريد به كتم مدبري الجريمة الحقيقيين»[1].

□ويقول الأستاذ (عبد اللَّه التل) في كتابه «جذور البلاء»:

«إذا عدنا إلى التاريخ الإسلامي بعد عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ، ألفينا أصابع اليهود في مؤامرة قتل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ واضحةً جلية. فها هو اليهودي كعب الأحبار يتظاهر بالإخلاص للخليفة فينقل إليه نبوءات التوراة «الكاذبة» عن مقتله بعد ثلاثة أيام، وما عهدنا الكتب السماوية تبين عن مقتل أحد وتحدد وقت التنفيذ. ولكنها أساليب اليهود في المكر والخداع. فالواقع يؤكد أن كعب الأحبار كان على علم بمؤامرة الهرمزان وأبي لؤلؤة، وعلى علم بموعد التنفيذ، فتظاهر أن التوراة تنبئ عن مقتل الخليفة ليبعد الشك عن نفسه فيما لو اتسع التحقيق وكُشِفت المؤامرة. وحين نُفِّذت الجريمة اكتفى عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ بالثأر من الهرمزان وجفينة النصرانية، وأبو لؤلؤة منفذ الجريمة قتل نفسه. ولم يجر تحقيق ما بين الفرس واليهود والنصارى الذين كانوا حاقدين على العرب عامة وعلى الخليفة عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ خاصة، لتظهر أصابع

(١) «مكايد يهودية» ص(١٤٩).

الإجرام اليهودي.

ونجا كعب الأحبار بينما أصيب الإسلام بأول ثلمة لم ترتق حتى يومنا هذا»[(١)] .

*** لا نوافق أبداً على قول محمد حسين هيكل وعبد اللَّه التل:**

لا نوافق أبدًا بأن كعب الأحبار كان وراء مقتل عمر، فكعب الأحبار وثّقه الجهابذة من أهل العلم، وأنه حسن إسلامه كالذهبي وابن حجر وغيرهم من أساطين العلماء. . . وعدّله ووثقه ورضوا دينه أكابر الصحابة كعمر ومعاوية. . وهما ليسا بالخِبِّين، ولكن الخِبّ لا يخدعهما وقد نوّر اللَّه بصيرتهما. ولا نقبل هذا القول إلا بدليل أوضح من الشمس في رابعة النهار، وقد قال ﷺ: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث...**»[(٢)] .

(١٩) مقتل عثمان بن عفان ـ رضي اللَّه عنه ـ وراءه ابن السوداء عبد اللَّه بن سبأ اليهودي:

ابن السوداء عبد اللَّه بن سبأ اليهودي اليمني الذي تظاهر بالإسلام، وقدم إلى البصرة يبث سمومه فيها وينادي بالرجعة قائلاً للناس: «كيف تؤمنون برجعة المسيح ولا تؤمنون برجعة نبيكم محمد، وكيف تسكتون على اغتصاب الخلافة من آل البيت»[(٣)] . وجعل يقول: «إن لكل نبي

---

(١) «جذور البلاء» لعبد اللَّه التل ص(١٦٣ ـ ١٦٤)، و«الفاروق عمر» لمحمد حسين هيكل (٢/٣١٩) ـ مطبعة مصر ١٣٦٤. .

(٢) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) «تاريخ الأمم الإسلامية» لمحمد الخضري ص(٥٣) ـ المكتبة التجارية.

وصيًّا وعلي وصي لمحمد، ومحمد خاتم الأنبياء، وعلى خاتم الأوصياء، ومن أظلم ممن لم يُجز وصية رسول اللَّه ﷺ ووثب على حق وصيِّه وتناول أمر الأمة».

وبعد أن ذاع أمره طُرد من البصرة إلى الكوفة، ليبث سمومه فيها أيضًا، ويخرج إلى مصر، ويجمع حوله الغوغاء والدهماء ليثور الثائرون ظلمًا على ذي النورين ـ رضي اللَّه عنه ـ، ويزوّرون الكتب على لسان عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ ويحاصر الثوار عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ، ويمنعون عنه الماء، ويلحون عليه في التنازل عن الخلافة ويأبى، ويقول: «لن أخلع سربالاً سربلني به اللَّه أبدًا»، ويصبر تنفيذًا لوصية رسول اللَّه ﷺ.

● **«يا عثمان إن اللَّه مُقمِّصُك قميصًا، فإن أرادك المنافقون على خلعه، فلا تخلعه حتى تلقاني»**[1].

هكذا أوضح النبي ﷺ هويتهم.. مؤامرة يتولاها ويعدّ لها الناقمون على الإسلام.. محنة هبطت بها شراسة المتآمرين إلى السفح.

منعوه زواره، ومنعوه الماء الذي تتفجر به بئر رومة التي اشتراها من خالص ماله وأهداها للمسلمين.

حاصروه أربعين يومًا، وعنده في الدار من المهاجرين والأنصار قريب من سبعمائة، وخَلْقٌ من مواليه، ولو تركهم لمنعوه، فقال لهم: أقسم على من لي عليه حق، أن يكف يده، وأن ينطلق إلى منزله، وقال

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد والترمذي، وابن ماجه، والحاكم، وابن حبان، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٩٤٧).

لرقيقه: من أغمد سيفه فهر حرّ.

شيخ تستحي منه الملائكة تجاوز الثمانين يقتله من لا يستحون.

◻عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن عثمان ـ رضي اللَّه عنه ـ أصبح يحدّث الناس، قال: «رأيت النبي ﷺ في المنام فقال: يا عثمان، أَفْطِر عندنا». فأصبح صائمًا وقُتل من يومه»[1].

قتلوه وهو يقرأ القرآن وسال الدم على قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

وباء بها ابن السوداء عبد اللَّه بن سبأ اليهودي.

(٢٠) اليهود وتأليه علي، مثلما ألّهوا موسى ـ عليه السلام ـ، ونشأة الشيعة على يد اليهود:

حرّف اليهود دينهم وجعلوا موسى ـ عليه السلام ـ إلهًا لأخيه هارون، وكذلك إلهًا لموسى، أو شبه إله.

◻تقول ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت أن الرب جعل موسى إلهًا لهارون أخيه، وكذلك إلهًا لفرعون، فقال لموسى:

«أليس هارون اللاوي أخاك.. أنا أكون مع فمك ومع فمه وأعلمكما ماذا تصنعان.. وهو يكلم الشعب عنك..

وهو يكون لك فمًا، وأنت تكون له إلهًا» خروج ٤: ١٤ ـ ١٦.

«قال الرب لموسى: انظر. أنا جعلتك إلهًا لفرعون. وهارون أخوك يكون نبيك» خروج ٧: ١.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ١٩٠).

وهذا ما تقوله أيضًا ترجمة التوراة للكاثوليك.

أما ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك فقد جعلت موسى مثيل اللَّه!: «هو يخاطب الشعب عنك، ويكون لك فمًا، وأنت تكون له بمثابة اللَّه» خروج ٤: ١٦.

وأما التراجم الإنجليزية والفرنسية فقد اختلفت هي الأخرى مثلما حدث في التراجم العربية.. وهنا نلاحظ.

- اتفاق ترجمة الملك جيمس الإنجليزية مع ترجمة الكتاب المقدس للكاثوليك في جعل موسى بالنسبة لهارون بمثابة: اللَّه، وجعله إلهًا بالنسبة لفرعون.

- اتفاق الترجمة الفرنسية المسكونية مع ترجمة الكتاب المقدس للبروتستانت في جعل موسى إلهًا لكل من هارون وفرعون.

- اتفاق الترجمة القياسية الإنجليزية - بوجه عام - مع ترجمة لوي سيجو الفرنسية في جعل موسى مثل اللَّه، بالنسبة لكل من هارون وفرعون»[1].

- ومثلما أفسدوا النصرانية عن طريق (بولس) اليهودي الأصل، وهو أول من قال بألوهية المسيح وراجت هذه الفكرة عند النصارى وصارت صُلب دينهم المحرّف.

- ثم اتجه اليهود لتحريف الإسلام عن طريق ابن السوداء (عبد اللَّه ابن سبأ اليهودي) فغالى أتباع عبد اللَّه بن سبأ من الغوغاء والدهماء من

---

(١) «الاختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية» للواء أحمد عبدالوهاب ص(٣٢ - ٣٣) - مكتبة وهبة.

المبتدعة في عليّ ونهاهم عليّ ـ رضي اللَّه عنه ـ فلم يرتدعوا، فحرّقهم بالنار إمعانًا في التنكيل بهم، فقالوا: لا يعذب بالنار إلا رب النار، ولما قتل علي ـ رضي اللَّه عنه ـ قالوا: برجعته وعلى يد هؤلاء المبتدعة وإمامهم في الضلالة عبد اللَّه بن سبأ نشأ الفكر الشيعي المغالي المنحرف عن الجادة ـ أنكر ابن سبأ قتل الإمام وزعم أن عليًّا لم يقتل وأنه حي، وأن فيه الجزء الإلهي، وأنه هو الذي يجيء في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه[1].

ولم تكن دعوة التأليه هذه بالشيء الجديد عند اليهود، فقد كانوا واضعي خطة تأليه المسيح ـ عليه السلام ـ حين عجزوا عن القضاء على المسيحية، فجعلوها تقوم على أسس التثليث أو الأقانيم الثلاثة، وغدت محنة علي بأصحابه كمحنة المسيح، وكلا المحنتين من صنع اليهود[2].

وظهرت الاثنى عشرية من غلاة الشيعة التي قالت بتحريف القرآن، والرجعة، والبداء وتكفر الصحابة إلا أربعة.

❑ «والحق أن التشيع أصبح مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة وحقد، وكل من استهدف إدخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية. وكل من كان يقصد استقلال بلاده والخروج على مملكته. كل هؤلاء كانوا يتخذون حب آل البيت ستاراً يضعون وراءه كل ما شاءته أهواؤهم»[2].

❑ «وكان من بين هؤلاء المتقنعين بالتشيع والمتسترين وراءه أبناء

---

(١) خطط المقريزي: للمقريزي (٤/ ١٨٢) ـ ط. النيل.

(٢) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم (٤/ ١٨٦ ـ مكتبة المثنى ببغداد.

اليهودية المتحطمة في يثرب وخيبر، والنصرانية المهزومة في تبوك ابتداء والروم انتهاء، وأبناء الفرس المكسورين في القادسية وفارس»[١].

□يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير ـ رحمه اللَّه وطيّب ثراه ـ:

«المؤسس الأول للتشيع الذي عرف فيما بعد هو عبد اللَّه بن سبأ، الذي أرسله يهود صنعاء إلى المدينة متلبسًا بلباس الإسلام، ومتبطنًا الكفر أشد الكفر والنقمة على الإسلام والمسلمين، وهو أول من أسّس التشيع الحالي، التشيع الذي فرّق بين المسلمين وجماعتهم بترويج العقائد التي تختلف تمامًا عما يعتقده المسلمون مقتبسًا عن كتاب اللَّه ـ عز وجل ـ وسنة النبي ﷺ من وصاية علي وإمامته وخلافته بعد النبي بلا فصل، وغيبته ورجعته وتكفير أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي اللَّه عنهم أجمعين ـ، وإظهار البراءة من أصحاب النبي ﷺ بسبهم وشتمهم.

فحاربه علي ـ رضي اللَّه تعالى عنه ـ وأظهر البراءة منه ولعنه وأراد قتله، ولكنه بطلب من أصحابه سيّره إلى المدائن ونفاه هناك»[٢].

□ يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «لقد أنكر بعض المعاصرين وخاصة الشيعة منهم وجود عبد اللَّه بن سبأ مكذبين الشواهد الواضحة، والبراهين الثابتة، والأدلة القاطعة في وجوده، ولقد فنّدنا مزاعمهم في كتابنا «الشيعة وأهل البيت»، ومن أراد المعرفة فليرجع إليه، كما ذكرنا مساعيه في بث سموم الفتنة والفساد، ونشر أفكاره الغريبة على المجتمع

---

(١) «الإسماعيلية تاريخ وعقائد» لإحسان إلهي ظهير ص(٣٥) ـ إدارة ترجمان السنة ـ لاهور باكستان.

(٢) المصدر السابق ص(٣٩ ـ ٤٠).

الإسلامي في كتابنا «الشيعة والتشيع، فرق وتاريخ»[١].

ومن بعده ظهر المغيرة بن سعيد العجلي الذي زاد في عقائد الشيعة أشياء كثيرة، منها اتصاف علي وأولاده بأوصاف لا تليق بالأنبياء والرسل، وأفرط القول فيه حتى وصفهم بأوصاف الإله الواحد القهار، ووصف نفسه بالإمام وأحيانًا بالرسالة، وأباح المحرمات، وقال بتناسخ الأرواح والحلول.. قال جعفر الباقر: «لعن اللَّه المغيرة بن سعيد ولعن اللَّه يهودية كان يختلف إليها يتعلم منها السحر والشعوذة والمخاريق، إن المغيرة كذب على أبي فسلبه اللَّه الإيمان»[٢].

(٢١) الفاطميون ونسبهم إلى ميمون بن ديصان اليهودي، وما فعلوه بإمام أهل السنة بمصر، وجناية «الإسماعيلية والباطنية» على الأمة المحمدية:

ظهر ميمون بن ديصان القداح اليهودي في الكوفة سنة ٢٧٦هـ، وكان يسرّ اليهودية ويظهر الإسلام نفاقًا، فنصب هذا الخبيث للمسلمين الحبائل، وبغى بهم الغوائل.

وقد كان ميمون القدّاح على ما يذكر المحققون يهوديًّا متعصبًا لليهودية، وهو من ولد الشلعلع من يهود، وكان حبرًا من أحبارهم، وعالمًا بالفلسفة والتنجيم، ومطلعًا على أصول المذاهب والأديان، وكان صائغًا في السلمية[٣] على ما ذكره العالم الفقيه محمد بن مالك اليماني

(١) المصدر السابق ص(٣٩).
(٢) المصدر السابق ص(٤٠، ٤١).
(٣) بلدة من بلاد الشام.

من فقهاء اليمن في أواسط المئة الخامسة للهجرة في كتابه «كشف أسرار الباطنية» يقول: «الكل يقصيهم عن الشرف وينفيهم عن النسب إلاّ من دخل معهم في كفرهم وضلالتهم، فإنه يشهد لهم الزور، ويساعدهم في جميع الأمور، . . . والدليل على أنهم من ولد اليهود، استعمالهم اليهود في الوزارة والرياسة، وتفويضهم تدبير السياسة ما زالوا يحكّمون اليهود في دماء المسلمين وأموالهم. وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد»[1].

❑ ويصرح قاضي القضاة عبد الجبار الهمذاني البصري والمعاصر للحاكم وابنه الظاهر بأن المهدي عبيد اللّه رأس دولة العبيديين ابن يهودي حداد وأن اسمه سعيد فيقول: «سعيد الذي زعم أنه ابن الحسين بن محمد ابن أحمد بن عبد اللّه بن ميمون القداح. . أن سعيد هذا ليس هو ابن الحسين، وإنما هو ابن امرأة الحسن هذا وأبوه يهودي حدّاد من أهل سليمة من أرض الشام. . ثم صار سعيد إلى سلجماسة من أرض المغرب، وتسمى بعبيد اللّه»[2].

❑ وقد أنكر العلماء نسبة الفاطميين إلى أهل البيت، وأقروا «بأنهم كفار فسّاق فجار ملحدون زنادقة، معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، وقد عطّلوا الحدود وأباحوا الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبّوا الأنبياء، ولعنوا السلف

---

(١) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» لمحمد بن مالك الحمادي اليمني ـ تعليق الكوثري ص(١٨، ١٩، ٢٠) ـ مطبعة الأنوار سنة (١٩٣٩).

(٢) «تثبيت دلائل النبوة» للقاضي عبد الجبار الهمذاني ـ تحقيق د. عبد الكريم عثمان ص(٥٩٧) ـ ط . دار العربية بيروت . ،

وادعوا الربوبية»[(١)]

□ومن قال بذلك القاضي أبو محمد بن الأكفاني، وأبو القاسم الجزري، وأبو العباس بن الشيوري ، ومن الفقهاء أبو حامد الإسفراييني وأبو محمد بن الكفلي، وأبو الحسن القدوري وأبو عبد اللَّه الصيمري، وأبو عبد اللَّه البيضاوي، وأبو علي بن حكمان، وأبو القاسم التنوخي، وابن الجوزي، وابن كثير، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وعبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» ص(٢٨٣)، و«أصول الدين» ص(٣٢٩)، وابن حزم الظاهري في كتابه «الفصل»، وكتابه «جمهرة أنساب العرب» ص(٦٠، ٦١)، وأبو المظفر الإسفرائيني، وابن تغري بردي في كتابه «النجوم الزاهرة» (٤/ ٧٥)، والنويري في كتابه «نهاية الأرب» (٣٥/ ١٣٠، ١٣١)، والقلقشندي في كتابه «نهاية الأرب»، والسخاوي في كتابه «الضوء اللامع»، وابن حجر في كتابه «رفع الإصر عن قضاة مصر»، والأمير عز الدين بن باديس صاحب تاريخ أفريقيا والمغرب، وابن عذارى المراكشي في كتابه «البيان في أخبار المغرب».

* معد بن إسماعيل المعز لدين اللَّه أبو تميم الإمام الإسماعيلي الرابع وقتله لابن النابلسي إمام أهل السنة في مصر:

وهو المغالي في إسماعيليته وآرائه الكفرية والباطنية في اللَّه، وبدء الخليقة، والنبوة والوصاية والإمامة، والقرآن، وأصحاب النبي، والثواب والعقاب، والقيامة والمعاد، والحلول والتناسخ، أخذ بعضها من الفلاسفة

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٣٤٥، ٣٤٦)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٥/ ١٣٢، ١٣٣).

الملحدين، وتأثر بالأفلاطونية الجديدة والفيثاغورية الحديثة، ودين المجوس والثنوية والصابئين والوثنيين.

□ وقد ذكر الحافظ ابن كثير، والذهبي قصة قتله لإمام أهل السنة بمصر أبي بكر النابلسي «الزاهد العابد الورع الناسك التقي.. أُحضر بين يدي المعز فقال له: بلغني عنك أنك قلت: لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم، فقال: ما قلت هذا، فظنّ أنه رجع عن قوله فقال: كيف قلت؟ قال: قلت: ينبغي أن نرميك بتسعة ثم نرميهم بالعاشر. قال: ولم؟ قال: لأنكم غيّرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وأطفأتم نور الإلهية، وادعيتم ما ليس لكم، فأمر بإشهاره في أول يوم، ثم ضرب في اليوم الثاني بالسياط ضربًا شديدًا مبرحًا، ثم أمر بسلخه في اليوم الثالث فجيء بيهودي[1] فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن، قال اليهودي: فأخذتني رقّة عليه، فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات ـ رحمه اللَّه ـ»[2].

كما ذكر المؤرخون أنه أراد ادّعاء النبوة لنفسه، ولكنه خاف من رعيته في المغرب فتراجع وأذّن مؤذنه فوق صومعة جامع القيروان: «أشهد أن معدًا رسول اللَّه فارتجّ البلد لذلك»[3].

* العزيز باللَّه نزار:

خلف بعد أبيه المعز لدين اللَّه. ذكر الإمام الذهبي: «وفي أيامه

---

(١) انظر: جيء «بيهودي» وهذا ليس عن مصادفة.

(٢) «البداية والنهاية» (١١/ ٢٨٤) ـ ط. بيروت، و«سير أعلام النبلاء» (١٦/ ١٤٨ ـ ١٤٩).

(٣) «البيان المغرب» (١/ ٢٨٢)، و«الإسماعيلية» ص(١٣٦).

أظهر سبّ الصحابة جهاراً»، وبمثل ذلك نقل ابن عذارى عن ابن سعدون.

وكان قد استوزر في أيامه اليهود والنصارى، وسلّطهم على رقاب المسلمين، فوقع منهم الأذى البالغ في حقهم[1] فأنكر الناس عليه ذلك حتى أن امرأة كتبت إليه: «بالذي أعزّ اليهود بمنشا، والنصارى بابن نسطورس، وأذلّ المسلمين بك إن لا نظرت في أمري»[2].

* الحاكم بأمر اللَّه:

خلف العزيز باللَّه نزار ابنه الوحيد أبو علي المنصور الحاكم بأمر اللَّه الذي ذكره الذهبي بقوله: «الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية... وكان شيطاناً مريداً، جباراً عنيداً، كثير التلوّن، سفّاكاً للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر.. كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكاماً يلزم الرعية بها، أمر بسبّ الصحابة - رضي اللَّه عنهم - وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع وأمر عماله بالسب»[3].

وهذا الحاكم هو إله الدروز الذي يعبدونه.

* المستنصر أبو تميم سعد بن الظاهر بن الحاكم:

كانت أمّه سوداء لتاجر يهودي يقال له: أبو سعد سهل بن هارون التستري، فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة

---

(١) «تاريخ ابن إياس» (١/ ١٩٠).

(٢) «الكامل» لابن الأثير (٧/١٧٦)، و«النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي ص(١١٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٦٨).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٧٣، ١٧٤).



إليه استدنت أمه أبا سعد ورقّته درجة عليا[١] .

كان مستهترًا بالعقائد الإسلامية والمعتقدات الدينية، وكان من عادته كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم إلى جب عميرة، وهو موضع نزهة، فيخرج إليه بهيئة أنه خارج إلى الحج على سبيل الهزء والمجانة، ومعه الخمر في الروايا عوضًا عن الماء يسقيه الناس كما يفعل بالماء في طريق مكة[٢] .

وقد أنشد الشريف العقيلي المستنصر في ذلك صبيحة يوم عرفة:

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء ... ولا تضح ضحى إلا بصهباء

وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم ... إلى منى، فصفّهم مع كل هيفاء

وعج على مكة الروحاء مبتكرًا ... فطف بها حول ركن العود والناء»[٣]

❏ وقد ذكر ابن عذارى عن ابن سعدون أنه أرسل من كتب السبّ في أستار الكعبة في ليلة ظلماء فأصبح الناس فوجدوه فضج المسلمون لذلك، وأكثروا البكاء لسب الصحابة ـ رضي اللَّه عنهم ـ[٤] .

❏ وقال الإمام الذهبي: «وكان سب الصحابة فاشيًا في أيامه والسنة غريبة مكتومة»[٥] .

فسلط اللَّه عليه الغلاء والقحط إلى حد تجاوز الوصف.

❏ ولقد عمد العبيديون إلى تولية اليهود المناصب العليا، فعُيِّن

(١) «الخطط» للمقريزي ص(٣٥٥).
(٢) «النجوم الزاهرة» (٥/ ١٧، ١٨).
(٣) «الاتعاظ» (٢/ ٢٦٥).
(٤) «البيان المغرب» (١/ ٢٨٧).
(٥) «السير» للذهبي (١٥/ ١٩٦).

اليهودي أبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحي وزيرًا واستمر في الوزارة من عام (١٠٤٤ إلى عام ١٠٤٧) بعد أن أعلن إسلامه نفاقًا، واستعان هذا اليهودي بيهودي آخر يُقال له: أبو سعد التستري، وطفقا جميعًا مع العناصر اليهودية الأخرى المنبثة في البلاد يمعنون في التعصب الذميم لليهود، وانطلقت الحناجر بالتضجر، وظهرت الآهات على ألسنة الشعراء، حتى قال الحسن بن خاقان متهكمًا:

يهود هذا الزمان قد بلغوا ... غاية آمالهم وقد ملكوا

العزّ فيهم والمال عندهمُ ... ومنهمُ المستشار والملكُ

يا أهل مصر قد نصحتُ لكم ... تهوَّدوا فقد تهوّد الفلكُ

* **ملحوظة**: تولّى اليهود في فترات من تاريخ الحكم الإسلامي مناصب عليا في الدولة، فأذلّوا المسلمين في ديار الإسلام، ومنهم سعد الدولة بن الصفي الذي كان له الإشراف على ديوان العراق في ظل دولة المغول منذ سنة ٦٥٦هـ، وعين أخاه فخر الدولة في الديوان، وعيّن فيه يهوديًّا آخر لقبه «مهذب الدولة»، واسمه «نصر بن الماشيري»، ونشط نشاطًا كبيرًا في الفتك بالصالحين، فقتل زين الدولة الحظائري «ضامن التمغات»، ومجد الدين إسماعيل بن إياس ضامن أعمال «الحلة» ونائب الديوان في بغداد، وصلب جمال الدين بن الحلاوي ضامن «تمغات» بغداد، فثار المسلمون ثورة عنيفة على اليهود وفتكوا بسعد وإخوته، وكثير من أعيان اليهود وعامتهم [١].

◻وفي دولة الأندلس، وفي ظل حكم البربر، وفي أيام الملك

---

(١) انظر «مكايد يهودية» ص(١٨٨ ـ ١٩٠).

«باديس» بغرناطة تسلل اليهود عن طريق التجارة والصيرفة والربا وتجارة الخمور والرقيق والجواري.. واستطاع يهودي يُقال له: (ابن نغرالة) أن يصل إلى كرسي الوزارة، وأمسى هذا اليهودي هو الآمر الناهي في شئون الدولة في الأندلس يتصرف بها كما يشاء، ويأخذ المسلمون بما يهوى من ظلم وعسف، واستاء المسلمون من تسلطه الشنيع ومن تفشي الفسق والفجور على يد اليهود، فقال الشاعر:

أباديسُ أنت امرؤٌ حاذقٌ ... تصيب بظنك مرمى اليقينْ

فكيف تحبُّ فراخ الزِّنا ... وقد بغّضوك إلى العالمينْ

وكيف استنمت إلى فاسق ... وقارنته وهو بئس القرين

فلا تتخذ منهمُ خادمًا ... وذرهم إلى لعنة اللاعنين

فقد ضجّت الأرض من فسقهم ... وكادت تميدُ بنا أجمعينْ

وسمّ هذا اليهودي وليّ العهد، وصرف التهمة عنه إلى حاشية الملك، وأرسل إلى صاحب المرية يستعديه على ملك غرناطة، ولما ضاق المسلمون به ذرعًا، ثاروا عليه وقتلوه قبل أن ينفذ مؤامرته الشنعاء[١، ٢].

(٢٢) القرامطة الذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين، وصلتهم باليهود:

لما بث ميمون بن ديصان القداح دعاته في سواد الكوفة أجابه من

---

(١) «مكايد يهودية» ص(١٩١ ـ ١٩٢).

(٢) قال الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٥٦): «أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه... وقال أحد الشعراء فيه:

الماكر الغادر الغاوي لشيعته ... شرّ الزنادق من صحب وتُبّاع

العابدون إذن عجلاً يخاطبهم ... بسحر هاروت من كفر وإبداع

لو قيل للروم أنتم مثلهم لبكوا ... أو لليهود لسدّوا صمغ أسماع

هذا الموضع رجل يُعرف بحمدان بن الأشمث ويلقب بقرمط، وهو رأس القرامطة الذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين.

في سنة ٢٩٤ خرج زكويه القرمطي بالقرامطة وأغاروا على الحجاج الخراسانيين بعد رجوعهم من مكة في مكان يقال له عقبة الشيطان، وقتلوا الرجال عن آخرهم، وسبى القرامطة من النساء ما أرادوا وقتلوا سائرهن، وقد بلغ قتلاه من الحجاج في هذا العام عشرين ألفًا.

«وأبو طاهر بن أبي سعيد الجنابي القرمطي يدخل مكة في ذي الحجة سنة سبع وثلاثمائة، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفًا، وقطع الركن يوم النحر.. قتل اللعين في المسجد الحرام نحو ألف وسبعمائة من الرجال والنساء، وهم متعلقون بالكعبة وردم بهم زمزم، وفرش بهم المسجد وما يليه. وقتل في سكك مكة وشعابها من أهل خراسان، والمغاربة وغيرهم زهاء ثلاثين ألفًا، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك. واقتلع الحجر الأسود من موضعه يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، وذهب به معه إلى أن رُدّ في يوم الثلاثاء من يوم النحر من سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

وبطل الحج من العراق بسبب هذا القرمطي اللعين ثلاث سنين متوالية من هذه السنة»[1].

هذا اللعين الذي كان يقول عند الكعبة: أين الطير الأبابيل؟

---

(١) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» للفاسي المكي ص(٧٤، ١٨٥) ـ مطبعة السنة المحمدية.

☐ وفي هذا يقول شاعرهم:

خذي الدفَّ يا هذه والعبي	وغني هزاريك ثم اطربي
تولى نبي بني هاشم	وهذا نبي بني يعرب
لكل نبي مضى شرعة	وهذي شرائع هذا النبي
فقد حطّ عنا فروض الصلاة	وحطّ الصيام ولم يتعب
فلا تطلبي السعي عند الصفا	ولا زورة القبر في يثرب
ولا تمنعي نفسك المعرسين	من أقربين ومن أجنبي
فكيف تحلي لهذا الغريب	وصرت محرمة للأب
أليس الغراس لمن ربَّهُ	وسقّاه في الزمن المجدب
وما الخمر إلا كماء السماء	حلالاً فقُدِّست من مذهب[1]

☐ «ولقد كان الأصبع اليهودي في حركة القرامطة متستر إلى أن كشفه الخليفة المعتضد حين ضيّق الخناق على عزرا بن صمويل كبير تجار اليهود في بغداد، واعترف عزرا بأن اليهود قد مدوا يد العون المالي إلى القرامطة، وحركات بابك الخرمي والسبئيين وميمون القداح، واعترف كذلك بمساعدة اليهود السرية للروم رغم أن تسامح المسلمين أيام العباسيين قد جلب على اليهود النعيم والرخاء، ومع ذلك فإنهم عمدوا إلى مساندة كل حركة تخريبية تقوم في ديار الإسلام»[2].

---

(١) «كشف أسرار الباطنية» ص(٥٨، ٥٩).

(٢) «الثائر الأحمر» لعلي أحمد باكثير ص(١٣٤ ـ ١٤٠) ـ القاهرة ١٩٥٣.

(٢٣) مصطفى كمال أتاتورك من يهود الدونمة.. هو واليهود أسقطوا الخلافة العثمانية وعزلوا السلطان عبد الحميد:

تم إسقاط الخليفة عبد الحميد الثاني وفق مسرحية من إعداء المخابرات البريطانية على النحو التالي: أعلن مجلس النواب القرار بعد الفتوى العجيبة بعزله، وتحت ضغط من الاتحاديين. ثم استدعى الصدر الأعظم توفيق باشا إلى المجلس لإبلاغ القرار للخليفة، ولكنه اعتذر فانتخب الاتحاديون وفدًا عجيبًا يندى له الجبين، سيظل يذكره التاريخ أبدًا، فقد كان مؤلفًا من الفريق البحري عارف حكمت وآرام أفندي الأرمني، وعمانوئيل قراصو اليهودي نائب سالونيك، وأسعد طوبطائي الأرناؤطي الخائن، ودخل الوفد على السلطان عبد الحميد فوجدوه واقفًا وكأنه بانتظارهم هادئ الأعصاب متزنًا فقرأ الفتوى عارف حكمت أمامه، فأجابه السلطان الخليفة: «ذلك تقدير العزيز العليم»، فتقدم أسعد طوبطائي، وقال له: لقد عزلتكم الأمة، ولكن عبد الحميد غضب، وقال: تقصد أن الأمة خلعتني... لا بأس، ولكن لماذا جئتم بهذا اليهودي «يقصد قراصو» إلى مقام الخلافة؟[1].

مرّ بك كيف عارض السلطان عبد الحميد الثاني فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين واستقر رأي الصهيونية العالمية على الإطاحة بالسلطان عبد الحميد.

- أوصى البارون اليهودي التركي «هيرس» بإنفاق مائتين وخمسين مليون فرنك لتأمين إقامة وطن قومي ليهود العالم.

---

(١) «صحوة الرجل المريض» ص(١٥٥).

◘ وقد أعطى قره صو أربعمائة ألف ليرة ذهبية قبضها من البنك الإيطالي وسلّمها لثري اسمه (نجيب دراغا) الذي أعطاها لأيوب صبري أحد أعضاء «الاتحاد والترقي» لصرفها على أحداث مجزرة ٣١ مارس التي أطاحت بحكم عبد الحميد، وكان قره صو أحد أربعة أبلغوا عبدالحميد قرار عزله، رغم أنه يتمتع بالجنسيتين الإيطالية والعثمانية، وقد فاخر قره صو بعدها بقوله: «إن الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة إنكليزية ما لم ينفذه عبد الحميد بخمسة ملايين»[1] .

◘ وقد اعترف الكاتب الشيوعي التركي إلهامي سوسيال بدور الماسونية في الإطاحة بعبد الحميد قائلاً: «إن إجبار عبد الحميد على قبول المشروطية ١٩٠٨م، ثم الإطاحة به عن العرش نهائيًّا كان من فعل الماسون، الذين لعبوا أخطر أدوارهم في الحادثتين، وأن كبار رجال الاتحاد والترقي كلهم تقريبًا من الماسون».

وبالفعل فقد كان أحمد رضا بك رئيس مجلس المبعوثين الاتحادي ماسونيًّا من أب إنكليزي وأم نمساوية، ودوره مشهود في إثارة الأقليات ومجزرة ٣١ مارس.

◘ وسعيد باشا القبرصي هو أحد رجال الماسونية.

◘ وكان محمود طلعت باشا الصدر الأعظم الاتحادي، ووزير الداخلية أستاذًا لمحفل سالونيك، وكذلك كان جمال باشا ناظر البحرية، ومانياس زاده توفيق وزير العمل، ومدحت شكري العضو الدائم والأمين العالم للجنة المركزية الاتحادية.

---

(١) المصدر السابق ص(٢٢٨).

وعمانوئيل قره صو نائب سلانيك والأستاذ الأعظم لمحفل مقدونيار يزوتا، ومحمد جاويد النائب ووزير المالية، والدكتور رضا توفيق الطبيب والنائب والكاتب، جميع هؤلاء كانوا من أعضاء الاتحاد والترقي ومن الماسونيين في وقت واحد.

□وقد نظمت الماسونية العالمية المؤامرة الأرمنية الأولى بتشجيع من كال إدوارد السابع ملك بريطانيا الماسوني الذي قدّم ١٣ ألف ليرة ذهبية للمنظمة الأرمنية «الطاشناق» لقتل عبد الحمد، وتم القبض على الأرمن بالباب العالي فتدخل السفير لحمايتهم بحجة الامتيازات الأجنبية وتم له ما أراد.

□ثم رتبت الماسونية المؤامرة الأرمنية الثانية للتخلص من عبدالحميد فكلّف يهود سويسرا اليهودي إدوارد جورج الفرنسي الجنسية بالتعاون مع منظمة الطاشناق الأرمنية أيضًا، لإدخال عربة صنعت خصيصًا ووصلت استانبول قطعة قطعة وتم تركيبها لتكون «قنبلة جحيم» تحت كرسي القيادة حيث تنفجر في الوقت الذي يخرج فيه السلطان عبد الحميد لصلاة الجمعة بجامع يلذر، وقد ذهب ضحيتها عشرات الأرجل والأيدي البشرية، وبقي عبد الحميد وحيدًا ليركب عربته ويدخل بها قصر يلذر، وكشفت لجنة التحقيق برئاسة نجيب ملحم عن وجود نشرة تحتوي ٢٢ مادة من دستور المنظمة الصهيونية العالمية، كما ألقى القبض على كريستوفر ميكائليان وابنته روبينا وقسطنطين قيوليانا وهو يهودي روسي اضطر لقطع شرايينه والموت انتحارًا[١].

---

(١) المصدر السابق ص(٢٣٠).

❑ وسيطر يهود الدونمة الذين يظهرون الإسلام ويبطنون اليهودية، وهم أتباع «سباتاي سيفي» ومن ورائهم الصهيونية العالمية على «الاتحاد والترقي».

❑ وفي عام ١٩١٠م أرسل السفير البريطاني لدى الأستانة مذكرة إلى حكومته يبين فيها سيطرة اليهود على «الاتحاد والترقي» و«تركيا الفتاة»، قال فيها: «إن الجمعية تبدو في تشكيلها الداخلي تحالفًا ثنائيًّا يهوديًّا تركيًّا، فالأتراك يمدونها بالقوة العسكرية، واليهود بالعقل المدبر والمال والنفوذ الإعلامي في أوربا»[١].

* هـ. س أرمسترونج والمخابرات البريطانية وراء اليهودي مصطفى كمال أتاتورك:

عرف الكابتن هـ.س أرمسترونج كيف يختار مرشحه لرئاسة تركيا العلمانية، ووجد ضالته في «الذئب الأغبر» و«الرجل الصنم» مصطفى كمال أتاتورك وهو ابن غير شرعي، وأمه عرفها مجتمع سالونيك بسوء سمعتها.

ولقد أملى اللورد كيرزون وزير خارجية بريطانيا في وزارة ديفيد لويد جورج على عصمت باشا مبعوث مصطفى كمال إلى بريطانيا عام ١٩٢١م الشروط التالية للموافقة على استقلال تركيا:

١ ـ أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام.

٢ ـ أن تلغى الخلافة الإسلامية.

---

(١) المصدر السابق ص(٢٥٦).

٣ ـ أن تتعهّد بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

٤ ـ أن تختار تركيا لها دستورًا مدنيًّا بدلاً من الدستور العثماني المستمد من أحكام الشريعة، ونفذ أتاتورك ما أملته عليه بريطانيا.

وقد ألّف المؤرخ الألماني اليهودي (أميل لودفيغ) كتابًا بتمجيد مصطفى كمال حيث سماه «الذئب الأغبر»، وفيه يقارن بينه وبين نابليون ويفضله عليه؛ لأنه ألغى الخلافة.

وحين ألغى مصطفى أتاتورك الخلافة استعان بثلاثة من رجاله أحدهم ضياصفت السكرتير العام لحزب الشعب، وهو يهودي «دونمة» قدير حاضر البديهة كان يسرد على مسامعه أنباء اليوم الهامة وشئون الحزب.

□ قال مصطفى كمال أتاتورك وقد وقف مرة يفتتح جلسة البرلمان التركي بعد فصله للسلطنة عن الخلافة، وقبيل انقضاضه نهائيًّا على الخلافة نفسها فقال: «نحن الآن في القرن العشرين، لا نستطيع أن نسير وراء كتاب تشريع يبحث عن التين والزيتون «أي القرآن الكريم». . ويصفق له أنصاره من الماسون والدونمة وعملاء الإنكليز، ويقول قائلهم: سلمنا البلاد لأيدي أتاتورك الأمينة، وتركيا الكعبة للعرب، وتأخذه النشوة فيقول: «سنطيح برأس كل خليفة يحاول أن يُدخل أنفه في أمور الدولة. . »[١]

لقد كانت بيوت اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية أوكارًا لجمعية الاتحاد والترقي يمهدون فيها للقضاء على دولة الخلافة. . ولقد اعترفت الماسونية ربيبة الصهيونية بجميل (مصطفى كمال) فجاء في «دائرة المعارف

---

(١) المصدر السابق ص(٢٧٣).

الماسونية» ما يلي: «إن الانقلاب التركي الذي قام به الأخ العظيم مصطفى كمال أتاتورك أفاد الأمة فقد أبطل السلطنة، وألغى الخلافة، وأبطل المحاكم الشرعية، وألغى دين الدولة الإسلامية، أليس هذا هو ما تبتغيه الماسونية في كل أمة ناهضة فمن يماثل أتاتورك من رجالات الماسون سابقًا ولاحقًا»(١).

◘ وقبيل وفاة (مصطفى كمال) اليهودي الماسوني استدعى السفير البريطاني في أنقرة وأعلمه برغبته في ترشيحه لوراثته في رئاسة تركيا مما يؤكد عمالته للإنجليز وأن ولاءه لبريطانيا كان يفوق ولاءه لتركيا.

◘ قال الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في تركيا، وكان معاصراً لمصطفى كمال:

«والرجل ـ أي مصطفى كمال ـ من لا تجد إنكلترا مثله، ولو جدّت في طلبه من حيث إنه يهدم ماديات الإسلام وأدبياته ولا سيما أدبيّاته في اليوم ما لا تهدم إنكلترا نفسها في عام فلما ثبتت كفايته وقدرته من هذه الجهات فوق كفايته وقدرته في طرد اليونان من الأناضول استخلفته لنفسها وانسحبت من بلادنا»(٢).

يا أخت أندلس عليك سلام ... هوت الخلافـــة عنك والإسلام

طوي الهلال عن السـماء فليتها ... طُويت وعم العالمين ظـــلامُ

خفت الأذانُ فما عليك مُوحِّدٌ ... يسعى ولا الجُمَع الحسانُ تقــامُ

---

(١) المصدر السابق ص(٢٧٣).

(٢) المصدر السابق ص(٢٨١).

□ ويقول شوقي ـ رحمه اللَّه ـ:

عادت أغاني العُرْسِ رَجْعَ نواحِ ... ونُعيتِ بين معالمِ الأفراحِ
كُفِّنْتِ في ليل الزفاف بثوبه ... ودُفِنْتِ عند تبلّج الإصباح
شُيِّعتِ من هَلَعٍ بَعبْرَة ضاحكٍ ... في كل ناحيةٍ وسَكْرَة صاحِ
ضجّت عليك مآذن ومنابرٌ ... وبكت عليك ممالِكٌ ونواحِ
الهند والهة ومصر حزينة ... تبكي عليك بمدمع سَحَّاحِ
والشام تسأل والعراق وفارس ... أَمَحَى من الأرض الخلافةَ ماحِ
خَطْب أتى طول الليالي دونه ... قد طاح بين عشيةٍ وصباح
وعلاقة فُصِمت عرى أسبابها ... كانت أبرّ علائق الأرواح
بكت الصلاة وتلك فتنة عابث ... بالشرع عربيد القضاء وقاح
أفتى خزعبلة وقال ضلالةً ... وأتى بكفر في البلاد بُواحِ
فلتسمعن بكل أرضٍ داعيا ... يدعو إلى الكذّاب أو لسجاح
ولتشهدنّ بكل أرض فتنةً ... فيها يباع الدين بيع سَمَاحِ
يُفتي على ذهب المعز وسيفه ... وهوى النفوس وحقدُها الملحاحِ

(٢٤) خروج الدّجال من اليهود، وخروجهم معه:

اليهود وراء كل فتنة.. لا يتركون فتنة إلا وأذكوها.. حتى آخر فتنة على وجه الأرض.. الدجال. فالدّجال أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خلق اللَّه السماوات والأرض إلى يوم القيامة يخرج من يهود أصبهان وهي بلدة بفارس:

● عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يخرج الدّجال من يهودية أصبهان، معه سبعون ألفًا من اليهود عليهم السيجان**»[١، ٢].

◻هذه بعض صفات يهود.. قال البوصيري في لاميته الشهيرة:

والعابدونَ العجلَ قَدْ فُتِنُوا به ... ودّوا اتخاذ المرسلين عُجُولا

فإذا أتتْ بُشرى إليهم كذّبوا ... بهوى النفوسِ وَقتَّلوا تقتيلا

أبناءُ حَيّاتٍ أَلَمْ ترَ أنَّهم ... يَجِدُون تِرْياقَ السموم قتولا

أخلَوْا كتاب اللَّه من أحكامه ... غَدْرًا وكان العامرَ المأهولا

جعلوا الحلالَ به حرامًا والهُدَى ... غَيًّا وموصولَ التقى مفصولا

كتموا العبادة والمعاد وما رَعَوْا ... للحق تعجيلا ولا تأجيلا

ودعاهُمُ ما ضيّعوا من فضله ... أن يملئوه من الكلام فضولا

وكفاهمُ أن مثّلوا معبودهم ... سبحانه بعباده تمثيلا

وبأنهم دخلوا له في قُبّةٍ ... إذ أزمعوا نحو الشآم رحيلا

وبأن إسرائيلَ صارع ربه ... فرمى به شكرًا لإسرائيلا

---

(١) السيجان: جمع ساج، وهو ـ كما قال ابن الأثير ـ الطيلسان الأخضر، وقيل: هو الطيلسان المقور، ينسج كذلك. «النهاية» (٢/ ٤٣٢).

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» ـ كتاب الفتن ـ باب: في بقية من أحاديث الدّجال (٤/ ٢٢٦٦) بهذا اللفظ، لكن فيه «يتبع الدّجال..» وفيه «الطيالسة» بدل ما هنا، والطيالسة جمع طيلسان، وهو: أعجمي معرّب، وهو: ثوب يلبس على الكتف، يحيط بالبدن، ينسج للبس خال من التفصيل والخياطة.

ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٢٤) بهذا اللفظ إلا أن فيه «التيجاني» بالتاء بدل السين.

وبأنهم ضربوا ليسمع ربُّهم	في الحرب بوقاتٍ لهم وطُبُولا
وبأنه من أجل آدم وابنه	ضرب اليدين ندامةً وذُهُولا
وبأن رب العالمين بدا له	في خلق آدم يا له تجهيلا
وبدا لهم في قوم نوحٍ وانثنى	أسفًا يَعُضُّ بنانه مذهولا
وبأن إبراهيم حاول أكله	خبزا ورام لرجله تغسيلا
وبأن أموال الطوائف حُلِّلَتْ	لهمو ربًا وخيانة وغلولا
وبأنهم لم يخرجوا من أرضهم	فكأنما حسبوا الخروج دخولا
لم ينتهوا عن قذف داود ولا	لوط فكيف بقذفهم روبيلا
وعزوا إلى يعقوب من أولاده	ذكرًا من الفعل القبيح مهولا
ودعوا سليمان النبي بكافرٍ	واستَهْوَنُوا إفكًا عليه مقولا

* **جزاء اليهود إخوان الخنازير والقرود:**

اللَّه يفعل ما يريد، وحكمه ماضٍ في العبيد، على النهج الشديد ﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ [يونس: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ...﴾ [هود: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦].

□ واللَّه سبحانه وتعالى عدل، وما يُنزله بالكافرين من أنواع الهلاك والخزي في الدنيا، وما أعده لهم من العذاب المهين في الآخرة، فهو لما يستحقونه، فإنه لا يأخذ إلا بذنب، ولا يعذب إلا بعد قيام الحجة.

● عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن اللَّه**

ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته» ثم قرأ النبي ﷺ : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[١] [هود: ١٠٢].

● وعن جابر بن عبد اللَّه، عن عبد اللَّه بن أنيس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال النبي ﷺ : «يحشر اللَّه العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب، أنا الملك أنا الديان»[٢] .

حصادك يومًا ما زرعت وإنما ... يدان الفتى يومًا كما هو دائِنُ

وانظر إلى جزاء اللَّه لليهود في الدارين:

* جزاء اللَّه لليهود في الدنيا:

(٢٥) غضب اللَّه عليهم:

ومن يقدر على غضب اللَّه، قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ٦١]. وقال تعالى: ﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [البقرة: ٩٠].

* وقال تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٧].

* وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه.

(٢) «صحيح البخاري» ـ كتاب التوحيد ـ باب: قول اللَّه تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾

وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٢].

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٥٢].

* وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: ٦٠].

* وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ ﴾ [طه: ٨١].

عرفوا الحق ثم حادوا عنه فاستحقوا غضب اللَّه، الذي لا يقوم لغضبه شيء...

* قوله تعالى: ﴿ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ غضب بعد غضب بحسب تكرر كفرهم وإفسادهم وقتلهم الأنبياء. وقصد التعدد في قوله: ﴿ فَبَاءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ﴾ أظهر، ولا ريب أن تعطيلهم ما عطلوه من شرائع التوراة وتحريفهم وتبديلهم يستدعي غضبًا، وتكذيبهم الأنبياء يستدعي غضبًا آخر، وقتلهم إياهم يستدعي غضبًا آخر، وتكذيبهم المسيح وطلبهم قتله ورميهم أمه بالبهتان العظيم يستدعي غضبًا، وتكذيبهم النبي ﷺ يستدعي غضبًا، ومحاربتهم له وأذاهم لأتباعه يقتضي غضبًا وصدهم من أراد الدخول في دينه عنه يقتضي غضبًا، فهم

الأمة الغضبية أعاذنا اللَّه من غضبه، فهي الأمة التي باءت بالغضب المضاعف المتكرر وكانوا أحق بهذا الاسم والوصف من النصارى. فهذا غضب مشفوع باللعنة والمسخ، وهو أشد ما يكون من الغضب.

واليهود أغلظ كفرًا من النصارى، ولهذا كان الغضب أخص بهم واللعنة والعقوبة فإن كفرهم عن عناد وبغي، فالتحذير من سبيلهم والبعد منها أحق وأهم بالتقديم وليس عقوبة من جهل كعقوبة من علم وعاند»[(١)] .

● عن عدي بن حاتم وذكر قصة إسلامه.. إلى أن قال ـ حكاية عن رسول اللَّه ﷺ ـ فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم قال: **«ما يُفِرُّك أن تقول (لا إله إلا اللَّه) فهل تعلم من إله سوى اللَّه؟»** قال: قلت: لا، قال: ثم تكلم ساعة، ثم قال: **«إنما تفِرُّ أن تقول (اللَّه أكبر) وتعلم أن شيئًا أكبر من اللَّه؟»** قال: قلت: لا، قال: **«فإن اليهود مغضوب عليهم، وإن النصارى ضلال»**[(٢)] .

● وعن عبد اللَّه بن شقيق أنه أخبره من سمع النبي ﷺ وهو بوادي القرى، وهو على فرسه، فسأله رجل من بلقين، فقال: يا رسول اللَّه من هؤلاء؟ قال: **«هؤلاء المغضوب عليهم»** وأشار إلى اليهود، قال: فمن هؤلاء؟ قال: **«هؤلاء الضالين»**، يعني النصارى، قال: وجاء رجل، فقال: استشهد مولاك، أو قال: غلامك فلان، قال: **«بل يُجرّ إلى النار في عباءة غلّها»**[(٣)] .

---

(١) «بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية.

(٢) صحيح: رواه الترمذي في «سننه» في كتاب تفسير القرآن ـ باب ومن سورة فاتحة الكتاب (٨/ ١٥١، ١٥٢، ١٥٣) برقم (٢٩٥٦)، ورواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٧٨) قريبًا من هذا، وابن حبان في «صحيحه» كما جاء في «الموارد» (١٢٧٩) قريبًا من هذا، وصححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٢٠٢).

(٣) إسناده صحيح: رواه أحمد في «مسنده» (٥/ ٧٧) بهذا اللفظ، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣١٠): رواه كله أحمد ورجاله رجال الصحيح. ورواه أبو يعلى، وقال الهيثمي: إسناده صحيح. وقال البوصيري: رواته ثقات. ورواه أحمد بن منيع، ورواته ثقات كما قال البوصيري.

(٢٦) لعنة اللَّه إياهم:

* قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

واللعن دعاء بالطرد مطلقًا من رحمة اللَّه.. ويا شقوة من طرده اللَّه من رحمته التي وسعت كل شيء.

● قال ﷺ: **«لعن اللَّه اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[1].

● وقال ﷺ: **«لعن اللَّه اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**[2].

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لعن اللَّه اليهود، إن اللَّه حرّم عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا ثمنها، وإن اللَّه إذا حرّم على قوم أكل شيء حرّم عليهم ثمنه»**[3].

(٢٧) عقوبتهم بالتيه:

* قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦].

قال ابن كثير: «لما دعا عليهم موسى ـ حين نكلوا عن الجهاد ـ

---

(١) رواه أحمد عن أسامة بن زيد، ورواه أحمد والبخاري، ومسلم، والنسائي عن عائشة وابن عباس معًا، ورواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه النسائي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٠٦).

(٣) صحيح: رواه أحمد وأبو داود، والبيهقي في «سننه»، والضياء في «المختارة»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٠٧).

حكم اللَّه عليهم بتحريم دخولها مدة أربعين سنة، فوقعوا في التيه، يسيرون دائمًا لا يهتدون للخروج منه»[١].

(٢٨) ضُربت عليهم الذلة والمسكنة:

«لليهود موقع تاريخي قضاه اللَّه عليهم وهو القاعدة، وما عداه شذوذ قد يكون لهم ضمن مقتضيات الحكمة الربانية في المجتمع البشري.

هذا الموقع التاريخي الذي هو القاعدة هو موقع الذلة والمسكنة[٢] أينما ذهبوا، وحيثما وجدوا، ضربت عليهم المسكنة تعيش في ضمائرهم وتكمن في مشاعرهم. قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

* وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٢].

□ فالذلة مضروبة عليهم أينما ثقفوا وأينما وجدوا في الشرق أو في الغرب، هذه هي القاعدة في تاريخهم الطويل.

وأما الاستثناء الذي هو شذوذ القاعدة، فهو أن الذلة المضروبة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/١٥٦).

٢) «مكايد يهودية» ص(٤٥٥).

عليهم ترتفع عنهم بحبل من اللَّه وحبل من الناس.

(٢٩) سومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة:

* قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ[١] رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ[٢] سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

قال ابن كثير: (تأذّن): تفعل من الأذان، أي: أعلم، قاله مجاهد، وقال غيره: أمر، وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة؛ ولهذا تُلُقِّيت باللام في قوله: ﴿لَيَبْعَثَنَّ﴾ أي: على اليهود.

كانوا في قهر الملوك من اليونانيين والكُشدانيين والكُلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم، وأخذهم منهم الجِزَى والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد ﷺ فكانوا تحت صغاره وذمته يؤدون الخراج والجِزَى.

وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس: هي الجزية، والذين يسومونهم سوء العذاب: محمد رسول اللَّه ﷺ، وأمته إلى يوم القيامة.

قلت: «ثم في آخر أمرهم أنهم يخرجون أنصار الدجال، فيقتلهم المسلمون مع عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ آخر الزمان»[٣].

---

(١) وإذ تأذن ربك: علم ربك ما سيكون من يهود إلى يوم القيامة، فقضى عليهم بملاحقتهم بالعقوبة.

(٢) يسومهم: يحمّلهم ويكلّفهم ويضرب عليهم، ويسوقهم بعنف وشدة.

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩).

فهو إذْن الأبد الذي تحقق منذ صدوره، فبعث اللَّه على اليهود في فترات من الزمان من يسومهم سوء العذاب، والذي سيظل نافذًا في عمومه، فيبعث اللَّه عليهم بين آونة وأخرى من يسومهم سوء العذاب، وكلما انتعشوا وانتفشوا وطغوا في الأرض وبغوا، جاءتهم الضربة ممن يسلطهم اللَّه من عباده على هذه الفئة الباغية النكدة، الناكثة العاصية، التي لا تخرج من معصية إلا لتقع في معصية، ولا تثوب من انحراف حتى تجنح إلى انحراف.

ولقد يبدو أحيانًا أن اللعنة قد توقفت، وأن يهود قد عزّت واستطالت! وإن هي إلا فترة عارضة من فترات التاريخ.. ولا يدري إلا اللَّه من ذا الذي سيسلط عليهم في الجولة التالية، وما بعدها إلى يوم القيامة.

لقد تأذن اللَّه بهذا الأمر الدائم إلى يوم القيامة.

فاليهود إخوان القردة والخنازير.. معذبون أبدًا وضائعون أبدًا...

◻ ورحم اللَّه محمود حسن إسماعيل حيث يقول في قصيدته: «قيامة الثأر»:

❁ قيامة الثـــأر ❁

مشرَّدُونَ أَبدَا..

وتائهون أَبدَا..

مهما طلبْتُمْ لخطاكمْ سكَنَا،

مهما نَهبتُمْ في سُراكمْ وطنَا،

فالأرض تحت رِجْسِكم دَمارُ
وصمت قبرٍ، همسُه جبارُ
وحين ينقَضُّ لديه الثَّارُ
ستصبْحون بَدَدَا..
محيَّرون أَبدا
وضائعون أَبدا

❀ ❀ ❀

مشردون أَبــدا
وتائهون أَبــدا
ولعنة الأكوان تَجري في خُطاكم سَرْمدا..
ملءَ الدروب، والغيوب، باغتتكم رصدَا
ينسَلُّ من أَوزاركم، من كل أُفْق أَو صدَى
شبَّتْ سَدُومُ من حشاكم نارَهُ
وجرَّعتْكُمْ قبل «موسَى» عارَهُ
وفرَّقتكُمْ كي تذوقوا ثارَهُ..
.. في ظلُماتٍ أَنكرتْ من غيظها وجودَكم
وأَنْشَبت في الريح من أَصفادها قيودَكمْ
تقذفكم بويلها، وليلها الضَّرير

في القلق المنبوذ تحت ضيعة المصير
في آهة مصلوبة على صدَى..
وصوت ذل مستطيرٍ ردَّدا..
مشتَّتُونَ أبـــدا
مُفَتَّتُون أَبَـــدا

❁ ❁ ❁

مشردون أَبـــدا.. وأَبـــدًا مشردين!
مضيَّعونَ أَبـــدا وسرمَدًا مضَيَّعينْ!
بكل نور شَعَّ للإنسان، كنتم جاحدينْ
لكل إِلهامٍ من السماءِ، رحتم مفسدين
لكل دين أَرسل اللَّه، ذهبتم منكرين
عن كل شرع من نبي جاءَ، قمتم مُعْرضين
وكلُّ هادٍ مرَّ بالدنيا، وقفتم ناقمين..
«موسى» يناجي اللَّه فوق سينا،
وأَنتم للعِجل ساجدينا؛
محيَّرين التِّيهَ أربعينا..
حتى نُسِخْتُم فيه أَجمعينا!
وحين جاءَ خاتَمِ الهُداةِ

من النبِّيين إلى الحياة،
بذرتُمُ السُّمَّ على الراحات
وكنتم مزاحفَ الحياتِ
لمن سرى لنور في الآياتِ
فعاودتكمْ لعنة اللِّعْناتِ
وعدتُم للتيه والشتاتِ . .
لا تبصرون في الضلال أَحدا
ولو تَخذتُمْ كل إِفك سنَدَاَ
الكون في طريقكم تبدَّدَاَ
والناس صاروا لعنَاتٍ وعِدَاَ!!
ممزَّقون . . أَبـــدا
مطاردون . . أَبـــدا

❁ ❁ ❁

مشردون أَبـــدا
وتائهون أَبـــدا
وفي يديكم لم يزل دم السماءِ ينزف الخطيئَهْ
على تراب لم تزل أَقداسه رغم الدجى مضيئه
مشى عليه عاركم بخطوة أَفَّاقة دنيئه
متاهةً، دنُِّس طهرُ الكون من أرجاسها الخبيئَهْ

حطَّتْ بكم خيانةٌ ستحصدون ويْلها

ونوْبة للتيه، يومًا تشربون ذُلَّها . .

وتعبرُون دربكُمْ على نعوش «بابل» . . .

منذُ مراثي الذل تُشجى وخزَة السَّلاسِل

وأَنتُمُ في كل أرض سيرة القلاقلِ

والغدر، والضياع، والشّرور، والمباذِلِ . .

على سماءِ المسجد الأَقصى وفي محرابه

وفي سفوح جبل النار وفي هضابه

وفي ضفاف دجلة والبأس في عبابِهِ

وفي ثرى دمشق، في زمجرة لغابه

وفي حمى النيل، وهول النار في شبابه

في ثورة دكَّتْ ظلام الرق من قِبابِهِ . .

. . قيامةُ الأَحرار هبَّت للفدا

لتدفن اللصوص في غياهب الردَى

فيرجعــون للمــدَى

مشتَّتين أَبـــدا

مضيَّعين أَبـــدا

❁ ❁ ❁

مشرَّدُون أَبــدا

وتائهون أَبــدا

مهما استجاروا . . فالمجيرُ لعنة الأَقدارِ

ولعنة الشعوب من سُراهم الغدارِ

ولعنة السماءِ في العشيِّ والإِبكارِ

ولعنة الذل . . رمتها قبضة الأَحرار

. . يومَ يدق الهول باب تائهٍ مشردٍ مخْذُولْ

وتصبح الزنود كالريح فوق تيه «إسرائيل»

تزفُّها للتيه من جديد

ملعونةً في خطوها الشريدِ

وراية النصر بكفِّ الثائرِ

تحدو ضُحاها عزمــات الناصر

تشدو . . وتشدو أَبــدا

مشردون أَبــدا

وتائهــون أَبــــدا[1] .

❁ ❁ ❁

(١) قصيدة «قيامة الثأر» لمحمود حسن إسماعيل ـ الأعمال الكاملة .

(٣٠) وقوع المسخ فيهم:

يا لذل اليهود ويا لمهانتهم وهوانهم على اللَّه حيث وقع المسخ فيهم.. حيث مسخ اللَّه بعضهم قردة وخنازير، كما حصل لأصحاب السبت. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥].

* وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ١٦٣]. أي: ذليلين حقيرين مهانين.

* وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

● عن ابن عباس - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: **«الحيات مسخُ الجن صورة، كما مسخت القردة والخنازير من بني إسرائيل»**[(١)] .

☐ قال قتادة: ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ : فصار القوم قردة تَعَاوىَ لها أذناب بعدما كانوا رجالاً ونساء.

☐ وعن مجاهد: مُسخت قلوبهم ولم يمسخوا قردة، وإنما هو مثل ضربه اللَّه ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

---

(١) صحيح: قال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ٤٦): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، والبزار بالاختصار، ورجاله رجال الصحيح [ولم يذكروا لفظ: «صورة»]، ورواه الطبراني في «الكبير»، وأبو الشيخ في «العظمة»، والضياء، وابن أبي حاتم، وابن حبان [وفيه لفظ: «صورة»]، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٢٠٣).

وبعد أن ساق ابن كثير أقوال الأئمة قال: قلت: «والغرض من هذا السياق عن هؤلاء الأئمة بيان خلاف ما ذهب إليه مجاهد ـ رحمه اللَّه ـ من أن مسخهم إنما كان معنويًّا لا صوريًّا، بل الصحيح أنه معنوي صوري واللَّه تعالى أعلم»[(١)] .

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود، فتستحلوا محارم اللَّه بأدنى الحيل**»[(٢)] .

(٣١) ابتلاؤهم بالطاعون:

ومن عقوبات بني إسرائيل في الحياة الدنيا ابتلاؤهم بالطاعون عقابًا من اللَّه لهم، قال تعالى: ﴿**فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ**﴾ [البقرة: ٥٩].

● عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، أنه سمعه يسأل أسامة بن زيد ماذا سمعت من رسول اللَّه ﷺ في الطاعون؟ فقال أسامة: قال رسول اللَّه ﷺ: «**الطاعون رجس أُرسل على طائفة من بني إسرائيل ـ أو على من كان قبلكم ـ فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه**»[(٣)] .

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٣٦ ـ ٤٤٠).

(٢) إسناده جيد: أخرجه ابن بطة في جزء «الخلع وإبطال الحيل» ص(٢٤)، وجود إسناده ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (١/ ٥١٣)، وحسّنه في «تهذيب السنن» (٥/ ١٠٣)، وابن تيمية في «الفتاوى» (٢٩/ ٢٩)، وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٤٤٢): وهذا إسناد جيد.

(٣) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب (٥٤) حديث رقم (٣٤٧٣)، ومسلم في «صحيحه» ـ كتاب السلام باب الطاعون والطيرة (٤/ ١٧٣٧)، ومالك في الموطأ ـ كتاب الجامع ـ باب ما جاء في الطاعون (٢/ ٨٩٦) رقم (٢٣)، وأحمد في =

(٣٢) الإصر والأغلال التي كانت على يهود، والتشديد عليهم في العبادة:

تنطع اليهود وشدّدوا على أنفسهم فشدّد اللَّه عليهم في العبادات والأطعمة والأعياد، وغير ذلك بتكاليف تهدّ الأركان.

* قال تعالى مبينًا نعمته على هذه الأمة المحمدية: ﴿**الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٧].

* وقال تعالى: ﴿**رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾ [البقرة: ٢٨٦].

● عن عبد الرحمن بن حسنة قال: «انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبي ﷺ فخرج ومعه درقة[١] ثم استتر بها ثم بال، فقلنا: انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمع ذلك فقال: «**ألم تعلموا ما لقي صاحب بني إسرائيل؟ كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابهم البول منهم، فنهاهم صاحبهم عن ذاك فهو يعذب في قبره**»[٢].

= «مسنده» (٥/ ٢٠١) بهذا اللفظ، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١١/ ١٤٦) رقم (٢٠١٥٨).

(١) درقة: بفتح الدال والراء هو: الترس، يتخذ من الجلود، ليس فيه خشب ولا عصب «تاج العروس» (٦/ ٣٤٢)، و«عون المعبود» (١/ ١٠).

(٢) رواه أبو داود في «سننه» (١/ ٢٦، ٢٧) رقم (٢٢)، والنسائي (١/ ٢٦ ـ ٢٨) إلا أن فيه: «فقال بعض القوم» وابن ماجه (١/ ١٢٤، ١٢٥) رقم (٣٤٦)، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨٤).

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: دخلت عليّ امرأة من اليهود فقالت: إن عذاب القبر من البول، فقلت: كذبت، قالت: بلى، إنا لنقرض منه الجلد والثوب، فخرج رسول اللَّه ﷺ إلى الصلاة وقد ارتفعت أصواتنا، فقال: «ما هذا؟»، فأخبرته بما قالت، فقال: «**صَدَقَت**». فما صلى بعد يومئذ صلاة إلا قال في دبر الصلاة: «**رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أعذني من حر النار وعذاب القبر**»[١].

ومن هذه الأغلال والإصر: نظام الأعياد التي يعيّدونها للَّه في السنة، وهي عيد الفطير وعيد الحصاد وعيد المظال، وكذلك عيد كل سبت، لا يعمل فيه أدنى عمل، وكذلك سبت المزارع. ففي كل سنة سابعة سبت للأرض، لا يزرع فيها، ولا يقطف الكرم، بل تترك الأراضي عطلاً، وغلاّت الكروم مأكلاً لفقراء شعبهم ووحوش البرية، ومنها: أن من ضرب أباه أو أمّه أو شتمهما أو تمرّد عليها وعصاهما يُقتل حدًّا. وكذا من يعمل يوم السبت يُقتل. ومَن كان به جن أو تابعة يرجم بالحجارة حتى يموت. ومن تزوج فتاة فادّعى أنه لم يجد لها عذرة، ثم تبين كذبه، جميعًا يُقتلان، وإن أمسكت امرأة عورة رجل تقطع يدها. إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات المنطوح، يرجم الثور ولا يُؤكل لحمه، ومن اضطجع مع امرأة طامث يقطعان من شعبهم، ومن طلّق امرأته، ثم تزوّجت آخر، وطلّقها أو مات، فلا يجوز لزوجها الأول أن يرجعها»[٢].

---

(١) رواه النسائي في «سننه» ـ في كتاب السهو باب الذكر والدعاء بعد التسليم (٣/ ٧٢) بهذا اللفظ، ورواه أحمد في «مسنده» (٦/ ٦١).

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (٧/ ٢٨٨٢) ـ عيسى الحلبي.

◻ «والحائض كل من مسّها يكون نجسًا إلى المساء، وكل ما تجلس عليه يكون نجسًا، ومن كان له ابن معاند أو مارد يمسكه أبوه وأمه، ويأتيان إلى شيوخ مدينته وإلى باب مكانه، ويقولون: ابننا هذا معاند ومارد لا يسمع لقولنا وهو مسرف وسكّير، فيرجمه جميع رجال مدينته حتى يموت.

◻ وتحريم بعض الطيور، وكل متاع خزف وقع فيه منها، فكل ما فيه يتنجّس، وأما هو فتكسرونه.

◻ لا تُؤخذ فدية عن نفس القاتل المذنب للموت بل إنه يقتل.

◻ إذا مات إنسان في خيمة فكل من دخل الخيمة وكل من كان في الخيمة يكون نجسًا سبعة أيام. ومن مسّ ميْتًا ميتة إنسانٍ ما يكون نجسًا سبعة أيام.

◻ وكل بكر ذكرٍ يُولد من بقرك ومن غنمك تقدّسه للرب إلهك. لا تشتغل على بكر بقرك ولا تجُزّ بكر غنمك»[1] فالحمد للَّه الذي وضع عنا هذه الأغلال.

(٣٣) تقطيعهم في الأرض:

قطّعهم اللَّه تقطيعين لحكمة ربانية:

◻ ففي التقطيع الأول: قطّعهم اللَّه اثنتي عشرة أسباطًا أممًا، فلن تكون لهم أمة واحدة مجتمعة متكاتفة مستقرة.

هذا هو قضاء اللَّه عليهم، ولئن اجتمعوا لمدّة وجيزة فلابد أن

---

(١) انظر «محاسن التأويل» (٢/ ٧٣٤ ـ ٧٣٨).

يتفرّقوا مختلفين متصارعين.

◻حتى في أيام ملكهم الكبير، فإن دولتهم الموحدة لم تلبث آنئذٍ أكثر من عهدي داود وسليمان عليهما السلام، حتى انقسمت إلى دولتين بعد سليمان عليه السلام، هما: مملكة (يهوذا) ومملكة «إسرائيل».

ولم تقم لهم بعد ذلك دولة مستقلة حتى قيام دولة (إسرائيل) المعاصرة.

* وفي بيان هذا التقطيع الأول قال اللَّه تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٠].

◻وفي التقطيع الثاني: قطّعهم اللَّه في الأرض أممًا، فهم موزّعون في شتى الأرض، وحين يُحشرون إلى مكان جامع في أرض الشام، فيلقوا في النهاية عذابًا كتبه اللَّه عليهم كما قال حُييّ بن أخطب شيطان يهود «كتاب وقدر، وملحمة كتبها اللَّه على بني إسرائيل».

* وفي هذا التقطيع الثاني قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]، فهم أشتات موزعون في الأرض... و«إسرائيل» في فلسطين أمر عارض واستثناء وشذوذ إلى الزوال إن شاء اللَّه.

(٣٤) العداوة والبغضاء قائمة بينهم إلى يوم القيامة وقلوبهم شتى:

قد تخدع المظاهر فترى تضامن اليهود، وبين الحين والحين ينكشف هذا الستار الخادع، وخبر السماء الصادق يُنبئنا عن العداوة بينهم قال تعالى: ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

* وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ٦٤]، «وما تزال الطوائف اليهودية متعادية، وإن بدا في هذه الفترة أن اليهودية العالمية تتساند؛ وتوقد نارًا لحرب البلاد الإسلامية وتفلح! ولكن ينبغي ألا ننظر إلى فترة قصيرة من الزمان ولا إلى مظهر لا يشتمل على الحقيقة كاملة. ففي خلال ألف وثلاثمائة عام.. بل من قبل الإسلام.. واليهود في شحناء، وفي ذل كذلك وتشرد ومصيرهم إلى مثل ما كانوا فيه، مهما تقم حولهم الأسناد، ولكن مفتاح الموقف كله في وجود العصبة المؤمنة لها وعد اللَّه»[1].

(٣٥) قتل المسلمين لليهود، وانتصارهم عليهم:

نوقن بهذا أكثر من يقيننا بوجودنا، يوم أن يستيقظ العملاق ليصب على الأمة الغضبية جام غضب اللَّه.

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«تقاتلون اليهود، فتسلّطون عليهم حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد اللَّه هذا يهودي ورائي فاقتله»**[2].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»**[3].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

---

(١) «في ظلال القرآن» (٢/ ٩٢٩، ٩٣٠).
(٢) رواه البخاري، ومسلم، والترمذي.
(٣) رواه البخاري، ومسلم.

«لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله إلا الغرقد[١] ؛ فإنه من شجر اليهود»[٢] .

● وفي حديث الدجال: «فيهزم الله اليهود، فلا يبقى شيء مما خلق الله عز وجل يتواقى به يهودي، إلا أنطق الله ذلك الشيء، لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد الله المسلم هذا يهودي فتعال اقتله»[٣] .

جزاؤهم في الآخرة

(٣٦) تعذيب يهود في قبورهم:

اليهود يعذّبون في قبورهم، وليس هذا خاصًّا بهم، وإنما يشترك معهم عصاة المسلمين في ذلك:

● عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ قال: خرج النبي ﷺ، وقد وجبت الشمس فسمع صوتًا، فقال: «يهود تعذّب في قبورها»[٤] .

---

(١) الغرقد: شجيرة ارتفاعها من متر إلى ثلاثة، بيضاء السوق والفروع، تُؤكل أزهارها البيضاء المخضرة المخروطية.

(٢) رواه مسلم.

(٣) جزء من حديث سيأتي تخريجه.

(٤) رواه البخاري في كتاب الجنائز ـ باب التعوذ من عذاب القبر (٣/ ٢٤١) رقم (١٣٧٥)، ومسلم في «صحيحه»، كتاب الجنة باب عرض مقعد الميت، والنسائي في «سننه» (٤/ ١٠٢)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٤١٧، ٤١٩).

● وعن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: إنما مرّ رسول اللَّه ﷺ على يهودية يبكي عليها أهلها، فقال: **«إنهم ليبكون عليها، وإنها لتعذّب في قبرها»**[١] .

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: بينما نبي اللَّه ﷺ في نخل لنا لأبي طلحة، يتبرز لحاجته، قال: وبلال يمشي وراءه يكرم نبي اللَّه ﷺ أن يمشي إلى جنبه، فمر نبي اللَّه ﷺ بقبر فقام حتى لمّ إليه بلال، فقال: **«ويحك يا بلال هل تسمع ما أسمع؟»**، قال: ما أسمع شيئًا، قال: **«صاحب القبر يعذب»**، قال: فسئل عنه، فوُجد يهوديًّا»[٢] .

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا ﷺ يصلي عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه، قال: فقال رسول اللَّه ﷺ : **«لو فعل لأخذته الملائكة عيانًا، ولو أن اليهود تمنّوا الموت، لماتوا ورأوا مقاعدهم في النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول اللَّه ﷺ لرجعوا لا يجدون مالاً ولا ولدًا»**[٣] .

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ في كتاب الجنائز ـ باب قول النبي ﷺ : «يعذب الميت ببكاء أهله عليه..» (٣/ ١٥٢) رقم (١٢٨٩)، ورواه مسلم في «صحيحه» (٢/ ٦٤٣)، والترمذي (٣/ ٣١٩، ٣٢٠) برقم (١٠٠٦)، والنسائي في «سننه» (٤/ ١٧)، وابن ماجه في «سننه» (١/ ٥٠٨) برقم (١٥٩٥).

(٢) رواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١٥١)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٥٦): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٣) **صحيح الإسناد**: رواه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٤٨)، وقد صحح أحمد شاكر إسناده، انظر تعليقه في «المسند» (٤/ ٥١) برقم (٢٢٢٥). وقد رواه أيضًا ابن مردويه كما قال ابن حجر.

(٣٧) تعذيبهم يوم القيامة:

● عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ أن ناسًا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول اللَّه: هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «نعم... ثم ذكر الحديث إلى أن قال: «**إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن: تتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير اللَّه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا ما كان يعبد اللَّه برًّا وفاجرًا وغُبَّرات**[(١)] **أهل الكتاب، فيدعى اليهود، فيُقال لهم: مَن كنتم تعبدون؟ قالوا: نعبد عزير ابن اللَّه، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ اللَّه من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيُشار: ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار، كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا فيتساقطون في النار...**»[(٢)] الحديث.

(٣٨) دخولهم النار وخلودهم فيها:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[(٣)].

---

(١) غُبّرات: بضم الغين وتشديد الباء، جمع غابر، أو جمع غُبّر، وهو جمع غابر فيكون جمع الجمع، وغبر الشيء بقيته، والمراد هنا: من كان يوحد اللَّه منهم «فتح الباري» (١١/ ٤٤٩)، و«النهاية» (٣/ ٣٣٨).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ في كتاب التفسير باب ﴿إن اللَّه لا يظلم مثقال ذرة﴾ (٨/ ٢٤٩، ٢٥٠) رقم (٤٥٨١)، ومسلم في «صحيحه» ـ كتاب الإيمان ـ باب معرفة طريق الرؤية.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» ـ في كتاب الإيمان ـ باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ (١/ ١٣٤)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧١).

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما من أحد يسمع بي من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني، ولا يؤمن بي إلا دخل النار، فجعلت أقول: أين تصديقها في كتاب اللَّه؟ حتى وجدت هذه الآية: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ﴾ [هود: ١٧]، قال: الأحزاب، الملل كلها»[١] .

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، ورجل يحب رجلا لا يحبه إلا للَّه، ورجل أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع يهوديًّا أو نصرانيًّا»[٢] .

* وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠ ـ ٨١].

● وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: لما افتتحت خيبر أهديت للنبي ﷺ شاة فيها سم، فقال النبي ﷺ: «اجمعوا لي من كان هاهنا من يهود فجمعوا له». . . فذكر الحديث، إلى أن قال ﷺ لهم: «من أهل النار؟ قالوا: نكون فيها يسيرًا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي ﷺ:

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٤٢)، وقال: صحيح على شرط الشيخين وسكت عنه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» كتاب الإيمان ـ باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١/ ٦٧)، قريبًا من هذا، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٨٨) بهذا اللفظ، (٣/ ٢٣٠) بلفظ: «يهوديًا نصرانيًّا».

«اخسئوا فيها وواللَّه لا نخلفكم فيها أبدًا»(١) .

وكفر اليهود والنصارى وخلودهم في النار عليه إجماع المسلمين لا يماري في هذا إلا مأفون العقل منكر لمعلوم من الدين بالضرورة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

* نحن واليهود:

(٣٩) تحريم موالاتهم ومحبتهم هم والنصارى:

وسنفرد لهذا فصلاً كاملاً تحت عنوان: «العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون».

* قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥١].

* وقال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة: ٨٢].

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» في كتاب «الجزية والموادعة» (٦/ ٢٧٢) رقم (٣١٦٩)، والدارمي في «المقدمة» (١/ ٣٥، ٣٦) رقم (٧٠).

◻ والذين قالوا إنا نصارى في هذه الآية هم من أسلم من النصارى كالنجاشي كما هو واضح جلي من الآيات بعدها ولا ينازع في هذا إلا من ينكر معلومًا من الدين بالضرورة، هذه عقيدتنا وموقفنا من أعداء ديننا من اليهود والنصارى. . . هذا موقفنا من الغرب: يهوده والنصارى:

الغرب يبكي خيفةً
إذا صنعت لعبةً
من علبة الثقاب
وهو الذي يصنع لي
من جسدي مشنقة
حبالها أعصابي!
والغرب يرتاع إذا
أذعت يومًا، أنه
مزق لي جلبابي
وهو الذي يهيب بي
أن أستحي من أدبي
وأن أذيع فرحتي
ومنتهى إعجابي
إن مارس اغتصابي!
والغرب يلتاع إذا
عبدت ربًّا واحدًا
في هدأة المحراب
وهو الذي يعجن لي
من شعرات ذيله

ومن تراب نعله
ألفًا من الأرباب
ينصبهم فوق ذرا
مزابل الألقاب
لكي أكون عبدهم
وكي أؤدي عندهم
شعائر الذباب
وهو.. وهم
سيضربونني إذا
أعلنت عن أحبابي
وإن ذكرت عندهم
محبة الإسلام والأصحاب(١)
سيصلبونني على
لائحة الإرهاب!
رائعة كل فعال الغرب والأذناب
أما أنا، فإنني
ما دام للعقيدة انتسابي
فكل ما أفعله
نوع من الإرهاب!

❁ ❁ ❁

هأنذا أقولها

---

(١) أصحاب رسول الله ﷺ.

أكتبها . . أرسمها
أطبعها على جبين الغرب
بالقبقاب
نعم . . أنا إرهابي[١] ! .

(٤٠) قتل من سب رسول اللَّه ﷺ :

● عن علي بن أبي طالب ـ رضي اللَّه عنه ـ أن يهودية كانت تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فخنقها رجل حتى ماتت؛ فأبطل رسول اللَّه ﷺ دمها»[٢] .

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي ﷺ وتقع فيه، فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها، فوقع بين رجليها طفل، فلطخت ما هناك بالدم، فلما أصبح ذُكر ذلك لرسول اللَّه ﷺ ، فجمع الناس فقال: «**أنشد اللَّه رجلاً فعل ما فعل لي عليه حق إلا قام**»، فقام الأعمى يتخطى الناس، وهو يتزلزل حتى قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول اللَّه: أنا صاحبها، كانت تشتمك وتقع فيك، فأنهاها فلا تنتهي، وأزجرها فلا تنزجر، ولي منها ابنان مثل اللؤلؤتين، وكانت بي رفيقة، فلما كان البارحة جعلت تشتمك وتقع فيك، فأخذت المغول فوضعته في بطنها، واتكأت عليها حتى قتلتها، فقال النبي: «**ألا فاشهدوا**

---

(١) لأحمد مطر . . مع تعديلات في بعض الأبيات.
(٢) رواه أبو داود في «سننه» في الحدود (٤/ ٥٢٩، ٥٣٠) رقم (٤٣٦٢)، والبيهقي في «سننه» عنه (٧/ ٦٠)، (٩/ ٢٠٠).

أن دمها هدر»[1]

(٤١) إما الإسلام وإما الجزية وإما السيف:

* قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

● عن بريدة الأسلمي ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أمّر أميرًا على جيش أو سريّة، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: **«اغزوا باسم الله في سبيل الله»**، إلى أن قال: **«وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ـ أو خلال ـ فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم...»** إلى أن قال: **«فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم»**[2].

ومقدارها على كل فرد ذكر من أهل الذمة وهو دينار واحد يدفعه كل عام، لا تسقط الجزية أبدًا عنهم ودع عنك قول من قال بسقوطها عن النصارى في كتابه «مواطنون لا ذميون».

وأما اليهود فهم الآن حربيون ما لهم عندنا إلا الإسلام أو السيف

---

(١) رواه أبو داود في «سننه» في الحدود (٤/٥٢٨، ٥٢٩) برقم (٤٣٦١)، والنسائي في «سننه» (٧/١٠٧، ١٠٨)، والدارقطني في «سننه» (٣/١١٢، ١١٣)، والبيهقي في «سننه» (٧/ ٦٠).

والقصتان هما عبارة عن حادثة واحدة، ويمكن أن تكونا قصتين، كما يدل عليه ظاهر الحديثين.

(٢) رواه مسلم في «صحيحه» في الجهاد والسير (٣/١٣٥٧، ١٣٥٨)، والترمذي في «سننه» (٥/٣٣٨) رقم (١٦١٧).

بعد أن قتلوا من المسلمين ما قتلوا وأخذوا أرضهم عنوة. . فلا بد أن تؤخذ أرض المسلمين منهم وتعود إلى أهلها وكما أخذوها عنوة تؤخذ منهم عنوة.

(٤٢) تحريم التشبه باليهود والنصارى:

اللَّهم باعد بيننا وبين يهود كما باعدت بين المشرق والمغرب، ولا تجمع بيننا وبين قوم طالما عاديناهم فيك:

نحن مأمورون شرعًا بأن نخالف صراط المغضوب عليهم والضالين من اليهود والنصارى وأن لا نتشبه بهم في شيء من الأمور الأصلية والفرعية:

* قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

◻ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: ﴿وَلا يَكُونُوا﴾ نهي مطلق عن مشابهتهم، وهو خاص أيضًا في النهي عن مشابهتهم في قسوة قلوبهم، وقسوة القلوب من ثمرات المعاصي»(١).

* وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧].

* وقال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨].

● قال رسول اللَّه ﷺ: «من تشبّه بقوم فهو منهم»(٢).

---

(١) «اقتضاء الصراط المستقيم» لابن تيمية ص(٤٣).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود عن ابن عمر، والطبراني في «الأوسط» عن حذيفة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٠٢٥).

● وعن ابن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«ليس منا من تشبه بغيرنا، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى، فإن تسليم اليهود الإشارة بالأصابع، وتسليم النصارى الإشارة بالأكف»**[١].

◻ نهى عن التشبه في المظهر أو الملبس، ونهى عن التشبه في الحركة أو السلوك، ونهى عن التشبه في القول أو الأدب؛ لأن وراء ذلك كله ذلك الشعور الذي يميز تصورًا عن تصور، ومنهجًا في الحياة عن منهج، وسمة عن سمة.

وهذه المخالفة لهدْي الكافرين تشمل أشياء كثيرة من العبادات والآداب والاجتماعيات والعادات وها نحن نسوقها ليكون المرء على بصيرة.

* ففي الصلاة:

١ ـ عن أبي عُمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار قال: «اهتم النبي ﷺ للصلاة كيف يجمع الناس للصلاة، فقيل له: انصب راية عند حضور الصلاة، فإذا رأوها آذن بعضهم بعضًا، فلم يعجبه ذلك، قال: فذكر له القُنع؛ يعني الشَّبُّور (وفي رواية: شبور اليهود)[٢] فلم يعجبه ذلك، وقال: **«هو من أمر اليهود»**، قال: فذكر له الناقوس، فقال: **«هو من أمر النصارى»**، فانصرف عبد اللَّه بن زيد بن عبد ربه، وهو مهتم لِهَمِّ رسول اللَّه ﷺ، فَأُرِي الأذان في منامه»[٣].

٢ ـ وعن عمرو بن عبسة قال: قلت: يا نبي اللَّه! أخبرني عمّا

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي، والطبراني في «الأوسط»، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٣١٠)، و«السلسلة الصحيحة» (٢١٩٤).

(٢) وهو البوق.

(٣) **صحيح**: رواه أبو داود في «سننه»، وصححه الكثير من الأئمة ـ انظر «صحيح سنن أبي داود» رقم (٥١١).

علّمك اللَّه وأجهله، أخبرني عن الصلاة. قال: «**صل صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاة حين تطلع الشمس حتى ترتفع؛ فإنها تطلع بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار. ثم صلِّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح، ثم أقصر عن الصلاة؛ فإن حينئذ تُسجر جهنم، فإذا أقبل الفيء فصلّ؛ فإن الصلاة مشهودة محضورة، حتى تصلي العصر، ثم أقصر عن الصلاة حين تغرب الشمس؛ فإنها تغرب بين قرني شيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار**»[(١)] .

٣ ـ الاختصاص والتميز في القبلة ـ لتتميز للمسلمين كل خصائص الوراثة: حسيها وشعوريها، وراثة الدين، ووراثة القبلة، ووراثة الفضل من اللَّه جميعًا، لم يكن بُدّ من تمييز المكان الذي يتجه إليه المسلم بالصلاة والعبادة وتخصيصه كي يتميز هو بتصوره ومنهجه واتجاهه، فهذا التميز تلبية للشعور بالتفرد، كما أنه بدوره ينشئ شعورًا بالامتياز والتفرد.

٤ ـ وكما لا يصلي إلى القبلة التي يصلون إليها، كذلك لا يصلي إلى ما يصلون له، بل هذا أشد فسادًا.

● فعن جندب بن عبد اللَّه البجلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «... **ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[(٢)] .

٥ ـ عن شدّاد بن أوس ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصلون في نعالهم، ولا في خفافهم**»[(٣)] .

وهذا أمر منه ﷺ بمخالفة اليهود مطلقًا.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩)، وأبو عوانة (١/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧) في «صحيحيهما».

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧ ـ ٦٨)، وأبو عوانة(١/ ٤٠١) في «صحيحيهما».

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود في «سننه». انظر: «صحيح سنن أبي داود» (٦٥٩).

٦ ـ وعن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا صلى أحدكم في ثوب فليشده على حقوه**[١]**، ولا تشتملوا اشتمال اليهود**»[٢].

٧ ـ وعن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن النبي ﷺ نهى رجلاً وهو جالس معتمد على يده اليسرى في الصلاة، فقال: «**إنها صلاة اليهود**»، وفي رواية: «**لا تجلس هكذا، إنما هذه جلسة الذين يعذبون**»[٣].

* ومن الجنائز:

عن جرير بن عبد اللَّه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**اللحد لنا والشق لأهل الكتاب**»[٤].

* ومن الصوم:

٨ ـ عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يزال الدين ظاهراً ما عجّل الناس الفطر؛ لأن اليهود والنصارى يؤخرون**»[٥].

٩ ـ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «حين صام رسول اللَّه ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا: يا رسول اللَّه! إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**فإذا كان العام المقبل إن**

---

(١) الحقو: هو معقد الإزار.

(٢) **سنده صحيح**: أخرجه البيهقي والطحاوي، وصححه الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٧٢).

(٣) الرواية الأولى للحاكم بإسناد صحيح، والأخرى لأحمد بسند حسن على شرط مسلم.

(٤) أخرجه أحمد، والطحاوي في «مشكل الآثار» وابن سعد، وله شاهد من حديث ابن عباس، قال شيخ الإسلام في «اقتضاء الصراط المستقيم» ص(٣٣): «وهو مروي من طرق فيها لين، لكن يصدق بعضها بعضاً».

(٥) **إسناده حسن**: رواه الترمذي، وأحمد، وأبو داود، والحاكم وابن حبان بإسناد حسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٦٨٩)، و«تخريج المشكاة» رقم (١٩٩٥).

شـاء اللَّه صُمنا اليـوم التاسع»، قال: فلم يأت العـام المقبـل حتى توفي رسول اللَّه ﷺ»[١].

١٠ ـ وعن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ قالت: كان رسول اللَّه ﷺ يصوم يوم السبت ويوم الأحد أكثر مما يصوم من الأيام، ويقول: «**إنهما يوما عيد المشركين، فأنا أحب أن أخالفهم**»[٢].

١١ ـ وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «خرج رسول اللَّه ﷺ على مشيخة من الأنصار بيض لحاهم، فقال: «**يا معشر الأنصار! حمروا وصفروا، وخالفوا أهل الكتاب**»، قال: فقلنا: يا رسول اللَّه! إن أهل الكتاب يتسرولون ولا يأتزرون؟. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**تسرولوا وائتزروا وخالفوا أهل الكتاب**»، فقلنا: يا رسول اللَّه! إن أهل الكتاب يتخففون ولا ينتعلون! قال: «**فتخففوا وانتعلوا وخالفوا أهل الكتاب**». قال: فقلنا: يا رسول اللَّه! إن أهل الكتاب يقصون عثانينهم[٣] ويوفرون سبالهم[٤]، قال: «**قصّوا سبالكم، ووفروا عثانينكم، وخالفوا أهل الكتاب**»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥١)، والبيهقي (٤/ ٢٨٧) وغيرهما.

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٣٢٤)، والحاكم (١/ ٤٣٦) ومن طريقه البيهقي (٤/ ٣٠٣)، وهذا إسناد حسن، وقال الحاكم «صحيح»، ووافقه الذهبي، وصححه أيضًا ابن خزيمة كما في «نيل الأوطار» (٤/ ٢١٤)، ونسبه لابن حبان أيضًا. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٩٨): «رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات، وصححه ابن حبان.

(٣) العثانين: جمع عثنون، وهي: اللحية.

(٤) السبال: جمع سبلة «بالتحريك»، وهي: الشارب.

(٥) **إسناده حسن**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٣١): رواه أحمد، والطبراني ورجال أحمد رجال «الصحيح»، خلا القاسم، وهو ثقة، وفيه كلام لا يضر. وحسّنه الحافظ في «الفتح» (٩/ ٢٩١).

وللحديث شاهد من رواية جابر بن عبد اللَّه عند الطبراني في «الأوسط» قال في آخره: «**وخالفوا أولياء الشيطان بكل ما استطعتم**».

١٢ ـ وعن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال النبي ﷺ: «**إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم**»[(١)].

١٣ ـ وعنه ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**غيّروا الشيب، ولا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى**»[(٢)].

١٤ ـ وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «كان النبي ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه، وكان أهل الكتاب يسدلون أشعارهم، وكان المشركون يفرقون رؤوسهم، فسدل النبي ﷺ، ثم فرق بعد»[(٣)].

فأمر النبي ﷺ استقر أخيرًا على مخالفة أهل الكتاب حتى في الشَّعْر!

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا صار الفرق شعار المسلمين، وكان من الشروط المشروطة على أهل الذمة أن لا يفرقوا شعورهم»[(٤)].

* ومن الآداب والعادات:

١٥ ـ عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ مرفوعًا: «**لا تسلّموا تسليم اليهود؛ فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف والإشارة**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٩١)، ومسلم (٦/ ١٥٥)، وأبو داود (٢/ ١٩٥)، والنسائي (٢/ ٢٧٣)، وابن ماجه (٢/ ٣٨١)، وأحمد (٢/ ٢٤٠، ٢٦٠، ٣٠٩، ٤٠١).

(٢) إسناده حسن: أخرجه أحمد (٢/ ١٦١ و٤٩٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٤٤٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤٧)، (٧/ ٢٢١)، (١٠/ ٢٩٧)، ومسلم (٧/ ٨٣)، وأبو داود (٢/ ١٩٣)، والنسائي (٢/ ٢٩٢)، وابن ماجه (٢/ ٣٨٣)، وأحمد (٢٢٠٩، ٢٣٦٢، ٢٦٠٥، ٢٩٤٤).

(٤) «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم» لابن تيمية ص(٨٢).

(٥) **سنده جيد**: أخرجه النسائي بسند جيد قاله الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٢)، وقد أورده الهيثمي في «المجمع» بنحوه (٨/ ٣٨) ثم قال: «رواه أبو يعلى، والطبراني في «الأوسط» ورجال أبي يعلى رجال «الصحيح»: انظر «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٨٣).

١٦ ـ وعن الشريد بن سويد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «مرّ بي رسول اللَّه ﷺ وأنا جالس هكذا، وقد وضعت يدي اليسرى خلف ظهري، واتكأت على ألية يدي، فقال: «**أتقعد قعدة المغضوب عليهم؟!**»[(١)] .

١٧ ـ وعن سعد بن أبي وقاص ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**نظِّفوا أفنيتكم، ولا تشبهوا باليهود، تجمع الأكباء**[(٢)] **في دورها**»[(٣)] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**طيِّبوا ساحاتكم**[(٤)] ، **فإن أنتن الساحات ساحات اليهود**»[(٥)] .

● عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**بعثت بين يدي الساعة بالسيف، حتى يعبد اللَّه وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصَّغار على من خالف أمري، ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**»[(٦)] .

---

(١) **صحيح على شرط البخاري**: أخرجه أبو داود (٢/ ٢٩٥)، وأحمد (٤/ ٣٨٨)، والحاكم (٤/ ٢٦٩)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٢/ ١٩٨/ ٣٠٥٧)، وصححه الألباني أيضًا في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٦ ـ ١٩٧).

(٢) جمع «كِبى» ـ بالكسر والقصر ـ: الكُناسة..

(٣) **حديث حسن**: أخرجه الدولابي في «الكنى» (٢/ ١٣٧) قال رسول اللَّه ﷺ : «**إن اللَّه نظيف يحب النظافة، جواد يحب الجود، كريم يحب الكرم، طيب يحب الطيب، فنظِّفوا....**»، وأخرجه الترمذي، ويتقوى الطريق الأول بما رواه سعد مرفوعًا بلفظ: «**طهروا أفنيتكم، فإن اليهود لا تنظف أفنيتها**»، أخرجه الطبراني في «الأوسط». وحسّن الحديث الألباني في «جلباب المرأة المسلمة» ص(١٩٧).

(٤) المراد: المتسع أمام الدار.

(٥) **حسن**: رواه الطبراني في «الأوسط» عن سعد، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٤١)، و«الصحيحة» رقم (٢٣٦).

(٦) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (٥١٤، ٥١١٥، ٥٦٦٧)، والخطيب في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٧٣) وابن عساكر، وقد علق البخاري في «صحيحه» (٦/ ٧٥) بعضه، وقال ابن تيمية في «الاقتضاء» ص(٣٩): وهذا إسناد جيد، وقال الحافظ العراقي في «تخريج

فانظر - رحمك اللَّه - إلى التميّز حتى في الأشياء الظاهرة، فلا يشبه الزيّ الزيّ حتى يشبه القلب القلب.

* **يا معشر يهود أسلموا تسلَموا:**

كيف ترضون لأنفسكم بالكفر والخلود في النار والذل يوم القيامة فيكون الواحد منكم فداءً للمسلم من النار؟!

● فعن أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل اللَّه مكانه النار يهوديًّا أو نصرانيًّا**»(١).

● وعن أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال: «**يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بذنوب أمثال الجبال، فيغفرها اللَّه لهم ويضعها على اليهود والنصارى**»(٢).

● وعن أبي موسى الأشعري - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة دفع اللَّه عز وجل إلى كل مسلم يهوديًّا أو نصرانيًّا، فيقول: هذا فكاكك من النار**»(٣).

= الإحياء» (١/ ٣٤٢): «سنده صحيح»، وقال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٢٢٢): سنده حسن.

(١) رواه مسلم في «صحيحه» - كتاب التوبة - باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤/ ٢١١٩)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣٩٨)، وأبو داود الطيالسي في «مسنده».

(٢) رواه مسلم واللفظ له في «صحيحه» - كتاب التوبة (٤/ ٢١٢٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٥٣) فذكره قريبًا من هذا.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه» - كتاب التوبة - (٤٨/ ٢٧٦٧)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤٠٠).

* **يا معشر يهود أسلموا ينجيكم اللَّه من النار ويؤتكم أجركم مرتين ويضاعف لكم الثواب:**

• عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ، فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «**أسلم**»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال: أطِع أبا القاسم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «**الحمد للَّه الذي أنقذه من النار**»[1].

• وعن أبي موسى الأشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**ثلاثة يُؤتون أجرهم مرتين: الرجل تكون له الأمَة فيُعلِّمها فيحسن تعليمها، ويؤدبها فيحسن أدبها، ثم يعتقها فيتزوجها، فله أجران، ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنًا ثم آمن بالنبي ﷺ فله أجران، والعبد الذي يؤدي حق اللَّه وينصح لسيده**»[2].

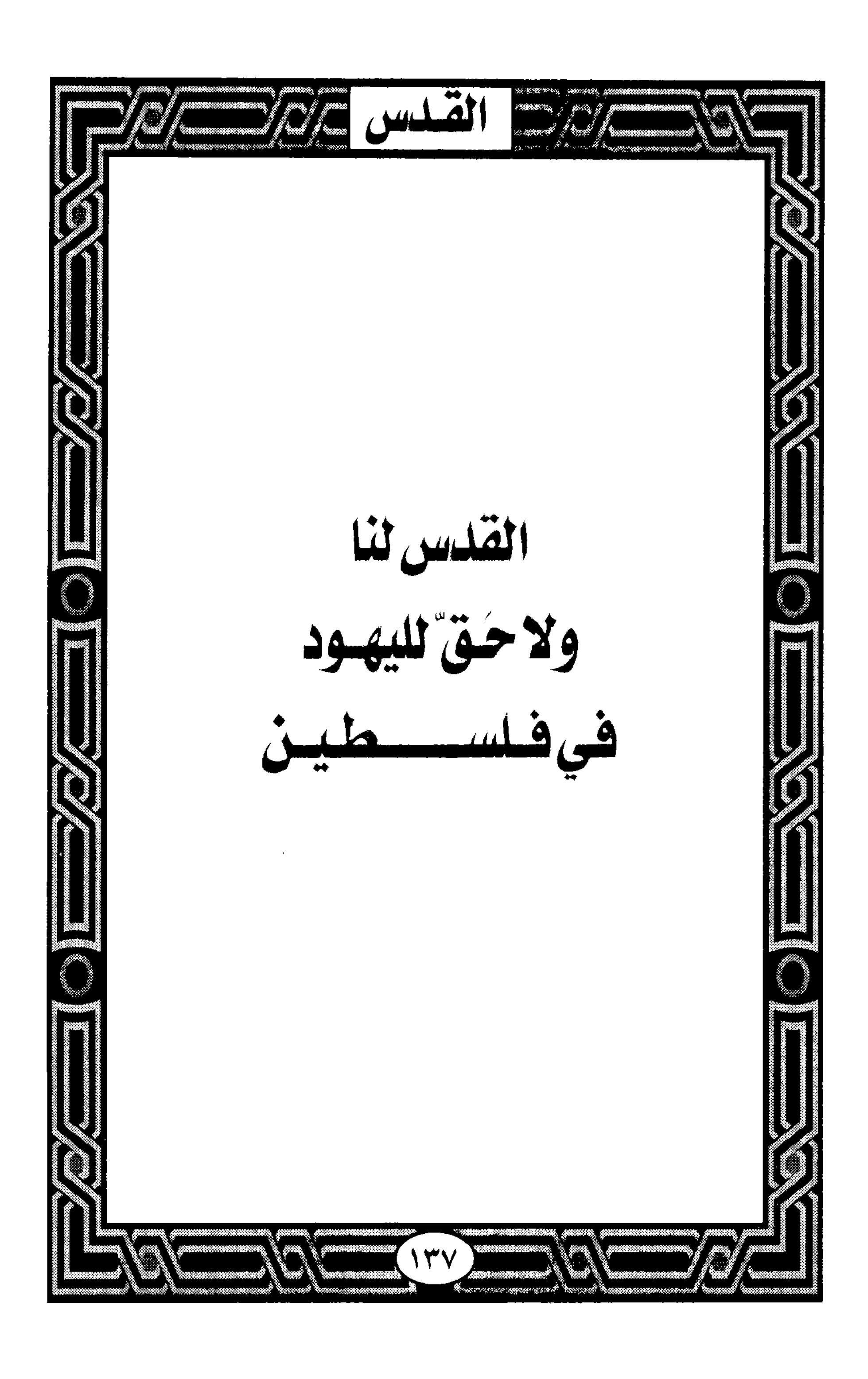
وهذه رفعة ما بعدها رفعة، فأسلموا ما دام في أعماركم فسحة، فإن النفس قد يخرج ولا يعود، وإن العين قد تطرف ولا تطرف الأخرى إلا بين يدي اللَّه عز وجل.

❁ ❁ ❁

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ في الجنائز ـ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (٣/ ٢١٩) برقم (١٣٥٦)، وأبو داود في «سننه» (٤/ ٤٧٤) رقم (٣٠٩٥) قريبًا من هذا، وأحمد في «مسنده» (٣٥/ ٢٨٠).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» ـ كتاب الجهاد باب فضل من أسلم من أهل الكتابين (٦/ ١٤٥، ١٤٦) رقم (٣٠١١)، ومسلم ـ في كتاب الإيمان، والنسائي في النكاح (٦/ ١١٥)، وابن ماجه (١/ ٦٢٩) برقم (١٩٥٦)، والدارمي (٢/ ٧٧، ٧٨)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤١٤)، والبيهقي في «سننه» (٧/ ١٢٨) جميعهم بهذا اللفظ.



القدس لنا
ولا حَقّ لليهود
في فلسطين



فلسطين كل فلسطين لنا يا أبناء الحيات والأفاعي

▫ نقول لليهود:

نقول لهم مثلما قال أشعياء: «تسمعون سمعًا ولا تفهمون. مبصرين تبصرون ولا تنظرون؛ لأن قلب هذا الشعب قد غلظ. وآذانهم قد ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم، ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم» [متى ١٣: ١٤ ـ ١٥].

أطلقها أشعيا النبي قبل سبعة قرون من مولد المسيح عليه السلام الذي رددها ليهود عصره، فجعلوا أصابعهم في آذانهم وأصرّوا واستكبروا استكبارًا.

▫ ماذا يقول الدجاجلة من يهود:

▫ يقول «وايزمان» لرئيس وزراء بريطانيا:

«لو أن موسى نفسه جاء يدعو اليهود لغير فلسطين ما تبعه أحد».

▫ ويقول شامير: «إن الإرهاب الذي كنت أمارسه كان له هدف سامي، وهو التمكين لوطني وعقيدتي، أما الفلسطينيون فكان هدفهم ليس عادلاً، إنهم يقاتلون من أجل أرض ليست لهم.. أرض شعب إسرائيل».

▫ ويقول الدّجال الكذاب الأشر إسحاق شامير رئيس وزراء إسرائيل السابق ورئيس الوفد الإسرائيلي في مدريد يوم ٣١ أكتوبر ١٩٩١م: «خلال ألفي عام من الترحال حطّ الشعب ها هنا لمئات السنين حتى طرد من هذه الأراضي (أسبانيا) قبل خمسمائة سنة. وفي ختامها عبر الشاعر والفيلسوف الكبير يهودا هاليفي عاليزي عن شوق جميع اليهود إلى صهيون فقال: «إن قلبي في الشرق وأنا في أقصى أرجاء الأرض».

يجب أو يتعيّن على الواحد منا أن ينظر اليوم إلى السيادة اليهودية على أرض إسرائيل على خلفية تاريخية لإدراك معنى السلام بالنسبة للشعب في إسرائيل. لقد تمت ملاحقة اليهود عبر التاريخ في كل القارات تقريبًا، في بعض البلدان تقبّل الأهالي اليهود بصعوبة، وفي بلدان أخرى تعرّض اليهود للاضطهاد والتعذيب والذبح.. وشهد هذا القرن خطة إبادة نُفذت على أيدي النظام النازي.. أمكن تنفيذها؛ لأن أحدًا لم يدافع عنا، فقد كنا بدون وطن، وكذلك بدون حماية.. وفي الواقع فقد جاءت ولادة إسرائيل من جديد بعد وقت قصير جدًّا من الكارثة، جعلت العالم ينسى مطالبنا القديمة، وأننا الشعب الوحيد في أرض إسرائيل بدون توقف، أو الذي ظلّ في أراضي إسرائيل بدون توقف خلال حوالي أربعة آلاف سنة. فنحن الشعب الوحيد باستثناء فترة المملكة الصليبية القصيرة. الآن رجعت له سيادة مستقلة في هذه الأرض.. ولم يعبر شعب عن علاقته بأرضه بصورة ثابتة ومتواصلة مثلنا، فعلى مدى آلاف السنين قال شعبنا في كل فرصة على أثر شاعر المزامير «لن أنساك يا أورشليم»، وعلى مدى آلاف السنين تمنينا لبعضنا البعض أن نكون في أورشليم في السنة القادمة».

وعلى مدى آلاف السنين عبّرت صلواتنا وأدبنا عن الشوق العميق للعودة إلى بلادنا، فأرض إسرائيل هي وطننا الحقيقي. وكل دولة أخرى مهما كانت سخية فهي ليست سوى مهجر ومحطة مؤقتة في طريقنا إلى ديارنا.. وقد عبّرت الحركة الصهيونية سياسيًّا عن مطالبتنا بأرض إسرائيل.. وفي عام ١٩٢٢م اعترفت عصبة الأمم بأحقية مطلبنا، وأدركت المنطق التاريخي المقنع لإقامة وطن قومي يهودي في أرض إسرائيل. وأقرت الأمم المتحدة هذا الاعتراف من جديد بعد الحرب

العالمية الثانية.. إن الأمم المتحدة لم تخلق إسرائيل. لقد قامت الدولة اليهودية وتكوّنت لأن الطائفة اليهودية الصغيرة التي كانت تقيم في أرض إسرائيل تحت الانتداب ثارت على الحكم الأجنبي الإمبريالي.

لقد جلب العداء العربي الإسرائيلي أيضًا معاناة إنسانية، وشجع زعماء العرب على فلسطين تحت الانتداب مئات الألوف من السكان على الهرب من بيوتهم، ومعاناة هؤلاء هي وصمة على جبين الإنسانية!»[1].

يزعم اليهود أن لهم حقًّا في فلسطين والقدس، وما أقذر تبجحهم هذا؛ فإن الدعاوى يحتج لها ولا يحتج بها، فلا سند لهم من التاريخ أو التوراة أو الدين.

ففلسطين والقدس إسلامية عربية، أما دعاوى اليهود فدخان في هواء.

◘ نقول لمزوري التاريخ ومخترعي الأساطير من يهود.. تذكروا ما كتب تيودور هرتزل في مذكراته عن المؤتمر الصهيوني العالمي في بازل بسويسرا عام ١٨٧٩م: «إذا أردت تلخيص نتائج المؤتمر في كلمة أحتفظ بها سرية غير قابلة للنشر، فإنها تكون هكذا: في بازل أُسست الدولة اليهودية».

◘ نقول لليهود: لماذا لم يظهر هذا الحق طوال القرون الماضية؟ بل لماذا لم يظهر في أول الأمر عند ظهور الصهيونية السياسية المنظمة على يد (هرتزل)؟ فمن المعروف أن فلسطين لم تكن هي المرشحة لتكون الوطن

(١) «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٨ ـ ٩) ـ مكتبة التراث الإسلامي.

القومي لليهود. بل رشحت عدة أقطار في أفريقيا وأمريكا الشمالية كذلك، ولم تظهر فكرة فلسطين ـ باعتبارها أرض الميعاد ـ إلا بعد فترة من الزمن.

لقد حاول هرتزل الحصول على مكان في (موزمبيق) ثم في (الكنغو) البلجيكي. كذلك كان زملاؤه في إنشاء الحركة الصهيونية السياسية، فقد كان (ماكس نوردو) يلقب بالإفريقي، و(حاييم وايزمان) بالأوغندي، كما رشحت (الأرجنتين) عام ١٨٩٧م و(قبرص) عام ١٩٠١م، و(سيناء) في ١٩٠٢م ثم (أوغندا) مرة أخرى في ١٩٠٣م بناء على اقتراح الحكومة البريطانية. وأصيب هرتزل بخيبة أمل كبيرة؛ لأن اليهود في العالم لم ترق لهم فكرة دولة يهودية سياسية، سواء لأسباب أيديولوجية، أو لأنهم كانوا عديمي الرغبة في النزوح عن البلاد التي استقروا فيها. بل إن مؤتمر الحاخامات الذي عقد في مدينة فيلادلفيا في أمريكا في أواخر القرن التاسع عشر أصدر بيانًا يقول: إن الرسالة الروحية التي يحملها اليهود تتنافى مع إقامة وحدة سياسية يهودية منفصلة!.

وإزاء هذا الموقف، فكر (هرتزل) في طريقة يواجه بها هذا الوضع، وهداه تفكيره إلى أن يحول الموضوع إلى قضية دينية يلهب بها عواطف جماهير اليهود.. ورأى أن فلسطين هي المكان الوحيد الذي يناسب هذه الدعوة الجديدة، ولليهود بفلسطين علائق تاريخية، ولهم فيها مقدسات دينية، وارتفعت راية الدين على سارية المشروع والتهبت العواطف، وانتصر رأي (هرتزل)، وإن يكن بعد وفاته، فقد احتضن المؤتمر اليهودي العالمي فكرة الوطن اليهودي في فلسطين عام ١٩٠٥م، بعد موته بسنة.

* إبطال مزاعم إسرائيل التاريخية في فلسطين:

أولاً: فلسطين عربية منذ فجر التاريخ حتى اليوم:

يقول ساباتينو موسكاتي، الأستاذ بجامعة روما، في كتابه «الساميون في التاريخ القديم»: «إذا أخذنا بالتعريف الحديث لكلمة الشعب، لوجدنا أنه مجموعة من الناس قد تتكون من عناصر وأجناس مختلفة لكنها تتجانس فيما بينها وتكون شخصية لها خصائصها المميزة بسبب الموقع الجغرافي واللغة والعوامل التاريخية والثقافية.

فإذا طبقنا هذا المقياس ـ للشعب ـ على الشعوب المتكلمة باللغات السامية فإنا نجد أن العامل الأول وهو الموقع الجغرافي قد تحقق فعلاً، حيث سكنت هذه الشعوب منطقة سامية واحدة وهي شبة الجزيرة العربية ومناطق على هيئة أنصاف دوائر (أَهِلَّة) تحدها من الشمال (وادي الرافدين وسوريا)، ذلك أن مجموعات الشعوب التي سكنت هذه المنطقة موزعة حسب مناطق إقامتها كالآتي:

البابليون والأشوريون في بلاد الرافدين، والأراميون والعبريون وغيرهم في سوريا، ثم العرب في شبه الجزيرة العربية. هذا مع العلم بأن الأحباش في أثيوبيا يعتبرون نتيجة لإحدى الهجرات إليها من شاطئ الجنوب العربي.

وبالنسبة للعامل الثاني وهو اللغة، فرغم تعدد اللهجات السامية إلا أنها جميعًا متقاربة بدرجة كبيرة. وإذا نظرنا إلى الحركة التاريخية لشعوب هذه المنطقة وعلاقتها ببعضها، أي إلى العامل الثالث، نجد أنها تسير في اتجاه واحد يتكرر على مر العصور، وهو حركة هجرة من قلب شبه الجزيرة العربية إلى المناطق المجاورة..

وعلى ذلك يمكننا تعريف الساميين **بأنهم سكان شبه الجزيرة العربية في أول عصور التاريخ، وقد عاشوا في تجانس لغوي واجتماعي وعنصري**».

هذا وتعرف فلسطين في الأسفار الإسرائيلية باسم أرض كنعان حفيد نوح: «وهذه مواليد نوح: سام وحام ويافث.. وبنو حام، كونن ومصرايم وفوط وكنعان.. وكنعان ولد صيدون بكره، وحثا واليبوس والأموري والجرجاشي والحويّ» [تكوين ١٠: ١ ـ ١٨].

فاليبوسيون هم أبناء كنعان الساكنون في أرضهم ـ فلسطين ـ منذ فجر التاريخ وكان موطنهم مدينة يبوس وما حولها، والتي يقول عنها سفر يشوع: «هي أورشليم ـ ١٨: ٢٨»، وحتى نهاية ما يعرف في التاريخ الإسرائيلي باسم: عصر القضاة (من ١٢٠٠ ق.م إلى ١٠٢٠ ق.م، والذي يعاصر الأسرة رقم ٢٠ في التاريخ الفرعوني، لم يكن في مدينة يبوس مواطن إسرائيلي واحد على الإطلاق. فنحن نقرأ في سفر القضاة: «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل.. وفيما هم عند يبوس قال الغلام لسيده: تعالى نمل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها.. فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل» [١٩: ١١ ـ ١٣].

فاليبوسيون ـ وغيرهم ـ خرجوا من شبه الجزيرة العربية واستوطنوا أرض فلسطين من قبل أن يظهر العبريون في التاريخ بعشرات القرون. وكانت العاصمة هي يبوس، التي دعاها الإسرائيليون فيما بعد: أورشليم»[١].

---

(١) «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» للواء أحمد عبد الوهاب ص(١٠٥ ـ ١٠٧) ـ مكتبة التراث الإسلامي.

□ فاليبوسيون هم أول من بنى القدس، وذلك من نحو ثلاثين قرنًا قبل الميلاد. وكانت تسمى «أورشالم» أو مدينة «شالم».

فالعرب الكنعانيون هم أول من سكن فلسطين عامة، إلى أن جاءهم إبراهيم عليه السلام مهاجراً من موطنه الأصلي بالعراق، غريبًا، وقد دخل فلسطين هو وزوجه سارة، وعمره ـ كما تقول أسفار العهد القديم ـ ٧٥ سنة.

ولما بلغ (١٠٠) سنة ولد له إسحاق[١]، ومات إبراهيم وعمره (١٧٥) سنة، ولم يمتلك شبرًا من فلسطين، حتى إن زوجه سارة لما ماتت طلب من الفلسطينيين لها قبرًا[٢] تدفن فيه.

ولما بلغ إسحاق (٦٠) سنة ولد له يعقوب، ومات إسحاق وعمره (١٨٠) سنة، ولم يملك شبرًا أيضًا منها.

ارتحل يعقوب بذريته بعد أبيه إلى مصر، ومات بها وعمره (١٤٧) سنة، وكان عدد بنيه وأولادهم (٧٠) نفسًا لما دخلها، وكان عمره (١٣٠) سنة[٣].

ومعنى هذا أن المدة التي عاشها إبراهيم وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب في فلسطين: (٢٣٠) سنة، وقد كانوا فيها غرباء لا يملكون من أرضها ذراعًا ولا شبرًا.

وتقول التوراة: إن المدة التي عاشها بنو إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى: (٤٣٠) سنة[٤]، كانوا أيضًا غرباء لا يملكون شيئًا، كما تقول

---

(١) سفر التكوين: ف١٢.
(٢) سفر التكوين: ف١٣.
(٣) سفر التكوين: ف٤٦.
(٤) سفر التكوين: ف١٥.

التوراة: إن المدة التي عاشها موسى وبنو إسرائيل في التيه بسيناء: (٤٠) سنة، أي أن العهد الذي صدر إليهم من اللَّه مضى عليه حينذاك (٧٠٠) سبعمائة سنة، وهم لا يملكون في فلسطين شيئًا فلماذا لم يحقق اللَّه تعالى وعده لهم؟!

ومات موسى عليه السلام ولم يدخل أرض فلسطين، إنما دخل شرقي الأردن ومات بها[1]، والذي دخلها بعده: يشوع (يوشع)، ومات بعد ما أباد أهلها (كما تقول التوراة). وقسم الأرض على أسباط بني إسرائيل، ولم يقم لبني إسرائيل ملك ولا مملكة، وإنما قام بعده قضاة حكموهم (٢٠٠) سنة، ثم جاء بعد القضاة حكم الملوك: شاؤول وداود وسليمان، فحكموا (١٠٠) سنة بل أقل، وهذه هي مدة دولتهم، والفترة الذهبية لهم. وبعد سليمان انقسمت مملكته بين أولاده: يهوذا في أورشليم، وإسرائيل في شكيم (نابلس)، وكانت الحرب بينهما ضروسًا لا تتوقف، حتى جاء الغزو البابلي فمحقهما محقًا، دمر الهيكل وأورشليم، وأحرق التوراة، وسبى كل من بقي منهم حيًّا، كما هو معلوم من التاريخ.

ويعلق على ذلك الشيخ عبد المعز عبد الستار في كتابه «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» قائلاً:

فلو جمعت كل السنوات التي عاشوها في فلسطين غزاة مخربين، ما بلغت المدة التي قضاها الإنجليز في الهند أو الهولنديون في أندونيسيا! فلو كان لمثل هذه المدة حق تاريخي لكان للإنجليز والهولنديين أن يطالبوا به مثلهم!

---

(١) «سفر الخروج»: التثنية: ف٣.

ولو كانت الأرض تملك بطول الإقامة في زمن الغربة لكن الأولى بهم أن يطالبوا بملكية مصر التي عاشوا فيها (٤٣٠) سنة بدل فلسطين التي عاش فيها إبراهيم وأولاده (٢٠٠) سنة أو تزيد قليلاً، ودخلوها شخصين وخرجوا (٧٠) نفسًا!.

إن الحق الذي يدّعونه ـ كما يقول الشيخ عبد المعز ـ خرافة وصلافة، فهم لم يقيموا في فلسطين إلا غرباء، كما تصرح بذلك أسفارهم، فهل للغريب أو عابر السبيل أن يدّعي ملكية الأرض التي أقلّته، أو الشجرة التي أظلته؛ لأنه قال تحتها ساعة من نهار؟! على أنهم لم يقيموا بها آمنين عاملين مستثمرين، وإنما أقاموا في سلسلة متصلة من الغارات الدامية، والحروب الدائرة التي لم تتوقف فيما بينهم بعضهم وبعض «يهوذا وإسرائيل»، وفيما بينهم وبين الفلسطينيين على أنهم لم يكادوا ينفكون من الغزو البابلي، حتى جاءهم الغزو الروماني فأباد خضراءهم ومزقهم كل ممزق، ثم جاء الفتح الإسلامي وهم مشردون في الأرض، محرم عليهم أن يقيموا في أورشليم، حتى إن البطريك صفرنيوس بطريرك القدس شرط على أمير المؤمنين عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ وهو يسلمه مفاتيح القدس: ألا يسمح لليهود بدخول إيليا أو الإقامة فيها.

لقد دخلها العرب وهي خالية من اليهود، بعد ما طردهم الرومان، وأسلم أهلها، وبقي العرب فيها أكثر من ألف وأربعمائة عام، أفلا يكون لهم حق تاريخي[1].

---

(١) انظر: «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» للشيخ عبد المعز عبد الستار ص(١٧ ـ ٢١)، وكتاب «هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين العربية؟» لمحمد أحمد أبو فارس ـ بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع، وكتاب «القدس قضية كل مسلم» للدكتور يوسف القرضاوي ص(٤٧ ـ ٥٤).

* **مناقشة هادئة:**

ونضيف إلى هذه الحقائق مناقشة هادئة نتمم بها إبطال دعوى الحق التاريخي التي زعم بها اليهود أن فلسطين كلها كانت أرض الآباء والأجداد.

□ يقول مؤلف «تاريخ اليهود»: «والذي لا شك فيه أن داود ـ الذي يقال: إن مملكة إسرائيل وصلت في عهده إلى أقصى درجات اتساعها ـ لم يتمكن من فرض سيطرته، لا على المنطقة بين النيل والفرات، ولا على أرض كنعان وحدها، ولا حتى على منطقة شرق فلسطين الجبلية، وعلى ذلك فإن الأدلة التاريخية تؤكد أن أكبر رقعة استطاعت إسرائيل السيطرة عليها في أي وقت من الأوقات لم تكن في العصور القديمة، وإنما في العصر الحديث، عند احتلالها مجمل أرض فلسطين ومرتفعات الجولان، وجنوب لبنان وأرض سيناء، وكان ذلك للمرة الأولى عام (١٩٦٧م).

فلم يكن لبني إسرائيل وجود ـ أيام داود ـ لا في أي موقع بالساحل الفلسطيني، ولا في الجليل بشمال فلسطين، بخلاف موقع صغير عند تل القاضي، ولا في صحراء النقب في الجنوب، وكان وجودهم عندئذ منحصراً في بعض المواقع الجبلية في المنطقة الممتدة من دان «تل القاضي» في الشمال إلى «بئر سبع» في الجنوب.

□ لقد انقسمت مملكة إسرائيل التي أنشأها داود ـ عليه السلام ـ ثم انقسمت من بعده إلى يهوذا، وإسرائيل وقد حكم في أورشليم من بعد سليمان عشرون ملكًا حتى ابتداء السبي البابلي، وذلك في الفترة من عام (٩٣٠) ق.م، «وفاة سليمان» حتى عام (٥٨٦) ق.م.

أما المملكة الشمالية، التي كان اسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم (نابلس)، فقد حكمها الابن الثاني لسليمان الحكيم، أي عام (٩٣٠ق.م) وانتهى وجودها سريعًا. ففي عام (٧٢٢ق.م) أغار عليها سرجون الثاني ملك بابل، ودمر وجودها، ونقل جميع أهلها إلى شرق الفرات، وأحل محلهم سكانًا جددًا من أبناء الرافدين. وكان عدد ملوك إسرائيل هذه تسعة عشر ملكًا، عاشوا في شغب، ومخالفات خائبة مع الوثنيين لمهاجمة أبناء عمومتهم في أورشليم.

وإذا حسبنا عمر هاتين الدولتين، تكون أورشليم (يهوذا) قد عمرت (٤٣٤) سنة بما فيها ملك شاول وداود وسليمان ـ عليهما السلام ـ (وإسرائيل) عمرت (٢٩٨) سنة فقط، منذ عهد شاول (١٠٢٠ق.م).

وكما نرى فإن سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ستة قرون، وبعد خمسة وعشرين قرنًا وبعض قرن، يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السحيق مرة أخرى، ويا له من تاريخ، ويا لها من عودة!.

«إن المملكة الصغيرة التي أقامها الإسرائيليون في أجزاء من فلسطين ـ والتي لم تضم إليها في يوم من الأيام حتى في عهد سليمان الذي كان يمثّل قمة التواجد الإسرائيلي في فلسطين ـ لم تضم السهل الساحلي الممتد حول غزة وعسقلون واشدود ويافا، ولم تستطع أن تطرد الشعب العربي بقبائله التي بقيت مقيمة في أراضيها، بعد أن عجزت كل محاولات الإسرائيليين لاستئصالهم منها.

فعلى عهد سليمان تقول الأسفار: «جميع الشعب الباقين من الأمورين والحثيين والفرزين واليبوسيين، الذين ليسوا من بني إسرائيل.

أبناؤهم الذين بقوا من بعدهم في الأرض، الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحرموهم، جعل عليهم سليمان تسخير عبيد ـ (الملوك الأول ٩ : ٢٠ ـ ٢١).

هذه المملكة سرعان ما بدأت في التمزق والانهيار، ولمّا تعمر أكثر من بعض عشرات من السنين، وحق لها أن تُعرف باسم: مملكة الدماء والفساد»[١].

◻ لقد كانت المملكة التي أقامها داود عليه السلام قصيرة العمر، فقد انقسمت بمجرد موت سليمان عليه السلام إلى قسمين: أحدهما المملكة الجنوبية أو مملكة يهوذا، وقد اتخذت أورشليم التي استولى عليها داود من اليبوسيين، عاصمة لها. وانتسب إليها اليهود فيما بعد.

◻ أما الثانية فهي مملكة إسرائيل أو المملكة الشمالية، وقد صارت السامرة عاصمة لها، وانتسب إليها السامريون.

وكانت الولايتان الصغيرتان غالبًا في عداء مستمر.

◻ عاشت مملكة إسرائيل نحو قرنين من الزمان، وقد ضمت عشرة أسباط، وكانت أكثر عددًا من أختها مملكة يهوذا أو مملكة الجنوب إلى أن قضى عليها الأشوريين عام ٧٢٢ق.م. وقد اقتلعوا شعبها وحملوه معهم في سبي كبير ثم ذرّوه بين شعوب الإمبراطورية الأشورية. ولم يعرف لهم أثر حتى اليوم، ولم تبق لهم إلا تسمية هي تسمية الأسباط العشرة المفقودين.

◻ لقد استطاعت مملكة الجنوب التي ضمّت سبطي يهوذا وبنيامين أن تقاوم عوامل الفناء بعد أختها مملكة الشمال نحو مائة وثلاثين عامًا إلى أن قضى عليها الكلدانيون عام ٥٨٧ق.م. وأخذوا شعبها سبايا إلى

(١) «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٨٢ ـ ٨٣).

أرض بابل.

* **مملكتا كفر وفساد:**

لقد ارتدت المملكتان عن التوحيد إلى الوثنية وما صاحب ذلك من فساد وانحلال منذ اليوم الأول.

◻ وها هو يربعام ـ الذي كان عبداً لسليمان ـ يستغل رغبة الإسرائيليين الدفينة في عبادة العجول الذهبية ـ كما تقول أسفارهم فأقام لشعبه في مملكة الشمال «عجلي ذهب وقال لهم: هو ذا آلهتك يا إسرائيل..

والزمان الذي ملك فيه يربعام اثنتان وعشرون سنة [الملوك الأول ١٢: ١٤ ـ ٢٠].

وكذلك ضلت مملكة الجنوب التي ولي عليها رحبعام بن سليمان منذ اليوم الأول [انظر الملوك: ١٤: ٢١ ـ ٢٤]، [أخبار الأيام الثاني ٣٦: ١٤ ـ ٢٠].

كان الكفر والوثنية هو طابع مملكة الجنوب طيلة عهود ملوكها: أبيام، واخزيا، يهورام، وعثليا، امصيا، وعزريا، ويوثام، وآحاز، ومنسى، وآمون، ويهو آحاز، ويهو ياقيم، ويهو ياكين، وصدقيا.

◻ لقد كان المجتمع اليهودي في أعوامه القليلة في فلسطين مجتمعًا رعائيًّا أخذ من طبائع المدن الآسيوية الهرمة وعيوبها وخرافاتها.

* **والحق أبلج لو يبغون رؤيته:**

◻ «في مناظرة أقيمت يوم ٣١ يناير ١٩٦١م بقاعة هيلل بمونتريال في كندا بين المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي وبين السفير الإسرائيلي في كندا ياكوف هرتزوج.. ردّد السفير الإسرائيلي نفس المزاعم التي يرددها الإسرائيليون صباح مساء عما يسمونه بالحقوق

التاريخية في فلسطين، فقال موجهًا حديثه لتوينبي:

«ولكن يا سيدي الأستاذ لنعد إلى مسألة الارتباطات التاريخية التي كنت أشير إليها. لقد ردّدت الصحف قولك: أن ليس لإسرائيل حق تاريخي ـ فهل أورد بعض حقائق تتعلق بهذا الأمر:

أولاً: أن الإقامة اليهودية في أرض إسرائيل لم تنقطع طوال التاريخ بل كانت إقامة متصلة.

الأمر الثاني: أن العودة لإسرائيل أمر جوهري في عقيدتنا الدينية وفي صلواتنا وأعيادنا، وفي كل وجه من وجوه آمالنا القومية».

* **الرّد:**

إن هذين الزعْمين يمكن إبطالهما بسهولة؛ فبالنسبة للإقامة في أرض فلسطين نجد أن التاريخ في صف العرب، فهم السكان الأصليون منذ آلاف السنين، ومن قبل أن يولد إسرائيل وبنيه، وهم السكّان الذين استمروا فيها آلاف السنين بعد مولد إسرائيل إلى اليوم. ولم يحدث لهم ما حدث للإسرائيليين من سبي وضياع بين الشعوب وتحريم إقامة في فلسطين وفي عاصمتها القدس بالذات:

◻ وقال الأستاذ توينبي في رده على السفير الإسرائيلي: هناك شيء في القانون، بل أعتقد في كل أشكال القانون يقول بسقوط الحق نتيجة التقادم.

◻ فإذا أخذنا مثلاً عام ١٣٥ الميلادي باعتباره التاريخ الذي قام فيه الرومان بطرد الجانب الأكبر من سكان فلسطين اليهود ـ فإذا أخذنا هذا التاريخ وقلنا أن سقوط الحق لا ينطبق حتى على هؤلاء الذين غادروا البلاد في ذلك التاريخ، ماذا يحدث بالنسبة لمدينة كمونتريال؟ لقد كان هنود الألجونكوين يسكنونها منذ ثلاثمائة أو أربعمائة سنة على الأكثر،

فهل يقال كذلك بضرورة عودة مونتريال إليهم، وبعودة إنجلترا لأهل ويلز؟

مستر هر تزوج: نعم.

بروفيسور توينبي: أحقًّا؟! إذن فعليك أن ترحّل خمسين مليونًا من الإنجليز (سكان إنجلترا) وتجعل منهم لاجئين!»[١].

* **تنبيه هام:**

لم يسكن أحد من الإسرائيليين مدينة يبوس (القدس/ أورشليم) إلا بعد موسى بأكثر من ٣٠٠ سنة.

ومن الطبيعي أن تكون التوراة قد خلت من كل حديث عن أورشليم (القدس) تصريحًا أو تلميحًا. فلا علاقة لمن يعتنق اليهودية قديمًا أو حديثًا بطقوس في القدس.

* حائط المبكى ملك للمسلمين والمسجد الأقصى ليس على أنقاض هيكل سليمان:

جاء في تقرير اللجنة الدولية المقدم إلى عصبة الأمم عن حائط المبكى (٣٠ مترًا) في ديسمبر ١٩٣٠م[٢].

«إن المسألة التي نبحث فيها الآن تدور حول ملك ما زال في

(١) «رسالة من التوراة إلى مؤتمر السلام» ص(١٠٨ - ١١٠).

(٢) هي لجنة دولية برئاسة وزير خارجية السويد وعضوين أحدهما هولندي والآخر سويسري نشرت تقريرها في ديسمبر ١٩٣٠م، وقد وافقت الجمعية العمومية لعصبة الأمم، وحكومة بريطانية - الدول المنتدبة على فلسطين - على قرارات هذه اللجنة. وصدر أمر الملك جورج الخامس بتنفيذها. وصدر عدد خاص من الجريدة الرسمية بتنفيذ ذلك اعتبارًا من يوم ٨ يونيو ١٩٣١م.

تصرف المسلمين منذ قرون عديدة. فالبراق جزء من الحرم الشريف، وليس فيه حجر يعود إلى عهد الملك سليمان والممر الكائن عند الحائط ليس طريقًا عامًّا، لكنه أنشئ فقط لمرور سكان محل المغاربة وغيرهم من المسلمين في ذهابهم إلى مسجد البراق، ومن وإلى الحرم الشريف، وبالتالي فهذه المحلة إسلامية بحتة، وبما إنه ليس لليهود حقوق في ذلك المكان، فإن وجودهم عند الحائط في أيام معلومة لا يعني سوى أنه من قبيل التسامح الذي أبداه نحوهم المسلمون، والذي يفوق ما أبداه المسيحيون لهم، ولذا فلا يستطيع اليهود أن يستعملوا هذا التسامح كوسيلة لتقديم مطالب بحقوق مطلقة كما يحاولون أن يفعلوا الآن.

إن قدسية الحائط الغربي الذي هو جزء من الحرم الشريف لا ينازع فيه منازع.

وقد ورد ذكر إسراء النبي ﷺ إلى القدس في القرآن الكريم على الوجه الآتي: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾ [الإسراء: ١]، إن هذه الأمور توضح صريحًا القدسية الخاصة التي للحرم الشريف والمباني التابعة له في نظر المسلمين في جميع أقطار العالم. أما تقديس الحائط والرصيف فإنه آت من أنه محل البراق، نزل فيه النبي ﷺ ومر به ثم ربط براقه في الحائط نفسه ليلة الإسراء، وبناء على تقديس المسلمين لهذا المحل وقف أصحاب الأملاك المجاورة أملاكهم.

على اللجنة أن تصدر قرارًا بشأن مطالب وادعاءات اليهود، ومع أن اليهود لا يدعون ملكية الحائط ولا ملكية الرصيف الكائن أمامه (خطاب وكلاء فريق اليهود الختامي ـ مختصر اللجنة ص ٩٠٨) فقد رأت اللجنة

أن من واجبها التحقيق في مسألة الملكية من الوجهة القانونية.

فاللجنة تصرح في هذا المقام استناداً إلى التحقيق الذي أجرته بأن حق ملكية الحائط وحق التصرف به وما جاوره من الأماكن المبحوث عنها في هذا التقرير عائد للمسلمين ذلك إن الحائط نفسه ملك المسلمين لكونه جزءاً لا يتجزأ من الحرم الشريف» اهـ.

فمحل البراق ليس لليهود ولا لأحد فيه حق بل من أوقاف المسلمين «وقف أبي مدين الغوث» بحارة المغاربة.

وقال الدكتور جمال حمدان في كتابه «فلسطين أولاً»:

«فأولاً وأصلاً ليست فلسطين «وطنًا تاريخيًّا» لليهود، ضيعوه، ولكن لم ينسوه كما يزعمون؛ لأن وجودهم فيها انقطع كلية منذ ٢٠٠٠ سنة، وقبل ذلك لم يدم إلا فترة قصيرة للغاية أغلبها انقضى في الواقع منذ نحو ٤٠٠٠ سنة، وقبل ذلك جميعًا لم تكن فلسطين وطن اليهود الأصلي بل كانوا دخلاء عليه غزاة. فلا هو إذن وطن أصلي ولا هو وطن تاريخي، لا هو وطن أب أو أم ولا هو وطن بالتبني. هو فقط وبالتحديد احتلال عابر، كاحتلال إنجلترا لأجزاء من غرب فرنسا بضعة قرون في العصور الوسطى ثم طردها منها. فالقول اليوم بعلاقة بين اليهود وفلسطين هو ادعاء تاريخي خاطئ ولا أساس له من العلم»[1].

* إحصائية دقيقة بعدد اليهود في فلسطين والقدس:

١ ـ سنة ٦٣٦م يوم فتح المسلمون القدس، لم يوجد يهوديٌّ واحد.

---

(١) «فلسطين أولاً» لجمال حمدان ص(٢٠٣) ـ مكتبة مدبولي.

٢ ـ في عام ١١٧٠ ـ ١١٧١م زار بنيامين تدولا، الإسباني فلسطين وذكر أنَّ فيها (٢٠٠) يهودي.

٣ ـ وفي القرن المذكور، (١١٧٠ ـ ١١٧١م) لم يكن في القدس إلا يهوديٌّ واحد «تاريخ القدس» لعارف العارف ص(٢٣٥).

٤ ـ وفي عام ١٢٦٧م كتب موسى بن نحمان جيروندي: أن في القدس عائلتين يهوديتين يعملون في الصباغة «بلادنا فلسطين» ـ ١/ قسم ١/ ٥٥٠).

٥ ـ وبعد ذلك بنحو ثلاثة قرون ١٥٦٠م بلغ عددهم في القدس ١١٥ يهوديًّا.

٦ ـ في النصف الثاني من القرن السابع عشر ١٦٧٠م عجز يهود القدس وعددهم (١٥٠) يهوديًّا عن دفع دينهم البالغ ألف قرش «تاريخ القدس» لعارف العارف ص(٢٣٥).

٧ ـ إذن من سنة ١٥٦٠ ـ ١٦٧٠م تراوح عددهم من ١١٥ ـ ١٥٠ يهوديًّا. وقبل هذا التاريخ، كان في القدس عائلتان فقط. ونحن نعرف أنّ العهد التركي بدأ سنة ١٥١٦م في فلسطين، ومعنى هذا أنَّ العهد التركي استلم القدس، وفيها عائلتان قد يكونان من خمسة أشخاص، إلى عشرة.. فوصل عددهم إلى المائة في بداية العهد، أو بعد البداية بقرن تقريبًا.

٨ ـ وكان عدد اليهود في فلسطين كلها في النصف الأول من القرن التاسع عشر حوالي ثمانية آلاف يهودي، كما ذكر موسى حاييم منتفيوري، الثريّ الإنجليزي اليهودي (العالم العربي ـ لنجلاء عزّ الدين ص٣٠٠)، وكانوا موزعين على أربع مدن: هي القدس، وطبريا،

والخليل، وصفد.

٩ ـ وفي سنة ١٨٤٥م بلغ عددهم في فلسطين نحو ١٢,٠٠٠ يهودي.

١٠ ـ وفي سنة ١٨٨٢م بلغ عددهم ٢٤,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٨٩٠م بلغ عددهم ٤٧,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٩٠٠م بلغ عددهم ٥٠,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٩١٤م بلغ عددهم ٨٥,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها.

وفي سنة ١٩١٦ ـ ١٩١٨م بلغ عددهم ٦٥,٠٠٠ نسمة في فلسطين كلها. ونقص عددهم في هذه الحقبة بسبب الحرب العالمية الأولى.

وفي سنة ١٩٢٢م بلغ عددهم ٨٣,٠٠٠ ألف نسمة، عادوا إلى الزيادة مع العهد البريطاني، وكانت نسبتهم تساوي ١١٪ في فلسطين كلها.

١١ ـ كان عدد سكان مدينة القدس في المدة التي كانت تحت سيطرة إبراهيم باشا المصري ١١,٠٠٠ نسمة وبلغ عدد اليهود من مجموع السكان في القدس (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف نسمة (١٨٣١ ـ ١٨٤٠م).

◻ ومعنى هذا أنَّ وصول العدد إلى الآلاف كان في عهد إبراهيم باشا، وهذا يدل على أنهم وجدوا نوعًا من التراخي للسكنى في القدس، والدليل على ذلك ما يلي:

أولاً: نقلاً عن المحفوظات الملكية المصرية ـ وهي الأوراق الرسمية

للحكومة) صدر تصريح من الحاكم المصري بترميم كنيس اليهود، على شرط أن لا يُزاد شيءٌ على المباني القديمة.

ثانيًا: أنشأت الإدارة المصرية مجلس شورى في القدس، وكان من بينهم وكيلٌ لطائفة اليهود.

ثالثًا: صدور مرسوم بإلغاء الضرائب والعوائد التي تؤخذ من رؤوس النصارى واليهود.

رابعًا: طلب اليهود في القدس أن يُسمح لهم بشراء الأملاك والأراضي الزراعية وممارسة الحراثة والفلاحة والزراعة، وبيع الأغنام والأبقار وتملك المصابن والمعاصر، ولما عرض الأمر على مجلس الشورى في المدينة رفض الطلب، ولم يسمح لهم بغير الاشتغال بالتجارة. ولما رُفع القرار إلى محمد علي باشا أجاب على الطلب بقوله: «لا يُسمح ببيع الأراضي في القدس ونواحيها إلى اليهود الأجانب، نظرًا لعدم وجود مسوغ شرعي لهذا العمل». «المحفوظات الملكية» (٣/ ٢٣٠).

خامسًا: قال الأستاذ مصطفى الدبّاغ: «ليس في المصادر القديمة، بأنه سُمح لليهود - في العهد المملوكي، بزيارة حائط البراق (أو المبكى المزعوم)، ولعله حدث في عهد السلطان سليمان القانوني المتوفى عام ١٥٦٦م أو في عهد ولده سليم الثاني (١٥٦٦ - ١٥٧٤م) يوم سمح لليهود الفارين من أسبانيا والبرتغال باللجوء إلى طبرية، واشتهر من هولاء اللاجئين (يوسف ناسي) الذي حصل على امتيازات كثيرة من السلطانين المذكورين» «القدس» (٢/ ٢٦٢).

ويظهر أنهم كانوا في ابتداء الأمر يقفون عند الحائط دون إحداث ضجيج.. ولما اشتدت شوكتهم في أيام إبراهيم باشا، أصبحوا يعلنون

عن وجودهم بالبكاء والعويل والصُّراخ، كما تقول الوثيقة المرافقة المنقولة من المحفوظات المصرية سنة ١٢٥٥هـ.

سادسًا: كانت بريطانية قد أعلنت حمايتها للدروز والبروستانت واليهود في سورية وجبل لبنان وفلسطين، وكان من جرّاء ذلك أن أقامت بريطانية بموافقة السلطات أول قنصلية غربية في القدس سنة ١٨٣٩م، وجهت معظم جهودها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين، وكانت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس، كما يقول تقرير القنصلية البريطانية (١٩٣٨ ـ ١٩١٤م) «عن تاريخ فلسطين الحديث» للكيالي ص(٢٧).

سابعًا: وبناءً على ما سبق، أصبح القنصل البريطاني ذا نفوذ عند الإدارة العسكرية يعرض عليها رغبات اليهود المقيمين، والوافدين، بأسلوب يدعو إلى السخرية.. ومن ذلك أن قنصل بريطانية رفع إلى الإدارة أنَّ أحد الرعايا الإنجليز، أو من اليهود، ـ حسب قانون الحماية ـ حصل له (لُطْفٌ) [ربما معناها المرض] ونذر على نفسه أن يبلّط زقاق البراق (عند حائط المبكى) ويستدعي رخصة بذلك.. [انظر نصّ الطلب، وجواب الموافقة عليه] بعد هذا. والمناقشات التي تمّت حوله. وفي قراءة النص، معرفة ما وصلت إليه اللغة العربية في إحدى العواصم العربية (القدس).

فقد جاء في المحفوظات الملكية المصريّة في ذكرها لحوادث محرم ١٢٥٦هـ آذار ١٨٤٠م حول طلبات اليهود الوقحة بشأن حائط النحيب أو المبكى الذي رُبط به البراق ليلة الإسراء العظيمة ما يلي:

١ ـ [عريضة[1] من إمضاء الحاج محمد شيخ المغاربة بالقدس

(١) ترجمة المكتوب في الفقرة الأولى: أن اليهود كانوا يزورون حائط البراق (المبكى) قبل =

الشريف موجهة إلى إسماعيل عاصم بك حكمدار حلب: دولتلو[1] سنيّ الهمم كريم الشيم سعادة البيك المفخم أدام الباري شريفَ وجوده. المعروض بساحة المكارم الحميدة أن عبدكم[2] شيخ فقراء المغاربة المجاورين في الحرم الشريف وفي زاوية (أبا مدين)[3] أفندم. والكلُّ متقيدٌ بما يجبُ عليه لعدلِ دولتكم العادلة السنية أفندم، وحارة عبيدكم[4] ملاصقة إلى

= زمن إبراهيم باشا، ولا يرفعون أصواتهم. ومنذ بدأ عهد إبراهيم، أخذوا يرفعون أصواتهم معلنين عن عبادتهم، ثم طلبوا أن يبلطوا الأرض الوقفية أمام الحائط.

(١) دولتو: لا زالت مستخدمة في البلاد العربية في ألقاب رؤساء الوزارات، فيقولون: (دولة فلان).

(٢) قوله: «عبدكم» تدل إلى نوع العلاقة التي كانت بين الشعب والحاكم.

(٣) أبو مَدْين: صوفي أندلسي مشهور ولد في إحدى قرى إشبيلية، وتوفي عام ٥٩٤هـ (١١٩٧م) وقد بلغ منزلة رفيعة في المغرب.. ويظهر أن المغاربة الذين كانوا يفدون إلى بيت المقدس، اتبعوا مذهبه الصوفي. ففي سنة ٧٢٠هـ في عهد السلطان محمد بن قلاوون، أُنشئت في حيّ المغاربة الموقوف زاوية للصوفي أبي مَدْين شعيب بن الحسين الأندلسي، وأصبح الوقف ـ وقف المغاربة ـ يعرف بأوقاف أبي مَدْين الغوث.

(٤) يقصد حارة المغاربة: وقد أوقف الملك الأفضل ـ علي بن صلاح الدين ـ ما يحيط ويتصل بحائط البراق على طائفة المغاربة سنة ٥٨٨هـ ـ ١١٩٣م.

وقد بنيت منازل للوقف متواصلة منذ ذلك الوقت، بحيث أحاط المسلمون من سكانها بمكان البُراق من الخارج إحاطة مؤدية إلى حراسته، وبلغ من تراص هذه المنازل حول هذا المكان الذي هو جدار الحرم الغربي، أن جدار الحرم، وبقية أبنية هذا الوقف، استعمل ممرًّا ليسلك منه السكان المسلمون إلى منازلهم وهذا الممرّ الخاص الموقوف وقفًا إسلاميًّا، لم يمنع المسلمون فيما مضى الزائرين والسائحين من الوقوف فيه للنظر إلى تلك الناحية التاريخية الأثرية من الخارج غير أن اليهود أخذوا تدريجيًّا، يقلبون هذه الزيارة العادية إلى مراسم دينية فانتبه إلى هذا الأمر المسلمون في حينه، فمنعوهم من استخدام أدوات العبادة في هذا المكان..

والقصة التي نعرض لها، هي البدايات الأولى لجرأة اليهود على الأماكن المقدسة عند المسلمين.

حائط الحرم الشريف الذي رُبط (في) البراق ليلة الإسرى البهية، واليهود من قديم يزوروا[1] تلك الحائط زيارة في (الأصبات)[2] من غير رفع أصواتهم وإظهار مقالهم (ومن ذو أكام سنة كلما لهم في الأذية)[3] برفع أصواتهم وكثرة جمعياتهم بحيث أن تلك المحل المذكور كل صباح يظن أن به كنيسة لهم، والآن مرادهم بناء الأرض الموجودة بالمحل المذكور بالبـــــلاط لتوصلهم لمآربهم فتجاسر عبدكم بتقديم عريضة العبودية لأعتابكم حيث البلاد بلاد دولتكم وبهمتكم في أيام دولتكم لا تحدثُ لهم مرغوبهم المصرّين عليه بلصق حائط البُراق الشريف. ربَّنا من كرمه وإحسانه يُديم دولتكم، وإذا تحسنُ برأي المكارم إحالة المادة هذه لمجلس الشرع الشريف والأمر أمركم أفندم.

---

(١) يزوروا: هي يزورون، مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون، ولكن العربية قد وصلت إلى الحضيض في أواخر العصر التركي، وإذا كان هذا أسلوب الكتابة في القدس، وفي المسجد الأقصى موئل العلماء، فكيف في بقية الأقاليم. وقد أشار إلى الدّرك الذي وصلت إليه العربية في العصر التركي، الشيخ سليمان الفاروقي (١٨٨٢ ـ ١٩٥٨م) فقال من قصيدة رفعها إليه السلطان محمد رشاد قُبيل الحرب العالمية الأولى:

لسانُهم أخْلَقَ الإغفـــالُ جدَّتَه ... فبات ينعى على الكُتّاب ما كتبوا
تفشت اللهجةُ العجماءُ فيه إلى ... أنْ أنكرته بنوه الخُلّص النُّجُب
أيســـتهانُ به والدين جـــاء بـه ... ودونه ألسُنٌ من دونها القُضُبُ؟
بِضْعٌ وعشرون مليونًا لهم لغــةٌ ... تَمُوتُ ما بينهم يا شدَّ ما غُلبوا

(٢) الأصبات: يقصد «الأسبات» جمع يوم السبت.

(٣) «ومن ذو أكام سنة» أي: منذ سنوات قليلة. وقوله: «كلما لهم في الأذيّة» أي: أخذتْ أذيتهم في ازدياد. . ، والمكتوب ليس تركيًّا، وإنما هو (عربكي).
والخلاصة أن تعبير المعروض يُفهم منه أن أذية اليهود أخذت في ازدياد منذ بداية العهد المصري؛ لأنهم وجدوا رعاية خاصة من السلطان الحاكم.

٢ ـ رأي مجلس شورى القدس في عريضة الحاج محمد: لدى المذاكرة على هذا الإعراض المتقدم لسعادة حكمدار حلب المحترم من الشيخ محمد شيخ المغاربة بخصوص اليهود وأحداثهم، وشرح سعادة المشار إليهم للمجلس الأمر برؤية هذه المادة وأن القديم يبقى على قدمه رؤي أنَّ المحل المذكور الذي مُراد اليهود أن يبلطوه فهذا أولاً ملاصق لصور الحرم الشريف ومحل ربط البراق الشريف، والثاني أنه ليس لهم به حق حيث أن هذا المحل هو طريق مستمر في حارة المغاربة يُتوصل به إلى دور الوقف سيدنا أبي مَدْين الغوث قدس سره، وثالثًا: أنّه ما سبق لليهود أن[1] يعمروا في تلك المحل مطلقًا، ولا يجوز شرعًا أن الأجنبي يعمّر في ملك الغير خصوصًا، وأن طائفة اليهود ليس لهم شرعًا أن يحدثوا شيئًا زيادة عن القديم[2] بل يبقى القديم على قِدَمه، ولا سبق لهم في هذا المحل عمروا شيء، وقد صدرت الأوامر الشريفة السرّ عسكرية في مثل ذلك أنهم لا يحدثوا شيئًا مُطلقًا، بل يبقى القديمُ على قدمه. ومن حيث الحالة هذه واليهود الآن مرامهم الإحداث اقتضى إفادة حضرة متسلم القدس الشريف لأجل حالاً يمنع اليهود المذكورين من التعمير ومن الإعلان بأصواتهم بقرب الحرم الشريف بل يكونوا على حسب عادتهم

---

(١) قوله: «إنه ما سبق لليهود أن يعمروا» أي: لم يسبق لهم أن عمروا. وليست لهم ملكية قديمة فيه.

(٢) قوله: زيادة عن القديم: توحي بأن لهم قديمًا. وإنما يقصد: القديم بالنسبة إلى الكاتب. أي: منذ بدأ تسربهم إلى القدس من أيام سليمان القانوني. فهم لا قديم لهم قبله. وحتى الكنيس الذي سُمح لهم بترميمه ليس قديمًا. ومن أين لهم القِدم، وهم ممنوعون من سُكنى القدس، ويوم شرط عمر ـ رضي اللَّه عنه ـ أن لا يساكنوا النصارى في بداية الفتح، لم يكن لهم كنيسة.. فمتى بَنَوا هذا الكنيس؟

فقط. فبناءً على ذلك صدرت هذه الخلاصة من مجلس شورى القدس الشريف لحضرة السيد أحمد آغا الدزدار[١] قائمقام ملكية متسلم القدس الشريف ليجري العمل بموجبها ٥/ ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ.

٣ ـ تعليق إسماعيل عاصم بك حكمدار حلب في ٥ ذي الحجة سنة ١٢٥٥هـ: «حضرات أرباب مجلس شورى القدس الشريف: غِبَّ مطالعة هذا الإعراض تُنظر هذه المادة بحق اللَّه تعالى والقديمُ يبقى على قِدمه من دون إحداث شيء.

٤ ـ صورة فرمان شريف سرّ عسكري[٢] صادر في ١٤ شوال سنة ٥٥ مضمونه الشريف: وردت ورقة من قونسلوس دولة الإنكليز ويذكر أن واحد مِن الرعايا كان حصل لهُ لطف ونذر على نفسه أن يبلّط زقاق البراق ويستدعي رُخصة بذلك فيلزم تعطوا إلى الرعايا المذكورة الرخصة بتبليط الزقاق المذكور ويكون معلومكم[٣].

حضرات أرباب مجلس شورى القدس المحترم: اطلعنا على

(١) دُزدار: بضم الدال المهملة وسكون الزاي: لفظ أعجمي معناه حافظ القلعة، وهو الوالي و«دُز» معناه القلعة، و«دار» حافظ فتصبح «حافظ القلعة»، ومنه «خازندار» أي: حافظ الخزنة.

(٢) سر عسكري: منسوب إلى «سرّ عسكر» وكان إبراهيم باشا قد اتخذ لقب «سرّ عسكر بلاد العرب»، ولذلك يروى أن محمد علي باشا بعث لولده إبراهيم، أنه لا يوافق على لقب «سر عسكر بلاد العرب» الذي اتخذه إبراهيم باشا لنفسه ويوجب الاكتفاء باسم «إبراهيم» كما اكتفى هو بالاسم «محمد علي»، ثم يقول لولده: إنَّ هذه الألقاب جوفاء لا تليق بإبراهيم، وإن إذاعتها يدل على الضعف لا القوة.

(٣) قوله: «فيلزم تعطوا» مفهومها أن سرّ عسكر بلاد العرب، إبراهيم باشا، وافق على طلب قنصل بريطانية، ويطلب من مجلس الشورى الموافقة على ذلك.

خلاصة حضراتكم المحرر جانبه اقتضى حررنا لحضراتكم صورة الأمر الشريف السر عسكري قايمقام ملكية السيد أحمد دُزدار متسلم القدس الشريف.

٥ ـ العريضة التي رفعها المجلس المذكور إلى الباشمعاون الخديوي في ٨ ذي الحجة ١٢٥٥هـ: «إلى الباشمعاون الخديوي المعروض لدولتكم العلية لدى المذاكرة على هذا المعروض المتقدم لسعادة حكمدار حلب من شيخ المغاربة بالقدس المشروح باطنه بخصوص تبليط اليهود زقاق البراق الكائن بحارتهم بقرب دور وقف سيدي أبي مدين الغوث قدس سره الملاصق لصور الحرم الشريف وشرح المشار إليه للمجلس بالأمر بإبقاء القديم على قدمه من دون إحداث شيء.

* **تنبيه**:

حتى النكبة ١٩٤٨م لم يزد مجموع ملكيات اليهود عن ٥٫٦٪ من أراضي فلسطين الزراعية، أقلّه اشتُرِي بالابتزاز والطرق الملتوية، وأغلبه عملية نزع ملكية عامة بالاحتيالات القانونية.

فانظر إلى التزوير الوقح والمعيب للتاريخ حين يقول أولاد الأفاعي وأبناء الحيات وإخوان القردة والخنازير أن لهم حقًّا تاريخيًّا في الأرض المقدسة المباركة الطاهرة أرض فلسطين وبيت المقدس.



عدد اليهود في القدس[1]

السنة	العدد
٦٣٦م	لا يوجد يهودي واحد
١٢٦٧م	عائلتان يهوديتان
١٥٦٠م	١١٥ يهوديًّا
١٦٧٠م	١٥٠ يهوديًّا
١٨٣٨م	٣٠٠٠ يهودي
١٨٤٤م	٧١٢٠ يهوديًّا
١٨٧٦م	١٢٠٠٠ يهودي
١٨٩٦م	٢٨١٢٢ يهوديًّا
١٩٢٢م[2]	٣٣٩٧٠ يهوديًّا
١٩٣١م	٥١٢٢٢ يهوديًّا
١٩٤٤م	٩٧٠٠٠ يهودي
١٩٦٧م[3]	١٩٧٧٠٥ يهودي
١٩٧٥م	٢٥٩٤٠٠ يهودي
١٩٨٥م	٣٢٧٧٠٠ يهودي
١٩٩٣م	٤٠٦٤٠٠ يهودي
١٩٩٨م	٤٢٠٠٠٠ يهودي

---

(١) جمعت من مصادر علمية موثقة.

(٢) في فترة الانتداب البريطاني.

(٣) في ظل الاحتلال الإنجليزي للقدس بشِقَّيها.

* **حقيقة دامغة:**

إذا حسبنا عمر دولتا اليهود في القدس وفلسطين قديمًا تكون أورشليم (يهوذا) قد عمرت (٤٣٤) سنة بما فيها ملك شاول وداود وسليمان، (وإسرائيل) عمرت (٢٩٨) سنة فقط، منذ عهد شاول (١٠٢٠ ق.م).

وكما نرى فإن سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالي ستة قرون، وبعد خمسة وعشرين قرنًا وبعض قرن، يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السحيق مرة أخرى، ويا له من تاريخ، ويا لها من عودة!.

وكان ختام الوجود اليهودي في فلسطين في عهد الرومان عام ٧٠م.

* **حديث القرآن عن إفساد بني إسرائيل وعقوبتهم:**

وقد تحدث القرآن الكريم عن هاتين النهايتين: تدمير سيادتهم بالأسر البابلي، وإنهاء وجودهم بالسحق الروماني، وذلك في الآيات الكريمة: ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾.

﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا** ﴾.

﴿ **ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا** ﴾.

﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا**

وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾.
﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾
[الإسراء: ٤ ـ ٨].

* آيات سورة الإسراء ورأي بعض علماء العصر :

وقد ذهب بعض علماء العصر مثل الشيخ الشعراوي والشيخ عبدالمعز عبد الستار[١] وغيرهما إلى أن المرة الأولى في إفساد بني إسرائيل كانت في عصر النبوة بعد البعثة المحمدية، وهي ما قام به بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وأهل خيبر، من كيد وبغي على الرسول ﷺ وأصحابه، وقد نصرهم اللَّه عليهم.

وكان العباد المسلطون عليهم هم النبي ﷺ والصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ بدليل مدح هؤلاء بإضافتهم إلى اللَّه بقوله: ﴿ عِبَادًا لَّنَا ﴾. أما إفسادتهم الثانية فهي ما يقومون به اليوم من علو كبير وطغيان عظيم، وانتهاك للحرمات، وإهدار للحقوق، وسفك للدماء، وغيرها.

وسيتحقق وعد اللَّه تعالى بتأديبهم وعقوبتهم وتسليط المسلمين عليهم كما سلطوا من قبل.

* تفنيدنا[٢] لهذا الرأي وأدلة ذلك :

ورأيي أن هذا التفسير ضعيف لعدة أوجه:

أولاً: أن قوله تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ أي:

---

(١) والدكتور صلاح الخالدي وغيرهم كما سنبين في فصل لاحق.
(٢) هذا التفنيد للشيخ القرضاوي في كتابه «القدس» (٦٠ ـ ٦٣).

أنهينا إليهم وأعلمناهم في الكتاب، والمراد به: التوراة، كما قال قبلها: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وما جاء في الكتاب أي أسفار التوراة يدل على أن هاتين المرتين قد وقعتا، كما في سفر تثنية الاشتراع.

ثانيًا: أن قبائل بني قينقاع والنضير وقريظة لا تمثل بني إسرائيل في قوتهم وملكهم، إنما هم شرائح صغيرة من بني إسرائيل بعد أن قطعوا في الأرض أممًا.

ثالثًا: أن الرسول ﷺ والصحابة لم يجوسوا خلال ديار بني إسرائيل ـ كما أشارت الآية الكريمة ـ إذ لم تكن لهم ديار، وإنما هي ديار العرب في أرض العرب.

رابعًا: أن قوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَا﴾ لا يعني أنهم من عباده الصالحين، فقد أضاف اللَّه تعالى الكفار والعصاة إلى ذاته المقدسة، كما في قوله تعالى: ﴿أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧].

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

خامسًا: أن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

يتضمن امتنان اللَّه تعالى عليهم بذلك، واللَّه تعالى لا يمتن على بني إسرائيل بإعطائهم الكرة على المسلمين.

سادسًا: أن اللَّه تعالى إنما رد الكَرَّة لبني إسرائيل على أعدائهم بعد أن عاقبهم في المرة الأولى؛ لأنهم أحسنوا وأصلحوا، كما قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، واليهود ـ كما عرفناهم

شاهدناهم - لم يحسنوا ولم يصلحوا قط، ولذا سلط اللَّه عليهم هتلر وغيره. كما يبتلي ظالمًا بظالم. وهم منذ نحو مائة سنة يمكرون بنا ويتآمرون علينا، ليسرقوا أرضنا، فمتى أحسنوا حتى يرد اللَّه لهم الكرة علينا؟!.

سابعًا: أن اللَّه تعالى قال في المرة الآخرة: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧].

والمسلمون لم يدخلوا مسجدهم قبل ذلك بالسيف والقهر، ولم يتبروا ما علوا تتبيرًا، بل لم يكن شأن المسلمين أبدًا التتبير والتدمير في حروبهم وفتوحهم. إنما هو شأن البابليين والرومان الذين سلطوا على الإسرائيليين.

ثامنًا: أن ما أجمع عليه المفسرون القدامى أن مرتي الإفساد قد وقعتا، وأن اللَّه تعالى عاقبهم على كل واحدة منهما، وليس هناك عقوبة أشد وأنكى عليهم من الهزيمة والأسر والهوان والتدمير على أيدي البابليين الذين محوا دولتهم من الوجود، وأحرقوا كتابهم المقدس، ودمروا هيكلهم تدميرًا، وكذلك ضربة الرومان القاصمة التي قضت على وجودهم في فلسطين قضاء مبرمًا، وشردتهم في الأرض شذر مذر، كما قال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ [الأعراف: ١٦٨]. والواضح أنهم اليوم يقعون تحت القانون الإلهي المتمثل في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]. وها هم قد عادوا إلى الإفساد والعلو والطغيان، وسنة اللَّه تعالى أن يعود عليهم بالعقوبة التي تردعهم وتؤدبهم، وتعرفهم قدر أنفسهم، كما قال الشاعر:

إن عادت العقرب عدنا لها ... بالنعل والنعل لها حاضرة!

* يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وهذا الدمار الأول، الذي تم على أيدي البابليين، وتحدث عنه القرآن الكريم على النحو الذي نراه كان بالغ التأثير على اليهود. فقد أزال معظم الوجود اليهودي من فلسطين. وظهر من السهولة التي أجلى بها البابليون سكان (منطقة إسرائيل)، على يد «سرجون»، ثم سكان (منطقة يهوذا)»، على يد «نبوخذ نصر». أن جذور هؤلاء القوم لم تكن عميقة في أرض فلسطين، وإذا استثنينا المعبد وقصر سليمان، فلا تكاد تذكر لهم آثار خلال تسعة قرون قبل هذا الإجلاء. وكل ما يمكن أن نقوله: إنهم أقاموا في جزء من أرض كنعان، بما فيها من قرى صغيرة. وحتى المدن كانت أشبه بالقرى، باستثناء أورشليم وشكيم (نابلس)[1].

* **حقيقة هامة:**

كتب الدكتور حسّان حلاق في «صحيفة النهار» اللبنانية فقال:

منذ أن تولى السلطان عبد الحميد الثاني السلطنة العثمانية (١٨٧٦ - ١٩٠٩م) تنبه إلى خطورة إشغال الأراضي الفلسطينية لا سيما من اليهود، لهذا فقد أصدر منذ فترة مبكرة فرمانات سلطانية عدة تمنع إقامة اليهود الدائمة في فلسطين. وفي عام (١٨٨٢م) صدرت قرارات جديدة بهذا المعنى ردًّا على محاولات «جمعية أحباء صهيون»: الحصول على إذن رسمي بالهجرة، وقد حاول في الفترة ذاتها «لورنس أوليفانت» (L. oiphant) أن يوسط إستراوس السفير الأمريكي في الآستانة

(١) انظر «القدس ومعاركنا الكبرى» لمحمد صبح ص(٢١٨ - ٢٢٠).

للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين، غير أن مساعيه فشلت لدى السلطان والأوساط العثمانية، وكان جواب السلطان عبد الحميد الثاني: «أن اليهود يستطيعون العيش بسلام في أية جهة من المملكة إلا في فلسطين، وأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين، ولكنها لا ترحب بإقامة مملكة لليهود في فلسطين يكون أساسها الدين، وعلى اليهود المهاجرين إلى الأراضي العثمانية أن يصبحوا رعايا عثمانيين، وأن يقبلوا القوانين المعمول بها في الإمبراطورية.

◻ لهذا فقد حرص السلطان عبد الحميد على تعيين متصرفين في فلسطين ممن يستطيعون منع الهجرة اليهودية، واستقرار اليهود في مدنها، وكان في مقدم هؤلاء متصرف القدس رؤوف باشا (١٨٧٦ ـ ١٨٨٨م)، وعندما تيقنت الدولة العثمانية أن بعض الدول الأجنبية تساعد على تسريب اليهود إلى فلسطين أصدر الباب العالي قرارًا في (٢٩ حزيران ١٨٩٢م) تضمن ضرورة منع الذين يحملون جنسيات أجنبية من الدخول إلى فلسطين، وتكررت هذه الفرمانات، وأبلغت إلى القنصليات الأجنبية، مع استياء الدولة العثمانية من ممارستها في دعمها الهجرة اليهودية.

هذا وقد أكد وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F.O) موقف الدولة العثمانية الصارم ضد الهجرة اليهودية، ومن بينها تقارير ديكسون (Dickson) القنصل البريطاني في القدس حينما أشار في تقرير بتاريخ (١٤ شباط ١٨٩٢م) إلى أن التعليمات الصادرة من الباب تفيد بأن هجرة اليهود بقصد الاستقرار في فلسطين غير مسموح بها، أما الذين يرغبون في زيارة البلاد كحجاج فسوف يسمح لهم بالإقامة لمدة تتراوح بين شهر

أو شهرين ينبغي عليهم بعدها مغادرة البلاد.

لقد حاول الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل أن يحصل على فرمان من السلطان عبد الحميد الثاني للسماح لليهود بهجرة رسمية منظمة، ووسّط لهذه الغاية: البابوية وإنكلترا والنمسا وألمانيا، والقوى الأمريكية وبعض الأوساط التركية، ولما تأكد له فشل مساعيه رأى هرتزل ضرورة القضاء على الدول العثمانية، ومما قاله: «إن القضاء على الدولة العثمانية أو تقسيمها هو الحل الوحيد لقيام الدولة اليهودية، إنه إذا تم تقسيم تركيا في المستقبل القريب، فسوف تقف الدولة الصهيونية التي تقام في فلسطين حاجزًا، أما إذا قبل السلطان بالمطالب والعروض اليهودية، فهذا مما يبدل سياسة الصهيونية نحوه، فنحن نستطيع أن نسند السلطان سندًا قويًّا بالمال إذا هو تخلى لنا عن قطعة أرض لا قيمة كبيرة لها عنده،(يوميات هرتزل ١٣ نيسان ١٨٩٦م). وكان ما كان، مما قصصناه قبل الآن، من أمر هرتزل والسلطان.

* **مزاعم إسرائيل الدينية في القدس وفلسطين:**

يعتقد اليهود أنهم شعب اللَّه المختار، والأمة المفضلة على سائر الأمم، وأنهم بنو إسرائيل، وأن ثمت ميثاقًا إلهيًّا ربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين، وأن هذا الميثاق الذي أعطاه اللَّه لإبراهيم ـ عليه السلام ـ ميثاق سرمدي إلى قيام الساعة. وأنه لابد من قيام دولة يهودية تجمع اليهود في فلسطين.

* **وقفة متأنية لمناقشة الدعوى اليهودية للشيخ يوسف القرضاوي:**

□ يقول ـ حفظه اللَّه ـ : «أحب أن أقف وقفة متأنية أمام ما زعمه

كتبة «العهد القديم» من نصوص تقول: إن اللَّه وعد إبراهيم ـ عليه السلام ـ بأن يعطي لنسله أرض فلسطين، وكذلك وعد ابنه إسحاق، ووعد حفيده يعقوب الذي سمَّوه «إسرائيل»، وعلى هذا الأساس سموا هذه الأرض: أرض الميعاد. في هذه الوقفة نسأل عدة أسئلة:

من هم نسل إبراهيم؟

أولاً: ما المقصود بنسل إبراهيم ـ عليه السلام ـ أهم أبناؤه من صلبه، أم أبناؤه الروحيون؟ أعني: الذين يتبعون ملَّته، وينهجون نهجه، ويهتدون بهداه؟ أما أبناؤه وأحفاده من صلبه، فهم ـ مثل أبيهم إبراهيم ـ لم يملكوا من هذه الأرض شبرًا واحدًا. فما المقصود بالأبناء إذن؟.

إن المنطق الملائم للنبوة وللخلة التي تميز بها إبراهيم (خليل اللَّه): أن يكون أولى الناس به من آمن به واتبع هداه، وهذا ما ذكره القرآن حين قال: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [آل عمران: ٦٨].

* وقال تعالى: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

بينت الآية أن الإمامة لا تنتقل بالوراثة، وأن الظالمين لا يستحقون عهد اللَّه؛ لأن ما عند اللَّه ينال بالأعمال، لا بالأنساب كما قال رسول الإسلام: **«من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»**.

وقد برئ إبراهيم من أبيه لما تبين له أنه عدو للَّه، كما برئ من قومه لما كفروا باللَّه، كما قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

* وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤].

أليس إسماعيل من نسل إبراهيم؟!

ثانيًا: لو فرضنا أن المراد بنسل إبراهيم أولاده من صلبه، فلماذا حرم أبناء إسماعيل بكره وولده الأول؟ ولماذا انحاز اللَّه ـ الحكم العدل ـ إلى بني إسرائيل ضد بني إسماعيل؟!.

❑ لقد ذكرت التوراة ـ في سفر التكوين ـ أن (إسماعيل ابن إبراهيم) في أكثر من اثني عشر موضعًا. إلا أن الإسرائيليين يقولون: إن إسماعيل ابن الجارية هاجر، وإسحاق ابن الحرة سارة، ولكن أليس كلاهما كان ابن إبراهيم؟ وكلاهما نبيًّا ورسولاً من عند اللَّه؟ وهل يحرم أولاد الرجل ميراثهم من أبيهم بسبب أمهاتهم؟.

❑ وهنا سؤال آخر مهم ـ سأله لهم. د. حسان حتحوت ـ عن أبناء إسرائيل (يعقوب) ـ الاثنى عشر، فقد ذكرت التوراة أن إسرائيل تزوج ابنتي خالته: راحيل وليئة، وجاريتيهما: زلبا وبلحا، وقد ولدت الجاريتان ستة من أبناء إسرائيل، فلم اعتبرتموهم من بني إسرائيل، ولم تنقصوا من بنوتهم مثقال ذرة؟ وهنا لا يجدون جوابًا. هذا، وقد استمر التسري بالجواري في بني إسرائيل، فقد ذكرت أسفار العهد القديم أن داود كان له مائة زوجة ومائتان من الجواري، وأما ابنه سليمان فكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة جارية. ولا نزاع في أن هؤلاء الجواري أنجبن أولادًا لداود وسليمان، ولا ريب أن أولاد هؤلاء السراري من بني

إسرائيل، فما يقول اليهود في ذلك أيضًا؟.

* الحكم العدل حرّم الظلم على نفسه:

ثالثًا: كيف يعطي اللَّه ـ الحكم العدل، الذي حرم الظلم على نفسه، وحرمه على عباده ـ أرضًا يملكها أصحابها ملكًا شرعيًّا مستقرًّا، لفئة من الناس، هم دخلاء على هذه الأرض، غرباء عنها، وأين عدل اللَّه تعالى وقسطه، وهو يحب المقسطين، ولا يحب الظالمين؟

* وعد مشروط لم يف اليهود بشرطه:

رابعًا: هل هذا الوعد ـ إن صح ـ بمنح هذه الأرض: وعد مطلق أو وعد مشروط؟ وإذا كان مشروطًا فهل تحققت شروطه؟ الذي يقرأ «الكتاب المقدس» عند النصارى ـ وخصوصًا أسفار العهد القديم، يجد أن وعد اللَّه لبني إسرائيل إنما هو وعد مشروط، بأن ينفذوا التعاليم، ويحفظوا العهد، ويصونوا أوامر الرب ونواهيه، حتى يكونوا أهلاً لنصر اللَّه وتمكينه، وهذا هو المعقول والملائم للعدالة الإلهية، والحكمة الربانية، فإن اللَّه لا يعامل الناس بأنسابهم، بل بأعمالهم.

* اليهود نقضوا عهد الرب:

ينقل لنا محمد أبو فارس هذه النصوص:

التثنية/٦: ١٨: «احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته، وفرائضه التي أوصاكم بها».

التثنية/٦: ١٨: «اعمل الصالح والحسن في عيني الرب لكي يكون لك خير، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي خلف الرب لآبائك».

التثنية/٧: ١١: «فاحفظوا الوصايا والفرائض والأحكام التي أنا

أوصيك اليوم لتعلمها».

☐ هذه النصوص الثلاثة من سفر التثنية - العهد القديم - تشرح الشروط وتفصل الأسس التي جعلها الرب «رب بني إسرائيل» جوهر «العهد».

لكن.. هل أدى.. والتزم.. وحافظ الطرف الثاني على ما أمره الرب به؟

الكتاب المقدس - الذي هو حسب اعتقاد أتباعه المسيحيين كتاب نصوصه ربانية، واتباعه طاعة لأوامر الرب - يسجل:

أولاً: سفر الخروج/ ٣٢: ٢ - ٣ - ٤: «فقال لهم هارون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأْتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلاً مسبوكًا[١]، فقالوا: «هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر».

لقد عبد بنو إسرائيل أصنامًا من دون اللَّه الواحد الذي قام «العهد» بينه وبينهم، وهكذا ارتدوا إلى الوثنية وخرقوا - من جانبهم - بقيادة هارون (شقيق النبي موسى)! شروط وأسس «العهد».

ثانيًا: النبي إيلياه (إلياس) بعد ذلك بزمن طويل يخاطب الرب بهذه الكلمات:

---

(١) في القرآن: أن الذي صنع العجل الذهبي لبني إسرائيل هو السامري، وأن هارون - عليه السلام - أنكر عليهم هذا العمل، ولكنهم لم يسمعوا له. انظر الآيات (٨٥ - ٩٨) من سورة طه، وفيها: ﴿**ولقد قال لهم هارون من قبل يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري* قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى**﴾.

الملوك الأول/ ٩: ١٠: «.. لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف.. وهم يطلبون نفسي ليأخذوها».

ثالثًا: النبي موسى عليه السلام «ذاته» (أي قبل النبي إيلياه عليه السلام) كان قد قال:

التثنية/ ٩: ٢٣ ـ ٢٤: «يقول موسى: عصيتم قول الرب إلهكم، ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله، قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم».

رابعًا: الرب نفسه يقول ليشوع:

يشوع/ ٧: ١١: «الرب يقول: قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدي الذي أمرتهم به، بل أخذوا من الحرام، بل سرقوا، بل أنكروا..».

ملاحظة: «أخطأ إسرائيل» في هذا النص تعني: ارتكبوا خطيئة.

خامسًا: خاطب نحميا بني إسرائيل بهذا القول:

نحميا/ ٣: ٢٠: «حقًّا إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل، يقول الرب».

سادسًا: نورد مرة أخرى مخاطبة وجهها موسى إلى بني إسرائيل:

عدد/ ٣٢: ١٤: «يقول موسى لبني إسرائيل: فهو ذا أنتم قمتم عوضًا عن آبائكم تربية أناس خطأة لكي تزيدوا أيضًا حنق (غضب) الرب على بني إسرائيل».

سابعًا: ميخا/ ٣: ٩ ـ ١٠ ـ ١١: «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب، وقضاة بيت إسرائيل، الذين يكرهون الحق، ويعوجون كل مستقيم، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم، رؤساؤها

يقضون بالرشوة، وكهنتها يُعلِّمون بالأجرة، وأنبياؤها يعرفون بالفضة . . ».

نكتفي بهذه الأمثلة السبعة من أسفار العهد القديم، حيث إنها تكشف مقدار التزام وطاعة بني إسرائيل لشروط وبنود «العهد» الذي يدعون قيامه بين الرب وإبراهيم وإسحاق من بعده ويعقوب من بعدهما.

أيضًا في العهد الجديد من الكتاب المقدس يوجد نصوص تصف مسلكيات القوم مع «العهد المزعوم».

أولاً: يوجه يسوع المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب:

متى/ ٢١ : ٣١ : ٤٣ : «قال لهم يسوع: الحق أقول لكم أن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت اللَّه؛ لأن يوحنا جاءكم في طريق الحق فلم تؤمنوا، لذلك أقول لكم: إن ملكوت اللَّه ينزع منكم، ويعطى لأمة تعمل آثاره».

ثانيًا: يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بني إسرائيل:

متى/ ٣ : ٧: «قال لهم . . يا أولاد الأفاعي».

ثالثًا: يسوع نفسه يقول لبني إسرائيل:

متى/ ٢٣ : ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣: «فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء، أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم».

❑ هكذا . . . واستنادًا على نصوص توراتية من الكتاب المقدس أوردناها حرفيًّا في هذا الفصل، يتضح أنه ومنذ أيام موسى ويوشع بعده، ثم إيلياه وأرميا وعزرا، ونحميا وميخا، ويوحنا المعمدان، وأخيرًا

في زمن يسوع المسيح، خرقت - من جانب واحد - شروط وأسس وبنود «العهد» الذي أبرم بين اللَّه وإبراهيم، خرقت مرارًا ومرارًا - وفي عصور كثيرة، وعليه يبرز التساؤل:

وهل - بالرغم من هذا الاستهتار «بعهد الرب» وخرقه - لا تزال قائمة حقوق توراتية في القرن العشرين بعد المسيح لأحد أو لجماعة في بلدان ذات سيادة واستقلال مثل فلسطين ولبنان وسوريا، ومصر والأردن؟ لجماعات مثل «الفلاشا» الأثيوبيين، أو لمواطنين من روسيا وأوكرانيا، أو لأمريكيين وأرجنتينيين (مثل الذين يعيشون في الكيبوتز) باسم «عهد» خرقه بنو إسرائيل منذ عشرات القرون - مرات ومرات ومرات - في حقبات مختلفة من التاريخ؟ هل في مثل هذه المطالبات بحقوق.. ذرة من إقناع ومنطق وإنصاف؟[1].

*** منطق القرآن: الأرض يرثها الصالحون:**

إن منطق القرآن: أن اللَّه تعالى يعطي الأرض ويورثها للصالحين من عباده، وليس لعرق من العروق، وجنس من الأجناس، فاللَّه تعالى لا يعامل الناس بعروقهم وأنسابهم، بل بإيمانهم وأعمالهم، وتقواهم للَّه: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣].

* يقول تعالى: ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

فالصالحون هم الذين يرثون الأرض من أهلها الذين طغوا وظلموا،

---

(١) انظر «هل لبني إسرائيل حقوق توراتية في فلسطين؟» لمحمد أحمد أبو فارس ص(٣١، ٣٢).

وكذبوا رسل اللَّه وآذوهم وصدوا عن سبيل اللَّه.

* كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١٣، ١٤].

ولقد كانت الأمة الإسلامية هي الأمة المؤهلة لوراثة أرض النبوات، وتحقيق وعد اللَّه لإبراهيم في أن يعطي هذه الأرض لنسله ـ إن صحت هذه النبوءة ـ فها هم أبناء إسماعيل بن إبراهيم، بل ها هم أبناء إبراهيم الروحيون، الذين هم أولى الناس به، وأتبعهم لملته، قد ورثوا الأرض وقاموا بحقها، وأقاموا فيها العدل والإحسان، أربعة عشر قرنًا من الزمان. وهم أصحاب الأرض وأهلها، وهم باقون فيها إن شاء اللَّه حتى يرث اللَّه الأرض ومن عليها، ووجودهم في هذه الأرض هو الوجود الشرعي الوحيد الذي يقره اللَّه ورسوله والمؤمنون، وكل المنصفين من عباد اللَّه. وأما وجود الصهاينة فهو وجود دخيل غاصب معتد أثيم، يستحيل أن يدوم. فهو حتمًا إلى زوال. وما ربك بغافل عما يعملون ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧][(١)].

* حقيقة يذكرها الدكتور جمال حمدان:

وأكرر قول الدكتور جمال حمدان في كتابه «فلسطين أولاً» ص(٢٠٣ ـ ٢٠٤): «فأولاً وأصلاً ليست فلسطين وطنًا تاريخيًّا لليهود، ضيّعوه، ولكن لم ينسوه كما يزعمون؛ لأن وجودهم فيها انقطع كلية

(١) «القدس» للشيخ القرضاوي ص(٧٣ ـ ٨٢).

منذ ٢٠٠٠ سنة، وقبل ذلك لم يدم إلا فترة قصيرة للغاية أغلبها انقضى في الواقع منذ نحو ٤٠٠٠ سنة، وقبل ذلك جميعًا لم تكن فلسطين وطن اليهود الأصلي بل كانوا دخلاء عليه غزاة، فلا هو إذن وطن أصلي ولا هو وطن تاريخي، لا هو وطن أب أو أم ولا هو وطن بالتبني، هو فقط وبالتحديد احتلال عابر، كاحتلال إنجلترا لأجزاء من غرب فرنسا بضعة قرون في العصور الوسطى، ثم طردها منها. فالقول اليوم بعلاقة بين اليهود وفلسطين هو ادعاء تاريخي خاطئ ولا أساس له من العلم».

* **وأخطر من هذه الحقيقة:**

ثم استطرد الدكتور جمال حمدان قائلاً: «ولكن لا يقل خطورة عن هذا القول بأن هناك علاقة بين يهود اليوم واليهود الذين خرجوا من فلسطين منذ ٢٠٠٠ سنة. فالثابت عمليًّا أن يهود الخروج ذابوا في الشتات تمامًا دمويًّا ودينيًّا، بالتزاوج والتحول، ويهود اليوم هم نسل متحولين إلى اليهودية وليسوا من سلالة بني إسرائيل التوراة، ليسوا ساميين بل أوربيون أو أمريكيون من سلالات ألبية ونوردية وسلافية.. إلخ. وحين يدّعون أرض فلسطين اليوم، فهي مطالبة غرباء أجانب تمامًا بأرض لم تطأها قط أقدام أجدادهم بالدم، تمامًا كما لو ادعاها اليابانيون مثلاً أو الإسكيمو!».

* **لله درك يا جمال حمدان:**

«اليهود ليسوا من بني إسرائيل»

□ يقول د. جمال حمدان ـ رحمه الله ـ: «والحقيقة التاريخية التي نود أن نصر عليها بشدة هي أن «اليهود ليسوا من بني إسرائيل»، بمعنى أن

الصهيونيين الذين يحتلون فلسطين اليوم ليسوا من نسل بني إسرائيل التوراة، أو سلالتهم، سواء مباشرة أو غير مباشرة، حقًّا إن بني إسرائيل التوراة بدءوا كموجة أو شعبة من الشعوب السامية التي ينتمي إليها العرب، ولغة كلٍّ لغة سامية. وحقًّا إن أصلهم يرقى إلى يعقوب حفيد إبراهيم بمثل ما أن العرب تنحدر من صلب إسماعيل بن إبراهيم. وحقًّا كذلك قامت لهم دولة في جزء داخلي من فلسطين استمرت قرونًا أربعة إلا قليلاً هي القرون التي تسبق التاريخ المسيحي مباشرة.

ولكن ماذا إذن؟ لسنا نريد بعد هذا أن نقول إن تاريخهم الذي كان - بشهادة كل الأديان - سجلاً بشعًا من سفك الدم والغدر والفساد كان عابرًا قصير العمر هناك. ولم يزد عن أن يكون مجرد جملة اعتراضية في تاريخ فلسطين. ولسنا نريد أن نقول إن فلسطين كانت كنعانية (عربية) قبل بني إسرائيل لألف سنة على الأقل، وعادت عربية بعدهم لنحو ألفي سنة على وجه التقريب. فهذا كله وإن كان صحيحًا، فإنه يهمل قضية حاسمة خطيرة، وهي أن يهود العالم اليوم لا علاقة لهم البتة بتلك القبيلة الغابرة إلا علاقة ادعاء موهوم وانتحال.

ذلك أن الأدلة التاريخية توضح أن الإسرائيليين الذين فروا من مجازر الرومان وخرجوا من فلسطين بعد سقوط أورشليم لم يكن عددهم ليزيد عن بضع عشرات من الآلاف أو مئات من الآلاف على الأكثر. وأهم من هذا ما حدث لهذه الشراذم والشظايا المتطايرة في المهجر منذ أن بدأ الشتات (الياسبورا). فقد تشتَّت أغلب هؤلاء في بلاد البحر المتوسط ابتداء من تركيا حتى أسبانيا ومن العراق حتى المغرب. وفي هذا الوسط الجديد الذي ظلت أجزاء منه وثنية لقرون بعد ذلك، لم

يبدأ تقوقعهم وعزلتهم المعروفة إلا بعد أن كانوا قد اختلطوا وتزاوجوا بدرجة أو بأخرى مع السكان الأصليين. وفي هذا الاختلاط لم يفقدوا نقاوة دمائهم الجنسية فحسب، وإنما تحوّل كثير من الأهالي الوثنيين إلى اليهودية عند التزاوج معهم.

ومعنى هذا أنهم اليوم ليسوا نسلاً خالصًا للمهاجرين الإسرائيليين أولاً، وأنهم ثانيًا: إن لم يكن قد ذابوا بدرجة أو بأخرى فإن جزءًا منهم كبيرًا ليسوا إلا قطاعًا من جسم الأهالي الوطنيين أنفسهم. هؤلاء هم اليهود «السفاراديم» الذين لا يمثلون اليوم إلا ٢٠٪ من مجموع يهود العالم.

الأشكناز أوروبيون تهوّدوا

وتبقى الأغلبية الساحقة ـ ٨٠٪ ـ وهي الشكناز (الأشكنازيم) الذين يشملون يهود أوربا والعالم الجديد. أصل هؤلاء الثابت علميًّا وتاريخيًّا أن أعدادًا ضئيلة للغاية من يهود الانتشار تسللوا إلى جنوب أوروبا ووسطها وشرقها حيث كان المناخ الديني السائد لا يزال الوثنية. وهناك لم يتزايد اليهود أو تتوسع اليهودية بالتكاثر. وإنما أساسًا وفي الدرجة الأولى بالتحول والتبشير. فالتزاوج القليل الذي كان يمكن أن يتم كان يعني أن يتحول الأهالي من الوثنية إلى اليهودية وليس العكس بداهة.

ولكن المهم أن التاريخ يسجل هنا موجات وعمليات ضخمة من التحول بالجملة إلى اليهودية وصلت أحيانًا إلى حدود الملايين. ولعل مثلاً واحدًا يكفي هنا: تحول الخزر في القرن الثامن الميلادي.

من نسل هذه الملايين المتحولة يأتي يهود الأشكناز مباشرة. ومعنى هذا أن يهود أوربا ليسوا إلا من أبناء تلك البلاد، وأنهم بالجنس والسلالة

أوربيون لحمًا ودمًا ـ روس أو بولنديون، نمسويون أو ألمان، تشيك أو رومانيون. . إلخ. معناه أنهم لا علاقة لهم إطلاقًا ببني إسرائيل التوراة ـ إلا في العقيدة المستعارة. أما دون ذلك، أما من حيث الموطن والسلالة، من حيث الدم والعرق فهم أوروبيون من قمة الرأس إلى أخمص القدم. والأدلة والوثائق التاريخية الثابتة تؤكد هذا الانتماء بينما تثبته الدراسات الأنثروبولوجية كل يوم بالمقاييس الجسمية لليهود والتي لا تختلف بتاتًا عن السكان الأصليين الذين يعيشون بينهم.

آريون لا ساميون

باختصار إذن اليهود جملة وتفصيلاً ليسوا من بني إسرائيل ليس هناك «يهودي تائه» أو متجول، وإنما هناك ببساطة يهودي متحول. ولهذا فإنهم حين يتجهون الأن إلى فلسطين فإنهم لا يعودون، وإنما يغتصبون: ليست هي عودة الغائب الذي يئوب ولكنها غزو الأجنبي الدخيل الذي يعتدي ويسلب، وليست فلسطين «أرض الميعاد» أو الأجداد في أي معنى ولكنها مجرد أرض الرسالة والعقيدة فقط. أبعد من هذا، ليس اليهود «ساميين» في أي معنى رغم ما في هذا من تناقض ساخر كما سنرى ـ فهم ـ الشكناز منهم على الأقل ـ أريون أو هندو أوربيون لا يختلفون في ذلك عن الشعوب التي ينتمون إليها جنسيًّا. وهم حين يلتقطون العبرية من متحف اللغات الميتة لينفثوا في عظامها النخرة الحياة بالقسر والابتسار فإنما ينتحلون لسانًا غريبًا مثلما هو من قبل أصلاً مكتوبًا.

والموقف كله من الغرابة والشذوذ بل السفه بمثل ما لو هب الستمائة أو السبعمائة مليون من البوذيين الصينيين والهنود الصينيين اليوم فقرروا أن الهند ـ وهي الموطن الأصلي للبوذية وإن كانت تخلو منها الأن ـ

ينبغي أن تكون «الوطن القومي» للبوذية وأن يهاجروا إليها ليقيموا دولتهم فيها! والتشبيه على غرابته صحيح في كثير من جزئياته بما في ذلك أن الصينيين والهنود الصينيين ليسوا من نسل سكان الهند أكثر مما أن يهود أوروبا وأمريكا من نسل إسرائيل. أما اليهود الذين هم اليوم من نسل إسرائيل حقًّا فهم البضعة عشر ألفًا التي كانت بفلسطين العربية حتى سنة ١٩٠٠م تقريبًا، يُضاف إليهم ولكن بدرجة كبيرة من الشك والحذر بضع مئات من الآلاف من يهود «السفارديم» في البلاد العربية، لهذا جميعًا فالصهيونية مجتمع دخيل تمامًا على فلسطين، وليس لهم فيها جذور أو أصول ـ أو حق بالتالي ـ سواء بالتاريخ أو الجنس، سواء باللسان أو الدين، وهم يدعونها وينتزعونها»[1] .

□ ويقول أيضًا تحت عنوان: «مجتمع خلاسي طائفي»:

«ليس على ظهر الأرض ـ ومساحتها ٥٧ مليون ميل مربع ـ ٧٩٠٠ ميل مربع تضم ولو قدرًا ضئيلاً من التنافرات والأخلاط التي تضمها إسرائيل، بل ليس هناك قارة من القارات ـ حتى أمريكا ـ تقارب ما في المسخ الإسرائيلي من تباين وتناقضات بشرية. وإذا استبدلنا البعد المكاني بالبعد الزماني فاستعرضنا أضخم الإمبراطوريات في التاريخ وأشدها تخليطًا ـ ابتداء من روما عبر شارلمان وإمبراطورية النمسا والمجر حتى الإمبراطورية، التي لم تكن تغيب عنها الشمس بكل ما تضمه من شعوب متباينة وقوميات شتى ـ فلن تجد منها ما يقارب إسرائيل الميكروسكوبية ـ كدت أقول الميكروبية! ـ تنافرًا وخلاسية. أما لكي تجد هذا المثيل فلا بد أن توسع دائرتك لتشمل العالم كله، نعم كله. فلا

(١) «فلسطين أولاً» ص(٢٥٤ ـ ٢٦٠).

يكاد يوجد على ظهر الأرض جنس رئيسي أو ثانوي، قومية أو شعب، لغة أو ثقافية، لا تتمثل في إسرائيل.

◘ ويقول: «إن جميع الألوان بكل درجاتها وظلالها تتمثل في سكان إسرائيل كقوس قزح بشري شديد الغرابة، فإلى جانب اليهود البيض الأوربيين من إشكناز وسفارديم يوجد اليهود السمر الشرقيون من اليمن والهند، وإلى جانب اليهود الصفر الأسيويين يوجد «اليهود السود»، كالفلاشا الحبشية.. إلخ. متحف جنسي خلاسي لا مثيل له في العالم.. ولقد نحكم له بأنه متحف حي ولكن هذا في ذاته وفي الحقيقة حكم عليه بالموت كدولة سياسية.

◘ وأما قوميًّا فيكفي أن نذكر أن إسرائيل تلقت من يوم قيامها في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ حتى منتصف ٦١ بالتحديد مليون مهاجر بالضبط يرجعون في أصولهم ومصادرهم إلى ٧٩ دولة! فإذا عرفنا أن الدول المنضمة إلى هيئة الأمم المتحدة تعدت أخيرًا فقط المائة بقليل، فلن نبعد عن الحقيقة كثيرًا إذا افترضنا أن إسرائيل في مجموعها ـ نحو ٢,٢٥ مليون نسمة ـ تضم ممثلين لكل دولة في العالم تقريبًا. ولهذا وكما في الولايات المتحدة فليس هناك إسرائيلي إلا وله صفة جنسية أخرى، فهو إما إسرائيلي روماني، أو إسرائيلي ـ إيطالي أو تركي أو هندي.. إلخ.

وهذه الثنائية المزيفة لا تعني إلا انفصامًا في الجنسية وانعدامًا للقومية. وهي تفسر أيضًا ذلك التعدد المذهل في الأحزاب السياسية والتكتلات والمنظمات الحزبية التي تقدم قائمة مرهقة لا نهاية لها من وحدات مفتتة تفتيتًا ذريًّا. ومعنى هذا جميعًا أن إسرائيل في جوهرها وعلى ضآلتها العامة «دولة أقليات» لا يعرف العالم لها مثيلاً»[1].

---

(١) «فلسطين أولاً» ص(٢٦٢ ـ ٢٦٤).

* وغاب عنه ـ رحمه الله ـ:

غاب عنه ـ رحمه اللّه ـ أن الذي يجمع هذا الشتات هو الدين والدين فقط فاليهودية جنس ووطن ودين وليس غير هذا يجمع هذا الشتات المتنافر.

* خيانة بل خيانات:

ومن هنا ندرك قول من خانوا، وقالوا: إن اليهود والعرب أبناء عمومة، فقد قال فيصل بن الحسين الهاشمي مخاطبًا القاضي الأمريكي اليهودي (فيلكس فرانكفورتر في ١٩١٩م: «إن العرب واليهود أبناء عم من الناحية العنصرية.. إننا سنرحب باليهود ترحيبًا قلبيًّا في عودتهم إلى البلاد.. وهناك مجال في سوريا يتسع لنا جميعًا».

ويعود نبي الوطنية والقومية كما كانوا يلقبونه ـ فيصل بن الحسين ـ ليقول في مؤتمر الصلح بباريس في نفس العام فيعلن أن: «هناك صلات وثيقة من القرابة والدم بين العرب واليهود، كما أنه ليس ثمة تعارض واضح في الصفات المميزة للشعبين».

◻ وبعد نحو نصف قرن من هذه التصريحات التي تصدر على مستوى القيادة السياسية، ولكنها تتكلم، أو تسمح لنفسها أن تتكلم، بلسان الأنثروبولوجيين تعود نفس النغمة لترتفع على نفس المستوى بنفس اللسان، حين يعلن أحدهم أثناء زيارته للولايات المتحدة أنه لا يُكنّ شيئًا ضد اليهود!! «لأننا أبناء عمومة في الدم». وهذا حسين الأردن آخر الهاشميين يأتي من بعده ليعلن أخيرًا جدًّا أن العرب واليهود عاشوا مراحل طويلة في التاريخ جنبًا إلى جنب وفي صداقة كأقارب وجيران،

ويقول: «رابين ابن عمي» «رابين قائد شجاع».

◻ ثم يقول الدكتور جمال حمدان معلقًا على تلك المقولات في كتابه «فلسطين أولاً» ص(٢٨٨ ـ ٢٩٠).

عميقة إذن هي الفكرة، فكرة قرابة الدم بين العرب واليهود، ومنتشرة متفشية هي إذن بين الكثيرين لا في الخارج فحسب ولكن بين العرب أنفسهم، بل وعلى مستوى قياداتهم، بغض النظر عن كونها قيادات رجعية دعية فُرضت أو فرضت نفسها عليهم، ولا جدال أن لهذا الفكرة نتائجها وتخريجاتها السياسية التي يمكن أن ترتب عليها، كما فعل فيصل بن الحسين في الواقع حين رحب باليهود في سوريا في النص السابق.

فرغم أن من الثابت المقرر في القانون الدولي أن ترك شعب لوطنه ألافًا سحيقة من السنين لا يمكن إلا أن يحرمه كل حق في المطالبة بالعودة إليه الآن، ورغم أن الفقهاء الدوليين يسخرون من مجرد فكرة إعادة تشكيل الخريطة السياسية للعالم على أساس غزوات وهجرات وتوزيعات الماضي الغابر، الأمر الذي يمكن أن يقلب صورة الدنيا رأسًا على عقب بشكل ساخر بل سخيف لا يتصور، نقول رغم هذا كله فإن فكرة قرابة العرب واليهود في الدم قد يمكن أن تلقي بعض ظلال على قضيتنا المصيرية الأولى في فلسطين، وقد يمكن أن تفتح بابًا للحلول الخاطئة أو الخائنة، سيئة النية أو ساذجة النية.

وليس هذا مجرد استدلال أكاديمي أو إسقاط منطقي، وإنما هو بالفعل ما نجده في أكثر من دائرة من الدوائر العربية وغير العربية. فليس بعيدًا مشروع الملك عبد اللَّه، الذي اقترحه بنفسه على بريطانيا حلاً

لمشكلة فلسطين في الأربعينات، من إنشاء «مملكة سامية» يكون هو على رأسها يكون لليهود فيها حكمهم الذاتي! وفي السنوات الأخيرة ترددت فكرة «الاتحاد الفيدرالي السامي» بين بعض اليهود من صهيونيين وغير صهيونيين وضد الصهيونيين. ولعلنا أن نكتفى منها هنا بذكر مشروع ألفريد ليلينتال في كتابه الأخير The Other Side of the Coin الذي يقترح فيه أن يعود الصهيونيون الإسرائيليون الذين من أصل أوروبي إلى أوروبا، ويبقى الإسرائيليون الذين هم من أصل شرقي في فلسطين، وذلك مع عودة عرب فلسطين إليها ليعيشوا معهم في دولة واحدة جديدة، تدخل مع الوقت في علاقات اقتصادية مع بقية الدول العربية، متطلعة إلى اتحاد اقتصادي مع الأردن وغزة ومتجهة في النهاية إلى «اتحاد سامي» كبير!.

ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه المشروعات أو نقدها، فكل حل لا يعيد الوضع إلى ما كان عليه قبل ١٩٤٨م بل قبل ١٩١٨م مرفوض بلا نقاش، وكل حل لا يزيل إسرائيل من الوجود لا محل له من البحث العلمي، ولكن سؤالنا المحوري هو الأساس الجنسي المزعوم في تلك المشروعات: أحقًّا نحن أقارب اليهود وأبناء عمومتهم؟ على أي أساس علمي ذلك، وأي دليل تاريخي ينهض بذلك؟ واضح أن المجال هو مجال الأنثروبولوجي والأنثربولوجيا ـ علم الإنسان ـ بما يحلل من تاريخ قديم وحديث وبما يدرس من لغة ووثائق دينية وبما يقتبس من أجسام وصفات تشريحية ووراثية.. إلخ[١] .

---

(١) انظر «فلسطين أولاً» ص(٢٨٧ ـ ٢٩١).

▫ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن يهود فلسطين التوراة كانوا بإجماع الباحثين جماعة سامية من عنصر البحر المتوسط بصفاته المعروفة التي أهمها طول الرأس والسمرة في لون الشعر والعين، ثم القامة المتوسطة والأنف السقيم، أما اليهود المعاصرون فهم في سوادهم الأعظم يختلفون عن هذا النمط البيولوجي كل الاختلاف، فأقلية ضئيلة جدًّا هي التي تبدي تلك الصفات، وهي تتمثل في أغلب السفارديم وبعض اليهود الشرقيين، أما الكتلة الكبرى من يهود العالم ـ الأشكناز ـ ففيها شقرة وألوان فاتحة أكثر مما ـ أو بقدر ما ـ فيها من سمرة، ولكن الأهم من ذلك أنها جميعًا من عراض الرءوس، أي النقيض المباشر والمطلق ليهود فلسطين القديمة.

بهذا إذن لا يعرف اليهود أي وحدة جنسية ويشتد فيهم التنافر في الصفات البيولوجية، وتتعدد بينهم السلالات والأنواع إلى أقصى حد. فعلى سبيل المثال يقدر أن كل نوع أو سلالة جنسية معروفة في أوربا يمكن بسهولة أن تلتقط من بين يهود القارة، وأن أغلب اليهود يمثلون خليطًا بطريقة أو بأخرى بين عديد من تلك الأنواع والسلالات. كذلك من السهل جدًّا أن نلتقط من بين يهود روسيا أفرادًا يمتازون بالصدع الواسع والأنف العريض القصير وعظام الوجنة البارزة بدرجة لا تفرقهم عن جماعات الفن المغولية التي تسكن منطقة الفولجا، بينما يوجد بين اليهود الألمان أفراد هم بكل معنى الكلمة نورديون مثاليون.

▫ وبالمثل يمكن أن نضيف على مستوى العالم متناقضات كالموزايكو تكاد تغطي كل ما نعرف بين البشر من اختلافات في الصفة الجنسية. فثمة «اليهود السود» مثل الفلاشة في الحبشة، والداجاتون Daggatuns

جنود الصحراء الكبرى، ويهود التاميل الملونون في جنوب غرب الهند، بل واليهود الصفر أحيانًا في التركستان، عدا ـ بالطبع ـ اليهود الشقر في أوربا. أو كما لاحظ (دالبي) في أواخر القرن الماضي: هناك كل الأنواع والألوان بين اليهود: البيض والسمر والسود. هناك اليهودي الربعة غليظ الملامح عريض الرأس من الأشكناز، واليهودي النحيف دقيق الملامح طويل الرأس من السفارديم. ثمة الأنف «اليهودي المحدب» والأنف المفغر ـ نقيض الأنف اليهودي الكامل ـ بل كثير من يهود روسيا. ثمة العيون اللوزية في السفارديم والمكتنزة الضخمة في الأشكنازيم، وأحيانًا العيون المغولية المسحوبة الشريطية في يهود وسط آسيا، وفضلاً عن هذا فإن الدراسات السيرولوجية أثبتت تمامًا أن اليهود يبدو فيما بينهم تفاوتًا كبيرًا جدًّا في فئات الدم مما ينفي تجانس الأصل، وأكثر من ذلك لا تبدي تلك الفئات أية علاقة بفئات الدم عند اليهود الذين تبقوا في السامرة حتى يومنا هذا، مما يؤكد عمق انفصالهم جنسيًّا عن الأصل القديم.

□واضح تمامًا إذن أن الحديث عن وحدة جنسية بين اليهود ككل لا محلّ له من حقيقة أو علم على الإطلاق، وأن اليهود لا يعرفون الوحدة الجنسية أكثر مما يعرفون الوحدة الجغرافية. وواضح بالتالي أن النقاوة الجنسية المزعومة لهم إنما هي محض «خرافة» كما يقول الأنثروبولوجي الكبير (ربلي)، والواقع أن هذه قضية لم تعد موضوع جدل بين العلماء، فكما قال (رينان) من قبل، أن المغزى الأثنولوجي لكلمة يهود ـ على الأقل في شرق ووسط أوربا ـ قد انتهى منذ أمد طويل. وفي نفس المعنى أكد (دالبي) أنه ليس ثمة بعد أي شيء كقضية جنس يهودي على الإطلاق. وكما يقول (ربلي) من بعد: ليس اليهود جنسًا بل مجرد

يهود بكل بساطة».

□ وعلى هذا فالحكم الحاسم الأخير يُعلق مؤلفو كتاب «نحن الأوربيين» وهم جوليان مكسلي وهارون وكار سوندرز: ونحن نعتقد أنه على صواب: «إن اليهود لا يمكن أن يُصنَّفوا كأمة ولا حتى كوحدة إثنولوجية، بل هم بالأحرى مجموعة اجتماعية دينية تحمل قدرًا كبيرًا من عنصر البحر المتوسط والأرميني وغيرهما كثير، وتتفاوت تفاوتًا عظيمًا في الصفات الجسمية»، ثم يضيف هؤلاء الكتاب قائلين: «إن اليهود المحدثين لم يكونوا أرمينيين في الأعم الأغلب، فإنهم بالتأكيد يبدون من الصفات الأرمينية أكثر مما يُبدون من الصفات «السامية»، وأن النمط الجنسي الذي يميز طائفة السامريين، وإن كنا نلقاه بين اليهود المحدثين إلا أنه بالتأكيد نادر بينهم».

ومن بعد (ربلي) يقرر هرتون Booton بجزم قاطع: «حقيقة هي لا شك أن اليهود مختلطون جنسيًّا ومن أصول طبيعية متنوعة».

ويؤكد (أشلي مونتجيو) نفس الانتهاء فيقرر أن اليهود ليسوا وحدة أثنولوجية بل باصطلاحه معزولة حضارية»[1].

* هل امتلك إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام أرض كنعان:

عاش إبراهيم عليه السلام في فلسطين غريبًا بين سكانها ومالكيها الأصليين، لم يمتلك فيها موضع قدم، حتى إذا فاجأه موت زوجه سارة، انطلق يبحث عن مقبرة يمتلكها ليواري جثمان زوجه وموتى بيته، وفي هذا كلم إبراهيم بني حث ليشتري منهم مقبرة، لكنهم لما كانوا يوقرونه

---

(١) انظر: «فلسطين أولاً» ص(٣١٦ ـ ٣٢١).

كرجل صالح يعيش بينهم، فقد فوضوه أن يختار أفضل مقابرهم هبة منهم دون مقابل، فرفض إبراهيم عليه السلام، وأعطى لعفرون بن صوحر أربع مئة شاقل من الفضة ثمنًا للمقبرة[١] .

إن أسفار العهد القديم ـ الكاذبة المحرّفة ـ تقرر أن إبراهيم تلقى وعودًا إلهية واضحة كل الوضوح بأنه شخصيًّا سوف يمتلك أرض كنعان، هذا بالإضافة إلى تملّك نسله لها ملكًا أبديًّا ولكن هذا ما حدث فهل يخلف اللَّه وعده لخليله عليه السلام يا أولاد الأفاعي يا من تفترون على اللَّه الكذب «أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكًا أبديًّا».

وكل نصيب الخليل إبراهيم عليه السلام كان مقبرة إن صح اعتبار مقابر الموتى ملكًا يتوارثه الأحياء ويتنازعون امتلاكه.

◻ ونعلم من الأسفار [سفر التكوين ٢٦ : ١٢ ـ ١٧] أن إسحاق قد عاش في أرض كنعان غريبًا متجولاً، لم يمتلك فيها موضع قدم. وكانت ثروته تتركّز في المواشي والعبيد وما تغلّه الأرض التي يزرعها من محاصيل، ولأن إسحاق لم يمتلك من الأرض شيئًا فقد تعرّض للطرد والأذى من سكانها الأصليين.

◻ والشيء الذي تؤكده أسفارهم أن يعقوب عليه السلام وبنيه عاشوا في أرض كنعان غرباء مستضعفين لم يمتلكوا فيها شيئًا، وأن إقامتهم في أي بقعة منها كانت مرتبطة برضاء أهلها وموافقتهم.

«قال يعقوب لشمعون ولاوي: كدرتماني بتكريهكما إياي عند

(١) «انظر: «سفر التكوين» ٢٣ : ٢ ـ ١٦.

سكان الأرض الكنعانيين والفرزيين وأنا نفر قليل، فيجتمعون عليّ ويضربونني فأباد أنا وبيتي» [تكوين ٣٤: ٢ ـ ٢٠].

ولم يحدث أن امتلك يعقوب عليه السلام شيئًا في أرض كنعان سوى قطعة أرض صغيرة اشتراها بماله الخاص لينصب فيها خيمته ويقيم عليها مذبحًا للَّه [تكوين ٣٣: ١٨ ـ ١٩].

لقد كانت تلك كل علاقة يقعوب عليه السلام بأرض كنعان حتى رحل إلى مصر، إلى أن توفاه اللَّه ودفن في مغارة المكفيلة بأرض كنعان، تنفيذًا لوصية كان قد أوصى بها بنيه [تكوين ٥٠: ١٢ ـ ١٤].

□ إن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام لم يمتلك أي منهم أرض كنعان، وأن ما نجده في سفر التكوين من وعود إلهية بذلك إنما هو من صنع الكتبة الإسرائيليين وافتروا على اللَّه الكذب، فإن اللَّه لا يُخلف وعده.

إن علماء الترجمة الفرنسية المسكونية يقررون أن مؤلفي «سفر التكوين» الذي جاءت به هذه الوعود، إنما هو من عمل كتبة عديدين استقوا معلوماتهم من أساطير الشرق الأدنى القديم.

* **حقائق:**

□ إن نصوص الأسفار تحرم على بني إسرائيل، منذ عهد موسى عليه السلام التملك أو الاعتداء على أراضي معينة جعلها اللَّه موطنًا دائمًا لشعوب معينة [انظر سفر التثنية ٢: ٤ ـ ١٩].

---

(١) انظر: «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» للواء أحمد عبد الوهاب ص(٢١ ـ ٢٦) بتصرف - مكتبة التراث.

لقــد سكن الموآبيون والعمونيون في شــرق الأردن، وسكن الأدوميون بنو عيسو جنوب أرض موآب وجنوب غرب البحر الميت.. ولقد حُرمت تلك المناطق الثلاث على بني إسرائيل منذ عهد موسى فليس لهم إلا إمكانية العبور برضا أهلها {تثنية ٢ : ٦}.

ليس في الأسفار ـ إذن ـ ما يمكن أن يُقال له أرض إسرائيل الكبرى. فما ذلك إلا تضليل باسم الدين، وشعار زائف يخدع البسطاء والجاهلين.

▫ لقد كان الرب عز وجل ضد إقامة دولة إسرائيل كما جاء في {صموئيل الأول ٨: ٤ ـ ٦}.

اجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى نبيهم صموئيل، وقالوا له: اجعل لنا ملكًا يقضي لنا، وصلى صموئيل إلى الرب. فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك.. لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم».

لقد كان هذا يعني ـ حسب قول الرب ـ رفضًا لحكم اللَّه لهم عن طريق أنبيائه ومنهم صموئيل، وكان رفضهم لصموئيل ـ في حقيقة الأمر ـ رفضًا للَّه.

▫ انظر إلى أولاد الأفاعي الذين يفترون على اللَّه الكذب، قالوا: إن رب إسرائيل وعد أن يبقى ملك سليمان على الشعب الإسرائيلي إلى الأبد، وكذّبهم الواقع، فقد انقسمت مملكته إلى مملكتين من بعده: قضى الأشوريون على الأولى عام ٧٢١ ق.م، وقضى البابليون على الثانية عام ٥٨٦ق.م.

* **لا أبدية للتملك:**

لقد مكّن لبني إسرائيل وفضلّهم على العالمين في أيامهم، فما رعوا حق اللَّه وما وفوا بعهد اللَّه، اعتبرهم اللَّه خير أمة، ثم حصل منهم ما حصل من نكس العهود قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ فكان اليهود بعد ذلك أشد الناس فسادًا في الأرض..

ولا أبدية للتملّك أو تفضيل بني إسرائيل على العالمين، فقد انتزع منهم بعدما نقضوا عهد اللَّه وعهد رسوله.. فقد كان التمكين مشروطًا بكونهم على صراط اللَّه المستقيم على الإسلام، فلما حادوا عن الإسلام حقت عليهم لعنة اللَّه.

* **إبراهيم عليه السلام وذريته ومنهم أنبياء بني إسرائيل ومن اتبعوهم كانوا على الإسلام ونحن أولى بهم من اليهود:**

نحن أولى بإبراهيم عليه السلام وذريته منهم.. نحن أولى بأنبياء بني إسرائيل ومن اتبعوهم على الهدى فهم مسلمون، أما اليهود فهم كفار مخلدون في النار.

لا عبرة بما قاله «الحاخام عوفاديا يوسف» الزعيم الروحي لحزب شاس الديني المتشدد، في ضلالته التي ألقاها مساء السبت ٥ أغسطس ٢٠٠٠م في القدس متطاولاً على الذات الإلهية قائلاً: «أن اللَّه يندم كل

(١) «تاريخ انهيار دولة إسرائيل» ص(١١٩، ١٢٠).

يوم أن خلق العرب والفلسطينيين!»[١] ، وأذيع من الإذاعة الإسرائيلية صباح ٦ أغسطس ٢٠٠٠م.

إن هذا الكافر الضال المضل يجهل ما في توراته التي تعاقبه بالرجم «من جدف على اسم الرب فإنه يُقتل. يرجمه كل الجماعة رجمًا»[١] . [لاويين ٢٤: ١٤ _ ١٥].

□هم من ملتنا برآء من المغضوب عليهم والضالين.

* قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧ _ ٦٨].

* وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

* وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ _ ١٣٣].

---

(١) المصدر السابق ص(١٢٠).

* وقال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ...﴾ [الحج: ٧٨].

* وقال تعالى عن يوسف: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

* وقال تعالى عن السحرة الذين أسلموا: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

* وقال تعالى عن موسى وقومه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

* وقال تعالى عن بلقيس وسليمان عليه السلام: ﴿...قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

* نحن أولى بأنبياء بني إسرائيل من اليهود، فقد نعتهم اليهود بأقبح النعوت:

❑ يا معشر يهود... يا بني الساحرة، ونسل الفُسّاق والزناة.. قال لكم يحيى بن زكريا عليهما السلام: «يا أولاد الأفاعي.. لا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أبا» [متى ٣: ٧ ـ ٩].

❑ وقال لكم المسيح: «أنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء. فاملئوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي، كيف

تهربون من دينونة جهنم» [متى ٢٣ : ٣١ ـ ٣٣].

◻ يا معشر يهود أنتم الذين قلتم في الأسفار بخيانة موسى وهارون عليهما السلام للرب [تثنية ٣: ٥١].

◻ ونحن نتلو قول ربنا في كتابه إلينا: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ [مريم: ٥١ ـ ٥٣].

◻ وأنتم يا معشر يهود تقولون وتفترون في أسفاركم على داود عليه السلام، وتنسبون إليه الزنا والقتل والمذابح وجعلتموه يعرف وسط شعبه بأنه رجل الدماء [سفر صموئيل الثاني].

جعلتموه قاطع طريق وزعيم عصابة كما تقول الترجمة العربية لكتابكم المقدس الصادرة عن دار المشرق ببيروت، نقلاً عن الترجمة الفرنسية المسكونية الشهيرة (T. O. B) التي وصفته بأنه: che Fde Bande

وجعلتموه يتظاهر بالجنون ويسيل ريقه على لحيته أمام أخيش ملك جت [صموئيل الأول ٢١: ١٠ ـ ١٥].

جعلتموه مرتزقًا بين الفلسطينيين يلح على محاربة الإسرائيليين!! [صموئيل الأول ٢٩: ١ ـ ١٢].

جعلتموه يعذب أسراه بتقطيعهم إربًا بالمناشير والنوارج، ويحرق البعض الآخر بطرحهم في أفران من الآجر. [صموئيل الثاني ٨: ٢]، و[صموئيل الثاني ١٢: ٢٩ ـ ٣١].

◻ ونحن أولى بنبي الله داود عليه السلام المسلم منكم وقرآننا نتلوه صباح مساء يقول عنه: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا

سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ [ص: ١٧ ـ ٢٠].

وأنتم معشر يهود يا أبناء الأفاعي قلتم عن أبناء داود عليه السلام ما قلتم:

قلتم إن ثامار بنت داود، اغتصبها أخوها أمنون، فحقد عليه أبشالوم أخوه وشقيقها وقتله.. [صموئيل الثاني ١٣: ١ ـ ٢٩]، هذا وصف بيت النبوة يا إخوان القردة والخنازير.

وسليمان عليه السلام وصفتموه بأقذر الصفات:

ادعيتم أنه بدأ حكمه بالانتقام من خصومه، وأولهم أخيه الأكبر أدونيا ومن شايعه مثل يوآب قائد الجيش وابياثار الكاهن، وما كان قتل سليمان عليه السلام لأخيه أدونيا بسبب تمرد قام به الأخير، ولكنه بسبب أنه طلب من بثشبع أم سليمان أن تتوسط له لدى أخيه سليمان لكي يعطيه ابيشج الشونمية الجميلة امرأة له، «فحلف سليمان عليه السلام بالرب قائلاً: إنه اليوم يقتل أدونيا، فأرسل الملك سليمان بيد بناياهو بن يهوداع فبطش به فمات. [الملوك الأول: ٢: ١٣ ـ ١٥].

جعلتم سليمان عليه السلام يرتد ويكفر ويبني النصب للمعبودات الوثنية ويقدم لها القرابين إرضاءً لنسائه الكثيرات:

«وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه. فذهب سليمان وراء عشتورث إلاهة الصيدونيين.. وعمل سليمان الشر في عيني الرب... حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين.

ولمولك رجس بني عمون.. وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن» [الملوك الأول ١١: ١ ـ ٨].

◘ ألا لعنة اللَّه على اليهود.

أما نحن المسلمون فنقول: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

* وقال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

*** يا معشر يهود يا أبناء الأفاعي:**

أنتم الذين كفرتم بالمسيح عبد اللَّه ورسوله المسلم ـ ولمزتموه في أمه قائلين (لم نولد من زنا) [يوحنا ٨: ٤١].

◘ ونحن نتلو صباح مساء: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢].

* وقوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢].

◘ كفرتم بالمسيح عليه السلام ونحن نتلو قول ربنا: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥].

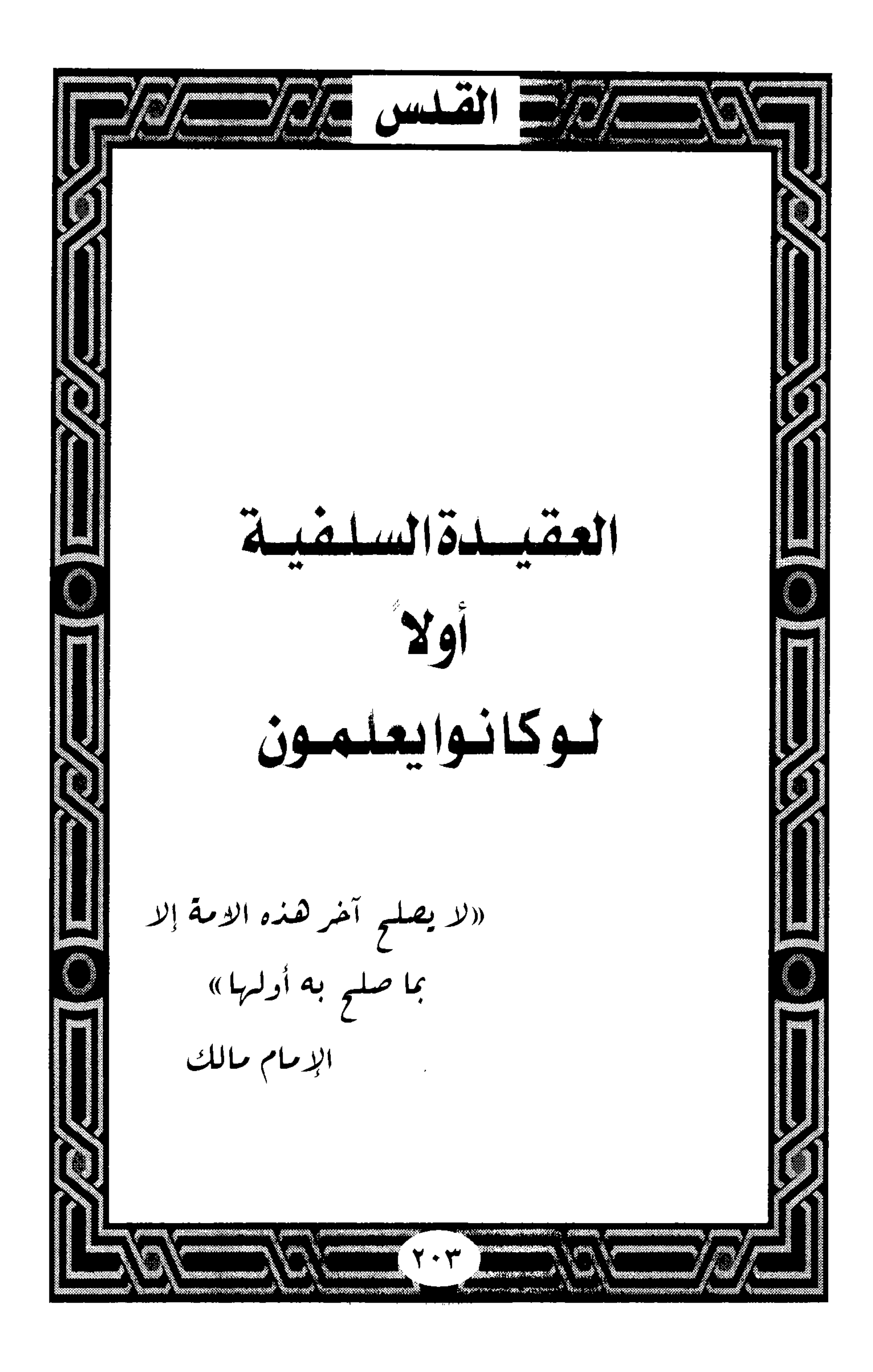
◘ فمن أولى بهؤلاء الطاهرين منا يا إخوان القردة والخنازير إلى أيّ الفريقين: نحن أم اليهود ينحاز أنبياء بني إسرائيل؟ إلينا لأنا وهم دين واحد وهو الإسلام: لو أن أنبياء بني إسرائيل بعثوا اليوم جميعًا إلى مَن ينحازون؟

«قطعًا ينحازون إلى المسلمين، فيقول النبي ﷺ لما رأى صحيفة من التوراة في يد واحد من المسلمين قال: «**لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني**»، فهذا شأن موسى عليه السلام فما بالك بمن عداه من أنبياء بني إسرائيل؟ ويقول النبي ﷺ أيضًا: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟**»، ويقول أيضًا: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة فينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم** - المهدي -: **تعال صل لنا فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة اللَّه لهذه الأمة**»، فعيسى عليه السلام يصلي أول ما ينزل مأمومًا إظهارًا لاتباع شريعة محمد ﷺ، فنحن في اعتقادنا الجازم أن الفتح الإسلامي لفلسطين في عهد الخلافة الراشدة هو امتداد للحكم الإسلامي الذي أقامه داود وسليمان عليهما السلام في مملكتيهما، وهذه كانت ممالك إسلامية حكمها أنبياء اللَّه بمنهج اللَّه، فالحق التاريخي المزعوم الذي ينادي به اليهود هو في الحقيقة حجة عليهم لا لهم؛ لأن هؤلاء كانوا على نفس ملتنا وعلى نفس ديننا دين الإسلام»[1].

❁ ❁ ❁

---

(١) «غزة أريحا» شريط للشيخ محمد إسماعيل المقدم.



العقيدة السلفية أولاً لو كانوا يعلمون

«لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»

الإمام مالك



العقيدة السلفية أولاً لو كانوا يعلمون

التوحيد محور الحياة ولب ورأس دعوة الرسل.. « نقطة البداية في حياة المسلم وحياة الأمة الإسلامية، وهو نقطة النهاية، ومن ضل عنه خسر كل شيء، خسر الدنيا والآخرة، وهو أضل من حمار أهله، فحياته ضنكه، وسعيه مردود، وذنبه غير مغفور، وآخرته شقاء»[١].

□ ودعوة الناس إلى توحيد اللَّه علمًا ومعرفة في القلب والضمير، وعبادة وتوجهًا بالعلم والسلوك هي القضية الكبرى في الإسلام، وهي القضية التي جرى حولها الصراع خلال تاريخ البشرية الطويل، وهي القضية التي حملها الرسل، وكانت المحور الذي ترتكز دعوتهم عليه.

والدعوة إلى التوحيد واجب الدعاة الأول.

وأصل هذه الرسالة الخالدة: كلمة التوحيد «لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه».

هذه الكلمة العظيمة «التي لأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وبها انقسمت الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار، وأسست الملة، ولأجلها جُرّدت السيوف للجهاد، وهي حق اللَّه على جميع العباد».

وحقيقة هذه الكلمة «مركبة من معرفة ما جاء به الرسول ﷺ علمًا، والتصديق به عقدًا، والإقرار به نطقًا، والانقياد له محبة

---

(١) «التوحيد محور الحياة» للدكتور عمر الأشقر ص(٢٩) ـ مكتبة الفلاح، دار النفائس.

وخضوعًا، والعمل به باطنًا وظاهرًا، وتنفيذه والدعوة إليه بحسب الإمكان، وكمال في الحب في اللَّه، والبغض في اللَّه، والعطاء للَّه، والمنع للَّه، وأن يكون اللَّه وحده إلهه ومعبوده.

والطريق إليه: تجريد متابعة رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى سوى اللَّه ورسوله»[1].

«هذه الكلمة العظيمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها قد غابت عن حس الناس اليوم إلا من رحم اللَّه»[2].

□ قال الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ: «على الدعاة الإسلاميين اليوم ـ جميعهم ـ أن يعالجوا سوء الفهم لمعنى «لا إله إلا اللَّه»، ويعالجوا واقعهم الأليم بذلك العلاج والدواء نفسه. ومعنى هذا واضح جدًّا؛ إذا تدبرنا قول اللَّه ـ عز وجل ـ ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾.

فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر وفي كل وقت وحين، ويقتضي ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولاً، ومن عبادتهم ثانيًا، ومن سلوكهم ثالثًا»[3].

إن طائفة كبيرة من الدعاة «قد أعرضوا بالكلية عن الاهتمام بالأصل الأول ـ أو بالأمر الأهم، وأعرضوا عن الإصلاح الذي بدأ به

---

(١) «الفوائد» لابن القيم ص(١٤٣).

(٢) «الولاء والبراء في الإسلام» لمحمد بن سعيد القحطاني ص(١٢ ـ) دار طيبة.

(٣) «التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام» شريط مسجل للشيخ الألباني، وطبع في مجلة السلفية العدد الرابع عام ١٤١٩هـ ثم في كتاب طبع دار الفضيلة.

الرسول ﷺ، بل بدأ به كل الأنبياء، وقد بينه اللَّه تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] فهم لا يُعنون بهذا الأصل الأصيل والركن الأول من أركان الإسلام كما هو معلوم لدى المسلمين جميعًا؛ هذا الأصل الذي قام يدعو إليه أول رسول من الرسل الكرام ألا وهو نوح عليه السلام قرابة ألف سنة، والجميع يعلم أن الشرائع السابقة لم يكن فيها من التفصيل لأحكام العبادات والمعاملات ما هو معروف في ديننا هذا؛ لأنه الدين الخاتم للشرائع والأديان، ومع ذلك فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا يصرف وقته وجلّ اهتمامه للدعوة إلى التوحيد، ومع ذلك أعرض قومه عن دعوته كما بيّن اللَّه عز وجل ذلك في محكم التنزيل..

فهذا يدل دلالة قاطعة على أن أهم شيء ينبغي على الدعاة إلى «الإسلام الحق» الاهتمام به دائمًا هو الدعوة إلى التوحيد، وهو معنى قوله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَه إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] هكذا كانت سنة النبي ﷺ عملاً وتعليمًا.

أما فعله: فلا يحتاج إلى بحث؛ لأن النبي ﷺ في العهد المكي إنما كان فعله ودعوته محصورة في الغالب في دعوة قومه إلى عبادة اللَّه لا شريك له.

أما تعليمًا: ففي حديث أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ الوارد في «الصحيحين» أن النبي ﷺ عندما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللَّه، فإن هم أطاعوك لذلك...**» إلخ الحديث، وهو معلوم ومشهور إن شاء اللَّه تعالى.

إذًا، قد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يبدءوا بما بدأ به وهو الدعوة

إلى التوحيد»[١] .

ثم قال الشيخ الألباني: «غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن «لا إله إلا اللَّه» هم لا يفقهون معناها جيدًا».. لذلك فأنا أعتقد أن أول واجب على الدعاة المسلمين ـ حقًّا ـ هو أن يدندنوا حول هذه الكلمة وحول بيان معناها بتلخيص، ثم بتفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة.. أنا أقول اليوم: لا فائدة مطلقًا من تكتيل المسلمين ومن تجميعهم، ثم تركهم في ضلالهم دون فهم هذه الكلمة الطيبة، وهذا لا يفيدهم في الدنيا قبل الآخرة»[١] .

ثم قال ـ رحمه اللَّه ـ: «إن عقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها ليست واضحة للأسف في أذهان كثير ممن آمنوا بالعقيدة السلفية نفسها، فضلاً عن الآخرين الذين اتبعوا العقائد الأشعرية ـ أو الماتريدية أو الجهمية في مثل هذه المسألة»[١] .

وقال أيضًا: «لا يجوز أن نتوهم بأن الدعوة إلى العقيدة الصحيحة هي اليوم من اليسر كما كان الحال في العهد الأول».

إن النبي ﷺ لما ذكر الغرباء في بعض تلك الأحاديث، قال: «**للواحد منهم خمسون من الأجر**»، قالوا: منا يا رسول اللَّه أو منهم؟ قال: «**منكم**»، وهذا من نتائج الغربة الشديدة للإسلام اليوم التي لم تكن في الزمن الأول، ولا شك أن غربة الزمن الأول كانت بين شرك صريح وتوحيد خال من كل شائبة، بين كفر بواح وإيمان صادق، أما الآن فالمشكلة بين المسلمين أنفسهم، فأكثرهم توحيده مليء بالشوائب، ويوجه

---

(١) من كلام الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ.

العبادات إلى غير اللَّه ويدعي الإيمان؛ هذه القضية ينبغي الانتباه لها أولاً، وثانيًا: لا ينبغي أن يقول بعض الناس: إننا لا بد لنا من الانتقال إلى مرحلة أخرى غير مرحلة التوحيد، وهي العمل السياسي».

. . . إننا نؤمن بالتسلسل الشرعي المنطقي في آن واحد، نبدأ بالعقيدة، ونثني بالعبادة، ثم بالسلوك؛ تصحيحًا وتربية، ثم لا بد أن يأتي يوم ندخل فيه في مرحلة السياسة بمفهومها الشرعي»[1] . قبل السياسة العقيدة.

◘ يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «أصحاب الدعوة إلى دين اللَّه، وإقامة النظام الذي يتمثل فيه هذا الدين في واقع الحياة، خليقون أن يقفوا طويلاً أمام هذه الظاهرة الكبيرة. . . ظاهرة تصدي القرآن المكي خلال ثلاثة عشر عامًا. . لتقرير هذه العقيدة؛ ثم وقوفه عندها لا يتجاوزها إلى شيء من تفصيلات النظام التي يقوم عليها، والتشريعات التي تحكم المجتمع المسلم الذي يعتنقها.

لقد شاءت حكمة اللَّه أن تكون قضية العقيدة هي القضية التي تتصدى الدعوة لها منذ اليوم الأول للرسالة، وأن يبدأ رسول اللَّه ﷺ أولى خطواته في الدعوة بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إله إلا اللَّه»[2].

◘ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «يجب أن ندرك خطأ المحاولة، وخطرها معًا، في تحويل العقيدة الإسلامية الحية التي يجب أن تتمثل في واقع تام حي متحرك، إلى «نظرية» للدراسة والمعرفة الثقافية لمجرد أننا نريد أن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) «في ظلال القرآن» (٢/ ١٠٥).

نواجه «النظريات» البشرية الهزيلة بنظرية إسلامية!.

إن العقيدة الإسلامية يجب أن تتمثل في نفوس حية»[١].

ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها... من كان على مثل ما كان عليه ﷺ.

● عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي اللَّه عنهما ـ أنه قال: ألا إن رسول اللَّه ﷺ قام فينا فقال: **«ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار[٢]، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»**[٣].

● وفي حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص ـ رضي اللَّه عنهما ـ وفيه زيادة: **«ما أنا عليه اليوم وأصحابي»**[٤].

وهو حسن بشواهده.

قال البربهاري في «شرح السنة»:

«ومن اقتصر على سنة رسول اللَّه ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة فَلَجَ[٥] على أهل البدعة كلهم، واستراح بدنه، وسلم له دينه إن

---

(١) المصدر السابق (٢/ ١٠١٣).

(٢) هذا لا يعني الخلود إلا للغلاة من الطوائف الذين مرقوا وكفّرهم أهل العلم.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤)، وأحمد (٤/ ١٠٢)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨). وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٠٤).

(٤) **حسن**: أخرجه الترمذي في «الإيمان» (٥/ ٢٦)، وابن وضاح في «البدع» ص(٨٥)، والآجري في «الشريعة» ص(١٥)، والحاكم (١/ ١٢٨ ـ ١٢٩)، واللالكائي في «السنة» (١٤٧)، وابن الجوزي في «تلبيس إبليس» ص(١٦).

(٥) فلج: أي ظفر وفاز.

شاء اللَّه؛ لأن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ستفترق أمتي**»، وبين لنا رسول اللَّه ﷺ الناجي منها فقال: «**ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي**»[١].

فلا فلاح للناس إلا بالالتزام بعقيدة السلف علمًا وتطبيقًا فعقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها ليست واضحة عند كثير من الدعاة.

◻ وكلمة لا إله إلا اللَّه «هذه الكلمة العظيمة بكل مفاهيمها ومقتضياتها قد غابت عن حس الناس اليوم إلا من رحم اللَّه، ومن هذه المفاهيم بل من أهمها موضوع «الولاء والبراء»[٢].

◻ قال الشيخ حمد بن عتيق ـ رحمه اللَّه ـ: «إنه ليس في كتاب اللَّه تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ـ أي الولاء والبراء ـ بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده»[٣].

◻ وقال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «إن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحّد اللَّه، وترك الشرك إلا بعداوة المشركين والتصريح لهم بالعداوة والبغض، كما قال اللَّه تعالى في سورة المجادلة: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة: ٢٢]»[٤].

◻ ومن شروط لا إله إلا اللَّه شروط ذكرها صاحب «معارج القبول» لهذه الكلمة حتى تنفع صاحبها في الآخرة»[٥].

---

(١) «شرح السنة» للبربهاري ص(١٠٥) ـ مكتبة الغرباء الأثرية.
(٢) «الولاء والبراء» ص(٢٠).
(٣) المصدر السابق ص(٢١).
(٤) «مجموعة التوحيد» ص(١٩).
(٥) «لا إله إلا اللَّه» للدكتور ياسر برهامي ص(٥٦) ـ دار المروة.

و«ليس المراد من هذا عدّ ألفاظها وحفظها، فكم من عامي اجتمعت فيه والتزمها، ولو قيل له اعددها لم يحسن ذلك، وكم حافظ لألفاظها يجري فيها كالسهم، وتراه يقع كثيرًا فيما يناقضها والتوفيق بيد اللَّه»[1].

* ومن هذه الشروط:

الشرط السابع: المحبة لهذه الكلمة، ولما اقتضته ودلت عليه، ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك.

* قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ**﴾ [المائدة: ٥٤].

● وفي الحديث: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون اللَّه ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للَّه، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه اللَّه منه كما يكره أن يقذف في النار**»[2].

□ قال الشيخ حافظ الحكمي ـ رحمه اللَّه ـ: «وعلامة حب العبد ربه: تقديم محابه وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه، وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى اللَّه ورسوله، ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره وقبول هداه»[3].

---

(١) «معارج القبول» للشيخ حافظ بن حكمي (١/ ٣٧٧).
(٢) رواه البخاري ومسلم عن أنس.
(٣) «معارج القبول» (١/ ٣٨٣).

□ قال ابن القيم[١] :

أتحب أعداء الحبيب وتدّعي حبًّا له مــا ذاك في إمكـان

□ قال الأستاذ «محمد قطب»:

«كان من مقتضيات «لا إله إلا اللَّه» في ذلك الحين ـ وفي كل حين ـ الأخوة في اللَّه، والحب والبغض في اللَّه، والولاء والبراء في اللَّه»[٢].

. . . وقال: «وأما الولاء والبراء فهو صنو الحب والبغض»[٣] .

* تمييع الإخوان لقضية «الولاء والبراء» وأخطاء فادحة وكلمات خطيرة لا تُقبل منهم ولا من الشيخ حسن البنا رحمه اللَّه :

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥].

أقسم باللَّه أني لا أقصد إلا النصح، وليس من منهجي تتبع الزلات ونسيان المحاسن. . وكتابتي عن جهاد الإخوان في فلسطين. . مع غيرهم من بقية طوائف الأمة ـ تكفي لذب هذه التهمة عني. .

أقول ليس من قصد الحق فأخطأه كمن تعمد قصد الباطل. . نعم، ولكن من النصح للَّه ولرسوله والمؤمنين نبيّن الأخطاء الكبيرة الفادحة التي لا يجوز السكوت عنها أبدًا فالدين النصيحة.

واللَّه لقد قفّ شعري من هذه الكلمات.

لا بد أن نقول لمن أخطأ في مسألة: قد أخطأت، وللمصيب نقول:

---

(١) «النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» لابن القيم ص(١٥٨).

(٢، ٣) «كيف ندعو الناس» لمحمد قطب ص(١١٠) ـ دار الشروق.

أحسنت وبارك اللَّه فيك. . فإن انزلاق هؤلاء الدعاة وخطؤهم في قضية «الولاء والبراء» وتساهلهم فيها بغير دليل شرعي أمر يرفضه الإسلام ويأباه؛ لأن موضع القدوة لنا هو رسول اللَّه ﷺ وصحابته الأجلاء وسلفنا الصالح وكفى. . وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول اللَّه ﷺ.

وليس من حق فرد ـ كائنًا من كان أن يجعل من آرائه سلمًا يرتقي عليه الموالون للكفار.

أقول هذا الكلام تقدمة بين يدي الكلام الآتي لكبار دعاة الإخوان المسلمين عفا اللَّه عنهم. . لو ألقي هذا الكلام على مسامعنا بدون معرفة القائل لتوهمنا أنه صاحب كامب ديفيد أو حسن المغرب أو حسين الأردن.

▫ وأقسم باللَّه لست مبالغًا، عفا اللَّه عنا وعن الجميع، واستمع إلى العجب العجاب. . .

▫ «خصومتنا لليهود ليست دينية؛ لأن القرآن حضّ على مصافاتهم ومصادقتهم»، هكذا يقول حسن البنا غفر اللَّه له.

▫ ما هكذا تورد الإبل. . هذا خطأ كبير لا بد من النزول عنه.

في كتاب «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل» للأستاذ محمود عبد الحليم[1] وقدم له مرشد الإخوان المسلمين الحالي الأستاذ مصطفى مشهور وقال عن الكتاب «مادة تعين الباحثين على مهمة التأريخ الصادق لهذه الجماعة، ومصدرًا يرجع إليه كل إنسان شريف ينشد الحقيقة في مظانها الصحيحة!!!»[2]، وطبع هذا الكتاب في دار الدعوة بالإسكندرية. . .

---

(١) قال عنه الأستاذ مصطفى مشهور في مقدمته للكتاب: «من الرواد الأوائل الذين سبقوا إلى هذه الجماعة وعاشوا وجاهدوا في ظلها وعاصروا أحداثها منذ الثلاثينات».

(٢) مقدمة الكتاب ص(٨).

□يقول الأستاذ محمود عبد الحليم في كتابه في الجزء الأول، تحت عنوان الفصل الثاني «في فلسطين»:

يقول عن «لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية» التي حضرت إلى مصر في سنة ١٩٤٦م، وطافت هذه اللجنة بالبلاد العربية متظاهرة بأنها لجنة تبحث عن العدالة بالاستماع إلى أطراف النزاع، وقد حضرت إلى مصر وعقدت في القاهرة جلستين، وكانت جلستها الأخيرة في ٥/٣/١٩٤٦م وقد استمعت في هذه الجلسة إلى السيد مراد البكري وعبد المجيد صالح باشا وصالح حرب باشا والدكتور منصور فهمي باشا والأستاذ المرشد العام.. تقول جريدة المصري: وقد تكلّم الجميع في حماس مخلّ ثم ساد الجلسة السكون عندما جاء دور الشيخ حسن البنا، وقد ارتجل كلمة هادئة رزينة باللغة العربية جمعت بين قوة الحجة وسرعة البديهة وحضور النكتة. وتولى الترجمة الأستاذ أحمد السكري وكيل الإخوان المسلمين.

وقد استهل الشيخ البنا كلمته بالاعتذار عن إلقائها باللغة الإنجليزية - ثم قال: «إنه لا يريد أن يتحدث عن مشكلة فلسطين من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقد طال فيها البحث ولا حاجة إلى تكرار ما قيل. واستطرد قائلاً: «باسم الإخوان المسلمين أؤيد ما أعلنه العرب وزعماؤهم ومندوبوهم وكذلك الجامعة العربية!!

والناحية التي سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية؛ لأن هذه النقطة قد لا تكون مفهومة في العالم الغربي، ولهذا فإني أحب أن أوضحها باختصار؛ فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية!!! لأن القرآن الكريم حض على مصافاتهم ومصادقتهم!!!!!!!!!، والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة

قومية وقد أثنى عليهم!!!! وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا ﴿وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وحينما أراد القرآن الكريم أن يتناول مسألة اليهود تناولها م الوجهة الاقتصادية والقانونية، فقال تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا (١٦٠) وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾.

ونحن حين نعارض بكل قوة الهجرة اليهودية، نعارضها لأنها تنطوي على خطر سياسي اقتصادي، وحقنا أن تكون فلسطين عربية.

ولي كلمة أخيرة: من **الوجهة الدينية؛ فإن اليهود يقولون عن فلسطين إنها أرض الميعاد.. ونحن لا مانع لدينا من أن يكونوا في يوم القيامة معنا!!!!**»[١].

لا يعلم إلا اللَّه وحده مدى حزني وغمي وكآبتي لمثل هذا القول من الشيخ حسن البنا، وكان فقد ناظري أهون عليّ من قراءة هذا، وأردت أن أتحقق من هذا الكلام.. وعلى مرأى من الناس ومسمع في مسجد المدينة الجامعية الجديدة بالأسكندرية ناقشتُ الأستاذ مصطفى مشهور في هذا الكلام وأنه ينبغي أن يحذف هذا الكلام؛ لأنه يسيء إلى تاريخ الشيخ حسن البنا ـ رحمه اللَّه ـ، وإذا برد الأستاذ مصطفى مشهور ينزل عليّ وعلى الملأ ينزل عليّ كالصاعقة إذ قال مدافعًا: «كيف تبغض أناسًا وأنت تريد أن تدعوهم إلى الإسلام؟!».

إن أنس نفسي لن أنسى هذا الكلام ما حييت...

---

(١) «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ رؤية من الداخل» لمحمود عبد الحليم عضو الهيئة التأسيسية الجزء الأول ص(٤٠٩ ـ ٤١٠) ـ دار الدعوة بالأسكندرية.

ويا ليته سكت، وتذكرت مقالة الأستاذ «محمد محمد حسين» في كتابه القيم «الإسلام والحضارة الغربية» حيث قال:

«نحن حين ندعو إلى إعادة النظر في تقويم الرجال لا نريد أن ننقص من قدر أحد، ولكننا لا نريد أن تقوم في مجتمعنا أصنام[١] جديدة معبودة لأناس يزعم الزاعمون أنهم معصومون من كل خطأ، وأن أعمالهم كلها حسنات لا تقبل القدح والنقد، حتى أن المخدوع بهم والمتعصب لهم والمروّج لآرائهم ليهيج ويموج إذا وصف أحد الناس إمامًا من أئمتهم بالخطأ في رأي من آرائه، في الوقت الذي لا يهيجون فيه ولا يموجون حين يُوصف أصحاب رسول اللَّه ﷺ بما لا يقبلون أن يوصف به زعماؤهم المعصومون»[٢].

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[آل عمران: ١١٨].

«نزلت هذه الآية في أناس من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين، ويواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والجوار فأنزل اللَّه هذه الآية تنهاهم عن مباطنتهم، خوف الفتنة منهم عليهم»[٣].

إن كل جملة قالها البنا تحتاج إلى الرد المفصل عليها، وليس هذا مجالها.

---

(١) هذا الكلام على العموم.. لا نقصد به شخص الشيخ حسن البنا ـ غفر اللَّه له ـ وإنما هو كلام عام فليست أخطاء أي إنسان ـ مهما كان ـ مقدسة.

(٢) «الإسلام والحضارة الغربية» ص(٥٠).

(٣) «أسباب النزول» للواحدي ص(٦٨).

*** لأستاذ حامد أبو النصر مرشد الإخوان والخطأ العقائدي الكبير ـ غفر اللَّه له ـ وقوله: «لا نعادي اليهود من أجل دينهم»:**

يقول الأستاذ حامد أبو النصر: «نحن الإخوان المسلمون لا نُعادي اليهود من أجل دينهم أو عقيدتهم فلكل دينه وعقيدته، ولا نحارب أصحاب الأديان من أجل دينهم فلهم دينهم ولنا ديننا»[١] !!!!!.

□ هل يُعقل أن يقول هذا كبير جماعة الإخوان!!! فماذا أبقيتم للسادات؟؟

*** وإليك الطامة الكبرى:**

يقول الإستاذ حامد أبو النصر في مقالة له بمجلة المجتمع بعنوان «رسالة من الإخوان المسلمين إلى الرئيس حسني مبارك»: «وأخيرًا فإنه ينبغي علينا أن نصر إصرارًا لا تفريط فيه ولا مساومة معه، على ضرورة اعتراف إسرائيل بحق تقرير المصير للفلسطينيين حتى يقيموا دولة مستقلة على ترابهم الوطني وعاصمتها القدس، وينبغي أن نحرص تمام الحرص ألا يضيّع هذا الطلب أي تزيّد أو تشدد»[٢] .

أليس هذا اعترافًا من الإخوان بحق إسرائيل في الوجود؟! هل تمحون جهادكم على أرض فلسطين..؟ اتقوا اللَّه في شباب المسلمين.. إنكم تضيّعون أحلى ما عندكم...

*** الرد على هذه الأخطاء الشنيعة:**

الولاء والبراء من لوازم «لا إله إلا اللَّه». ولا تجوز موالاة اليهود

---

(١) مجلة المجتمع ـ العدد ٧٨٣ ـ ١٢ محرم ١٤٠٧ هـ ص(١٦).

(٢) مجلة المجتمع ـ عدد ٨١٠ ـ ٢٤/ ٨٧٣ ص(٢٠).

والنصارى ومصافاتهم أو مصادقتهم:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

قال ابن جرير ـ رحمه اللَّه ـ في «تفسيرها»: «من تولى اليهود والنصارى من دون اللَّه، فإنه منهم، أي من أهل دينهم وملّتهم، فإنه لا يتولى متولٍ أحدًا إلا وهو به وبدينه وما عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه»[١].

وقال ابن حزم: «صحّ أن قول اللَّه تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين»[٢].

وقال ابن تيمية: «أخبر اللَّه في هذه الآية: أن متوليهم هو منهم وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١].

فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب. فالقرآن يصدق بعضه بعضًا»[٣].

وقال ابن القيم: «إن اللَّه قد حكم ولا أحسن من حكمه ـ أنه مَن تولى اليهود والنصارى، فهو منهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

---

(١) «تفسير الطبري» (٦/ ٢٧٧).

(٢) «المحلى» لابن حزم (١٣/ ٣٥).

(٣) «الإيمان» لابن تيمية ص(١٤) ـ المكتب الإسلامي.

فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم. وهذا عام، خصّ منهم من يتولاهم ودخل في دينهم بعد التزام الإسلام فإنه يقر ولا تقبل منه الجزية، بل إما الإسلام أو السيف لأنه مرتد بالنص والإجماع»(١).

□ قال الأستاذ سيد قطب في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

«نزل القرآن ليبث الوعي اللازم للمسلم في المعركة التي يخوضها بعقيدته، لتحقيق منهجه الجديد في واقع الحياة. ولينشئ في ضمير المسلم تلك المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من لا ينتمي إلى الجماعة المسلمة، ولا يقف تحت رايتها الخاصة. المفاصلة التي لا تنهي السماحة الخلقية. فهذه صفة المسلم دائمًا. ولكنها تنهي الولاء الذي لا يكون في قلب المسلم إلا للَّه ورسوله والذين آمنوا.. الوعي والمفاصلة اللذان لا بد منهما للمسلم في كل أرض وفي كل جيل».

* ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: إنها حقيقة لا علاقة لها بالزمن؛ لأنها حقيقة نابعة من طبيعة الأشياء.. إنهم لن يكونوا أولياء للجماعة المسلمة في أي أرض ولا في أي تاريخ.. وقد مضت القرون تلو القرون ترسم مصداق هذه القولة الصادقة، لقد ولي بعضهم بعضًا في حرب محمد ﷺ والجماعة المسلمة في المدينة، وولي بعضهم بعضًا في كل فجاج الأرض، على مدار التاريخ، ولم تختل هذه القاعدة مرة واحدة، ولم يقع في هذه الأرض إلا ما قرره القرآن الكريم، في صيغة الوصف

(١) «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ٦٧، ٦٩).

الدائم، لا الحادث المفرد، واختيار الجملة الاسمية على هذا النحو ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾: ليست مجرد تعبير! إنما هي اختيار مقصود للدلالة على الوصف الدائم الأصيل!.

ثم رتب على هذه الحقيقة الأساسية نتائجها، فإنه إذا كان اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض، فإنه لا يتولاهم إلا من هو منهم. والفرد الذي يتولاهم من الصف المسلم، يخلع نفسه من الصف ويخلع عن نفسه صفة هذا الصف «الإسلام» وينضم إلى الصف الآخر؛ لأن هذه هي النتيجة الطبيعية الواقعية:

* ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾: وكان ظالمًا لنفسه ولدين اللَّه وللجماعة المسلمة.. وبسبب من ظلمه هذا يدخله اللَّه في زمرة اليهود والنصارى الذين أعطاهم ولاءه. ولا يهديه إلى الحق ولا يرده إلى الصف المسلم:

* ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: لقد كان هذا تحذيرًا عنيفًا للجماعة المسلمة في المدينة. ولكنه تحذير ليس مبالغًا فيه. فهو عنيف، نعم؛ ولكنه يمثل الحقيقة الواقعة. فما يمكن أن يمنح المسلم ولاءه لليهود والنصارى ـ وبعضهم أولياء بعض ـ ثم يبقى له إسلامه وإيمانه، وتبقى له عضويته في الصف المسلم، الذي يتولى اللَّه ورسوله والذين آمنوا.. فهذا مفرق الطريق.

وما يمكن أن يتميع حسم المسلم في المفاصلة الكاملة بينه وبين كل من ينهج غير منهج الإسلام؛ وبينه وبين كل من يرفع راية غير راية الإسلام؛ ثم يكون في وسعه بعد ذلك أن يعمل عملاً ذا قيمة في الحركة الإسلامية الضخمة التي تستهدف ـ أول ما تستهدف ـ إقامة نظام واقعي

في الأرض فريد؛ يختلف عن كل الأنظمة الأخرى، ويعتمد على تصور متفرد كذلك من كل التصورات الأخرى.

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم، الذي لا أرجحة به ولا تردد، بأن دينه هو الدين الوحيد الذي يقبله اللَّه من الناس ـ بعد رسالة محمد ﷺ ـ وبأن منهجه الذي كلفه اللَّه أن يقيم الحياة عليه، منهج متفرد، لا نظير له بين سائر المناهج، ولا يمكن الاستغناء عنه بمنهج آخر، ولا يمكن أن يقوم مقامه منهج آخر، ولا تصلح الحياة البشرية ولا تستقيم إلا أن تقوم على هذا المنهج وحده دون سواه، ولا يعفيه اللَّه ولا يغفر له ولا يقبله إلا إذا هو بذل جهد طاقته في إقامة هذا المنهج بكل جوانبه: الاعتقادية والاجتماعية؛ لم يأل في ذلك جهدًا، ولم يقبل من منهجه بديلاً ـ ولا في جزء منه صغير ـ ولم يخلط بينه وبين أي منهج آخر في تصور اعتقادي، ولا في نظام اجتماعي، ولا في أحكام تشريعية، إلا ما استبقاه اللَّه في هذا المنهج من شرائع مَن قبلنا من أهل الكتاب.

إن اقتناع المسلم إلى درجة اليقين الجازم بهذا كله هو ـ وحده ـ الذي يدفعه للاضطلاع بعبء النهوض بتحقيق منهج اللَّه الذي رضيه للناس، في وجه العقبات الشاقة، والتكاليف المضنية، والمقاومة العنيدة، والكيد الناصب، والألم الذي يكاد يجاوز الطاقة في كثير من الأحيان، وإلا فما العناء في أمر يغني عنه غيره ـ مما هو قائم في الأرض من جاهلية.. سواء كانت هذه الجاهلية ممثلة في وثنية الشرك، أو في انحراف أهل الكتاب، أو في الإلحاد السافر.. بل ما العناء في إقامة المنهج الإسلامي، إذا كانت الفوارق بينه وبين مناهج أهل الكتاب أو غيرهم قليلة، يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة والمهادنة؟

إن الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة، باسم التسامح والتقريب بين أهل الأديان السماوية، يخطئون فهم معنى الأديان كما يخطئون فهم معنى التسامح. فالدين هو الدين الأخير وحده عند اللَّه. والتسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي ولا في النظام الاجتماعي.. إنهم يحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم بأن اللَّه لا يقبل دينًا إلا الإسلام، وبأن عليه أن يحقق منهج اللَّه الممثل في الإسلام ولا يقبل دونه بديلاً، ولا يقبل فيه تعديلاً ـ ولو طفيفًا ـ هذا اليقين الذي ينشئه القرآن الكريم وهو يقرر: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.. وفي القرآن كلمة الفصل.. ولا على المسلم من تميع المتميعين وتمييعهم لهذا اليقين!»[1].

□ ويقول أيضًا بعد سرده لبعض الآثار:

فهذه الأخبار في مجموعها تشير إلى تلك الحالة التي كانت واقعة في المجتمع المسلم، والمتخلفة عن الأوضاع التي كانت قائمة في المدينة قبل الإسلام، وكذلك عن التصورات التي لم تكن قد حسمت في قضية العلاقات التي يمكن أن تقوم بين الجماعة المسلمة واليهود والتي لا يمكن أن تقوم.. غير أن الذي يلفت النظر أنها كلها تتحدث عن اليهود، ولم يجئ ذكر في الوقائع للنصارى.. ولكن النص يجمل اليهود والنصارى،

---

(١) «الظلال» (٢/ ٩١١ ـ ٩١٢).

ذلك أنه بصدد إقامة تصور دائم وعلاقة دائمة وأوضاع دائمة بين الجماعة المسلمة وسائر الجماعات الأخرى، سواء من أهل الكتاب أو من المشركين (كما سيجيء في سياق هذا الدرس)، ومع اختلاف مواقف اليهود من المسلمين عن مواقف النصارى في جملتها في العهد النبوي، ومع إشارة القرآن الكريم في موضع آخر من السورة إلى هذا الاختلاف في قوله تعالى: ﴿**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ**...﴾ إلخ.. مع هذا الاختلاف الذي كان يومذاك، فإن النص هنا يسوي بين اليهود والنصارى - كما يسوي النص القادم بينهم جميعًا وبين الكفار.. فيما يختص بقضية المحالفة والولاء. ذلك أن هذه القضية ترتكز على قاعدة أخرى ثابتة هي: أن ليس للمسلم ولاء ولا حلف إلا مع المسلم، وليس للمسلم ولاء إلا للَّه ولرسوله ﷺ وللجماعة المسلمة، ويستوي بعد ذلك كل الفرق في هذا الأمر، مهما اختلفت مواقفهم من المسلمين في بعض الظروف.

على أن اللَّه سبحانه وهو يضع للجماعة المسلمة هذه القاعدة العامة الحازمة الصارمة، كان علمه يتناول الزمان كله، لا تلك الفترة الخاصة من حياة رسول اللَّه ﷺ وملابساتها الموقوتة، وقد أظهر التاريخ الواقع فيما بعد أن عداء النصارى لهذا الدين وللجماعة المسلمة في معظم بقاع الأرض لم يكن أقل من عداء اليهود، وإذا نحن استثنينا موقف نصارى العرب ونصارى مصر في حسن استقبال الإسلام، فإننا نجد الرقعة النصرانية في الغرب، قد حملت للإسلام في تاريخها كله منذ أن احتكت به من العداوة والضغن، وشنت عليه من الحرب والكيد، ما لا

يفترق عن حرب اليهود وكيدهم في أي زمان! حتى الحبشة التي أحسن عاهلها استقبال المهاجرين المسلمين واستقبال الإسلام، عادت فإذا هي أشد حربًا على الإسلام والمسلمين من كل أحد، لا يجاريها في هذا إلا اليهود.

وكان اللَّه سبحانه يعلم الأمر كله. فوضع للمسلم هذه القاعدة العامة. بغض النظر عن واقع الفترة التي كان هذا القرآن يتنزل فيها وملابساتها الموقوتة! وبغض النظر عما يقع مثلها في بعض الأحيان هنا وهناك إلى آخر الزمان.

وما يزال الإسلام والذين يتصفون به ـ ولو أنهم ليسوا من الإسلام في شيء ـ يلقون من عنت الحرب المشبوبة عليهم وعلى عقيدتهم من اليهود والنصارى في كل مكان على سطح الأرض، ما يصدق قول اللَّه تعالى: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وما يحتم أن يتدرع المسلمون الواعون بنصيحة ربهم لهم. بل بأمره الجازم، ونهيه القاطع، وقضائه الحاسم في المفاصلة الكاملة بين أولياء اللَّه ورسوله، وكل معسكر آخر لا يرفع راية اللَّه ورسوله.

إن الإسلام يكلف المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعًا على أساس العقيدة. فالولاء والعداء لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء إلا في العقيدة، ومن ثم لا يمكن أن يقوم الولاء ـ وهو التناصر ـ بين المسلم وغير المسلم؛ إذ إنهما لا يمكن أن يتناصرا في مجال العقيدة، ولا حتى أمام الإلحاد مثلاً ـ كما يتصور بعض السذج منا وبعض من لا يقرءون القرآن! ـ وكيف يتناصران؟ وليس بينهما أساس مشترك يتناصران عليه؟!!

إن بعض من لا يقرءون القرآن، ولا يعرفون حقيقة الإسلام،

وبعض المخدوعين أيضًا يتصورون أن الدين كله دين! كما أن الإلحاد كله إلحاد! وأنه يمكن إذن أن يقف «التدين» بجملته في وجه الإلحاد؛ لأن الإلحاد ينكر الدين كله، ويحارب التدين على الإطلاق.

ولكن الأمر ليس كذلك في التصور الإسلامي، ولا في حس المسلم الذي يتذوق الإسلام، ولا يتذوق الإسلام إلا من يأخذه عقيدة، وحركة بهذه العقيدة، لإقامة النظام الإسلامي.

إن الأمر في التصور الإسلامي وفي حس المسلم واضح محدد، الدين هو الإسلام، وليس هناك دين غيره يعترف به الإسلام؛ لأن اللَّه سبحانه يقول هذا، يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ﴾، ويقول: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾، وبعد رسالة محمد ﷺ لم يعد هناك دين يرضاه اللَّه ويقبله من أحد إلا هذا «الإسلام».. في صورته التي جاء بها محمد ﷺ وما كان يقبل قبل بعثة محمد من النصارى لم يعد الآن يقبل. كما أن ما كان يقبل من اليهود قبل بعثة عيسى عليه السلام، لم يعد يقبل منهم بعد بعثته.

ووجود يهود ونصارى ـ من أهل الكتاب ـ بعد بعثة محمد ﷺ ليس معناه أن اللَّه يقبل منهم ما هم عليه، أو يعترف لهم بأنهم على دين إلهي، لقد كان ذلك قبل بعثة الرسول الأخير، أما بعد بعثته فلا دين ـ في التصور الإسلامي وفي حس المسلم ـ إلا الإسلام، وهذا ما ينص عليه القرآن نصًّا غير قابل للتأويل.

إن الإسلام لا يكرههم على ترك معتقداتهم واعتناق الإسلام؛ لأنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ ولكن هذا ليس معناه أنه يعترف بما هم عليه «دينًا» ويراهم على «دين».

ومن ثم فليس هناك جبهة تدين يقف معها الإسلام في وجه الإلحاد! هناك «دين» هو الإسلام، وهناك «لا دين» هو غير الإسلام، ثم يكون هذا اللادين عقيدة أصلها سماوي ولكنها محرفة، أو عقيدة أصلها وثني باقية على وثنيتها، أو إلحادًا ينكر الأديان، تختلف فيما بينها كلها. ولكنها تختلف كلها مع الإسلام. ولا حلف بينها وبين الإسلام ولا ولاء...

والمسلم يتعامل مع أهل الكتاب هؤلاء؛ وهو مطالب بإحسان معاملتهم - كما سبق - ما لم يؤذوه في الدين، ويباح له أن يتزوج المحصنات منهن - على خلاف فقهي فيمن تعتقد بألوهية المسيح أو بنبوته، وفيمن تعتقد التثليث أهي كتابية تحل أم مشركة تحرم - وحتى مع الأخذ بمبدأ تحليل النكاح عامة، فإن حسن المعاملة وجواز النكاح، ليس معناها الولاء والتناصر في الدين، وليس معناها اعتراف المسلم بأن دين أهل الكتاب - بعد بعثة محمد - ﷺ هو دين يقبله اللَّه، ويستطيع الإسلام أن يقف معه في جبهة واحدة لمقاومة الإلحاد!

إن الإسلام قد جاء ليصحح اعتقادات أهل الكتاب، كما جاء ليصحح اعتقادات المشركين والوثنيين سواء. ودعاهم إلى الإسلام جميعًا؛ لأن هذا هو «الدين» الذي لا يقبل اللَّه غيره من الناس جميعًا. ولما فهم اليهود أنهم غير مدعوين إلى الإسلام، وكبر عليهم أن يدعوا إليه، جابههم القرآن الكريم بأن اللَّه يدعوهم إلى الإسلام، فإن تولوا عنه فهم كافرون!

والمسلم مكلف أن يدعو أهل الكتاب إلى الإسلام، كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء. وهو غير مأذون في أن يُكره أحدًا من هؤلاء

ولا هؤلاء على الإسلام؛ لأن العقائد لا تنشأ في الضمائر بالإكراه. فالإكراه في الدين فوق أنه منهي عنه، هو كذلك لا ثمرة له.

ولا يستقيم أن يعترف المسلم بأن ما عليه أهل الكتاب - بعد بعثة محمد ﷺ - هو دين يقبله الله، ثم يدعوهم مع ذلك إلى الإسلام! إنه لا يكون مكلفًا بدعوتهم إلى الإسلام إلا على أساس واحد، هو أنه لا يعترف بأن ما هم عليه دين. وأنه يدعوهم إلى الدين.

وإذا تقررت هذه البديهية، فإن لا يكون منطقيًّا مع عقيدته إذا دخل في ولاء أو تناصر للتمكين للدين في الأرض، مع من لا يدين بالإسلام.

إن هذه القضية في الإسلام قضية اعتقادية إيمانية. كما أنها قضية تنظيمية حركية!

من ناحية أنها قضية إيمانية اعتقادية نحسب أن الأمر قد صار واضحًا بهذا البيان الذي أسلفناه، وبالرجوع إلى النصوص القرآنية القاطعة بعدم قيام ولاء بين المسلمين وأهل الكتاب.

ومن ناحية أنها قضية تنظيمية حركية الأمر واضح كذلك، فإذا كان سعي المؤمن كله ينبغي أن يتجه إلى إقامة منهج الله في الحياة - وهو المنهج الذي ينص عليه الإسلام كما جاء به محمد ﷺ بكل تفصيلات وجوانب هذا المنهج، وهي تشمل كل نشاط الإنسان في الحياة، فكيف يمكن إذن أن يتعاون المسلم في هذا السعي مع من لا يؤمن بالإسلام دينًا ومنهجًا ونظامًا وشريعة، ومن يتجه في سعيه إلى أهداف أخرى - إن لم تكن معادية للإسلام وأهدافه فهي على الأقل ليست أهداف الإسلام - إذ الإسلام لا يعترف بهدف ولا عمل لا يقوم على أساس العقيدة مهما بدا في ذاته صالحًا - والذين كفروا ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨].

والإسلام يكلف المسلم أن يخلص سعيه كله للإسلام.. ولا يتصور إمكان انفصال أية جزئية في السعي اليومي في حياة المسلم عن الإسلام، لا يتصور إمكان هذا إلا من لا يعرف طبيعة الإسلام وطبيعة المنهج الإسلامي، ولا يتصور أن هناك جوانب في الحياة خارجة عن هذا المنهج يمكن التعاون فيها مع من يعادي الإسلام، أو لا يرضى من المسلم إلا أن يترك إسلامه، كما نص اللَّه في كتابه على ما يطلبه اليهود والنصارى من المسلم ليرضوا عنه!.. إن هناك استحالة اعتقادية كما أن هناك استحالة عملية على السواء.

ولقد كان اعتذار عبد اللَّه بن أبي بن سلول، وهو من الذين في قلوبهم مرض، عن مسارعته واجتهاده في الولاء ليهود، والاستمساك بحلفه معها، هي قوله: إنني رجل أخشى الدوائر! إني أخشى أن تدور علينا الدوائر وأن تصيبنا الشدة، وأن تنزل بنا الضائقة، وهذه الحجة هي علامة مرض القلب وضعف الإيمان، فالولي هو اللَّه، والناصر هو اللَّه، والاستنصار بغيره ضلالة، كما أنه عبث لا ثمرة له، ولكن حجة ابن سلول، هي حجة كل ابن سلول على مدار الزمان، وتصوره هو تصور كل منافق مريض القلب، لا يدرك حقيقة الإيمان، وكذلك نفر قلب عبادة بن الصامت من ولاء يهود بعد ما بدا منهم ما بدا؛ لأنه قلب مؤمن فخلع ولاء اليهود وقذف به، حيث تلقاه وضم عليه صدره وعض عليه بالنواجذ عبد اللَّه بن أبي بن سلول!

إنهما نهجان مختلفان، ناشئان عن تصورين مختلفين، وعن شعورين متباينين، ومثل هذا الاختلاف قائم على مدار الزمان بين قلب مؤمن وقلب لا يعرف الإيمان!»[1].

---

(١) «الظلال» (٢/ ٩١٣ - ٩١٦).

□ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ: «إن البعض يخلط بين دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم في المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه وبين الولاء الذي لا يكون إلا للَّه ولرسوله ﷺ وللجماعة المسلمة، ناسين ما يقرره القرآن الكريم من أن أهل الكتاب بعضهم أولياء بعض في حرب الجماعة المسلمة، وأن هذا شأن ثابت لهم، وأنهم لن يرضوا عن المسلم إلا أن يترك دينه ويتبع دينهم.

وسذاجة أية سذاجة، وغفلة أية غفلة أن تظن أن لنا وإياهم طريقًا واحدًا نسلكه للتمكين للدين!! أمام الكفار والملحدين. فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين.

فلندع من يغفل عن هذا ولنكن واعين للتوجيه القرآني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾[1] .

*** نحن لا نكفر أحداً إلا بيقين وبعد قيام الحجة عليه:**

نحن لا نكفر أحدًا وليس هذا من طبعنا، ولو أن هناك ألف باب لتكفير الرجل، وباب واحد نحكم به على الرجل بالإسلام لحكمنا له بالإسلام.

فنحن نحكم بالإسلام بأدنى شبهة ولا نُخرِج من الإسلام إلا بيقين.

ونعلم أن هناك فرقًا بين «كفر النوع وكفر العين» وأن الرجل قد يرتكب الكفر الأكبر ولا يكفر به، فربما كان الرجل جاهلاً أو متأولاً أو نشأ ببلدة لا تعرف الإسلام، أو كان حديث عهد بإسلام أو غلبة علماء السوء على البلدة.

---

(١) «الظلال» (٢/ ٩٠٩ ـ ٩١٠).

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣].

«فهذا أمر من اللَّه بمباينة الكفار، وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهي عن موالاتهم إذا اختاروا الكفر على الإيمان»[١] .

قال القرطبي: «وهذه الآية باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين»[٢]

* وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال ابن كثير: «قد شُرِعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبدًا نتبرأ منكم ونبغضكم إلى أن توحدوا اللَّه فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان»[٣] .

واليهود والنصارى كفار مخلدون في النار بنص القرآن والسنة وإجماع المسلمين.. وتكفي آية واحدة من كتاب اللَّه لا ننساها إن نسينا

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٦).

(٢) «أحكام القرآن للقرطبي» (٨/ ٩٤).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (١٣/ ٥١٣) ـ مكتبة أولاد الشيخ.

أسماءنا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً (١٥٠) أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

ومن أصدق من اللَّه قيلاً؟. فالعداوة والبغضاء بيننا وبينهم حتى يسلموا ولا عبرة بقول حسن البنا وحامد أبو النصر..

□ يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ:

«هي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم، وهو الكفر بهم والإيمان باللَّه، وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم باللَّه وحده. وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئًا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان.

وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل. وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين»[١].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم

(١) «الظلال» (٦/ ٣٥٤٢).

بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة: ١، ٢].

قال ابن كثير في «تفسيره» (١٣/ ٥١١): «نهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء».

وقال سيد قطب في «الظلال» (٦/ ٣٥٤٠ - ٣٥٤١): «يذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم، وعدوانهم على هذا كله في تجنّ وظلم، فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟ كفروا بالحق، وأخرجوا الرسول والمؤمنين، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا باللَّه ربهم؟ والأدهى من هذا كله والأشد والأنكى ﴿ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾.

وهذه عند المؤمن أشد من كل أذى ومن كل سوء يصيبه باليد أو اللسان، فالذي يود له أن يخسر هذا الكنز العزيز.. كنز الإيمان ويرتد إلى الكفر هو أعدى من كل عدو يؤذيه باليد واللسان!

والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر، ويهتدي بنوره بعد الضلال، ويعيش عيشة المؤمن بتصوراته ومداركه ومشاعره واستقامة طريقه وطمأنينة قلبه يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يُلقى في النار أو أشد، فعدو اللَّه هو الذي يود أن يرجعه إلى جحيم الكفر وقد خرج منه إلى جنة الإيمان، وإلى فراغ الكفر الخاوي بعد عالم الإيمان المعمور».

* وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ١٤٤].

* وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم

مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧].

* وقال تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير: «من اتخذ الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من اللَّه في شيء، أي قد برئ من اللَّه وبرئ اللَّه منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ﴿إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ أي: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل»[1].

* وقال تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الأستاذ «سيد قطب» في «الظلال» (٦/ ٣٥١٤ ـ ٣٥١٥):

«إنها المفاصلة الكاملة بين حزب اللَّه وحزب الشيطان.. ما جعل اللَّه لرجل من قلبين في جوفه، وما يجمع إنسان في قلب واحد وُدّين: ودًّا للَّه ورسوله وودًّا لأعداء اللَّه ورسوله! فإما إيمان أو لا إيمان. أمّا هما

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٨).

معًا فلا يجتمعان.

فراوبط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حد الإيمان.. إنها يُمكن أن تُرعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين: لواء اللَّه ولواء الشيطان. والصحبة بالمعروف للوالدين المشركين مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب اللَّه وحزب الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطّعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد. ولقد قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر، وهمّ الصديق بقتل ولده عبد الرحمن، وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد ابن عُمير، وقتل عُمر وحمزة وعلى وعبيدة والحارث أقرباءهم وعشيرتهم، متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة. وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان اللَّه...

وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب اللَّه وحزب الشيطان، وإلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل. فإما أن يكون الفرد من حزب اللَّه فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل، وهما صفّان متميزان لا يختلطان ولا يتميّعان!!

لا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية.. إنما هي العقيدة والعقيدة وحدها».

● عن جرير بن عبد اللَّه البجلي ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ بايعه على أن: **«تنصح لكل مسلم وتبرأ من الكافر»**[1].

---

(١) حديث حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٥٧) ـ ط ٢ ـ المكتب الإسلامي.

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في اللَّه والبغض في اللَّه**»(١) .

● وعن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في اللَّه والمعاداة في اللَّه، والحب في اللَّه والبغض في اللَّه**»(٢) .

● وعن أبي أمامة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من أحبّ للَّه، وأبغض للَّه، وأعطى للَّه، ومنع للَّه فقد استكمل الإيمان**»(٣) .

* حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى هي من أجل العقيدة:

❑ قال الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «إن حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة هي من أجل العقيدة. وهم قد يختصمون فيما بينهم ولكنهم يلتقون دائمًا في المعركة ضد الإسلام والمسلمين.

وقد يرفعون لهذه المعركة أعلامًا شتى ـ في خبث ومكر وتورية ـ لأنهم قد جرّبوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة، فخوفًا من حماس العقيدة الإسلامية وجيشانها: أعلنوا الحرب باسم الأرض والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية، وألقوْا في

(١) حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» ص(٤٥)، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود مرفوعًا، وحسنه الألباني في تخريج «الإيمان» لابن أبي شيبة.

(٢) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٣٦).

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٦٨١)، والضياء، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٥٩٦٥).

روع المخدوعين منا: أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها! ولايجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها، فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! وذلك ليأمنوا جيشان العقيدة من جديد، بينما هم في قرارة نفوسهم جميعًا يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها فأدمتهم جميعًا!.

فإذا نحن خُدعنا بخديعتهم فلا نلومنّ إلا أنفسنا، ونحن نبتعد عن توجيه اللَّه لنبيه ﷺ ولأمته وهو سبحانه أصدق القائلين: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

هذا هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه وما سواه فمرفوض مردود. ولكن الأمر الحازم والتوجيه الصادق ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ﴾ على سبيل القصر والحصر، هدى اللَّه هو الهدى وما عداه فليس بهدى»[(١)] .

▫ إذا نحن خُدعنا بخديعتهم فلا نلومن إلا أنفسنا، ومن أصدق من اللَّه قيلاً؟ ومن أصدق من اللَّه حديثًا؟

* قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

* وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

---

(١) «الظلال» (١٠٨/١) بتصرف.

* وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

* وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤].

* وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً..﴾ [النساء: ٨٩].

* وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ الآية [المائدة: ٨٢].

* وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨].

* المجد للعذراء Ave Mary لا عاصفة الصحراء أيها البُله:

«إن الاسم الرمزي لحرب تدمير العراق ليس عاصفة الصحراء، بل المجد للعذراء AveMary ، كانت هذه الترتيلة الكنسية في تحية وتمجيد العذراء مريم هي الصيحة التي أطلقها السفاح شوارتسكوف مع أول صاروخ في حرب الخليج، ولقد كتبوا على صاروخ منها: إن كان محمدهم لا يستجيب لدعائهم فليدعوا المسيح، ... وفي مخبأ العامرية في بغداد قتل مئات المدنيين، من بينهم أكثر من أربعمائة طفل بصاروخ من صواريخ المجزرة الأطلسية في حرب الخليج»[1] .

▫ ولكي لا ننسى فما زال أمام عيني حديث قائد قوات التحالف

---

(١) «إني أرى الملك عاريًا» للدكتور محمد عباس ص(١٥٨).

شوارتزكوف مع مراسل إذاعة الجيش الإسرائيلي في ٢٩/٤/١٩٩١م، وأبرز ما في الحديث هو رائحة التعصب اليهودي التي تفوح من فم هذا المتعصب. فقد اعترف هذا القائد بالتخطيط لتدمير قوات العراق العسكرية، وبالعلاقات الحميمة بين إسرائيل وأمريكا في المجالات الأمنية والعسكرية، وبالعلاقات التي تربط هذا القائد بالقادة العسكريين اليهود، وأخيراً بأن أمريكا خاضت هذه الحرب من أجل إسرائيل «إن الحرب التي خاضها رجالنا في منطقة الخليج ضد صدّام كانت من أجلكم.. من أجل إسرائيل، وقد عمل الرجال على تحطيم عدوكم»(١).

* لا وألف لا للقرضاوي ـ غفر اللَّه له ـ:

□ يقول الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه «القدس قضية كل مسلم» تحت عنوان «حقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل»:

«أودّ أن أبيّن هنا بوضوح: نقطة مهمة، كثيراً ما يشوبها الغموض أو الالتباس في أذهان كثير من الناس، ولا سيما من المتدينين المسلمين. وكثيراً ما تستغلها إسرائيل في دعايتها الصهيونية، لكسب الرأي العام ـ وخصوصًا الغربي ـ إلى صفها. هذه النقطة تتعلق بأسباب المعركة بيننا وبين اليهود وحقيقتها، فما هذه الأسباب التي أشعلت نار الحرب بيننا وبين اليهود في فلسطين، قبل أن تقوم إسرائيل في سنة ١٩٤٨م وبعد قيامها إلى اليوم؟»، ثم قال: «هل نعادي إسرائيل لأنها سامية؟» ثم فنّد هذا.

---

(١) «مجلة السنة» ـ العدد السابع عشر ـ ربيع الثاني ١٤١٢ هـ ص(٢٩).

وتحت عنوان: «هل نعادي إسرائيل لأنها يهودية؟» قال:

«وإذا كانت «السامية» ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك «اليهودية» باعتبارها ديانة ليست هي السبب...

فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة، لحاربنا النصارى المسيحيين أيضًا.

ومن أجل هذا يتبيّن لنا خطأ بعض عوام المتدينين الذين يتوهمون أن الحرب القائمة بيننا وبين اليهود حرب من أجل العقيدة، ومعنى هذا: أننا نقاتل اليهود؛ لأنهم يهود كفروا برسالة محمد، وحرّفوا كلام اللَّه عن موضعه، شوّهوا حقيقة الألوهية في كتابهم، فقد شبّهوا الخالق بالمخلوق ولوّثوا صورة الرسل والأنبياء.. إلى آخر ما هو معروف عنهم، ممّا حكاه القرآن من قتلهم الأنبياء بغير حق، وتطاولهم على اللَّه حتى قالوا: يد اللَّه مغلولة، وقالوا: إن اللَّه فقير ونحن أغنياء!

وهذه النظرة التي قد تخطر في بال بعض الناس خاطئة تمامًا، فاليهود كما رأينا يعتبرهم الإسلام أهل كتاب، يبيح مؤاكلتهم، ويبيح مصاهرتهم، وقد عاشوا قرونًا بين ظهراني المسلمين، وقد طردهم العالم، لفظهم لفظ النواة، من أسبانيا وغيرها، ولم يجدوا صدرًا حنونًا إلا في دار الإسلام، وأوطان المسلمين، ولم يفكِّر المسلمون يومًا أن يحاربوا اليهود»[1].

□ وتحت عنوان «السبب الحقيقي لمعركتنا مع اليهود» قال القرضاوي:

«والواقع أن المعركة بدأت بيننا وبين اليهود، بسبب واحد لا شريك

---

(١) «القدس قضية كل مسلم» للدكتور يوسف القرضاوي ص(٣٨ ـ ٤١) ـ مكتبة وهبة.

له، وهو أنهم اغتصبوا أرضنا ـ أرض الإسلام، أرض فلسطين ـ وشردوا أهلنا، أهل الدار الأصليين، وفرضوا وجودهم الدخيل بالحديد والنار، والعنف والدم.. تكلم السيف فاسكت أيها القلم! وستظل المعركة قائمة بيننا وبينهم ما دامت الأسباب قائمة، وسيظل الصلح مرفوضًا إذا كان مبنيًّا على الاعتراف بأن لهم حقًّا فيما اغتصبوه من الأرض، إذ لا يملك أحد أن يتنازل عن الأرض الإسلامية، إنما يمكن إقامة هدنة بيننا وبين إسرائيل!!، لفترة من الزمن، تقصر أو تطول، يكفّ فيها الطرفان عن الحرب، ويسود فيها لزمن، وتتبادل بعض العلاقات مع بعض!!!»[1]، ثم قال تحت عنوان: «الطابع الديني للمعركة»:

«وهذا لا ينفي الطابع الديني عن المعركة، فالمعركة ـ وإن كانت من أجل الأرض لها بواعثها الدينية، وأهدافها الدينية.

فكل معركة يدخلها المسلم للدفاع عن حق، أو لمقاومة باطل، أو لإقامة عدل، أو للثورة على ظلم، فهي معركة دينية، لأنها معركة في سبيل اللَّه. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦].

والإسلام يوجب على المسلمين ـ بالتضامن ـ الدفاع عن أرض الإسلام، ويعتبر ذلك من أقدس أنواع الجهاد، كما يعدّ من قُتل في ذلك شهيدًا من أعظم الشهداء. والجهاد ـ دفاعًا على الأرض ـ فرض عين على أهلها حتى تحرر، وإذا لم يكف أهلها للدفاع عنها، وجب على من يجاورهم، حتى يشمل المسلمين كافة في النهاية، ولا يجيز شرع الإسلام

---

(١) المصدر السابق ص(٤٤ ـ ٤٥).

للمسلمين أن يتنازلوا عن ذراع واحد من أرض الإسلام.

فإذا كانت أرض الإسلام هي أولى القبلتين، وثالث المسجدين المقدسين، كان الجهاد في سبيل تحررها أوجب وأعظم وأشرف، وأعلى مكانًا في دين اللَّه»[1].

* الرد على القرضاوي:

الحرب والعداوة بيننا وبين اليهود حرب من أجل العقيدة ومن أجل الأرض، والجهاد في الإسلام جهاد دفع وجهاد طلب:

قول القرضاوي: «وإذا كانت السامية ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك اليهودية باعتبارها ديانة ليست هي السبب».

وهذا القول يكفي في الرد عليه ما رددنا به على الشيخ حسن البنا والأستاذ حامد أبو النصر.

❑ قوله: «فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة، لحاربنا النصارى المسيحيين أيضًا» وفي هذا القول أكبر دليل على أن الشيخ القرضاوي يرى أن الجهاد في الإسلام جهاد دفع فقط، وليس فيه جهاد طلب.

❑ نحن نعادي اليهود أولاً لكفرهم؛ ولأنهم أشد الناس عداوة للمسلمين؛ ولأنهم قتلة الأنبياء من غضب اللَّه عليهم ولعنهم وهم مخلدون في النار أبدًا، وكذا نعادي النصارى بسبب كفرهم وهم الضالون كما نعتهم بذلك القرآن الكريم ولعنهم اللَّه وهم المخلدون في النار أيضًا.

❑ زيادة على عداوتنا الدينية للطائفتين اليهودية والنصرانية فإنا

---

(١) «القدس قضية كل مسلم» للقرضاوي ص(٤٥ ـ ٤٦).

نعادي اليهود أيضًا؛ لأنهم اغتصبوا أغلى مقدساتنا، وأسالوا الدماء أنهارًا، واغتصبوا نساءنا وهتكوا أعراضنا وذبحوا شيوخنا.

لا تصالح..
ولو توّجوك بتاج الإمارة
كيف تخطو على جثة ابن أبيك
وكيف تصير المليك
على أوجه البهجة المستعارة
كيف تنظر في يد من صافحوك
فلا تبصر الدم في كل كف..
إن سهمًا أتى من الخلف سوف يجيئك من كل خلف..
لا تصالح ولا تقتسم مع من قتلوك الطعام..
وارْوِ قلبك بالدم..
وارووا التراب المقدس وارو أسلافك الراقدين إلى أن تردّ عليك العظام..
إنه ليس ثأرك وحدك لكنه ثأر جيل فجيل
لا تُصالح
ولو وقف ضد سيفك كل الشيوخ.. والرجال التي ملأتها الشروخ..
هؤلاء الذين تدلت عمائمهم فوق أعينهم
وسيوفهم العربية قد نسيت سنوات الشموخ
لا تصالح
فليس سوى أن تريد
أنت فارس هذا الزمان الوحيد..
وسِواك المسوخ

❁ ❁ ❁

* **يا بن الإسلام يا بن عقيدتي:**

اياك أن تفاوض.. انزف دمك واكتب به كتابك الدامي عن خيانتنا. أعطه للتاريخ مثلاً. فسوف يوقظ قلوبًا أعطبها العفن.. وسوف يهزّ أرواحًا دنّستها الخطيئة وكللتها الخيانة.

* **ما هكذا يا شيخ قرضاوي تورد الإبل: دعاة الإخوان يسيرون في هذه النقطة على نهج المدرسة العقلية:**

◻ قول الشيخ القرضاوي: «وإذا كانت (السامية) ليست واردة في أسباب حربنا وعداوتنا لإسرائيل، فكذلك «اليهودية» باعتبارها ديانة ليست هي السبب» ا.هـ.

أي اليهودية ليست سبب حربنا وعداوتنا لقد حرّف رواد المدرسة العقلية الحديثة مفهوم بغض الكافرين وعداوتهم وأحلّوا محلها المحبة والصداقة.. وهذا خطأ بيّن سبق البنا وحامد أبو النصر والقرضاوي إليه كثير منهم:

الشيخ محمد عبده:

ذكر محمد عبده في كتابه «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» ثمانية أصول زعم أنها أصول الإسلام ضمنها تحريف هذه العقيدة المهمة (محبة المؤمنين وبغض الكافرين)، ومما يثير العجب والأسى في آن واحد أن هذه الأصول التي ذكرها محمد عبده للإسلام لم يكن من بينها لا أركان الإسلام، ولا أركان الإيمان، وما أدري على أي شيء استند في تسميتها أصولاً، وها هي ذي أصول الإسلام على زعمه التي ذكرها في كتابه:

١ ـ الأصل الأول: النظر العقلي لتحصيل الإسلام، وقال في

التمهيد لهذا الأصل (فلا يصح أن يؤخذ الإيمان باللَّه من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة، فإنه لا يعقل أن تؤمن بكتاب أنزله اللَّه إلا إذا صدقت قبل ذلك بوجود اللَّه، وبأنه يجوز أن ينزل كتابًا ويرسل رسولاً)[١].

٢ ـ الأصل الثاني: قال عنه: اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلاً ممن لا يُنظر إليه[٢] على أنه إذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل!!

٣ ـ الأصل الثالث: البعد عن التكفير.

٤ ـ الأصل الرابع: الاعتبار بسنن اللَّه في الخلق.

٥ ـ الأصل الخامس: قلب السلطنة الدينية.

٦ ـ الأصل السادس: حماية الدعوة لمنع الفتنة.

٧ ـ الأصل السابع: مودة المخالفين في العقيدة.

٨ ـ الأصل الثامن: الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة[٣].

ألم يقرأ هذا الشيخ حديث الرسول ﷺ الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» **«لا تبدءوا اليهود ولا النصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه»**[٤]، فهل يضيق الإنسان على من بينه وبينه مودة. وحديث الرسول ﷺ في خطبة أول جمعة بالمدينة: **«الحمد للَّه أحمده**

---

(١) «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده ص(٤٨).

(٢) ليعلم القارئ الكريم أن هذا القليل الذي لا ينظر إليه في نظر الشيخ هم الصحابة والتابعون وأئمة المذاهب الأربعة وغيرهم من أعلام الإسلام، وأن هذا الأصل الذي ذكره من أصول الفلاسفة والمعتزلة!!

(٣) انظر هذه الأصول من ص(٤٨ ـ ٧٠) من كتاب «الإسلام والنصرانية» لمحمد عبده.

(٤) «صحيح مسلم» كتاب السلام (٤/١٧٠٧).

وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره وأعادي من يكفره وأشهد أن لا إله إلا اللَّه... ولا تفرطوا في جنب اللَّه قد علمكم اللَّه كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن اللَّه إليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في اللَّه حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ولا قوة إلا باللَّه..»[1] .

وقد تابع محمد عبده من هم على شاكلته من أهل الدفاع ومودة الكافرين فمن يقرأ مقدمة كتاب «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبي زهرة يجده يصف أقباط مصر بأنهم إخوانه وأبناؤه وأصدقاؤه بل يصفهم بأنهم من المخلصين، ولم يكونوا من الذين ظلموا[2] ، وقد عدد قواعد العلاقات الدولية في الإسلام فجعلها تدور على مجموعة نقاط هي:

١ ـ المساواة. ٢ ـ التعاون. ٣ ـ الكرامة الإنسانية. ٤ ـ التسامح.
٥ ـ الحرية. ٦ ـ الفضيلة. ٧ ـ العدالة. ٨ ـ المعاملة بالمثل.
٩ ـ الوفاء بالعهد. ١٠ ـ المودة. وقال تحت هذه القاعدة العاشرة (المودة).

«إن الأخوة الإنسانية العامة التي أوجب الإسلام بها التعارف عندما يختلف الناس أجناسًا وقبائل يجب وصلها بالمودة والعمل على الإصلاح ومنع الفساد ولو اختلف الناس دينًا وأرضًا وجنسًا... وإن المودة الموصولة لا يقطعها الحرب ولا الاختلاف في الدين. وفتح باب المودة للشعوب قد ينهي الحرب ويفتح باب السلام العزيز الكريم»[3] !! ويقول

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٢١٣)، وقال ابن كثير: هكذا أوردها ابن جرير وفي السند إرسال، ثم أورد ابن كثير خطبة النبي ﷺ عن طريق البيهقي، وقال: هذه الطريق أيضًا مرسلة إلا أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

(٢) انظر «محاضرات في النصرانية» لمحمد أبي زهرة ص(٤).

(٣) «انظر: «العلاقات الدولية» لأبي زهرة ص(٢٦١ ـ ٢٧١).

في كتابه «المجتمع الإنساني في ظل الإسلام»: «تقوم العلاقة بين المسلمين وغيرهم على أساس المودة»[١].

▫ والبر والصلة والهدية والضيافة والصدقة لا يلزم منها المحبة ولا المودة فالكافر تبغضه؛ لأن اللَّه يبغضه وتعدل معه وتحسن إليه.

فالعدل في المعاملة وإطعام الطعام والمجادلة بالحسنى شيء والمحبة والمودة والصداقة شيء آخر فالنوع الأول في الموالاة.

أما النوع الثاني: فهو من الموالاة ولا تجوز مودة الكافر ومحبته، ولو كان ذميًّا بل الواجب بغضه؛ لأن اللَّه يبغضه والمؤمن الحق هو الذي يحب ما يحب اللَّه ويبغض ما يبغض اللَّه فها هو ذا عبد اللَّه ابن رواحة ـ رضي اللَّه عنه ـ لما أرسله رسول اللَّه ﷺ إلى يهود خيبر ـ وهم أهل ذمة ـ لكي يخرص نخيل خيبر فحاولوا رشوته قال لهم: (يا أعداء اللَّه تطعموني السحت واللَّه قد جئتكم من عند أحب الناس إليّ ولأنتم أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير ولا يحملني بغضي إياكم وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم، فقالوا: بهذا قامت السمٰوات والأرض)[٢] فهل جهل عبد اللَّه ابن رواحة ـ رضي اللَّه عنه ـ وأرضاه أصلاً من أصول الإسلام وقاعدة من قواعد العلاقات الدولية كما يزعم أصحاب مودة الكافرين.

ولأصحاب مودة الكافرين فهم غريب لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ

---

(١) «المجتمع الإنساني» ص(١٩٠).

(٢) «البداية والنهاية» (٤/ ١٩٧).

اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. فهم كعادتهم لا يأخذون تفسير السلف للآيات والأحاديث إلا إذا وافق ما عندهم يقول أبو زهرة: «ولقد جعل القرآن الكريم اختلاف الناس شعوبًا وقبائل للتعارف والتعاون لا للتباغض والتنازع، ولذلك قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ...﴾ الآية، فاختلاف الشعوب في الأرض له غاية جليلة أرادها اللَّه سبحانه وتعالى، وهي التعارف وهذا التعارف له ظواهر:

الأولى: اللقاء على مودة وتراحم في أمن وسلام لا في حرب وخصام.

الثانية: التعاون على أن ينتفع الإنسان بكل خيرات الأرض بحيث ينتفع أهل كل إقليم بما في الإقليم الآخر من خير ويمده بما عنده من فائض أرضه في مقابل أن ينتفع هو بما عنده، فإذا كانت الأرض مختلفة فيما تنتج فالإنتاج كله للإنسانية كلها فتكون تفرقة الأقاليم ليكون الاستغلال كاملاً فتستغل الأرض في كل أجزائها مهما تتباعد وتتفرق.

الثالثة: من الظواهر تكريم الإنسان في هذه الأرض فلا يوجد تعارف إذا كان إقليم يحتقر إقليمًا؛ لأن ذلك يكون تناكرًا، ولا يكون تعارفًا ولا بد أن يحترم أهل الأرض حرية أهلها فلا يكون إذا لم تحترم الحرية؛ لأنه إذا كان أساس العلاقات الإرهاق النفسي وعدم احترام الحرية الشخصية لا يكون ذلك تعارفًا بل يكون استعبادًا واسترقاقًا أو استعمارًا بلغة ذلك العصر. فأهل كل بلد يدير إدارته بالطريق التي يراها ويعتنقون من العقائد ما شاءوا من غير حريجة دينية ولا إرهاق نفسي بل إن الإسلام ذهب به فرط احترامه للحرية إلى حماية العقيدة الدينية المخالفة من أن يُعتدى عليها، وقاعدته الفقهية «وأمرنا أن نتركهم وما يدينون». . وإن التعارف لا يكون كاملاً إلا إذا أزيلت المحاجزات الإقليمية في الأرضين

بحيث يهاجر كل إنسان إلى ما يحب من الأرض»[١].

فانظر أيها القارئ إلى هذا الفهم الغريب، فقد جعل هذا الكاتب من معاني التعارف: المودة والرحمة وعدم الخصام والتنازع والتكريم والحرية الشخصية والتعاون إلى غير ذلك، ولم يقل أحد من علماء السلف أن الآية تدل على هذه المعاني واللغة لا تساعد الكاتب على ما ذهب إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «وليعلم إن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وأن أعطاك وأحسن إليك؛ فإن اللَّه سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله للَّه فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه والإكرام لأوليائه والإهانة لأعدائه والثواب لأوليائه والعقاب لأعدائه»[٢].

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «أن اللَّه تعالى عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومجوس ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم، وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، ودلائل هذا من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، فكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية، فإنه تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب إلى اللَّه ببغضه ومعاداته وجهاده

---

(١) «المجتمع الإنساني» لأبي زهرة ص(٥١ ـ ٥٣)، وانظر كتاب «أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية» للدكتور علي بن نفيع العلياني ص(٣٥٠ ـ ٣٥٧) ـ دار طيبة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٠٨).

باللسان واليد بحسب القدرة، فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب والبغض هو الأصل وأصل الإيمان أن تحب في اللَّه أنبياءه وأتباعهم وأن تبغض في اللَّه أعداءه وأعداء رسله»[1] .

قال القرطبي ـ رحمه اللَّه ـ في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾: نهى اللَّه عباده المؤمنين أن يتخذوا من الكفار واليهود وأهل الأهواء والبدع أصحابًا وأصدقاء يفاوضونهم في الرأي ويسندون إليهم أمورهم».

* يا شيخ يوسف القرضاوي: الجهاد في الإسلام ليس جهاد دفع فقط بل هو جهاد دفع وطلب:

قول الشيخ القرضاوي قول مرفوض إذ إنه يقصر الجهاد في فلسطين على أنه دفاع عن الأرض فقط وقوله متخبط وإلا:

* ما معنى قوله: «وستظل المعركة قائمة بيننا وبينهم ـ أي اليهود ـ ما دامت الأسباب قائمة، وسيظل الصلح مرفوضًا إذا كان مبنيًّا على الاعتراف بأن لهم حقًّا فيما اغتصبوه من الأرض ـ إذ لا يملك أحد أن يتنازل عن الأرض الإسلامية»، ثم يأتي بنقيض ذلك: «إنما يمكن إقامة هدنة بيننا وبين إسرائيل، لفترة من الزمن، تقصر أو تطول، يكف فيها الطرفان عن الحرب، ويسود فيها الأمن، وتتبادل بعض العلاقات مع بعض»!!! ما هذا الكلام العجيب الغريب المتناقض؟!!

* وما معنى قوله: «فلو كنا نحارب اليهود من أجل العقيدة لحاربنا

---

(١) «الفتاوى السعدية» للسعدي ص(٩٨).

النصارى المسيحيين أيضًا»[١] .

وهذا الكلام يعني أنه يقول أنه ليس في الإسلام إلا جهاد الدفع فقط. . ولا مرية في ذلك.

أما عدم حرب المسلمين للنصارى ـ أي جهاد الطلب ـ الآن فكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو وقت هو فيه مستضعف فليعمل بآية الصبر والصفح والعفو عمن يؤذي اللَّه ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين. وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»[٢] .

*** لآلئ للأستاذ سيد قطب أحلى من الشهد وأرق من نسيم السحر:**

▫ يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «فإن كان المسلمون اليوم لا يملكون بواقعهم تحقيق هذه الأحكام فهم ـ اللحظة ومؤقتًا ـ غير مكلفين بتحقيقها ـ ولا يكلف اللَّه نفسًا إلا وسعها ولهم في الأحكام المرحلية سعة يتدرجون معها حتى ينتهوا إلى تنفيذ هذه الأحكام الأخيرة عندما يكونون في الحال التي يستطيعون معها تنفيذها. . ولكن عليهم ألا يلووا أعناق النصوص النهائية لتوافق أحكام النصوص المرحلية وعليهم ألا يحملوا ضعفهم الحاضر على دين اللَّه القوي المتين وعليهم أن يتقوا اللَّه في مسخ هذا الدين وإصابته بالهزال بحجة أنه دين السلم والسلام. إنه دين السلم والسلام فعلاً ولكن على أساس إنقاذ البشرية كلها من عبادة غير اللَّه وإدخال

---

(١) «القدس قضية كل مسلم» ص(٤١).

(٢) «الصارم المسلول» لابن تيمية ص(٢٢١).

البشرية كافة في السلم كافة.

إنه منهج الله هذا الذي يريد البشر على الارتفاع إليه والاستمتاع بخيره وليس منهج عبد من العبيد ولا مذهب مفكر من البشر حتى يخجل الداعون إليه من إعلان أن هدفهم الأخير هو تحطيم كل القوى التي تقف في سبيله لأطلاق الحرية للناس أفرادًا في اختياره.. إنه حين تكون المذاهب التي يتبعها الناس مذاهب بشرية من صنع العبيد، وحين تكون الأنظمة والشرائع التي تصرف حياتهم من وضع العبيد أيضًا فإنه في هذه الحالة يصبح لكل مذهب ولكل نظام الحق في أن يعيش داخل حدوده آمنًا ما دام أنه لا يعتدي على حدود الآخرين، ويصبح من حق هذه المذاهب والأنظمة والأوضاع المختلفة أن تتعايش وألا يحاول أحدها إزالة الآخر. فأما حين يكون هناك منهج إلهي وشريعة ربانية ووضع العبودية فيه للّه وحده وتكون إلى جانبه مناهج ومذاهب وأوضاع من صنع البشر العبودية فيها للعباد، فإن الأمر يختلف من أساسه ويصبح من حق المنهج الإلهي أن يجتاز الحواجز البشرية ويحرر البشر من العبودية للعباد ويتركهم أحرارًا في اختيار العقيدة التي يختارونها في ظل الدينونة للّه وحده.

والمهزومون الذين يحاولون أن يلووا أعناق النصوص ليخرجوا من الحرج الذي يتوهمونه في انطلاق الإسلام وراء حدوده الأولى ليحرر البشر في الأرض كلها من العبودية لغير اللّه ينْسون هذه الحقيقة الكبرى، وهي أن هناك منهجًا ربانيًّا العبودية فيه للّه وحده يواجه مناهج بشرية العبودية فيها للعبيد»[1].

(١) «فقه الدعوة» لسيد قطب اختيار أحمد حسن ص(٢١٧ ـ ٢٢٢).

*** يا شيخ يوسف القرضاوي: قصر الجهاد في الإسلام على جهاد الدفع فقط بدعة شنيعة، فالجهاد جهاد دفع وطلب:**

قصر الجهاد في الإسلام على جهاد الدفع فقط بدعة منكرة تخالف الكتاب العزيز والسنة الصحيحة وإجماع سلف الأمة، وهذه البدعة هي أن الجهاد في الإسلام للدفاع فقط وأن المسلمين لا يجوز لهم أن يغزوا الكفار لأجل إخضاعهم لسلطان الإسلام وإعلاء كلمة اللَّه على كلمتهم إلا إذا سبق الكفار بالاعتداء على المسلمين.

«هذه البدعة المنكرة لم يقلها أحد من علماء المسلمين المعتبرين، وأول من ظهرت على ما أعلم على أيدي تلاميذ المدرسة العقلية الحديثة التي من أشهر رجالها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا. وتلاميذ هذه المدرسة أعجبوا بما عند الغرب من مفاهيم في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية فبذلوا قصارى جهودهم ليوضحوا للناس أن هذه المفاهيم موجود مثلها وأفضل منها في الإسلام. ولقد كان أعداء الإسلام من مبشرين ومستشرقين يحملون على الإسلام حملة شعواء قوامها أن الإسلام انتشر بالسيف بينما انتشرت المسيحية بالمحبة والسلام، فأراد هؤلاء أن ينفوا التهمة عن الإسلام، فقالوا: إن الإسلام لا يستخدم السيف إلا للدفاع فحسب وقد غاب عن أذهانهم الفرق بين أهداف الجهاد في الإسلام وأهداف الحروب الأخرى التي يعرفها الناس في جاهلياتهم والتي عرفتها أوربا في تاريخها كله»(١).

☐ يقول محمد عبده عن الجهاد الإسلامي: «فقتال النبي ﷺ كله

---

(١) «أهمية الجهاد» لعلي بن نفيع ص(٣١٨ ـ ٣١٩).

كان مدافعة عن الحق وأهله وحماية لدعوة الحق؛ ولذلك كان تقديم الدعوة شرط لجواز القتال، وإنما تكون الدعوة بالحجة والبرهان لا بالسيف والسنان، فإذا مُنعنا من الدعوة بالقوة بأن هُدد الداعي أو قُتل فعلينا أن نقاتل لحماية الدعاة ونشر الدعوة لا للإكراه على الدين فاللَّه يقول: ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾، ويقول: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾، وإذا لم يوجد من يمنع الدعوة ويؤذي الدعاة أو يقتلهم أو يهدد الأمن ويعتدي على المؤمنين فاللَّه تعالى لا يفرض علينا القتال لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح ولا لأجل الطمع في الكسب، ولقد كانت حروب الصحابة في الصدر الأول لأجل حماية الدعوة ومنع المسلمين من تغلب الظالمين لا لأجل العدوان، فالروم كانوا يعتدون على حدود البلاد العربية التي دخلت حوزة الإسلام، ويؤذونهم وأولياؤهم من العرب المتنصرة ومن يظفرون به من المسلمين.

وكان الفرس أشد إيذاء للمؤمنين منهم فقد مزقوا كتاب النبي ﷺ ورفضوا دعوته وهددوا رسوله، وكذلك كانوا يفعلون وما كان بعد ذلك من الفتوحات الإسلامية اقتضته طبيعة الملك، ولم يكن كله موافقًا لأحكام الدين، فإن من طبيعة الكون أن يبسط القوي يده على جاره الضعيف، ولم تعرف أمة قوية أرحم في فتوحاتها بالضعفاء من الأمة العربية شهد لها علماء الإفرنج بذلك، وجملة القول في القتال أنه شرع للدفاع عن الحق وأهله وحماية الدعوة ونشرها، فعلى من يدعي من الملوك والأمراء أنه يحارب للدين أن يحيي الدعوة الإسلامية ويعد لها عدتها من العلم والحجة بحسب حال العصر وعلومه، ويؤيد ذلك بالاستعداد التام لحمايتها من العدوان، ومن عرف حال الدعاة إلى الدين

عند الأمم الحية، وطرق الاستعداد لحمايتهم يعرف ما يجب في ذلك وما ينبغي له في هذا العصر»[١] ، ويقول محمد رشيد رضا عند تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ هذه غاية للأمر بقتال أهل الكتاب ينتهي بها إذا كان الغلب لنا. أي قاتلوا من ذكر عند وجود ما يقتضي وجوب القتال كالاعتداء عليكم أو على بلادكم أو اضطهادكم وفتنتكم عن دينكم»[٢] فهذا تصريح واضح من رواد المدرسة العقلية الحديثة بأن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط، مما يبين بوضوح لا خفاء فيه أن المدرسة العقلية الحديثة هي التي حملت لواء الانهزامية وتذويب الشخصية الإسلامية في الشخصية الغربية وتفسير النصوص بأهوائهم معرضين عن تفسير علماء الإسلام لها.

❊ **من قال بهذه البدعة غير المدرسة العقلية وغير الدكتور القرضاوي ومن رد عليهم من أهل العلم:**

«وقد تأثر بهذه البدعة المنكرة ـ قصر الجهاد على الدفاع ـ كثير من الكتاب المعاصرين كعبد الوهاب خلاف في كتابه «السياسة الشرعية»، ومحمود شلتوت في كتابه «من هدي القرآن»، ومحمد أبو زهرة في كتابه «العلاقات الدولية»، ومحمد عبد اللّه دراز في كتابه «دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية»، ووهبة الزحيلي في كتابه «العلاقات الدولية في الإسلام»، ومحمد عزة دروزة في كتابه «الجهاد في سبيل اللّه في القرآن والحديث»، وحامد سلطان في كتابه «أحكام القانون الدولي في الشريعة الإسلامية» وعلي علي منصور في كتابه «الشريعة

---

(١) «تفسير المنار» (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٨).
(٢) «تفسير المنار» (١٠/ ٢٨٩).

الإسلامية والقانون الدولي»، وجمال البنا في كتابه «حرية الاعتقاد في الإسلام»، وعبد الخالق النواوي في كتابه «العلاقات الدولية والنظم القضائية»، ومحمد رأفت عثمان في كتابه «الحقوق والواجبات والعلاقات الدولية»، وأحمد محمد الحوفي في كتابه «سماحة الإسلام»، وغير هؤلاء كثير من الكتاب وأصحاب الرسائل العلمية بل هو تيار جارف عند كُتاب هذا العصر يكاد يطغى على الحق ويغطيه لولا حفظ اللَّه للحق بحفظ أصوله ـ الكتاب والسنة ـ ثم لولا وجود كتب فقهاء الإسلام وعلمائه الذين ماتوا قبل إطلالة هذا العصر المشؤوم الذي تُوَجَّه فيه معارف المسلمين وعلومهم بأيدي أعدائهم. وقد تصدى لهذه البدعة جمع من علماء المسلمين وبعض طلبة العلم فأنكروها على أصحابها ومن أشهر هؤلاء العالم الجليل سليمان بن سحمان والشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان في كتابه القيم «دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع»، والشيخ عبد الرحمن الدوسري في كتابه «الأجوبة المفيدة في مهمات العقيدة» والشيخ أبو الأعلى المودودي في كتابه «الجهاد» والشهيد سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» وفي تفسيره الشهير في «ظلال القرآن»، والشيخ محمد قطب في كتابه «المستشرقون والإسلام» (مخطوط) والدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه «مجموعة بحوث فقهية» والأستاذ صالح اللحيدان في كتابه «الجهاد بين الطلب والدفاع»، والأستاذ محمد بن ناصر البعوان في كتابه «القتال في الإسلام»، والأستاذ عبد اللَّه بن أحمد قادري في كتابه «حقيقة الجهاد في سبيل اللَّه وغايته» (مخطوطة)، والأستاذ عابد بن محمد السفياني في كتابه «دار الإسلام ودار الكفر وأصل العلاقة بينهما» (مخطوطة)»[1].

---

(١) «أهمية الجهاد» ص(٣٢٥ ـ ٣٢٦).

* إجماع أهل العلم على جهاد الطلب:

□ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «وإذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ومقصوده هو أن يكون الدين كله للَّه وأن تكون كلمة اللَّه هي العليا فمن منع هذا قوتل باتفاق المسلمين»(١).

فانظر كيف نقل اتفاق المسلمين على قتال من يمنع أن يكون الدين كله للَّه، وأن تكون كلمة اللَّه هي العليا، وابن تيمية من أكثر العلماء معرفة بمذاهب فقهاء الأمة الإسلامية، فهل يظن ظان أنه يعلم خلافًا لأحد من المسلمين في هذه الغاية العظيمة للجهاد ويكتمه؟ اللَّهم لا.

□ وهذا إمام المفسرين في عصره ابن جرير الطبري ينقل إجماعًا مشابهًا لما نقله ابن تيمية إذ يقول: «وأجمعوا أن موادعة أهل الشرك من عبدة الأوثان ومصالحة أهل الكتاب على أن أحكام المسلمين عليهم غير جائزة إلى الأبد باطلة إذا كان بالمسلمين قوة على حربهم»(٢) فليت شعري ما موقف أصحاب الدفاع والتعايش السلمي من هذا الإجماع؟!.

□ ويقول الإمام الشوكاني في «السيل الجرار»: «غزو الكفار ومناجزة أهل الكفر وحملهم على الإسلام أو تسليم الجزية أو القتل معلوم من الضرورة الدينية، ولأجله بعث اللَّه تعالى رسله وأنزل كتبه وما زال رسول اللَّه ﷺ منذ بعثه اللَّه إلى أن قبضه إليه جاعلاً هذا الأمر من أعظم مقاصده ومن أهم شؤونه، وأدلة الكتاب والسنة في هذا لا يتسع لها المقام ولا لبعضها، وما ورد في موادعتهم أو في تركهم إذا

---

(١) «السياسة الشرعية» لابن تيمية ص(٣١).

(٢) «اختلاف الفقهاء» للطبري ص(١٤).

تركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين بما ورد من إيجاب المقاتلة لهم على كل حال مع ظهور القدرة عليهم والتمكن من حربهم وقصدهم إلى ديارهم»(١) .

* **ولأصحاب هذه البدعة المنكرة نقول :**

«إن علماء الإسلام تكلموا على حكم قتال الكفار قبل أن تبلغهم الدعوة إلى الإسلام كما هو مبسوط في كتب التفسير والأحاديث والفقه فلو كان لا يقاتل إلا المعتدي فما فائدة هذا البحث في هذا الباب! هل يتصور أن يعتدي الكفار على المسلمين وهم لا يعرفون من المسلمون؟ وإلى ماذا يدعون؟»(٢) .

* **لقد مرّ الجهاد في تشريعه بمراحل :**

❑ **المرحلة الأولى**: مرحلة الكفّ عن المشركين والإعراض عنهم والصبر على أذاهم.

❑ **المرحلة الثانية**: إباحة القتال من غير فرض :

* قال تعالى : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ** ﴾ [الحج : ٣٩].

❑ **المرحلة الثالثة**: فرض القتال على المسلمين لمن يقاتلهم فقط :

* قال تعالى : ﴿ ... **فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا** ﴿٩٠﴾ **سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ**

---

(١) «العبرة» للقنوجي.
(٢) «أهمية الجهاد» ص(٣٣٦).

ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولائكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا ﴾ [النساء: ٩٠ - ٩١].

◻ المرحلة الرابعة: قتال جميع الكفار على اختلاف أديانهم وأجناسهم ابتداءً وإن لم يبدءوا بقتال حتى يُسلموا أو يدفعوا الجزية:

وهذه المرحلة بدأت من انقضاء أربعة أشهر من بعد حج العام التاسع من الهجرة، ومن بعض انقضاء العهود المؤقتة وتُوفي الرسول ﷺ والعمل على هذه المرحلة الأخيرة وعليها استقر حكم الجهاد.

* قال تعالى: ﴿ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴾ [التوبة: ٥].

* وقال تعالى: ﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ﴾ [التوبة: ٢٩].

● قال ﷺ: **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»**[١].

● وقال ﷺ: **«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله،**

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عمر، والنسائي عن أبي بكرة، ابن ماجه والحاكم في «المستدرك» عن أبي هريرة.

وأني رسول اللَّه، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على اللَّه»[(١)] .

وهذه المراحل قد ذكرها علماء الإسلام في مؤلفاتهم من كل مذهب: ذكرها السرخسي في «المبسوط» (١٠/ ٢)، والشافعي في «أحكام القرآن» (٢/ ٩ ـ ١٩)، وابن رشد في «مقدماته» (١/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).

◻ قال ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «فلما فتح اللَّه مكة وانقطع قتال قريش ووفدت إليه وفود العرب بالإسلام أمره اللَّه تعالى بقتال الكفار كلهم إلا من كان له عهد مؤقت وأمره بنبذ العهود المطلقة»[(٢)] .

◻ وقال ابن القيم: «ثم فُرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرمًا، ثم مأذونًا به، ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين إما فرض عين على أحد القولين أو فرض كفاية على المشهور»[(٣)] .

«وقد استقر أمر الجهاد على المرحلة الأخيرة التي ذُكِرت في سورة التوبة، وهي قتال المشركين حتى يسلموا، وقتال أهل الكتاب والمجوس حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية مع الذل والصغار»[(٤)] .

◻ قال ابن القيم: «فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول «براءة» على

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وأبو داود والنسائي، والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وهو متواتر، وقد أخرجه ابن نصر المروزي في أول كتابه «الصلاة» من حديث ابن عمر، وأنس، وأبي هريرة، ومعاذ بن جبل.

(٢) «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» لابن تيمية (١/ ٧٤).

(٣) «زاد المعاد» لابن القيم (٣/ ٦٩ ـ ٧١).

(٤) «أهمية الجهاد» ص(١٤٧).

ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام فصاروا معه قسمين: محاربين، وأهل ذمة»[١].

ولكون سورة «براءة» المقررة لحكم المرحلة الأخيرة من مراحل الجهاد هي آخر السور نزولاً اعتبر علماء السلف أن المرحلة الأخيرة للجهاد ناسخة لبقية المراحل.

قال ابن العربي: «قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ..﴾ الآية ناسخة لمائة وأربع عشر آية»[٢].

* والقول بالنسخ مروي عن:

ابن عباس، والحسن، وعكرمة، وقتادة[٣]، ومجاهد وأبي العالية[٤]، والضحاك بن مزاحم[٥]، والربيع بن أنس[٦]، والحسين بن الفضل[٧]، وابن زيد[٨]، وموسى بن عقبة[٩]، وعطاء[١٠]، وابن الجوزي[١١].

وكذلك قال بالنسخ: ابن تيمية[١٢]، والشوكاني[١٣]، والقرطبي[١٤] وجمع من العلماء في شتى العصور الإسلامية.

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٦٠).
(٢) «أحكام القرآن» لابن العربي (١/ ١٠٢).
(٣) «فتح القدير» للشوكاني (١/ ٤٩٧).
(٤) «فتح القدير» (١/ ١٩١).
(٥) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٥).
(٦) «تفسير البغوي» (١/ ١٦٨).
(٧) «تفسير القرطبي» (٨/ ٧٣).
(٨) «القرطبي» (٢/ ٣٣٩).
(٩) «أحكام القرآن» للجصاص (٣/ ٨١) ـ دار الكتاب العربي بيروت.
(١٠) «تفسير البغوي» (٣/ ١٢٢).
(١١) «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ٣٧٦) ـ المكتب الإسلامي.
(١٢) «الاحتجاج بالقدر» لابن تيمية ص(٣٦).
(١٣) «فتح القدير» (١/ ٢٧٥).
(١٤) «تفسير القرطبي» (٢/ ٣٣١).

▭ يقول صديق حسن خان البخاري: «وما جاء في موادعتهم أو في تركهم إذا تَركوا المقاتلة فذلك منسوخ باتفاق المسلمين»[1].

* هدف الجهاد الأكبر تعبيد الناس للَّه وحده وإِخراجهم من العبودية للعباد:

* قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

* ويقول تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: ٣٩].

▭ قال ابن كثير: «ثم أمر تعالى بقتال الكفار ﴿حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك. قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وقتادة والربيع ومقاتل بن حيان والسدي وزيد بن أسلم، ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ أي: يكون دين اللَّه هو الظاهر على سائر الأديان»[2].

▭ وقال ابن الجوزي: «﴿وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ قال ابن عباس: أي: يخلص له التوحيد»[3].

▭ قال ابن جرير الطبري: «فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يُعبد إلا اللَّه وحده لا شريك له فيرتفع البلاء عن عباد اللَّه من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله للَّه، وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها للَّه

---

(١) «الروضة الندية» لصديق حسن خان (٢/ ٣٣٣) ـ دار المعرفة بيروت.
(٢) «ابن كثير» (١/ ٣٢٩).
(٣) «زاد المسير» (١/ ٢٠٠).

خالصة دون غيره»[١] .

وقال الشوكاني: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية هي ألا تكون فتنة وأن يكون الدين للّه وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يحلّ قتاله»[٢] .

● عن ابن عمر ـ رضي اللّه عنهما ـ قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«بُعثت بين يدي الساعة بالسيف؛ حتى يُعبد اللّه تعالى وحده لا شريك له، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وجُعِل الذُّلُّ والصغارُ على من خالف أمري، ومن تشبّه بقوم فهو منهم»**[٣] .

ولقد كان هذا الهدف العظيم للجهاد حاضرًا في حسّ الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ أثناء معاركهم مع أعداء اللّه.

ففي «صحيح البخاري» عن جبير بن حيّة قال: «فندبنا عمر واستعل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفًا فقام ترجمان فقال: ليكلمني رجل منكم فقال المغيرة: سل عمّا شئت. قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد نمصّ الجلد والنّوى من الجوع ونلبس

---

(١) «تفسير الطبري» (١٣/ ٥٣٧).
(٢) «فتح القدير» (١/ ١٩١).
(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، وصححه السيوطي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٤٩): رواه أحمد وفيه عبد الرحمن بن ثابت وثقه ابن المديني وغيره وضعّفه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات.
وصححه الألباني في «حجاب المرأة» (١٠٤)، و«الإرواء» (١٢٥٦).

الوبر والشعر ونعبد الشجر والحجر فبينا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين تعالى ذكره وجلت عظمته إلينا نبيًّا من أنفسنا، نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا أنا نقاتلكم حتى تعبدوا اللَّه وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قُتِل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثله قط ومن بقي منا ملك رقابكم»[(١)] .

◻ وقال ربعي بن عامر لرستم: «إن اللَّه ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نقضي إلى موعود اللَّه. قالوا: وما موعود اللَّه؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقي».

◻ قال الشافعي: «فدل كتاب اللَّه وسنة نبيه ﷺ أن فرض الجهاد إنما هو على أن يقوم به من فيه كفاية للقيام به حتى يجتمع أمران:
أحدهما: أن يكون بإزاء العدو المخوف على المسلمين من يمنعه.

والآخر: أن يجاهد من المسلمين مَن في جهاده كفاية حتى يسلم أهل الأوثان أو يعطي أهل الكتاب الجزية»[(٢)] .

◻ ويقول محمد بن الحسن الشيباني: «فرضية القتال المقصود منها إعزاز الدين وقهر المشركين»[(٣)] .

---

(١) «صحيح البخاري مع الفتح» (٦/ ١٩٠).
(٢) «الأم» للشافعي (٤/ ١٦٧).
(٣) «السير الكبير» للشيباني (١/ ١٨٨).

◻ ويقول ابن عبد البر المالكي: «يقاتل جميع أهل الكفر من أهل الكتاب وغيرهم من القبط والترك والحبشة والفزارية والصقالبة والبربر والمجوس وسائر الكفار من العرب والعجم يقاتلون حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون»[١].

◻ ويقول ابن القيم: «والمقصود من الجهاد إنما هو أن تكون كلمة اللَّه هي العليا ويكون الدين كله للَّه.. فإن من كون الدين كله للَّه إذلال الكفر وأهله وصغاره وضرب الجزية على رؤوس أهله والرق على رقابهم فهذا من دين اللَّه، ولا يناقض هذا إلا ترك الكفار على عزهم وإقامة دينهم كما يحبون بحيث تكون لهم الشوكة والكلمة»[٢].

◻ والجهاد مستمر إلى قيام الساعة ولا ينتهي جهاد الكفار إلا إذا أسلموا أو خضعوا لحكم الإسلام، ودفعوا الجزية حالة كونهم متلبسين بالذل والصغار، وأجمع المسلمون على أن اليهود والنصارى من غير العرب إذا دفعوا الجزية وجب الكفّ عن قتالهم، أما غيرهم فأشهر المذاهب في ذلك أربعة:

الأول: وهو قول الشافعي والمشهور من مذهب الإمام أحمد ومذهب أبي ثور والثوري أنه لا يُقبل من أهل الشرك إلا الإسلام أو السيف.

الثاني: وهو قول أبي حنيفة ورواية عن الإمام أحمد وابن القاسم وأشهب وسحنون أن الجزية لا تؤخذ من العرب وتُؤخذ ممن عداهم من الكفار عمومًا.

---

(١) «الكافي في فقه أهل المدينة» لابن عبد البر ص(٤٦٦).

(٢) «أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ١٨).

الثالث: وهو رواية عن الإمام مالك وادعى ابن جهم الإجماع أن الجزية لا تُقبل من قريش فقط وتُقبل من سائر الكفار.

الرابع: أن الجزية تُقبل من كل كافر على وجه الأرض أيًّا كان دينه. وهذا مروي عن الإمام مالك والأوزاعي وابن القيم، وإليه مال كثير من المعاصرين[١].

❏ قال الدكتور علي بن نفيع العلياني:

«والذي يظهر لي والله تعالى أعلم بالصواب أن القول الراجح هو قول الشافعي والمشهور عن الإمام أحمد، وهو أن أهل الشرك لا يُقبل منهم إلا الإسلام أو السيف أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى سواءً أكانوا عربًا أم غير عرب فتُقبل منهم الجزية وكذلك المجوس وإن كانوا مشركين للأدلة المخصصة لهم من سائر المشركين»[٢].

❏ جاء في كتاب «تنوير الأبصار».. وهو من أشهر كتب الأحناف ـ ما يلي (وهو ـ أي الجهاد ـ فرض كفاية ابتداء) وفرض عين إن هجم العدو»[٣].

❏ وجاء في كتاب «تبين الحقائق شرح كنز الدقائق» وهو من مراجع فقه الأحناف ـ ما يلي: «الجهاد فرض كفاية ابتداء يعني يجب علينا أن

---

(١) «أهمية الجهاد» ص(١٨٦ ـ ١٨٧)، وانظر هذه المذاهب وأدلة أصحابها في «تفسير القرطبي» (٨/ ١١٠)، و«أحكام أهل الذمة» لابن القيم (١/ ٣٨٩)، و«اختلاف الفقهاء» للطبري ص(٢٠٠)، و«المغني» لابن قدامة (٨/ ٣٦٢).

(٢) «أهمية الجهاد» ص(١٨٨).

(٣) «حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار في فقه أبي حنيفة» لابن عابدين (٤/ ١٢٣).

نبدأهم بالقتال وإن لم يقاتلونا لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ و﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾، وقال: ﴿انفِرُوا خِفَافًا﴾ الآية.

● وقوله ﷺ: «**الجهاد فرض ماض منذ بعثني اللَّه إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل**»(١).

● وقوله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللَّه..**» الحديث وعليه إجماع الأمة»(٢).

وجاء في شرح «فتح القدير» ـ وهو من أمهات كتب الأحناف ـ ما يلي: «وقتال الكفار واجب وإن لم يبدءوا للعمومات»(٣) أي: عموم النصوص الشرعية، ويقول السرخسي: «فأما بيان المعاملة مع المشركين فنقول: الواجب دعاؤهم إلى الدين وقتال الممتنعين منهم من الإجابة؛ لأن صفة هذه الأمة في الكتب المنزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبها كانوا خير الأمم، قال اللَّه تعالى: ﴿**كنتم خير أمة**﴾.. الآية، ورأس الأمر بالمعروف الإيمان باللَّه فعلى كل مؤمن أن يكون آمرًا به داعيًا إليه، وأصل المنكر الشرك، فهو أعظم ما يكون من الجهل والعناد؛ لما فيه من إنكار الحق من غير تأويل، فعلى كل مؤمن أن ينهى عنه بما يقدر عليه»(٤).

---

(١) جزء من حديث أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب الغزو مع أئمة الجور برقم (٢٥٣٢).

(٢) «تبيين الحقائق» (٣/ ٢٤١).

(٣) «فتح القدير» لابن الهمام (٥/ ٤٤١).

(٤) «المبسوط» للسرخسي (٢/ ١٠).

*** لا للوحدة مع العلمانيين والالتقاء مع اليساريين لا بد أن تسير خطواتنا كلها وفق منهج الله: ولاءً وتعاونًا وشعارًا وفكرًا وممارسة:**

«تجربة عبد الله عزام مع منظمة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية»

* قال تعالى: ﴿**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنعام: ٦٨].

□ قال ابن كثير: «أي بالتكذيب والاستهزاء فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره غير ما كانوا فيه من التكذيب.. والمراد بذلك كل فرد من آحاد الأمة: أن لا يجلس مع المكذبين الذين يحرفون آيات اللَّه ويضعونها على غير موضعها»(١).

لا بد من المفاصلة بين المؤمنين والمشركين:

* قال تعالى: ﴿**وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا**﴾ [النساء: ١٤٠].

لا بد أن تتجرد الأنفس المجاهدة للَّه، وتتحرر من ضغط الأوضاع والضرورات والمصالح.

إن الحمية للَّه، ولدين اللَّه، ولآيات اللَّه.. هي آية الإيمان، وما تفتر هذه الحمية إلا وينهار بعدها كل سد، وينزاح بعدها كل حاجز، وينجرف الحطام الواهي عند دفعة التيار.. وإن الحمية لتكبت في أول

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٧٧).

الأمر عمدًا، ثم تهمد، ثم تخمد، ثم تموت.

فمن سمع بالاستهزاء بدينه في مجلس، فإما أن يدفع، وإما أن يقاطع المجلس وأهله. فأما التغاضي والسكوت فهو أول مراحل الهزيمة. وهو المعبر بين الإيمان والكفر.

ما أحوج العصبة المؤمنة بعد أن تستيقن مهمتها في الأرض، وبعد أن تستوضح حقيقة العقيدة التي تدعو إليها ومقتضياتها من إفراد اللَّه سبحانه بالولاء بكل مدلولاته، وبعد أن تستصحب معها في مهمتها الشاقة تلك الحقائق والمشاعر.. ما أحوجها بعد ذلك كله إلى القطع والمفاصلة والتبرؤ.

لن يتحقق وعد اللَّه بالنصر والتمكين في الأرض بالالتقاء مع العلمانيين واليساريين مثلما حدث في تجربة عبد اللَّه عزام والإسلاميين عند انضمامهم لمنظمة فتح وهم يعلمون كيف نشأت وعلى يد من نشأت وبالرغم من هذا تساهلوا وانضموا وسمعوا وأطاعوا. ثم تمخّض الجبل فولد فأرًا.

□ يقول الدكتور عدنان النحوي في كتابه «عبد اللَّه عزّام.. أحداث ومواقف»: «مع سنة ١٩٦٦م قامت جهود مكثفة لدراسة دور الحركة الإسلامية وموقفها من قضية فلسطين، ومن الأحداث الهائجة، ومن العمل الفدائي الدائر. كان هنالك ثلاثة آراء أو ثلاثة مواقف:

* **فريق يرى التعاون مع منظمة التحرير**: دون أن يقدِّم أسبابًا مقنعة لوجهة نظره هذه.

* **وفريق يرى ضرورة قيام العمل الإسلامي المتميز**: ليقدّم للناس

الصورة التطبيقية الصادقة لمعنى الجهاد في سبيل اللَّه شعارًا وفكرًا ومنهجًا وممارسة.

* وفريق ثالث وافق هؤلاء، ووافق هؤلاء، على بسمة هنا وبسمة هناك.. وفي مرحلة الحوار كان القرار عدم التعاون، وفي مرحلة أخرى تغيّر القرار إلى صورة أُخرى.

كان من أهم ما طرحه الفريق الثاني الذي كان ينادي بالجهاد في سبيل اللَّه، هو أن كل منظمة في داخل منظمة التحرير مرتبطة بصورة أو بأخرى باتجاه محدد وسياسة ملزمة ونهج خاص ـ وأن هذه المنظمات على هذا النحو التقت في إطار قومي إقليمي يصهر الجميع في بوتقته، على صورة لم تكن تسمح للنهج الإيماني المتميز أن يفرض وجوده وخطّه، مما يُفْقد العمل قدرًا غير قليل من استقلاله الحقيقي...

◻ يضاف إلى ذلك أن منظمة التحرير قامت لتحقيق أهداف محددة أعلن عنها جمال عبد الناصر في تصريحه الذي نشرته مجلة ريالتي الفرنسية في عددها لشهر إبريل سنة ١٩٦٥م حيث قال: «نعم على الفلسطينيين أن يقوموا ابتداءً من الآن بتحقيق رغباتهم وجميع البلدان العربية مؤيدة إلى أقصى حد ما ستقوم به هذه المنظمة التي لها جيش تتولى تدريبه وتجهيزه الدول العربية. وعندما تستكمل المنظمة استعداداتها سوف تشرع في العمل من أجل تطبيق مقررات الأمم المتحدة بفلسطين وبحقوق العرب في فلسطين» إذن مهمة منظمة التحرير محددة منذ البداية، منذ سنة ١٩٦٥م: «من أجل تطبيق مقررات الأمم المتحدة بفلسطين».. فكيف ينسجم هذا مع الشعارات المطروحة والمواثيق المكتوبة ويتناقض مع شعار إزالة دولة اليهود وعدم الاعتراف بكيانهم، فإلى أين

إذن تسير القافلة؟! وعلى من يقع اللوم والعتاب غدًا إذا انجلت الأمور عن مأساة؟!﴿.

وهل المسلمون يؤيدون هذا الاتجاه؟ وهو اتجاه معلن غير مخفيّ، فإن غاب تصريح عبد الناصر عن مسامع بعض الناس، فقد وضع بعض رجال فتح والمنظمة كتبًا تفصّل ذلك. فكتاب «فلسطيني بلا هوية» لصلاح خلف، وخطاب ياسر عرفات في هيئة الأمم يطالب فيه بالدولة العلمانية في فلسطين، وكثير غير ذلك يكشف حقيقة الدور»[١] .

❑ يقول الدكتور عدنان النحوي:

«وفي إحدى جولات الحوار انتهى الموقف بصورة سريعة إلى التعاون مع منظمة التحرير، واستمرت العلاقة والاتصالات التي كانت تظهر وتغيب، والتي كان من ثمرتها قيام القواعد التي تسمّى اليوم «قواعد الشيوخ» شمال الأغوار في منطقة إربد وكانت هذه القواعد لا تزيد عن أربع، وربما كانت أقل. وكانت تابعة كلها لقوات العاصفة وتحت إشرافها، على أن تُعطى القاعدة حق الأذان والصلاة. ولعلها كانت القواعد الوحيدة التي يقوم فيها الأذان في أوقاته، وتُقام صلاة الجماعة في أوقاتها. واشترك الشيخ عبد اللَّه عزام في إحداها، معلمًا وداعية إلى اللَّه ورسوله ومجاهدًا في سبيل اللَّه. ولعله رضي بذلك متوقعًا أن تكون هذه القواعد منطلقًا لبناء قواعد أخرى، يدوِّي فيها الأذان وتُقام فيها الصلاة وتقودها راية الإيمان والتوحيد. ولكن الظن لم يتحقق»[٢] .

❑ ثم قال النحوي: «هكذا أظن أنه ـ أي عزام ـ كان يأمل أو

---

(١) «عبد اللَّه عزام أحداث ومواقف» للنحوي ص(٢٩ ـ ٣١).

(٢) «عبد اللَّه عزام» للنحوي ص(٣٣ ـ ٣٤).

يتمنّى، وإلا فكيف قبل راية أخرى لتظلل قواعد الإيمان. لقد كانت تجربة حقيقية استفاد منها كثيراً في مقبل حياته ولكن هل أفادت التجربة الجميع؟! إن كثيراً من التجارب تضيع من حياة المسلمين! ولقد ألمح إلى هذه التجربة بمرارة في كتابه «حماس» دون أن يفصل في التحليل كانت القاعدة تابعة رسميًّا إلى فتح، إلى قوات العاصفة. وربما لم يتساءل الكثيرون في غمرة الفرحة لماذا تكون هذه القاعدة هي القاعدة الوحيدة.

وإذا كان الجميع يتغنّى بالإسلام في المناسبات والندوات فلماذا لا تكون القواعد كلها تحترم الإسلام وتنفِّذ نهجه على تكامله وتناسقه؟! وما هو معنى هذا الود والصحبة على مناهج متضاربة؟! وهل تستمر الحالة على هذا المنوال؟»(١).

□ قال النحوي: «رأى عبد اللّه عزّام أن الواقع يدفع القتال إلى دروب عدة ومسالك شتى. وأن الإيمان والتوحيد ليسا هما اللذيْنِ يقودان حقيقة الميادين هنا وهناك، وأن النهج الإسلامي لم يستطع أن يمسك بزمام الأمور.. وأن البوتقة الوطنية الإقليمية ما زالت هي التي تصهر العاملين كلهم، ولم يستطع التيار الإسلامي أن يقدم حقيقة الفكر والنهج، سواءً في الميدان العسكري أو السياسي، في قضية فلسطين حتى يجذب القلوب والسواعد إلى النهج المتميّز، النهج الموعود بالنصر»(٢).

□ يقول الدكتور النحوي عن انضمام عدد من شباب الحركة الإسلامية إلى حركة فتح يقول: «منهم من انسلخ عن آداب الإسلام

---

(١) المصدر السابق ص(٣٤).
(٢) المصدر السابق ص(٣٥).

وعن شرعه وقواعده. فمنهم من ترك الشعائر، ومنهم من تركت نساؤهم الحجاب وانطلقن سافرات، ومنهم من استباح الخمر، ومع ذلك كله فقد ظلت روابط الود والصداقة بينهم وبين صفوف الحركة الإسلامية مما سهّل عليهم نقل أفكارهم الوطنية والقومية واليسارية إلى عدد من أبناء الحركة الإسلامية وإن أقلّ ما فعلوه هو أنهم ميّعوا جدّية التصورات الإيمانية وخلطوها بانفتاح اليسار على قبول الكيان اليهودي في أرض فلسطين المسلمة. ومن خلال هذه التصوّرات المضطربة نشأت علاقات مختلفة بين منظمة التحرير والحركات الإسلامية المتعددة في مختلف البلدان العربية.. وأصبحت معاني الوطنية والقومية والإقليمية هي القوة الجامعة في كثير من الأحيان عمليًّا في الميدان، مع بقاء الشعارات المختلفة مرفوعة تتزاحم في الساحة، وتتنافس على إثبات الوجود تنافسًا تغيب في طيّاته القضايا الأساسية التي قام الناس لأجلها»[1].

◻ ويقول النحوي: «لم تستطع الحركة الإسلامية أن تتخذ موقفًا موحدًا من منظمة التحرير، فقد تضاربت الآراء والمواقف.. واستغرق الخلاف لقاءات كثيرة وزمنًا غير قليل، وتأثر التنظيم الفلسطيني بكل الخلافات القائمة في الحركة الإسلامية، وبعلاقات مضطربة لبعض أفراده مع منظمة التحرير.

وبالرغم من وجود رأي عام خافت ينادي بضرورة قيام الحركة الإسلامية بواجبها في بناء الجهاد الإسلامي المستكمل لشروطه ليتولى هو زمام قضية فلسطين، بالرغم من ذلك وبالرغم من الدراسات والشروح

---

(١) «عبد اللّه عزام» ص(٢٢).

والمناقشات، فإن الاتجاه الذي تغلّب عمليًّا هو التعاون مع فتح ومنظمة التحرير في ميادين عدة وتقديم مساعدات مالية لها.

ولقد برز هذا التعاون واضحًا في ما يسمى «بقواعد الشيوخ»، ويحدثنا عن مرارة هذا التعاون الدكتور عبد اللَّه عزّام ـ رحمه اللَّه ـ، الذي عانى هو نفسه من هذا التعاون في معسكرات «قواعد الشيوخ».

❑ ويحدثنا حسين خليل حسين عن هذا التعاون بصورة أوضح وأوسع في كتابه «الشيخ عبد اللَّه عزّام» حيث يقول: «.. وهنا نود أن نقول بصريح العبارة أن الحركة الإسلامية قرّرت المشاركة في الجهاد لكنهم لم يرتكبوا حماقة تكوين منظمة مستقلة!!!.. فآثروا نكران الذات وانضووا تحت لواء حركة فتح!!![1]، ورفضوا حتى مجرّد أن يطلق عليهم اسم «فتح الإسلامية»، وهذا الاختيار كان يجسّد علاقة حميمة ربطت بين الحركة الإسلامية ومعظم قادة فتح من أمثال أبي عمار وأبي جهاد وأبي إياد وأبي السعيد وأبي ماهر، وأبي صبري، وأبي سامي وغيرهم..» ويقول: «.. وفي فتح تلتقي كل الأفكار والآراء والتيارات على أن تصب جميعها في بوتقة واحدة...»، ويقول أيضًا: «كان زعماء هذه الحركة الإسلامية يشكلون أحد الروافد الرئيسية لمساعدة حركة فتح ماديًّا وسياسيًّا وفي الحقل الاجتماعي .. بل لقد كانوا في أحلك الظروف العصيبة يشكلون الدعامة القوية للحركة لمساعدتها على الوقوف في وجه كل العواصف والأعاصير المدمرة»[2] [3].

(١) انظر إلى هذا التخبط.. ولا يدل هذا إلاّ على عقيدة مشوّشة.

(٢) «الشهيد عبد اللَّه عزام» لحسين خليل حسين ـ دار أسامة للنشر ـ الرياض ـ الطبعة الأولى.

(٣) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٢١٧ ـ ٢١٨).

◘ تعالى معي إلى أقوال عبد اللَّه عزام نفسه:

◘ يقول الدكتور عدنان النحوي في كتابه «عبد اللَّه عزام»:

«ولنسمع رأي الدكتور عبد اللَّه عزام في كتابه «حماس» ص(٤٩) يقول ـ رحمه اللَّه ـ: . . وقد كانت بداية فتح نظيفة جَادّة فيها شخصيات متزنة. . ، ثمَّ رأيت الغُثاء وقد طمَّ وعمَّ عليها، وكثر الزبد بسبب الكوادر الواسعة التي لم تجد من يملؤها سوى الهاربين من التجنيد الإجباري أو الساقطين في امتحان الإعدادية العامة، أو الذين لم يجدوا عملاً في المجتمع، فالتجئوا إلى حمل السلاح دون تربية أو إعداد، والتقطتهم الأيدي اليسارية التي تتاجر بالدماء وتختفي غالبًا وراء أَبواق أجهزة البثِّ، لتبني قصور أمجادها على جماجم الطّيبين من أبناء فلسطين، الشباب الأَغرار الذين التقطتهم وربتهم على اليسار والتمرّد على الأديان جميعًا، وعلمتهم تمجيد ستالين ولينين وجيفارا وماو وهوشي منه، ورفعت شعار العلمانية، وحاربت الملتزمين بأخلاقهم، وضيقت على الصادقين في مسيرتهم».

◘ ثم يقول الدكتور النحوي معلقًا:

«حديث الدكتور عبد اللَّه عزّام يطرح أسئلة كثيرة. . أولاً: لماذا ربى هو بهذا التعاون؟! لماذا رضي المسلمون؟! هؤلاء الذين التجئوا إلى السلاح بدون تربية والتقطهم اليسار لماذا لم يلتقطهم المسلمون والدعاة المسلمون»[١].

◘ ثم يقول ـ رحمه اللَّه ـ[٢] في ص(٥١): «وعايشنا الأحداث سنة

(١) «عبد اللَّه عزام» للنحوي ص(٦٥).

(٢) عبد اللَّه عزام في كتابه «حماس» ص(٥١).

١٩٨٢م، إذ دخل اليهود لبنان وحاصروا بيروت، وتدخل العرب..»، إلى أن يقول: «والخدعة التي انقادت بها المنظمة يوم أَن رضيت أَن تلقي سلاحها وتخرج عزلاء يُوزَّعُون كما توزَّع سبايا الحروب، ثمَّ إبقاء النساء والأطفال في مخيمي صبرا وشاتيلا والعمل بهم تقتيلاً وذبحًا وبقر بطون النساء...».

□ يقول النحوي: «معظم النقد والملاحظات كان ينصبُّ على الأشخاص وعلى العلاقات الشخصية، ولم يكن هنالك تحليل أو دراسة لنهج هذا الرجل أو هذه المؤسسة أو تلك وأهدافهم وتطابق النهج والأهداف. لم يكن هنالك دراسة للخُطة أو النهج حتى يتمَّ القبول أَو الرفض. التعاون أو عدمه، على أساس من قبول النهج والمسيرة والخطة والأهداف. لا بُدَّ من إثارة هذه القضية لخطورتها. فمنذ طفولتنا حتى يومنا هذا نتناول أخطر قضايا الأمة ونزنها بميزان الأشخاص وعلاقتنا بهم ونظرتنا لهم فقط، دون مناقشة المناهج والمسيرة والراية والأهداف، ودون ردّ ذلك كلِّه إلى ميزان ثابت. أَعرض هذه القضية لخطورتها في ميزان الإسلام وصدق الإيمان، ولخطورتها في صياغة جوهر الولاء في ميدان الممارسة والتطبيق، حين يتحول الولاء إلى أشخاص فقط وولاءً منعزلاً عن نهج وأهداف.

لا بد إذن أَن نلتزم مناقشة الخُطة والنهج والأهداف، مع مناقشة الأشخاص والعلاقات والسلوك، وردّ ذلك كله إلى منهج اللَّه ردًّا دقيقًا أمينًا، ينكشف من خلاله الولاء والعهود والمواثيق، ولنتحقّق من تطابق النهج والأهداف. ويقول الدكتور عبد اللَّه عزام عن تلك المنظمات واحدة واحدة حتى تلك التي تعاون معها في تجربته الأُولى، يقول: «.. إذ قلَّما

كنت تجد آنذاك مصليًا في المنظمات. ولعلك تستطيع أن تدرك السوء البالغ الذي كانت تحياه المنظمات والدرك الهابط الذي كانت تتخبَّط فيه أنه في ٤ نيسان ١٩٧٤م، (الذكرى المئوية لميلاد لينين)، اتفقت المنظمات جميعًا دون استثناء على أن تحتفل ولمدة أسبوع بهذه الذكرى..».

❑ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ كذلك: «وأذكر أني طُلبت لمحاكمة عسكرية؛ لأنني انتقدت جيفارا..» (يلاحظ القارئ الكريم أن هذا حدث في فتح التي كان يتعاون معها).

❑ ويقول ـ رحمه اللَّه ـ كذلك في ص(٧٧): «لتَبَجُّح أَهل الباطل وانتفاشهم وانتفاخهم أن عدد المسلمين كان قليلاً في منظمة فتح. لقد كانت المنظمة اليسارية تسبُّ اللَّه ورسوله عمدًا أمامنا ليغيظونا،.. فكانت كلمة السرّ في الليل أثناء الحراسة شتم اللَّه أو النبي أو الدين..».

ويذكر بعض الأسماء التي برزت في فلسطين في الحزب الشيوعي، نُعيد بعض ما يرويه هنا للذكرى والعبرة والتأمل، ولمراجِعة حساباتنا ومسيرتنا ومواثيقنا: «وأبرزت اليهودية الشيوعية «إميل توما» سكرتيرًا لنقابة العمل الشيوعية في حيفا و«إميل حبيبي» سكرتيرًا لها في الناصرة، و«فؤاد نصر» سكرتيرًا لها في يافا». وكان الجميع يطالبون بإقامة دولة لليهود في فلسطين.

وكان محمود درويش وسميح القاسم يحملان العلم اليهودي الإسرائيلي في مؤتمر صوفيا الدولي! وكان هؤلاء كلهم يقولون عن اليهود: «شعب له حق الحياة كما لنا حق الحياة»! وأقول أيضًا: هذا ما نصّ عليه صلاح خلف في كتابه «فلسطيني بلا هوية». وهذا ما ردّده كثير من رجال المنظمة ومن رجال فتح. فلماذا كان القتال إذن؟!

لا شك أنها تجربة مرَّة في غاية المرارة. فهل نقل - رحمه اللَّه - تجربته هذه إلى المسلمين؟! هذا ما نعتقده! وهو لم يخض هذه التجربة وحده، فلقد خاضها أعداد تحطَّمت أحلامهم على نتائج هذه التجربة. ولكنها تظل تجربة غنيّة تعلّم المسلم معنى التعاون الذي يجيزه الإسلام والذي لا يجيزه. تعلمه معنى الولاء بين المؤمنين. فقد خضع هذا النَّفَر من المؤمنين لنظام منظمة التحرير، وقسوته عليهم وإذلاله لهم، بينما لم يتحمَّل المؤمنون بعضهم بعضًا، فدنا عدوٌّ ونأى صديق. واختلطت الشعارات والمبادئ والموازين.

تُعلّمنا هذه التجربة أن محمود درويش ورفاقه عَميتْ أَبْصارهم عن رؤية الحقيقة حين قالوا عن اليهود: إنه شعب له حق الحياة كما لنا حق الحياة، عميتْ أَبصارهم عن رؤية الحقيقة مِنْ أنَّ اليهود أَخذوا ونالوا حقَّ الحياة في أَرض ليست لهم، وأَننا نحن خسرنا وحُرمنا من حق الحياة في أرضنا. والذي يثير العجب والذهول أن يردِّد هذا الكلام الذي يقوله محمود درويش ورفاقه بعضُ قادة المنظمة فيما يكتبون، ويؤمن به آخرون من القادة دون أن يعلنوه، من الذين يعطفون على اليهود وحقِّ اليهود، وهم ينتسبون لنا، ويتظاهرون بأنهم يعرفون مأساتنا ومعاناتنا وهول الظلم الواقع علينا. ولكن هذه التصريحات لا تحمل إلا العطف على اليهود المعتدين، وإلا تأييد الظالمين، وإلا تجاهل ما يقع علينا، نحن أَهلهم، إن كانوا حقًّا ينتسبون لنا، من ظلم الظالمين المغتصبين المعتدين الطاغين»[1].

❑ ويقول الدكتور النحوي أيضًا عن علاقة الإسلاميين بمنظمة

---

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٦٧ - ٦٩).

التحرير: «من محاضرة أحد الدعاة المسلمين، أَحد الأساتذة الدعاة العاملين، من محاضرة في جامعة الكويت وعنوانها: «البنية الداخلية للتجربة الفلسطينية على صعيد قضية فلسطين»، نجد صورة واضحة عن طبيعة التعاون. كانت المحاضرة قبل قيام الانتفاضة، وبعد مجازر لبنان، وبعد انشقاق «أبي موسى» عن حركة فتح. كانت منظمة التحرير تمرُّ في أصعب ظروفها، كانت في واقع يهدِّد سلامة تنفيذ سياستها وأَهدافها التي قامت عليها كما أعلنها عبد الناصر. في هذه اللحظات الحرجة في شهر رمضان لسنة ١٤٠٥هـ، جاءت المحاضرة لتوضح ظلالاً قوية من العلاقات، وتوضح أَهمية الدعم الذي قدّمته الحركة الإسلامية لمنظمة التحرير، لتجتاز المحنة التي تمرُّ بها. ولقد عبّر الأستاذ الداعية عن ذلك بقوله: «الآن خلّه يطيب وبعدين نمسكه من ودنه»!، ولكن الحقيقة كانت أنَّ بعدين [أي: فيما بعد] التقى المجلس الوطني الأخير ليعلن السياسة الأخيرة، ولم تُمسك أُذن، ولم يتغير نهجٌ، وتحققت الأهداف المعلنة منذ سنة ١٩٦٥م، بالقرارات الخطيرة، والتنازلات الواضحة الكبيرة المذهلة! ومضت منظمة التحرير في إعلان تنازلاتها واضحة صريحة جريئة ثابتة، لا تحمل أيّ نيّة للتراجع، ولم يعد هنالك مجال للتراجع. ومن الأسئلة التي وجِّهت للمحاضر الكريم، ومن الإجابات عليها، يتضح الموقف والتعاون والدعم!»[1] .

في قول الدكتور عبد اللَّه عزام، وهذا القول الأخير للدكتور أحمد نوفل: أول ما نلاحظه هو توافق النصيْنِ من حيث الدلالة على دعم الحركة الإسلامية لمنظمة التحرير!! وفي محاضرة الدكتور أحمد نوفل

---

(١) المصدر السابق ص(٦٤ ـ ٦٥).

تصريح واضح عن الأيادي الممدودة للتعاون!!

«ومن ناحية أخرى، فهنالك فرق كبير بين ما نسمعه من الأخ الكريم الأستاذ المحاضر في محاضرته التي ألقاها في جامعة الكويت، والتي أوردنا منها جملة أو جملتين لتعذر نقلها هنا كلها، وبين خلاصة التجربة والمشاهدة التي ينقلها الدكتور عبد اللَّه عزام، فبينما يعرض الأول من بين الانتقادات الرغبة في التعاون ومدّ الأيادي، ويسوّغ ذلك بالأخوة القائمة، فإن الآخر يكشف عن حسرة ومرارة وألم من نتائج التجربة. والأول حين يتحدث عن نتائج حرب لبنان سنة ١٩٨٢م، وخروج منظمة التحرير منها، فإنه يقول في محاضرته:

«الآن إذا وقع أخي المسلم وأصابته الجراحة..، نوقف الآن التلاوم، ليس لنا أن نتلاوم..»، أما الدكتور عبد اللَّه عزام فيقول: «والخدعة التي انقادات إليها المنظمة يوم أَن رضيت أَن تُلقي سلاحها وتخرج عزلاء يوزَّعون كما توزَّع سبايا الحروب...». ولا شك أن هاتين نظرتان مختلفتان لقضية واحدة. ربما كان الدكتور عبد اللَّه عزام استفاد من تجربته التي خاضها، وربما لم يستفد الآخرون الفائدة نفسها. وربما كان هنالك رأي ثالث»[١].

❑ لقد قال بعض قادة فتح ممّن رغب الأستاذ الداعية بالتعاون معهم، ومدّ الأيدي لهم باسم الأخوّة التي ذكرها الداعية حين قال: «إذا وقع أخي المسلم..»!!، قال بعض هؤلاء الإخوة: «.. ولأن الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة قاطعة»[٢].

---

(١) المصدر السابق ص(٦٦ ـ ٦٧).

(٢) كتاب «فلسطيني بلا هوية» لصلاح خلف ص(٢٦٠).

« ويقول محمد درويش، كما يذكر عبد اللَّه عزام في كتابه «حماس»: «... وفي سنة ١٩٦١م دخلت الحزب الشيوعي، فتحدَّدت معالم طريقي» فلا عجب أن تسمعه شاعرًا تتغنّى به الصُّحُف العربية وهو يقول شعره: «نامي فعين اللَّه نائمة عنا وأسرار الشحارير».

من هذه المقتطفات والنصوص، ومن هذه المواقف والأحداث، ومن هذه العلاقات والارتباطات، يدرك كلُّ مسلم عرف دينه إيمانًا وعلمًا، أن العلاقات لم يكن ينظّمها «التوحيد» بقواعده وأسسه، ولم يكن يضبطها ويوجهها، وظلت العلاقات الشخصية تبرز في إطار واضح على شكل ما يسميه بعضهم بالأحلاف الوطنية، الأحلاف التي أصبح للمسلمين تجارب كثيرة مريرة فيها، تجارب لم يكن يستفيد منها إلا الفكر اليساري وحده. قد نعلن أن ولاءنا للَّه. ولكننا في واقع الممارسة يضطرب الميزان في أيدينا، فلا يعود التوحيد والإيمان وقواعدهما هي التي تحدِّد الولاءات، ولا هي التي تحدِّد الحبَّ أو البغض، ولا هي التي ترسم العهود والمواثيق. ولم يعد التوحيد بصورته القرآنية هو الذي يحدِّد المواقف والاتجاهات، ولا هو الذي يرسم المناهج، فتعددت الاتجاهات واضطربت وتصادمت!

لا تَقُل لي: مراحِلُ ودَهاء	كل يوم تَضيقُ حَوْلي الحدودُ
كلَّ بضع من السنين ترانا	ألفَ ميلٍ إلى الوراء نعود
وعدوِّي أراه يقفز وثبًا	لمزيدٍ وما كفاهُ المزَيدُ
لا تَقُلْ لي: رأيٌ وخطة نهج	ذاكَ نَهْجٌ تضيع فيه الجهودُ
كلَّ يوم نرمي ونُعْلي شعارًا	وعدوِّي له شِعارٌ وحيدُ

ولدينــا من العـواطف نــارٌ　　أَكَلَتْنا ومِنْ هِوانا وقودُ
وخُطـانا على الطـريق شـتاتٌ　　كل حِزْبٍ بما لديهِ سَعِيدُ»[١]

إن صاحب الدعوة والجهاد الحق له هدف، وله منهج، وله طريق، وهو يمضي في طريقه على منهجه إلى هدفه مفتوح العين، مفتوح القلب، يقظ العقل، لا يرضى بالوهم، ولا يعيش بالرؤى، ولا يقنع بالأحلام، ولا يرضى بالغبش.

❑ يقول الشيخ سيد قطب:

«ما كان يمكن أن يلتقي الإسلام والجاهلية[٢] في منتصف الطريق، ولا أن يلتقيا في أي طريق. وذلك حال الإسلام مع الجاهلية في كل زمان ومكان.. جاهلية الأمس وجاهلية اليوم، وجاهلية الغد كلها سواء. إن الهوة بينها وبين الإسلام لا تُعبر، ولا تُقام عليها قنطرة، ولا تقبل قسمة ولا صلة. وإنما هو النضال الكامل الذي يستحيل فيه التوفيق».

❑ لا غبش ولا التواء ولا انحراف ولا خلط في العقيدة والمنهج..

إن التوحيد منهج، والعلمانية منهج آخر ولا يلتقيان.. التوحيد منهج يتجه بالإنسان إلى اللَّه وحده لا شريك له، ويحدد الجهة التي يتلقى منها الإنسان عقيدته وشريعته، وقيمه وموازينه، وآدابه وأخلاقه، وتصوراته كلها عن الحياة والوجود غير متلبسة بالشرك في أي صورة من صوره الظاهرة والخفية ... وهي تسير.

أول خطوة في الطريق هي تميّز الداعية وشعوره بالانعزال التام عن

---

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٧٠ ـ ٧١).

(٢) وهل بعد سب اللَّه ورسوله، وبعد الاستهزاء بدينه، وبعد اختيار العلمانية منهجًا وفكرًا هل بعد هذا كله جاهلية؟!.. إن لم تكن هذه جاهلية فليس على ظهر الأرض جاهلية.

الجاهلية: تصورًا ومنهجًا وعملاً، فلا التقاء في منتصف الطريق.

لا ترقيع، ولا أنصاف حلول، ولا التقاء.. وبغير هذه المفاصلة سيبقى الغبش وتبقى المداهنة ويبقى اللبس ويبقى الترقيع.. والدعوة إلى الإسلام والجهاد لا تقوم على هذه الأسس المدخولة الواهنة الضعيفة. إنها لا تقوم إلا على الحسم والصراحة والشجاعة والوضوح..

* **كلمات للحياة:**

يقول الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ في «الظلال» (٢/ ٩٤٠، ٩٤١): «إن دين اللَّه ليس راية ولا شعارًا ولا وراثة!! إن دين اللَّه حقيقة تتمثل في الضمير وفي الحياة سواء، تتمثل في عقيدة تعمر القلب، وشعائر تقام للتعبد، ونظام يصرف الحياة.. ولا يقوم دين اللَّه، إلا في هذا الكل المتكامل.. وكل اعتبار غير هذا الاعتبار تمييع للعقيدة وخداع للضمير.

وصاحب الدعوة لا يكون قد بلّغ عن اللَّه إلاّ إذا أبلغهم حقيقة الدعوة كاملة.. وحين يجمجم صاحب الدعوة ويتمتم ولا يبين عن الفارق الأساسي بين واقع الناس من الباطل وبين ما يدعوهم إليه من الحق، حين يفعل هذا صاحب الدعوة.. ـ مراعاة للظروف والملابسات ـ يكون قد خدعهم وآذاهم» اهـ.

ويقول ـ رحمه اللَّه ـ أيضًا في «الظلال» (٥/ ٦١٧):

«إن كلمة «مصلحة الدعوة»[٢] يجب أن ترتفع من قاموس أصحاب الدعوات؛ لأنها مزلة، ومدخل للشيطان، يأتيهم حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص ولقد تتحول «مصلحة الدعوة» إلى صنم

---

(١) بدون الضابط الشرعي.

يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهج الدعوة الأصيل.

إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على منهجها، ويتحروا هذا المنهج، دون التفات إلى ما يعقبه هذا التحرّي من نتائج..

فالخطر الوحيد الذي يجب أن يتَّقُوه هو خطر الانحراف عن المنهج لسبب من الأسباب، سواءً كان هذا الانحراف كثيرًا أو قليلاً والله أعلم منهم بالمصلحة، وهم ليسوا بها مكلفين، إنما هم مكلفون بأمر واحد: ألا ينحرفوا عن المنهج، وألا يحيدوا عن الطريق» اهـ.

* الولاء لله ولرسوله:

«إن أول ما يولده التوحيد الصادق في نفوس المؤمنين ولاء خالص لله سبحانه وتعالى، ولاء نقيّ، ولاء ممتد في حياة المؤمن، لا يضعف ولا يتقطع، ولا يتفلّت. وإن أول معاني الولاء أن يكون الله ورسوله أحب إلى المؤمنين مما سواهما، وأن يظهر هذا الحب الأعلى في الكلمة والرأي والشعار والخطوة والموقف، أن يظهر سمة بارزة في حياة المؤمن ويظل كل حب في حياة المؤمن في الحياة الدنيا يخضع لخصائص منهج الله، يحمل منه سماته وصفاته، ويحمل كذلك الموازنة الأمينة بين هذا الحب وذاك حتى لا تضل الموازنة ولا تتيه.

▫ وإن المعنى الثاني للولاء هو أن لا يقوم في حياة المؤمن ولاء إلا أن ينبع من ولائه لله، ويخضع له، ويرتبط به.

والمعنيان الأول والثاني مرتبطان معنى وفكرًا وممارسة»[1].

يجب أن لا يعلو شعار أبدًا على شعار التوحيد، ولا تعلو راية،

---

(١) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٢٤٥ ـ ٢٤٦).

ولا يرتفع حب فوق حب اللَّه ورسوله.

إن جهاد الصحابة في أرض الشام وفلسطين قام على صفاء الإيمان والتوحيد، وصفاء الولاء، والعلم بكتاب اللَّه وسنة رسوله.

إن جَهْلنا عقيدة الصحابة الذين فتحوا فلسطين جعل الأمور تختلط علينا فلم نعد نعرف العدو من الصديق، وحتى صارت البسمة الصفراء تربط صداقة مع عدو، والكلمة المنافقة تنشئ ودًّا مع فاجر، والعناق المخادع يربط ولاءات، وبعد أن اتضحت الأمور كلها ما عذر المجاهدين الصادقين حتى يجهلوا القريب والبعيد، والمقرّب والمبعد، فدنا عدو ماكر، ونأى صديق وفيّ، وانسلّ شيطان واندس مجرمون.

ولقد استغل الأعداء والمنافقون هذا الجهل، فزيّنوا الباطل حتى صدّقه الجاهلون، وأخفوا الحق عن الغافلين.

إن قضية الولاء للَّه سبحانه وتعالى هي التي تقرر النصر أو الهزيمة، وهي منبع القوة في حياة المسلمين، وفي قضاياهم، ومصدر النصر كله من عند اللَّه، والركون إلى الظالمين يعني فقد القوة وفقد النصر، وأهم من ذلك كله، فإن الركون إلى الظالمين هو الطريق إلى النار، إلى جهنم.

* قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

□ حزب اللَّه ليس هو المرجو والمثل الأعلى، بل هم من الرافضة الذين يكفرون الصحابة ويفسقونهم، وحسن نصر اللَّه ليس صلاح الدين القرن العشرين فكفى دجلاً وتلميعًا بل هو خوميني العرب:

«لكم عانت أمة الإسلام من خلط المفاهيم وتشويه صورتها، ومن

تبديل الحقائق وتزويرها، ولكم عانت كثيرًا من تجارب مريرة خدعتها زخرفة الصورة وبهاء منظرها، وحلو منطق مُزَخْرِفها. . ».

ومن هذا الخلط التلميع الدائم والمستمر لحزب اللَّه وكأنهم جند اللَّه المنتظرون حتى يقول أحد الناس عن حسن نصر اللَّه زعيم حزب اللَّه الشيعي: «إنه صلاح الدين في القرن العشرين».

هذه السنون الخداعة التي نعيش فيها جعلت من المبتدعة المتطرفين في بدعتهم قادة وأبطالاً تصاغ لهم الأمجاد كاذبة وتهتف لهم الجماهير.

❑ فهمي هويدي، وحلمي القاعود، ومجدي أحمد حسين، ومنتصر الزيات، ومحمد مورو، وعبد العظيم المطعني، ودعاة الإخوان يلمعون صورة حزب اللَّه المبتدع وكأنه قدوة الأمة:

إن العامي من أهل السنة تنضبط عنده المعايير أكثر مما تنضبط عند دعاة مشهورين على غير منهجه السديد، تختلط عليهم الأمور؛ لأنهم يقيسونها بعاطفتهم على غير هدى من عقيدة السلف. . وإلا فانظر إلى المرموقين وقولهم:

❑ **يقول فهمي هويدي**: في مقالة بعنوان «**إنهم يرصعون جبين أمتنا**»:

«إن المقاومة الإسلامية في لبنان تمثل لنا ضوءًا باهرًا في الأفق المعتم، وصوتًا جسورًا وسط معزوفة الانكسار، وقامة سامقة تصاغر إلى جوارها دعاة الانبطاح والهرولة، وهي مع هذا كله لم تنل ما تستحقه من متابعة وتقدير في الخطاب الإعلامي العربي. ويحزن المرء أن بعضًا منا أغمضها حقها، محاولاً النيل منها وتلطيخ صورتها الوضاءة.

إن الإفصاح عن مشاعر المؤازرة والامتنان لأولئك الشباب بمثابة «فرض عين» لا يسقط بالتقادم!! إنهم يدافعون ـ بهذا الدور البطولي

الذي يقومون به - عن شرف الأمة العربية وعن الأمل في أعماق كل واحد فينا، إنهم يرفعون رؤوسنا عاليًا ويرصِّعون جبين أمتنا»[١] .

□ ويقول «حلمي القاعود»: «إن حزب اللَّه يقوم بدور رائد في إيقاظ الأمة وتقديم الدليل على قدرتها لصد العدوان»[٢] .

□ ويقول «مجدي أحمد حسين»: «فالمقاومة الإسلامية لحزب اللَّه واحدة من أبرز معالم نهضة الأمة وأكبر دليل على حيويتها»[٣] .

□ ويقول منتصر الزيات:

«إن المؤشرات تدل على فشل محاولات التسوية الجارية لكونها انهزامية، وهذا يفتح الباب واسعًا لبقاء حزب اللَّه رمزًا حيويًّا للمقاومة الإسلامية!! بل والعربية، وسيتمتع في هذا الإطار بالشموخ والاستعلاء على كل دعاوىٰ التسوية الاستسلامية السائدة في المنطقة»[٤] .

□ ويقول د. محمد مورو: «لماذا حظيت المقاومة الإسلامية بهذا القدر الهائل من التضامن الشعبي العربي والإسلامي؛ بل من كل المستضعفين في العالم؟

وهل يتحول الطرح السياسي والحضاري لتلك المقاومة إلى أيديولوجية للمحرومين في كل مكان في العالم في مواجهة النمط الحضاري والقيمي الغربي الذي يهدد العالم بأسره؟ لماذا نجحت المقاومة

---

(١) «إنهم يرصعون جبين أمتنا» مقالة لفهمي هويدي بجريدة الأهرام (٣٠/ ٣/ ١٩٩٩م).

(٢) جريدة «الشعب» القاهرية الصادرة عن حزب العمل يوم (٩/ ٣/ ١٩٩٩م).

(٣) «وانتصرت المقاومة» لمجدي أحمد حسين ص(٧) - مركز يافا للدراسات والأبحاث - الطبعة الأولى.

(٤) جريدة «الحياة»، العدد (١٣٥١٢)، (٣/ ١٢/ ١٤٢٠هـ)، (٩/ ٣/ ٢٠٠٠م).

اللبنانية في أن تصبح طليعة لكل قوى التحرر العربي على اختلاف مشاربها الدينية والطائفية والسياسية والطبقية؟! وبصيغة أخرى: لماذا نجحت المقاومة اللبنانية في الخروج من مأزق الطائفية الضيق!!! إلى رمز للتحرر لكل إنسان مسلمًا كان أم مسيحيًّا، عربيًّا أم عالميًّا، أبيض أو أسود؟ لماذا كانت المقاومة ـ وحزب اللَّه بالتحديد ـ هي الجزء الحي في النسيج العربي الذي اهترأت الكثير من أجزائه وأُطُرِه الفكرية والتنظيمية؟»[(١)] .

□ **مهلاً مهلاً يا قوم، فما هكذا تورد الإبل.. لا تحسبوا الشحم فيمن شحمه ورم:** أمام الحقائق ينهار هذا المديح الفارغ، ولنعد إلى الوراء قبل أن نتكلم عن حلم حزب اللَّه بتكوين دولة تقوم على تبنّي المذهب الجعفري الاثنى عشري منهجًا ونظامًا:ـ

□ إن العلاقة بين لبنان وإيران علاقة متميزة على اختلاف مراحلها الزمنية: «فحين استولى الصفويون على حكم إيران في مطلع القرن السادس عشر وجعلوا من التشيع الإمامي دين الدولة والأمة، كان التشيع يذوي ويتلاشى، سواء في مدارس النجف أو في مدارس خراساسان، فعمد الشاه إسماعيل إلى استقدام علماء من جبل عامل ـ جنوب لبنان ـ لتدريس الفقه الإمامي، فكان منهم: بهاء الدين العاملي محمد بن الحسين بن عبد الصمد الذي أصبح شيخ الإسلام في أصفهان على عهد الشاه عباس الكبير، وكان منهم أيضًا علي بن الحسين العاملي المعروف بالمحقق الكركي الذي روّج المذهب وبالغ في ذلك بحيث لقبه بعضهم بمخترع مذهب الشيعة»[(٢)] .

---

(١) «الجهاد في سبيل اللَّه، حزب اللَّه نموذجًا» للدكتور محمد مورو ص(٦٢) مركز يافا للدراسات والأبحاث.

(٢) «حقيقة المقاومة. قراءة في أوراق الحركة السياسية الشيعية في لبنان» لعبد المنعم شفيق =

□ «ومنطقة جبل عامل (أو عاملة) في قلب جنوب لبنان كانت أهم مرجعية شيعية في العالم بين القرنين الميلاديين الرابع عشر والسادس عشر، ومع بداية هذا التعاون مع الدولة الصفوية أُبيد الآلاف من أهل السنة من العامة والعلماء، ففي تبريز ـ العاصمة ـ وحدها كان السنة فيها لا يقلون عن ٦٥٪ من السكان، وقد قُتل منهم في يوم واحد ٤٠ ألف سني!! كما أجبر الألوف على التحول القسري إلى مذهب الإمامية[١] .

كما كانت هناك مؤامرات عديدة وتعاون مع قوى غربية على إسقاط الدولة العثمانية، وهي من الأمور غير الخافية عبر التاريخ[٢] .

«وقد استهوت التجربة الصفوية الشيعية ـ المضطهدين ـ في العراق وجبل عامل ـ جنوب لبنان ـ والبحرين، وذهب العلماء بالخصوص ليدعموا تأسيس الدولة الشيعية (الصفوية) الوليدة»[٣] .

* **أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين[٤] :**

لقد كان للحركات الباطنية الشيعية ـ من النزارية ـ الحشاشين ـ، والفاطميين المستعلية. والنصيرية ـ والدروز ـ أكبر الأثر في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين.

وكان لقلاعهم في الشام «قلعة المرقب» وقلعة الخوابي، وقلعة

= ص(٢٩) نقلاً عن «تطور الفكر السياسي الشيعي» لأحمد الكاتب، و«تاريخ جبل عامل» لمحمد جابر آل صفا.

(١) انظر: «تاريخ الصفويين وحضارتهم» لبديع جمعة وأحمد الخولي ص(٥٥) ـ دار الرائد العربي.

(٢) «مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية» ص(٧٧، ١٢٥).

(٣) «تطور الفكر السياسي الشيعي» لأحمد الكاتب ص(٣٧٩).

(٤) اسم كتاب رسالة ماجستير ليوسف إبراهيم الشيخ عيد ـ طبع دار المعالي.

صهيون، وقلعة المينقة، وقلعة بانياس ووادي التيم، وجبل الشوف، وجبل عالية ـ دور كبير في خيانة المسلمين، ولقد عاونوا الصليبيين على احتلال بلاد الشام وساعدوهم في ذلك، واغتالوا خلفاء المسلمين وعلمائهم وقوادهم: فقتلوا الخليفة المسترشد العباسي سنة ٥٢٩هـ، وقتلوا الخليفة الراشد العباسي سنة ٥٣٢هـ وقتلوا الوزير نظام الملك سنة ٤٨٥هـ، وقتلوا الوزير أبا المحاسن عبد الجليل سنة ٤٩٥هـ، وقتلوا أباطالب السميري الوزير سنة ٥١٦هـ، وقتلوا الوزير معين الملك «أبا نصر» والوزير عضد الدين أبا الفرج والوزير نظام الملك مسعود بن علي والوزير فخر الملك أبا المظفر عليّ بن نظام الملك وقتلوا من الفقهاء: الفقيه أحمد بن الحسين البلخي، وأبا القاسم ابن إمام الحرمين والفقيه عبد اللطيف بن الخجندي، والفقيه أبا المحاسن الروياني، والقاضي عبيداللّه بن علي الخطيبي، والقاضي صاعد بن عبد الرحمن أبا العلاء، والقاضي أبا سعد محمد بن نصر الهروي، والواعظ أبا جعفر بن المشاط، والواعظ أبا المظفر الخجندي.

❏ ومن السلاطين قتلوا السلطان داود بن السلطان محمود، والسلطان بكتمر.

❏ ومن الأمراء: الأمير بلكابك سرمز سنة ٤٩٣هـ، والأمير أحمديل بن إبراهيم الروادي والأمير تاج الملوك بوري بن طغتكين، والأمير آقسنقر الأحمديلي، والأمير أغلمش، والأمير شهاب الدين الغوري، والأمير جناح الدولة حسين، والأمير خلف بن ملاعب، والأمير شمس الملوك إسماعيل بن بوري والأمير برسق الكبير.

❏ ومن قادة المجاهدين ضد الصليبيين قتلوا الأمير مودود صاحب

الموصل قتلوه بعد فراغه من صلاة الجمعة في مسجد دمشق وهو صائم، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين فيه: «إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على اللَّه أن يبيدها»[1] .

وقتلوا قائدًا آخر من قادة الجهاد ضد الصليبيين وهو الأمير قسيم الدولة آقسنقر البرسقي سنة ٥٢٠هـ قتلوه في المسجد الجامع بعد صلاة الجمعة، وحاولوا قتل صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٠هـ داخل معسكر جيشه، ومرة أخرى سنة ٥٧١هـ وهو محاصر لحلب... وحاربوا صلاح الدين ونور الدين محمود زنكي وتحالفوا مع الفرنجة أيام أن كانت لهم دولة في مصر وهي الدولة الفاطمية.

◻ وماضي منظمة أمل الشيعية التي خرج منها «حزب اللَّه» أسود فلقد قتلوا المئات من الفلسطينيين وأهل السنة في المخيمات الفلسطينية بداية من ٢٠/٥/١٩٨٥ وحتى ١٨/٦/١٩٨٥، ودفعوا أهل السنة من الفلسطينيين لأكل القطط والكلاب وفعلوا ما لم تفعله إسرائيل وسقط من الفلسطينيين ٣١٠٠ بين قتيل وجريح، وذبحوهم من الأعناق واغتصبوا النساء وهذا نقدمه بداية لكلامنا عن «حزب اللَّه» الذي انبثق عن منظمة أمل وخرج من عباءتها.

*** من فم قادة حزب اللَّه ندينهم، فهم شيعة اثنا عشرية أسيادهم علماء قم وإيران:**

حتى لا يُزيّف الواقع ويُلَمّع المبتدعة من الشيعة من رجال حزب اللَّه

(١) «الكامل» لابن الأثير (١٠/٤٩٦، ٤٩٧)، و«البداية والنهاية» لابن كثير (١٢/١٧٣)، و«الروضتين» لأبي شامة (١/٢٧).

فإنا ننقل أقوالهم وصلتهم بشيعة إيران إخوانهم في المذهب الاثنا عشري الجعفري: يقول محمد حسين فضل اللَّه المرشد الروحي لحزب اللَّه: «إن علاقة قديمة مع قادة إيران الإسلامية بدأت قبل قيام الجمهورية الإسلامية، إنها علاقة صداقة وثقة متبادلة، ورأيي ينسجم مع الفكر الإيراني ويسير في نفس سياسته»[(١)] .

◻ ولما قيل لحسن نصر اللَّه[(٢)] الأمين العام لحزب اللَّه: إن دور حزبه لن ينتهي؛ لأنه حزب مستورد من الخارج (سوريا أو إيران) فقال: «لنكن واضحين ونحكي الحقائق، الفكر الذي ينتمي إليه «حزب اللَّه» هو الفكر الإسلامي، وهذا الفكر لم يأت من «موسكو» أيام الاشتراكية ولا من «لندن» أو باريس، إذن نحن لم نستورد فكرًا، وإذا كان من يقول: إن الفكر إيراني. أقول له: إن هذه مغالطة؛ لأن الفكر في إيران هو الفكر الإسلامي الذي أخذه المسلمون إلى إيران، وحتى هذا الفكر خاص بعلماء جبل (عامل). اللبنانيون هم الذين كان لهم التأثير الكبير في إيران

---

(١) «مجلة المجتمع»، العدد ٩٥٥، «حلقات الإسلام والكونجرس»، الحلقة ٣٨ ص(٤٦)، د. أحمد إبراهيم خضر.

(٢) حسن عبد الكريم نصر اللَّه (خوميني العرب) من مواليد ٢١ أغسطس ١٩٦٠، عُيّن مسئولاً عن حركة أمل في بلدة البازورية في قضاء صور، وسافر إلى النجف في العراق عام ١٩٧٦م لتحصيل العلم الديني الإمامي، وعُين مسؤولاً سياسيًّا في حركة أمل عن إقليم البقاع وعضوًا في المكتب السياسي عام ١٩٨٢م، ثم ما لبث أن انفصل عن الحركة وانضم إلى حزب اللَّه، وعُيِّن مسئولاً عن بيروت عام ١٩٨٥م، ثم عضوًا في القيادة المركزية وفي الهيئة التنفيذية للحزب عام ١٩٨٧م، واختير أمينًا عامًّا على أثر اغتيال الأمين العام السابق عباس الموسوي عام ١٩٩٢م مكملاً ولاية سلفه، ثم أعيد انتخابه مرتين عام ١٩٩٣م، و١٩٩٥م.

وردت هذه الترجمة لنصر اللَّه في مقدمة حواره مع «مجلة الشاهد السياسي»، العدد ١٤٧، ٣/١/١٩٩٩م.

على المستوى الحضاري والديني في القرون السابقة، أين هو الاستيراد؟ هذا الحزب كوادره وقياداته وشهداؤه لبنانيون»[١] .

وقال الناطق باسم حزب اللَّه ـ ذاك الوقت ـ إبراهيم الأمين: «نحن لا نقول: إننا جزء من إيران؛ نحن إيران في لبنان، ولبنان في إيران»[٢] .

ويقول حسن نصر اللَّه: «إننا نرى في إيران الدولة التي تحكم بالإسلام، والدولة التي تناصر المسلمين والعرب! وعلاقتنا بالنظام علاقة تعاون، ولنا صداقات مع أركانه ونتواصل معه، كما أن المرجعية الدينية هناك تشكل الغطاء الديني والشرعي لكفاحنا ونضالنا»[٣] .

«وقد عيّن مرشد الثورة الإيرانية على خامنئي الشيخ محمد يزبك عضواً ثوريًّا لحزب اللَّه والمدرس بحوزة الإمام المنتظر ببعلبك، والسيد حسن نصر اللَّه أمين عام الحزب «وكيلين شرعيين» عنه في لبنان في الأمور الحسبية والوجوه الشرعية، فيستلمان عنه الحقوق ويصرفانها في مصالح المسلمين ويجريان المصالحات الشرعية، ويعينان الوكلاء مِن قِبَلِهما»[٤] .

صلة حزب اللَّه بمنظمة أمل:

منظمة أمل هذه أنشأها موسى الصدر وله من الصلة الوثيقة بالخوميني ما له. يقول نبيه بري: «إن حركة أمل ليست حركة دينية، وميثاق الحركة الذي تمت صياغته في عام ١٩٧٥م من قِبَل ١٨٠ مثقفًا

(١) «مجلة المقاومة»، العدد (٤٠) ص(٢٩)، وهي مجلة شهرية تصدر في مصر، تعني بشئون حزب اللَّه، يصدرها د. رفعت سيد أحمد ـ مركز يافا للدراسات والأبحاث.

(٢) «جريدة النهار» (٥/ ٣/ ١٩٨٧).

(٣) «مجلة المقاومة»، العدد ٢٧ ص(١٥ ـ ١٦).

(٤) «مجلة السفير» اللبنانية (١٨/ ٥/ ١٩٩٥م).

لبنانيًّا معظمهم من المسيحيين!! يدعو إلى إلغاء النظام الطائفي»[١] .

في ٨/ ١٠/ ١٩٨٣م أعلن المفتي الجعفري عبد الأمير قبلان باسم المجلس الشيعي الأعلى ما يلي: «إن حركة أمل هي العمود الفقري للطائفة الشيعية، وإن ما تعلنه أمل نتمسك به كمجلس شيعي أعلى، ومن ثَمّ فإن ما يعلنه المجلس الشيعي تتمسك به الحركة»[٢] .

جاء هذا التأييد للحركة بعد الانشقاق الذي خرجت به «أمل الإسلامية» [حزب اللَّه فيما بعد] وبعد الحضور الفعلي «لحزب اللَّه» على أرض الصراع[٣] .

«وكان حسين الموسوي وهو نائب رئيس حركة أمل قد أعلن عن انشقاقه عن منظمة أمل وأعلن «أمل الأمل الإسلامية» التي تحولت فيما بعد إلى حزب اللَّه»[٤] .

☐ يقول حسن نصر اللَّه الأمين العام لحزب اللَّه: «إننا حريصون على علاقة طيبة مع «أمل» ونحن نعمل على تطوير هذه العلاقة، وهناك لجنة ثنائية من أحد قادة «أمل» مع أخيه في حزب اللَّه ينظرون في كل الأمور المشتركة سياسية وعسكرية، وسياستنا تقول: إن الموضوعات التي نتفق عليها نتعاون معًا، وما نختلف عليه لا يؤدي الخلاف في وجهة

---

(١) «حقيقة المقاومة» ص(١١٧)، و«نص الميثاق في أمل والشيعة» لنورثون ص(٢٢٩ - ٢٦٤)، و«أمل والمخيمات الفلسطينية» ص(١٥٥).
ونبيه بري كان رئيسًا لمجلس النواب اللبناني، وهو قائد حركة أمل وعضو المجلس الشيعي الأعلى.

(٢) «أمل والمخيمات».

(٣) «حقيقة المقاومة» ص(١٢٢ - ١٢٣).

(٤) انظر «حقيقة المقاومة» ص(١١٩).

النظر إلى نزاع، حتى الخلافات تم تنظيمها، والطابع العام لعلاقتنا الإيجابية والتنسيق والتعاون، وقبل أسابيع حضرت لقاء مع الرئيس (بري) لتثبيت هذه الصيغة وتفعيلها»[١].

قال حسن نصر اللَّه هذا الكلام عن «أمل» بعد ذبحها للفلسطينيين وأهل السنة.

□ «وبهذا يتضح أنه لم يكن هناك إبعاد كبير «لحركة أمل» بقدر ما هو زحزحة من الصورة «العسكرية» والمواجهة إلى الساحة «السياسية» واستبقاؤها لأدوار أخرى تتوافق والمتغيرات السياسية لإيران وملفاتها في لبنان»[٢].

* ميثاق حزب اللَّه ينص على أنه شيعي إمامي اثنا عشري جعفري:

جاء في ميثاق حزب اللَّه المعلن في ٢٦ جمادى الأول ١٤٠٥هـ الموافق ١٦ شباط ١٩٨٥م: «إننا أبناء أمة حزب اللَّه التي نصر اللَّه طليعتها في إيران، وأسست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم.. نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة وعادلة تتمثل بالولي الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسّد حاضراً بالإمام المسدد آية اللَّه العظمى روح اللَّه الموسوي الخميني دام ظله.. مفجر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة... أما ثقافتنا فمنابعها الأساسية: القرآن الكريم، والسنة المعصومة!!!!، والأحكام والفتاوى الصادرة عن الفقيه مرجع التقليد عندنا...

إن الإمام الخميني القائد أكّد مراراً على ضرورة صلاح العالم

---

(١) حوار أجرته «مجلة المصور» المصرية في شهر مارس ١٩٩٩م، ونشرته «مجلة المقاومة» في العدد ٤٠ / إبريل ١٩٩٩م ص(٢٦).

(٢) «حقيقة المقاومة» ص(١٢٤).

واهتمامه بتزكية نفسه قبل الآخرين...»[١].

* **الخميني إمام حزب الله ضال مضل شيعي اثنا عشري جعفري متطرف:**

□ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «... وقال بعضهم لأحمد بن حنبل: إنه يثقل عليّ أن أقول فلان كذا وفلان كذا... فقال: «إذا سكتَّ أنت وسكتُّ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟ ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة والعبادات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحبّ إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه... وإذا تكلم في أهل البدع، فإنما هو للمسلمين وهذا أفضل. فتبيّن أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله، إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشريعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب.. فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعًا، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء»[٢].

□ الخميني ضال مضل وارجع إلى كتابه «الحكومة الإسلامية أو ولاية الفقيه» وكتابه «تحرير الوسيلة» ومختصره «من هنا المنطلق» وكتابه «جهاد النفس أو الجهاد الأكبر». والأحاديث الواردة في الصحاح والتي بدونها يضيع ديننا لا ترد على لسانه أبدًا بل يرد في كتابه «الحكومة

---

(١) «حقيقةالمقاومة» ص(٢٢٦، ٢٢٧، ٢٤٨).

(٢) «مجموعة الرسائل والمسائل» لابن تيمية (٤/ ١١٠).

الإسلامية» ص(٣٧ وما بعدها) أنه لا يعترف بها.

▫ يترحم الخميني على «النوري» صاحب كتاب «فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب» والذي طبع سنة ١٢٩٨هـ. وقد قال علماء الشيعة عنه إنه من أعظم علماء الشيعة وكبار رجال هذا القرن.

ويحيل الخميني في كتابه «الحكومة الإسلامية» عند ذكره لأحد الأحاديث إلى كتاب «دعائم الإسلام» وهو الكتاب الأكبر عند الإسماعيلية الباطنية الغلاة.

ويرجع الخميني إلى كتاب «الكافي» للكليني وفيه من الكفريات والضلالات الشيء الكثير كالأحاديث الواردة فيه بنقض القرآن وتحريفه، وأن الأئمة يوحى إليهم، وأنهم يعلمون علم ما كان وما يكون، وأنه لا يخفى عليهم شيء، وأنهم إذا شاءوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم، وفيه تكفير أبي بكر وعمر وعمرو وعثمان، وعقيدة الكليني في القرآن أنه ناقص محرف.

*** الخميني الضال يذهب إلى تحريف القرآن:**

هناك إجماع من الشيعة وعلى رأسهم الخميني على تقدير النوري، صاحب كتاب «مستدرك الوسائل» ويترحم عليه، و«الكافي» للكليني، و«الوسائل» للحر العاملي»، و«الاحتجاج» لأحمد الطبرسي وكلها تقول بتحريف القرآن.

وبين أيدينا وثيقة وهذه الوثيقة كتاب باللغة الأردية موثق من عدد من آياتهم المعاصرة ومنهم الخميني وهو طبقًا لما جاء في صدر الكتاب مراعين في ذكرهم النص الأردي:

١ ـ آية اللَّه العظمى... محسن حكيم طباطبائي مجتهد أعظم نجف أشرف.

٢ ـ آية اللَّه العظمى. . . أبو القاسم خوئي نجف أشرف.
٣ ـ آية اللَّه العظمى. . . روح اللَّه خميني.
٤ ـ آية اللَّه العظمى. . . محمود الحسيني.
٥ ـ آية اللَّه العظمى. . . محمد كاظم شريعتمداري.
٦ ـ مصدقة ماليجناب سيد العلماء علامة سيد علي تقي النقودي مجتهد لكهنو.

ويتضمن هذا الكتاب نصًّا بالعربية في حدود صفحتين كله يدور حول كيفية لعن صنمي قريش وهما حسب اعتقادهم ـ أبو بكر وعمر ـ واتهامهما بتحريف القرآن الكريم. . . ﴿**كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا**﴾.

❑ وسنكتفي من هذا النص بموضع الشاهد لحديثنا.

«بسم الله الرحمن الرحيم. . . اللَّهم العن صنَمْي قريش وجبتيهما وطاغوتيهما وافكيهما وابنيتهما اللذيْن خالفا أمرك وأنكرا وحيك وعصيا رسولك وقلبا دينك وحرّفا كتابك»[1].

❑ **الخميني**: الذي يقول في كتابه «جهاد النفس» ص(١٨) عن معاوية ـ رضي اللَّه عنه ـ: «معاوية ترأس قومه أربعين عامًا، ولكنه لم يكسب لنفسه سوى لعنة الدنيا وعذاب الآخرة»، ويقول في «الحكومة الإسلامية» ص(٧١): «ولم تكن حكومة معاوية تمثل الحكومة الإسلامية أو تشبهها من قريب ولا بعيد».

ويتهم الصحابي الجليل سمرة بن جندب بأنه يفتري أحاديث تمس من كرامة أمير المؤمنين[2].

---

(١) «تحفة العوام» مقبول جديد ص(٤٢٢).
(٢) «الحكومة الإسلامية» للخميني ص(٧١).

◻ يعتقد الخميني في نصوص «الكافي» للكليني، وقد ورد فيه أن الصحابة ارتدوا إلا ثلاثة.

◻ **الخميني**: الذي يتهجم على هارون الرشيد فيصفه بالجهل فيقول: «وها هو التاريخ يحدثنا عن جُهّال حكموا الناس بغير جدارة ولا لياقة، هارون الرشيد، أية ثقافة حازها؟ وكذلك من قبله ومن بعده»[(١)].

◻ **الخميني**: الذي يطعن في خيار الأمة وينال من شرف روّادها يثني على الأقزام الملاحدة مثل النصير الطوسي فيقول: «ويشعر الناس بالخسارة أيضًا بفقدان الخواجة نصير الدين الطوسي وأمثاله ممن قدّموا خدمات جليلة للإسلام»[(٢)].

والطوسي هذا هو محمد بن محمد بن الحسن الخوجه نصير الدين الطوسي المسئول مع عدو اللَّه ابن العلقمي ومستشاره ابن أبي الحديد عن الذبح العام الرهيب الذي ارتكبه الوثني هولاكو في أمة محمد ﷺ عند استيلائه على عاصمة الإسلام بغداد سنة ٦٥٥هـ، وكان الطوسي قبل ذلك من ملاحدة الإسماعيلية.

◻ قال ابن القيم: «ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر الملحد وزير الملاحدة النصير الطوسي وزير هولاكو شفى نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه فعرضهم على السيف حتى شفى إخوانه من الملاحدة واستشفى هو فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين. . ونصر في كتبه قدم العالم وبطلان المعاد. . . وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من

---

(١) «الحكومة الإسلامية» ص(١٣٣).

(٢) المصدر السابق ص(١٢٨).



الملحدين الكافرين باللَّه وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر»[١] .

* الخميني الضال المضل المغالي في أئمته الاثنا عشر :

فيقول: «إن للإمام مقامًا محمودًا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون»[٢] .

ويقول في ص(٥٢): «والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارًا فجعلهم اللَّه بعرشه محدقين، وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه إلا اللَّه، وقد قال جبرائيل ـ كما ورد في روايات المعراج ـ لو دنوت أنملة لاحترقت».

ويقول: «والأئمة الذين لا نتصور فيهم السهو أو الغفلة»[٣] .

ويقول في ص(٥٢): «وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا مقامًا لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل».

❑ قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب: «ومن اعتقد في غير الأنبياء كونه أفضل منهم أو مساوٍ لهم فقد كفر، وقد نقل على ذلك الإجماع غير واحد من العلماء»[٤] .

وهذا هو مذهب غلاة الرافضة كما قال ابن تيمية في «منهاج السنة» (١/ ١٧٧).

❑ قال الإخوان عن حكم الخميني أنه: «الحكم الإسلامي الوحيد في العالم».

---

(١) «إغاثة اللهفان» لابن القيم (٢/ ٢٦٣).

(٢) «الحكومة الإسلامية» ص(٥٢).

(٣) المصدر السابق ص(٩١).

(٤) «الرد على الرافضة» لشيخ الإسلام ابن عبد الوهاب ص(٢٣).

ونحن نقول عن الخميني إمام حزب اللَّه أنه إمام من أئمة الكفر:

جاء في بيان التنظيم الدولي للإخوان المسلمين وصف حكم الخميني بأنه «الحكم الإسلامي الوحيد في العالم»[1].

وقالت مجلة الاعتصام: «أن ردود الفعل التي أحدثتها (حركة الخميني) كان مبعثها أن حركة الخميني حركة إسلامية مائة في المائة»[2].

*** ونحن نقول عن الخميني أنه إمام من أئمة الكفر:**

ونـدلل على هذا بما سبق وقلناه عن عقيدته وبالآتي أيضًا.

(١) الاتجاه الوثني عنده:

في كتابه «كشف الأسرار» تحت عنوان «ليس من الشرك طلب الحاجة من الموتى»:

يقول: «يمكن أن يقال إن التوسل إلى الموتى وطلب الحاجة منهم شرك؛ لأن النبي والإمام ليس إلا جمادين فلا يتوقع منهما النفع والضرر.

والجواب: إن الشرك هو طلب الحاجة من غير اللَّه مع الاعتقاد بأن هذا الغير هو إله ورب.

وأما إذ طلب الحاجة من الغير من غير هذا الاعتقاد فذلك ليس بشرك، ولا فرق في هذا المعنى بين الحي والميت، ولهذا لو طلب أحد حاجته من الحجر والمدر لا يكون شركًا، مع أنه قد فعل فعلاً باطلاً!!!.

ومن ناحية أخرى نحن نستمد من أرواح الأنبياء المقدسة والأئمة

---

(١) انظر: «الشيعة والسنة ضجة مفتعلة» وهو من سلسلة الكتب التي تصدرها دار المختار الإسلامي ص(٥٢).

(٢) مجلة الاعتصام ـ العدد الخامس ـ السنة الثانية والأربعون ربيع أول ١٣٩٩هـ.

الذين أعطاهم اللَّه قدرة.

لقد ثبت بالبراهين القطعية والأدلة العقلية المحكمة حياة الروح بعد الموت، والإحاطة الكاملة للأرواح على هذا العالم!!!»[١].

(٢) اعتقاده تأثير الكواكب والأيام على حركة الإنسان وهو قول الصابئة الكفار:

يقول الخميني: «يكره إيقاعه ـ يعني عقد الزواج ـ والقمر في برج العقرب، وفي محاق الشهر، وفي أحد الأيام المنحوسة في كل شهر وهي سبعة: يوم ٣، ويوم ٥، ويوم ١٣، ويوم ١٦، ويوم ٢١، ويوم ٢٤، ويوم ٢٥ ـ وذلك من كل شهر ـ»[٢].

❑ ويقول صاحب «التحفة الاثنا عشرية: «إن الصابئين كانوا يحترزون عن أيام يكون القمر بها في العقرب، أو الطرف، أو المحاق وكذلك الرافضة»، وكانت الصابئة يعتقدون أن جميع الكواكب فاعلة مختارة، وأنها هي المدبرة للعالم السفلي، وكذلك الرافضة»[٣].

(٣) قوله بالحلول والاتحاد:

«وله كتابان خطيران في ذلك: «مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية»، و«سر الصلاة».

❑ قوله بالحلول الخاص:

يقول عن أمير المؤمنين علي: «خليفته [يعني خليفة الرسول ﷺ]

---

(١) «كشف الأسرار» للخميني ص(٣٠).

(٢) «تحرير الوسيلة» للخميني (٢/ ٢٣٨).

(٣) «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٢٩٩) لشاه عبد العزيز الدهلوي، واختصره الشيخ محمد شكري الألوسي ـ المطبعة السلفية ـ.



القائم مقامه في الملك والملكوت، المتحد بحقيقته في حضرت الجبروت واللاهوت، أصل شجرة طوبى، وحقيقة سدرة المنتهى، الرفيق الأعلى في مقام أو أدنى، معلم الروحانيين، ومؤيد الأنبياء والمرسلين عليّ أمير المؤمنين»(١) .

☐ ومن منطلق دعوى حلول الرب لعلي ـ كما يُفترى ـ ينسب الخميني لأمير المؤمنين علي أنه يقول: «كنت مع الأنبياء باطنًا ومع رسول اللَّه ظاهرًا»(٢) .

ويعلق الخميني قائلاً: «فإنه عليه السلام صاحب الولاية المطلقة الكلية والولاية باطن الخلافة.. فهو عليه السلام بمقام ولايته الكلية قائم على كل نفس بما كسبت!!، ومع كل الأشياء معيّة قيّومية ظلية إلهية ظل المعية القيومية الحقة الإلهية إلا أن الولاية لما كانت في الأنبياء أكثر خصهم بالذكر»(٣) .

ويقول في قوله ـ عز وجل ـ: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ [الرعد: ٢]، قال: «أي: ربكم الذي هو الإمام»(٤) .

ب: قوله بالحلول والاتحاد الكلي:

يقول: «النتيجة لكل المقامات والتوحيدات عدم رؤية فعل وصفة حتى من اللَّه تعالى، ونفي الكثرة بالكلية، وشهود الوحدة الصرفة»(٥) .

(١) «مصباح الهداية» للخميني ص(١).
(٢) «مصباح الهداية» ص(١٤٢).
(٣) المصدر السابق ص(١٤٢).
(٤) «مصباح الهداية» ص(١٤٥).
(٥) «مصباح الهداية» ص(١٣٤).

ثم ينقل عن أحد أئمته أنه قال: «لنا مع اللَّه حالات هو هو ونحن نحن، وهو نحن، ونحن هو»[١] .

ثم يعلق على ذلك بقوله: «وكلمات أهل المعرفة خصوصًا الشيخ الكبير محي الدين مشحونة بأمثال ذلك مثل قوله: الحق خلق، والخلق حق، والحق حق، والخلق خلق».

«ويستدل على مذهبه في وحدة الوجود بقول ابن عربي والذي يصفه بالشيخ الكبير[٢] ، والقونوي، ويصفه بـ «خليفة الشيخ الكبير محي الدين»[٣] .

«وهكذا يتبين أن الخميني قد أخذ منهج أهل الحلول والاتحاد»[٤] .

ثالثًا دعوى النبوة:

أفرزت لوثات التصوف عند الخميني دعوى غريبة وكفرًا صريحًا حيث يرسم للسالك أسفارًا أربعة:

- ينتهي السفر الأول إلى مقام الفناء.
- وينتهي السفر الثاني إلى الفناء عن الفناء وتتم دائرة الولاية.
- أما في السفر الثالث فإنه: «يحصل له الصحو التام ويبقى بإبقاء اللَّه، ويسافر في عالم الجبروت والملكوت والناسوت، ويحصل له حظ من النبوة، وليست له نبوة التشريع، وحينئذ ينتهي السفر الثالث، ويأخذ

---

(١) المصدر السابق ص(١١٤).

(٢) المصدر السابق ص(٨٤، ٩٤، ١١٢).

(٣) المصدر السابق ص(١١٠).

(٤) «أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» ـ للدكتور ناصر القفاري (٣/ ١١٥١).

في السفر الرابع»[١] .

ـ وبالسفر الرابع: «يكون نبيًّا بنبوة التشريع»[٢] .

فمراحل السفر عنده هي: الفناء، والولاية وفيها الفناء عن الفناء، والنبوة بلا تشريع، ثم النبوة الكاملة.

وقوله هذا يتضمن أن النبوة مكتسبة عن طريق «رياضات» ومجاهدات أهل التصوف.

قال القاضي عياض: «نكفّر من أدعى النبوة لنفسه، أو جوّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة الصوفية»[٣] .

وقد ذكر الخميني في كتابه الحكومة الإسلامية: «أن الفقيه الرافضي بمنزلة موسى وعيسى»، وادعى فخر الحجازي: «أن الخميني أعظم من النبي موسى وهارون» فعينه نائبًا عن طهران ورئيسًا لمؤسسة المستضعفين أعظم مؤسسة مالية في البلاد[٥] .

* الخميني يكفِّر صحابة رسول اللَّه ﷺ عامة ويصرّح بتكفير الشيخين:

يقرر الخميني في كتابه «تحرير الوسيلة» مشروعية التبري من أعداء الأئمة في الصلاة[٦] ـ وأعداء الأئمة في قاموس الشيعة هم صحابة رسول اللَّه ﷺ إلا ثلاثة أو سبعة.

(١، ٢) «مصباح الهداية» ص(١٤٩).

(٣) «الشفاء» للقاضي عياض (٢/ ١٠٧٠ ـ ١٠٧١).

(٤) «الحكومة الإسلامية» ص(٩٥).

(٥) «الثورة البائسة» لموسى الموسوي ص(١٤٧).

(٦) «تحرير الوسيلة» للخميني (١/ ١٦٩).

وهو في كتابه «كشف الأسرار» يصرّح بتكفير الشيخين[١] .

وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي في ترجمته لبعض نصوص «كشف الأسرار» ما يتضمن مجاهرة الخميني بهذا الكفر[٢] .

*** ونكفر الخميني بتفضيله مهدي الشيعة المنتظر على النبي محمد ﷺ :**

فقد قال الخميني في خطاب له بمناسبة ذكرى مولد الإمام المهدي ـ كما يعتقدون ـ في الخامس عشر من شهر شعبان ١٤٠٠هـ وأذيع من راديو طهران: «لقد جاء الأنبياء جميعًا من أجل إرساء قواعد العدالة لكنهم لم ينجحوا حتى النبي محمد خاتم الأنبياء الذي جاء لإصلاح البشرية.. لم ينجح في ذلك، وإن الشخص الذي سينجح في ذلك هو المهدي المنتظر»[٣] .

□ وفي احتفال رسمي وجماهيري أقيم في عبدان في ١٧/ ٣/ ١٩٧٩م تأييدًا لإقامة الجمهورية الإسلامية ألقى د. محمد مهدي صادقي خطبة في هذا الاحتفال سجلت باللغتين العربية والفارسية، ووصفتها الإذاعة بأنها مهمة ومما جاء في هذه الخطبة:

«أصرح يا إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن مكة

---

(١) «كشف الأسرار» للخميني ص(١١٢) وما بعدها، وانظر «صورتان متضادتان» لأبي الحسن الندوي ص(٥٧ ـ ٥٨).

(٢) «صورتان متضادتان لنتائج جهود الرسول الأعظم ﷺ الدعوية والتربوية وسيرة الجيل المثالي الأول عند أهل السنة والشيعة الإمامية» لأبي الحسن الندوي ـ ندوة العلماء ـ الهند.

(٣) «مجلة المجتمع» الكويتية العدد (٤٨٨) في ٨/ ٧/ ١٩٨٠م، و«نهج الخميني في ميزان الفكر الإسلامي» لبشار عواد ص(٤٥ ـ ٤٧) دار عمار للنشر.

المكرمة حرم اللَّه الآمن يحتلها شرذمة أشد من اليهود. . .» وذكر قبل ذلك بأنه حين تثبت ثورته سينتقلون إلى القدس وإلى مكة المكرمة وإلى أفغانستان وإلى مختلف البلاد»[١] .

◻وانظر ما كتبه الشيخ محمد عبد القادر آزاد رئيس مجلس علماء باكستان عما شاهده في أثناء زيارته لإيران، حتى يقول: بأنه رأى على جدران فندق هيلتون في طهران والذي يقيمون فيه شعارات مكتوبًا عليها «سنحرر الكعبة والقدس وفلسطين من أيدي الكفار»[٢] .

* حزب اللَّه من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية الجعفرية ـ وهذه معتقداتهم الكفرية:

لقد أجاد وأفاد وأحسن في فضح الشيعة الاثنا عشرية الشيخ إحسان إلهي ظهير الذي تعد كتبه عنهم أحسن ما كتب في فضحهم حتى قتلوه ـ رحمه اللَّه ـ.

◻ قالوا بتحريف القرآن، وممن قال بذلك الكليني والنوري والحرالعاملي والخميني.

◻ وفي السنة المطهرة كانت لهم أصول منكرة كقولهم إن الإمام يوحى إليه بل يأتيه خلق أعظم من جبريل، ومن سمع حديثًا من أحد من الأئمة له أن يقول فيه: قال اللَّه؛ لأن قولهم كقول اللَّه.

◻ وفيهم روح القدس التي بها «عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت

---

(١) أذيعت هذه الخطبة من صوت الثورة الإسلامية من عبادان الساعة ١٢ ظهرًا من يوم ١٩٧٩/٣/١٧م

(٢) «الفتنة الخمينية» للشيخ محمد آزاد ص(٩).

الثرى» وبها يرون ما غاب عنهم في أقطار الأرض وما في عنان السماء، ويذهبون إلى عرش الرحمن كل جمعة ليأخذوا من العلم ما شاؤوا.

□ وقالوا: إن اللَّه سبحانه يناجي عليًّا والأئمة.

□ وهم جهمية في نفي الصفات، وقدرية في نفي القدر، ومرجئة في قولهم بأن الإيمان معرفة الإمام وحبه، ووعيدية بالنسبة لغيرهم، حيث يكفّرون ما عدا طائفتهم.

□ ويعتقدون أن الأئمة أنزلت عليهم كتب إلهية، وعندهم كتب الأنبياء يقرؤونها ويحكمون بها.

□ وقالوا: إن الأئمة يأكلون من الجنة في الدنيا، وأن حساب الخلق إلى الأئمة يوم القيامة.

□ وقالوا: إن لِقم بابًا إلى الجنة، وأهل قم لا يحشرون كسائر الناس.

□ وقالوا: بالإمامة، والعصمة، والتقية، والغيبة، والرجعة، والظهور والطينية، والبداء وغيرها من العقائد الكفرية مما يضيق المجال هنا لشرحه وبيانه[1].

* تكفير علماء الأمة للشيعة الإمامية الاثنا عشرية بسبب تكفيرهم للصحابة ولعنهم إياهم:

كتب الشيعة الإمامية وأقوال أئمتهم مليئة باللعن والتكفير لمن

(١) انظر كل كتب الشيخ إحسان إلهي ظهير: «الشيعة والتشيع»، و«الشيعة والسنة»، و«الشيعة وأهل البيت»، و«الشيعة والقرآن»، و«موقف الخميني من الشيعة والتشيع» لمحمود سعد ناصح، و«أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثنا عشرية» للدكتور ناصر القفاري، و«جاء دور المجوس» للدكتور عبد اللَّه الغريب.

رضي اللَّه عنهم ورضوا عنه من المهاجرين والأنصار وأهل بدر وبيعة الرضوان وسائر الصحابة أجمعين وتقول كتبهم: إن الصحابة بسبب توليتهم لأبي بكر قد ارتدوا إلا ثلاثة: سلمان والمقداد وأبا ذر.

☐ يقول ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ: «إن الرافضة تقول: إن المهاجرين والأنصار كتموا النص، فكفروا إلا نفرًا قليلاً.. إما بضعة عشر أو أكثر ثم يقولون: إن أبا بكر وعمر ونحوهما ما زالا منافقين، وقد يقولون: بل آمنوا ثم كفروا»[1].

وهم يخصون كبار الصحابة بمزيد من الطعن والتكفير لهم، ولهم في ذلك أقوال ونصوص تقشعر من سماعها جلود المؤمنين.

☐ وهم يخصون أبا بكر وعمر وعثمان ـ رضي اللَّه عنهم ـ وزراء رسول اللَّه ﷺ وأصهاره بالنصيب الأولى من التكفير، وانظر ما كتبه المجلسي شيخهم وكافرهم في كتابه «البحار» الذي يعدونه المرجع الوحيد في تحقيق المذهب، وانظر إلى «الكافي» للكليني، ورجال الكشي ونصوص كتب الشيعة تربو على المجلدات في تكفير الشيخين، بل ترى أن من أعظم الكفر الحكم بإسلامهما[2]، وحينًا تنعتهم بأنهم الجبت والطاغوت[3] وتارة تصب عليهم اللعنات ولا سيما في أدعية الزيارات[4]، وأذكار ما بعد الصلوات حيث يستبدلونها بلعن الشيخين وسائر المسلمين[5].

---

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٣/ ٣٥٦).

(٢) «أصول الكافي» (١/ ٣٧٣).

(٣) المصدر السابق (١/ ٤٢٩).

(٤) «من لا يحضره الفقيه» لابن بابوية القمي (٢/ ٣٥٤).

(٥) «مستدرك الوسائل» للنوري (١٠/ ٣٤٢).

وقالوا: إن إبليس أرفع مكانًا في النار من عمر، وأن إبليس شرف عليه في النار.

وزعموا أن محمد بن أبي بكر بايع عليًّا ـ عليه السلام ـ على البراءة من أبيه[1] وأن أباه في النار[2] «معاذ اللَّه».

◻ وقالوا تحت قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ قالوا: «ما بعث اللَّه نبيًّا إلا وفي أمته شيطانان يؤذيانه ويضلان الناس بعده، فأما صاحبا نوح. . . وأما صحابا محمد فجبتر وزريق[3] .

وزريق مصغر لأزرق والمراد أبو بكر، وجبتر معناه الثعلب والمراد به عمر.

◻ وفي قوله سبحانه: «﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ﴾، قالوا: فلان وفلان، ﴿فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ يعني: نعثل، ﴿مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ﴾ طلحة والزبير، ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ معاوية»[4] .

قال المجلسي في «بحار الأنوار» (٢٣/ ٣٠٦): «المراد بفلان وفلان أبو بكر وعمر، ونعثل هو عثمان».

وكتب الشيعة الاثنا عشرية الرئيسية تطفح بهذا الركام:

«الكافي» للكليني، و«من لا يحضره الفقيه» لابن بابوية القمي،

---

(١) «رجال الكشي» ص(٦١).
(٢) «رجال الكشي» ص(٦٠).
(٣) «تفسير القمي» (١/ ٢١٤) طبعة النجف ١٣٨٦هـ.
(٤) «تفسير القمي» (٢/ ١٠٦)، و«بحار الأنوار» للمجلسي (٢٣/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥).

و«بحار الأنوار» لمحمد باقر المجلسي، و«وسائل الشيعة» للحرالعاملي، و«مستدرك الوسائل» للنوري الطبرسي.

* **ولذا كفّرهم الأئمة:**

❑ قال النووي: «إن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون والمحققون أن الخوارج لا يكفرون كسائر أهل البدع»[١].

قال الشيخ ملا علي القاري: «قلت: وهذا في غير حق الرافضة الخارجة في زماننا فإنهم يعتقدون كفر أكثر الصحابة فضلاً عن سائر أهل السنة والجماعة، فهم كفرة بالإجماع بلا نزاع»[٢].

❑ وذكر النووي في «شرح مسلم» أن الإمامية لا يكفرون الصحابة، ويرى أن التكفير إنما هو عند غلاة الشيعة[٣]، فالإمامية في عصر النووي كانوا لا يكفرون الصحابة، أو أن الإمام ـ رحمه اللَّه ـ لم يعرف ذلك عنهم.

وقد ذهب إلى كفرهم الإمام مالك، وأحمد، والبخاري وغيرهم كالقرطبي وابن تيمية والألوسي.

* **الإمام مالك:** روى الخلال عن أبي بكر المروذي قال: سمعت أبا عبداللَّه يقول: قال مالك الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس لهم اسم أو قال: نصيب في الإسلام[٤].

❑ قال ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ**

---

(١) «شرح النووي على صحيح مسلم» (٢/ ٥٠).
(٢) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» لملا علي القاري (٩/ ١٣٧).
(٣) «شرح النووي» (١٥/ ١٧٣).
(٤) «السنة» للخلال (٢/ ٥٥٧).. وإسناده صحيح.

أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

قال: «ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك ـ رحمة اللّه عليه ـ في رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ قال: لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة ـ رضي اللّه عنهم ـ فهو كافر لهذه الآية، ووافقه طائفة من أهل العلم»[1] .

□ قال القرطبي: «لقد أحسن مالك في مقالته وأصاب في تأويله، فمن نقص واحدًا منهم، أو طعن عليه في روايته فقد رد على اللّه رب العالمين وأبطل شرائع المسلمين»[2] .

* **الإمام أحمد**: وردت عنه روايات عديدة في تكفيرهم:

فقد روى الخلال عن أبي بكر المروذي قال: سألت أبا عبد اللّه عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: ما أراه على الإسلام».

□ وقد جاء في كتاب «السنة» للإمام أحمد قوله عن الرافضة: «هم الذين يتبرءون من أصحاب محمد ﷺ ويسبونهم، وينتقصونهم ويكفرون الأئمة إلا أربعة: علي وعمار والمقداد وسلمان، وليست الرافضة

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢١٩)، وانظر «روح المعاني» للألوسي (٢٦/ ١١٦)، فقد ذهب إلى تكفيرهم، وانظر أيضًا في استنباط وجه تكفيرهم من الآية ـ في «الصارم المسلول» ص(٥٧٩).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٩٧).

من الإسلام في شيء»[١].

* وقال البخاري ـ رحمه الله ـ: «ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم ولا يعارون ولا يناكحون ولا يشهدون ولا تؤكل ذبائحهم»[٢].

وقال عبد الرحمن بن مهدي: هما ملتان الجهمية والرافضية[٣].

وسأل رجل الفريابي عمن يشتم أبا بكر؟ قال: كافر، قال: فيصلى عليه؟ قال: لا. وقال: لا تمسوه بأيديكم ارفعوه بالخشب حتى تواروه في حفرته[٤].

وممن كفّرهم أحمد بن يونس، وأبو زرعة الرازي، وابن قتيبة.

قال عبد القاهر البغدادي: «وأما أهل الأهواء من الجارودية والهشامية والجهمية والإمامية الذين أكفروا خيار الصحابة ـ فإنا نكفرهم ولا تجوز الصلاة عليهم عندنا ولا الصلاة خلفهم»[٥].

وقال القاضي أبو يعلى: «وأما الرافضة فالحكم فيهم.. إنْ كفّر الصحابة أو فسّقهم بمعنى يستوجب به النار فهو كافر».

* وقال ابن حزم: «وأما قولهم ـ يعني النصارى ـ في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإن الروافض ليسوا من المسلمين»... وهي طائفة تجري

(١) «السنة» للإمام أحمد ص(٨٢) تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري.
(٢) «خلق أفعال العباد» للإمام البخاري ص(١٢٥).
(٣) المصدر السابق ص(١٢٥)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٥/ ٤١٥).
(٤) «الصارم المسلول» لابن تيمية ص(٥٧٠).
(٥) «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي ص(٣٥٧).

مجرى اليهود والنصارى في «الكذب والكفر»[1].

ثم قال: «ومن قول الإمامية قديمًا وحديثًا أن القرآن مبدل..».

ثم قال: «القول بأن بين اللوحين تبديلاً كفر صريح وتكذيب لرسول اللَّه ﷺ»[2].

□ وقال الإسفراييني: «وليسوا في الحال على شيء من الدين، ولا مزيد على هذا النوع من الكفر إذ لا بقاء فيه على شيء من الدين».

□ وقال أبو حامد الغزالي: «فلو صرّح مصرح بكفر أبي بكر وعمر - رضي اللَّه عنهما -، فقد خالف الإجماع وخرقه، وردّ ما جاء في حقهم من الوعد بالجنة والثناء عليهم والحكم بصحة دينهم وثبات يقينهم وتقدمهم على سائر الخلق في أخبار كثيرة»، ثم قال: «فقائل ذلك إن بلغته الأخبار واعتقد مع ذلك كفرهم فهو كافر»[3].

□ وقال القاضي عياض - رحمه اللَّه -: «نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم: إن الأئمة أفضل من الأنبياء».

والشيعة المعاصرون يعدون هذا من ضرورات مذهبهم ومنكر الضروري كافر عندهم.

□ وقال السمعاني: «واجتمعت الأمة على تكفير الإمامية؛ لأنهم يعتقدون تضليل الصحابة، وينكرون إجماعهم وينسبونهم إلى ما لا يليق بهم»[4].

---

(١) «الفصل» لابن حزم (٢/ ٢١٣).

(٢) «الفصل» (٥/ ٤٠).

(٣) «فضائح الباطنية» لأبي حامد ص(١٤٩).

(٤) «الأنساب» للسمعاني (٦/ ٣٤١).

◻ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول اللَّه ﷺ إلا نفرًا قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب - أيضًا - في كفره؛ لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى عنهم والثناء عليهم.

بل من يشكك في كفر مثل هذا؟ فإن كفره متعين»[١].

◻ وساق الإمام ابن كثير بعض الأحاديث الثابتة في السنة، والمتضمنة نفي دعوى النص والوصية التي تدعيها الرافضة لعلي، ثم قال بعدها معقبًا: «ولو كان الأمر كما زعموا لما رد ذلك أحد من الصحابة فإنهم أطوع للَّه ولرسوله في حياته وبعد وفاته من أن يفتاتوا عليه فيقدموا غير من قدّمه، ويؤخروا من قدّمه بنصه، وحاشا وكلا، ومن ظن بالصحابة - رضوان اللَّه عليهم - ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور، والتواطئ على معاندة الرسول، ومضادته في حكمه ونصه، ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الإسلام، وكفر بإجماع الأئمة الأعلام، وكان إراقة دمه أحلّ من إراقة المدام»[٢].

◻ وكفرهم شيخ الإسلام ابن عبد الوهاب في رسالته «الرد على الرافضة»، والشيخ شاه عبد العزيز الدهلوي في «مختصر التحفة الاثنا عشرية» ص(٣٠٠).

◻ وكفرهم الإمام الشوكاني فقال: «وبهذا يتبين أن كل رافضي خبيث يصير كافرًا بتكفيره لصحابي واحد، فكيف بمن كفّر كل الصحابة

(١) «الصارم المسلول» ص(٥٨٦ - ٥٨٧).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (٥/ ٢٥٢).

واستثنى أفرادًا يسيرة»[١] .

◻ وعندما جاء بعض آياتهم لمناظرة العالم الرباني الشيخ الشنقيطي صاحب «أضواء البيان» قال لهم: «لو كنا نتفق على أصول واحدة لناظرتكم، ولكن لنا أصول ولكم أصول، وبصورة أوضح لنا دين ولكم دين»[٢] .

◻ وكفرهم الشيخ تقي الدين الهلالي في رسالته «مناظرتان بين رجل سني وإمامينِ مجتهدينِ شيعيين»[٣] .

* **للمخدوعين في «حزب اللَّه» الاثني عشري نقول:**

◻ إن لم ترضوا بأقوال هؤلاء العلماء الجهابذة من أساطين الإسلام، فاقرؤوا رسالة الشيخ محب الدين الخطيب: «الخطوط العريضة التي قام عليها دين الشيعة الإمامية الاثنى عشرية»، والشيخ محمد بهجة البيطار في كتابه «حياة شيخ الإسلام ابن تيمية» ص(١٣١)، والقاسمي، ومحمد رشيد رضا، والدكتور مصطفى السباعي في مقدمة كتابه: «السنة ومكانتها في التشريع» ص(١٧)، وهو شيخ الإخوان في سوريا ـ رحمه اللَّه ـ، والشيخ ابن باز، والشيخ الألباني، وشيخ علماء الجزائر البشير الإبراهيمي، وأحمد أمين، والدكتور محمد رشاد سالم.

* **سلوا التاريخ يخبركم عن الرافضة الاثنى عشرية:**

◻ [«من الذي تآمر مع التتار حتى استولوا على بغداد وقتلوا الخليفة

---

(١) «نثر الجوهر على حديث أبي ذر» للشوكاني.

(٢) «وجاء دور المجوس» ص(١٥١).

(٣) المصدر السابق ص(١٤٨).

المستعصم، وقتلوا معه - غدرًا وفي ساعة واحدة - مائتي وألف شخصية من العلماء والوجهاء والقضاة، واستمرت المذابح فيها بضعًا وثلاثين يومًا، قُتِل فيها حوالي ثمانمائة ألف مسلم ومسلمة؟.

ومن الذي تسبب في انحسار المدّ الإسلامي العثماني في أرجاء أوربة، وطعن الخليفة العثماني في ظهره بزحفه على عاصمة الخلافة بينما كان يتغلغل بجيوشه في أحشاء النمسا إلى أن دخل قلب «ڤيينا»، وكادت أوربا تدخل في حظيرة الإسلام لولا اضطرار الجيش العثماني إلى الانسحاب والرجوع إلى الرافضة لدحرهم ودفعهم؟»[١].

ومن الذي تحالف مع ملك المجر ضد الدولة العثمانية؟}[٢].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه اللَّه -: «كانوا من أعظم الأسباب في استيلاء النصارى قديمًا على بيت المقدس حتى استنقذه المسلمون منهم»[٣].

«ومن الذي سلّم أرض المسلمين في باكستان الشرقية لقمة سائغة للهندوس حتى يقيموا عليها الدولة المسخ «بنجلاديش»؟[٤].

يقول الشيخ إحسان إلهي ظهير: «وها هي باكستان الشرقية ذهبت ضحية بخيانة أحد أبناء «قزلباش» الشيعة يحيى خان في أيدي

---

(١) انظر: «الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد الإسلامي عن أوربا» للدكتور محمد عبد اللطيف هريدي - دار الصحوة - القاهرة.

(٢) مقدمة كتاب «حقبة من التاريخ» لعثمان الخميس والمقدمة للدكتور محمد إسماعيل المقدم ص(٩ - ١٠) - دار الإيمان.

(٣) «منهاج السنة» لابن تيمية (٤/ ١١٠).

(٤) مقدمة: «حقبة من التاريخ» ص(١٠).

الهندوس»(١) .

▢ وقد عارض شيوخ الشيعة في باكستان تطبيق الشريعة الإسلامية، وقد قال زعيم الشيعة مفتي جعفر حسين في مؤتمر صحفي بأن الشيعة يرفضون تطبيق الحدود الإسلامية؛ لأنها ستكون على مذهب أهل السنة(٢) .

* وللرافضة دور خبيث في عدم قيام دولة إسلامية في أفغانستان :

وتعامل طهران مع نظام نجيب الشيوعي في كابول لم يعد سرًّا، وقد تلقى نظام كابول معونات مالية من طهران طيلة السنوات الماضية، كان آخرها ما صرّحت به إذاعة كابول الملتقطة في باكستان أن النظام الأفغاني تسلم من طهران معونة نقدية إلى صندوق اللجنة النسائية مقدارها ٤٥ مليون روبية أفغانية... وأصبح قادة المجاهدين يشيرون بأصابع الاتهام إلى ضلوع حكام طهران في كثير من محاولات الاغتيال الفاشلة والناجحة التي تعرض لها كثير من قادة المجاهدين المخلصين ومناصريهم في أفغانستان وباكستان(٣) .

* الدولة الصفوية ترعرعت بشيعة لبنان ولا ينكر هذا حسن نصر الله ـ وهي التي ذبحت أهل السنة :

في الدولة الصفوية التي أسسها الشاة إسماعيل الصفوي فُرِض التشيع الاثنى عشري على الإيرانيين قسراً وجُعِل المذهب الرسمي لإيران.

---

(١) «الشيعة والسنة» لإحسان إلهي ظهير ص(١١).

(٢) «الأنباءالكويتية» في (١/ ٥/ ١٩٧٩م).

(٣) «مجلة السنة» ـ العدد ١٧ ـ ربيع الثاني ١٤١٢هـ ص(٧١، ٧٢).

ولقد أعمل سيفه في أهل السنة، وكان يتخذ سب الخلفاء الثلاثة وسيلة لامتحان الإيرانيين، فمن يسمع السب منهم يجب عليه أن يهتف قائلاً: «بيش باد كم باد»، هذه العبارة تعني في اللغة الأذربيجانية أن السامع يوافق على السب ويطلب المزيد منه، أما إذا امتنع السامع عن النطق بهذه العبارة قطعت رقبته حالاً، وقد أمر الشاه أن يعلن السب في الشوارع والأسواق وعلى المنابر منذرًا المعاندين بقطع رقابهم[١].

□ وكبير شيوخ لبنان الكركي الذي يلقبه الشيعة بالمحقق الثاني والذي قربه الشاه طهماسب ابن الشاه إسماعيل وجعله الآمر المطاع في الدولة فاستحدث هذا الكركي بدعًا في التشيع فكان منها «التربة التي يسجد عليها الشيعة الآن في صلواتهم، فقد ألف فيها رسالة سنة ٩٣٣هـ»[٢].

وهو «مخترع الشيعة» وقد ألف رسالة في لعن الشيخين - رضي اللَّه عنهما - سمّاها «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت»[٣].

ويقال: إنه هو الذي شرع السبّ في المساجد أيام الجمع[٤].

فليهنأ حسن نصر اللَّه بشيوخه من الرافضة الذين أقاموا الدولة الصفوية.. التي تعاونت مع الأعداء مع البرتغال ثم الإنجليز ضد المسلمين وتشجيعها لبناء الكنائس ودخول المبشرين والقسس مع محاربتهم

---

(١) «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري» لكامل مصطفى الشيبي ص(٥٨).

(٢) «الفكر الشيعي» ص(٤١٦).

(٣) «الفكر الشيعي» ص(٤١٦).

(٤) الموضع نفسه من المصدر السابق.

للسنة وأهلها.

☐ وما يقول حسن نصر اللَّه في أن أسياده بطهران لم يسمحوا ببناء مسجد واحد لأهل السنة حتى اليوم على الرغم من أنها تضم على مرأى ومسمع من الحكومة الإيرانية اثنى عشر كنيسة، وأربعة معابد يهودية وعددًا من معابد المجوس عبدة النار؟

* **حسن نصر اللَّه وسوريا وإيران:**

تتمتع القيادة الرسمية لحزب اللَّه، بما فيها الأمين العام الحالي حسن نصر اللَّه بعلاقات جيدة مع كل من سورية وإيران، ومن المرجح أن تستجيب لمتطلبات الأولى وحساسياتها بقدر استجابتها لمتطلبات الأخيرة وحساسياتها. وتقدير ميزانية الحزب بين العشرين مليون دولار والمئة والستين مليون دولار. والمال الإيراني يغرق لبنان عن طريق بعلبك منذ عام ١٩٨٢م، ويغدق على التنشئة العسكرية لميليشيات حزب اللَّه، كما يغدق للقيام بأعمال خيرية.

ويقدر زين حمود «دخل حزب اللَّه المالي النقدي من إيران بثلاثة ملايين دولار ونصف المليون في الشهر الواحد، بخلاف دخل شركات البناء والمقاولات والعقارات والاستشارات ومزارع الدواجن والسمك. وذلك منذ ١٩٩٠م، أما علي نوري زاده، فذهب إلى أن دخل الحزب الخميني بلغ عشرين مليون دولار في عام ١٩٩٠م، وخمسين مليون في عام ١٩٩١م، ويقدر أن يبلغ مئة وعشرين مليونًا في ١٩٩٢م، ومئة وستين في ١٩٩٣م»[١].

---

(١) «حزب اللَّه من الداخل ـ أسرار وخفايا» لزين محمود ـ مجلة الشراع (١٤/ ٨/ ١٩٩٥).

وتشير بعض المصادر إلى ارتفاع ميزانية حزب اللَّه في عهد رفسنجاني إلى ٢٨٠ مليون دولار[١].

وقد تواتر الخبر واستفاض العلم للقاصي والداني عن هذا الدعم الإيراني اللامحدود لحزب اللَّه.

«ولم تكن إيران وحدها على خط الدعم العام لحزب اللَّه، فقد كانت سوريا شريكًا وحليفًا قويًّا لإيران، وكان لهذا التحالف أثره على حزب اللَّه، وتحديد مساره»[٣].

* حقيقة النجاح العسكري لحزب اللَّه:

بداية نحن نفرح بأي انتصار حقيقي لحزب اللَّه على إسرائيل مثلما فرح رسول اللَّه ﷺ بانتصار الروم على الفرس؛ لأنهم أقرب إلى الحق من فارس فهم أهل كتاب وإن حرّفوا دينهم.

ونحن نفرح بانتصار هؤلاء المبتدعة من الشيعة الإمامية الاثنا عشرية من رجال حزب اللَّه.

وإن كنا نوقن بأن هذا النصر ليس على المستوى اللائق بهذا الزخم الضخم من الضجيج الإعلامي.

«ولقد أعلن زعماء حزب اللَّه في الماضي أنهم سيواصلون محاربة «إسرائيل» حتى «تحرير القدس»!! ولكنهم قالوا مرات كثيرة ما هو عكس

---

(١) «مجلة المجلة»، العدد ١٠١٣، (١١/٧/١٩٩٩م).

(٢) انظر حوار محمد حسين فضل اللَّه «مجلة الوسط»، العدد ٢٢٢/١١/٢/١٤١٦هـ، وحوار حسن نصر اللَّه مع «مجلة المقاومة» العدد ٣١ ص(٦).

(٣) انظر «حقيقة المقاومة» ص(١٦٣).

ذلك، أي أن هدفهم هو تحرير الأرض اللبنانية، وليس من شأنهم مواصلة العمل ضد «إسرائيل» بعد تحقيق هذا الهدف»[١].

«لم يبادر حزب اللَّه أبدًا بعمل ضد أراضي «إسرائيل»، وقصر هذا النشاط على الأراضي اللبنانية. ورغم أن مقاتلي حزب اللَّه قد وصلوا عدة مرات إلى خط الحدود، إلا أنهم لم يتسللوا إلى الأراضي الإسرائيلية، وكان يمكنهم أن يفعلوا ذلك بدون شك.

كما أن الحزب قد اعتمد على الحرب البعيدة وعدم المواجهة المباشرة مع جيش الدفاع الإسرائيلي، وذلك بزرع الألغام، والتي كانت تمثل نسبة عالية من الإصابات للجيش الإسرائيلي»[٢].

* شعارات لتخدير المغفلين لا تنطلي علينا:

مع أنه أتى في ميثاق حزب اللَّه أنه: «يجب إزالة إسرائيل من الوجود». ويدعو لتوحيد العرب والمسلمين - كما يقولون - لتحرير فلسطين كلها «من النهر إلى البحر!!» إلا أنه في الخطاب الذي ألقاه حسن نصر اللَّه في بنت جبيل عقب الانسحاب الإسرائيلي، والذي حضره مائة ألف جنوبي، أشار نصر اللَّه إلى أن حزب اللَّه لن يشارك في أي عمل عسكري ضد إسرائيل لهدف تحرير فلسطين!! وخلا هذا المهرجان الخطابي من شعار «زحفًا زحفًا نحو القدس».

وقد تكرّس التزام حزب اللَّه بضوابط الصراع مع إسرائيل في تفاهمي يوليو (تموز) ١٩٩٣م، إبريل (نيسان) ١٩٩٦م حيث تعهد الحزب

---

(١) «حقيقة المقاومة» ص(٢٢١).
(٢) «حقيقة المقاومة» ص(٢٢١).

بعدم ضرب أهداف إسرائيلية داخل فلسطين المحتلة بداية، وهو أمر كان الحزب يؤكد التزامه به، معتبرًا أن إطلاق صواريخ «الكاتيوشا» على المستعمرات الإسرائيلية في الجليل ليس سوى رد فعل على الاعتداءات الإسرائيلية على المدنيين. وهذه المسألة تمثل تحولاً في رؤية حزب اللَّه للصراع مع (إسرائيل) التي يتعاطى معها الحزب من حيث إنها أمر واقع موجود دون أن تكون لها أي صفة شرعية»[١] .

* حسن نصر اللَّه والسلام!!

«صرّح السفير السوري في واشنطن، وليد المعلم، أن حزب اللَّه حركة مقاومة وطنية ولن تكون عقبة في طريق السلام إذا كان يلبي المصالح السورية واللبنانية، إن قيادة الحزب تدرك بأن أي اتفاق مقبول من سوريا ولبنان يكون ملزمًا لها على السواء.

وفي أثناء المباحثات السورية الإسرائيلية قصفت إسرائيل مدرسة أطفال في جنوب لبنان، بلدة عرب صاليم، وأدى ذلك القصف إلى جرح ١٥ تلميذًا وتلميذة وقد اضطر حزب اللَّه إلى لزوم الصمت العسكري وعدم الردّ بالمثل لئلا يعكر جو المفاوضات!!!

بل لقد استبق حسن نصر اللَّه الجميع باعترافه بأنهم أداة في يد المفاوضين في عملية السلام، فيقول: «إن المقاومة ورقة ضغط بيد المفاوض العربي»[٢] .

(١) «حقيقة المقاومة» ص(٢١٤)، «جريدة الأنباء» العدد ٨٦٣٠، (٢٣/ ٢/ ١٤٢١هـ) ٢٧/ ٥/ ٢٠٠٠م ـ وانظر «مجلة شؤون الأوسط» العدد ٥٩ يناير (١٩٩٧م) مقالة هيثم مزاحم: «حزب اللَّه وإشكالية التوفيق بين الأيديولوجيا والواقع».

(٢) «جريدة الأنباء» (٨٣٣١) ١٤/ ٢/ ١٤٢٠هـ ـ ٢٧/ ٧/ ١٩٩٩م.

وهذا ما أكّده كذلك نائبه نعيم قاسم حين قال: «إن المقاومة تخدم الموقف السوري بشكل صريح؛ لأن سوريا تعتبر المتصدي الأساسي من خلال قدرتها على إدارة الوضع في المنطقة»[(١)] .

وكما كان لحزب اللَّه دور هام في ترسيخ الوجود الإيراني في لبنان، فقد كان له الدور نفسه في خدمة سوريا، وهذا ما دفع صحيفة (لوموند) الفرنسية إلى القول بأن دمشق استعادت دورها عاصمة للسياسة الشرق أوسطية، وذلك من طريق لبنان ودور الحزب الخميني فيه[(٢)] »[(٣)] .

* حزب اللَّه مبتدعة حتى النخاع:

بدت البغضاء من أفواههم لأهل السنة، وما تخفي صدورهم أكبر، فعقب اتفاق الطائف الذي كان من أسباب وقف الحرب الأهلية التي كانت تدور في لبنان كانت هناك عبارات مكتوبة «الوهابيون رجس من عمل الشيطان!!، سننتقم من الوهابيين، لن تمرّ هذه الجريمة دون عقاب».. هذه العبارات كانت محمولة على لافتات في تظاهرة أخرجها «حزب اللَّه» في الجنوب اللبناني[(٤)] .

□ وفي معرض رده على الأسئلة الموجهة إليه في أحد البرامج قال محمد حسين فضل اللَّه: «لم يكن هؤلاء الذين حكموا العالم الإسلامي في الماضي يحكمون باسم الإسلام فنحن لا نعتقد ـ على سبيل المثال ـ

---

(١) «مجلة المجلد »العدد (١٠٣٢) ٢٧/١١/١٩٩٩م ـ ١٣/٨/١٤٢٠هـ.

(٢) «لوموند» ٢١/٢/١٩٩٥م.

(٣) «حقيقة المقاومة» ص(٢٠٧، ٢٠٨).

(٤) «حقيقة المقاومة» ص(١١).

أن الحكم العثماني كان عادلاً وحرًّا وإسلاميًّا!!!»[١] .

▫ إن حزب اللَّه استنساخ لعقيدة الآيات في قمّ.. يبث الحزب بدعه وسمومه ولعنه للصحابة وتفسيقهم وتكفيرهم في الحوزات والحسينيات ويستخدم التقية في طابوره الإعلامي: «تلفزيون المنار، وإذاعاته، صوت المستضعفين، و«صوت الإيمان»، و«صوت الإسلام» وصحيفته العهد، و«المقاومة» تصدر في مصر والقائم على إصدارها يساري مصري وترسم صورة نقية شفافة لحزب اللَّه لا تشوبها شائبة لخداع السذج.

ومع هذا فهم يبثون سمومهم وعقائدهم من خلال دور نشرهم: دار التيار الجديد ببيروت بلبنان وقد أصدرت كتيب «يا شهيد ـ لطمات حسينية»، والدار الإسلامية، وتتولى طبع كتب محمد حسين فضل اللَّه «الزعيم الروحي لحزب اللَّه».

▫ وتقوم مؤسسة أهل البيت بطبع مراجع الشيعة مثل كتاب «الاحتجاج» للطبرسي، ونشرت دار الأضواء بعض الكتب التي كتبها كبار مؤلفي الشيعة مثل: الشريف الرضي ونصير الدين الطوسي.

▫ وعلى شبكة الإنترنت تقوم مواقع حزب اللَّه وأبرزها «المقاومة» و«حزب اللَّه» و«المنار».

ولكن لا ينطلي دجلهم وكذبهم وعورهم على أهل السنة النابهين بل وعَوام أهل السنة الذي يهزم الواحد منهم جيشًا من المبتدعة.

---

(١) «قراءة في فكر زعيم ديني لبناني» ضمن حلقات «الإسلام والكونجرس الأمريكي» د. أحمد إبراهيم خضر ـ «مجلة المجتمع» العدد (٩٥٣) ص(٤٥).

* تمخَّض الجبل فولد فأراً:

وهكذا تمخض الجبل فولد فأرًا... ويومًا ما سيعلم الناس الدور الخفي لحزب اللَّه كحزام أمني يحمي حدود إسرائيل الشمالية من أهل السنة.. قد يكون هذا الكلام جد غريب.. وستكشف الأيام عن هذا.

تمامًا مثل فضيحة «إيران جيت» التي سرّبها مهدي هاشمي - صهر آية اللَّه منتظري المرشح السابق لخلافة الخميني وأحد دعاة تصدير الثورة - مسئول مكتب دعم حركات التحرير في العالم عام ١٩٨٦م، وتم إعدامه ١٩٨٧م لتسريبه هذه الفضيحة التي كشفت للناس دجل الشيعة في إيران.. فما ظنك بأذنابهم في لبنان، ومن أراد المزيد في قضية «إيران جيت» فليرجع إلى مذكرات وزير الخارجية الأمريكي وقت حدوث الفضيحة (جورج شولتز) «اضطراب ونصر» - الأهلية للنشر والتوزيع بعمان الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

❑ **وكم في الحسينيات والحوزات والزوايا يا مبتدعة الحزب الخميني «حزب اللَّه» من خبايا.**

كم في الزوايا من خبايا، وإنّ موعد كشف زوركم لآت، وكل آتٍ قريب.. ويومها سيعلم الناس أن العدو لمّعكم لتكونوا حائطًا وسورًا منيعًا لحدوده الشمالية من أهل السنة... قد يكون هذا الكلام غريبًا في حاضرنا ولكن المستقبل يحمل ما يحمل والأيام حُبلى بالأعاجيب التي قد لا يصدقها عقل الآن... ولا نستبعدها نحن أهل السنة من استقرائنا للتاريخ.

❁ ❁ ❁

* وأخيراً:

يقول ابن تيمية في كلمات له أسطع من الشمس في صدقها:

«فلينظر كل عاقل فيما يحدث في زمانه، وما يقرب من زمانه من الفتن والشرور والفساد في الإسلام، فإنه يجد معظم ذلك من قبل الرافضة، وتجدهم من أعظم الناس فتنًا وشرًّا وأنهم لا يقعدون عما يمكنهم من الفتن والشرور وإيقاع الفساد بين الأمة»[1].

وقال: «ونحن قد علمنا بالمعاينة والتواتر أن الفتن والشرور العظيمة التي لا تشابهها فتن إنما تخرج عنهم»[2].

من مجّد «حزب اللَّه» بعد ما سردنا من عقيدته وعقيدة إمامه الخميني فهو غاش لأهل الإسلام متشدق بفرية ما بعدها فرية، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

«الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل»، تلك الحكمة التي تجلّت في بعض المواقف الشجاعة من دعاة خُدِعوا أولاً بالسراب الإيراني، ثم لما لم يجدوه شيئًا أعلنوا رجوعهم للحق، وحذّروا الأمة، وكتبوا ناصحيها ومحذريها، وأخص بالذكر الأستاذ/ سعيد حوى ـ رحمه اللَّه ـ فرسالته الرائعة» «الخمينية شذوذ في العقائد، وشذوذ في المواقف» خير مثال على ذلك»[3].

فكل من سطّر حرفًا في الثناء على حزب اللَّه وأنه أمل الأمة

---

(١) «منهاج السنة» (٣/ ٢٤٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٤٥).

(٣) من كلام الشيخ محمد إسماعيل المقدم في مقدمته «لحقبة من التاريخ» ص(١٦).

المنشود في طرد إسرائيل وتحرير القدس بعد أن بينا وأطلنا في النقل عن عقيدتهم، فإنا نقول فيه:

أثّـر البهتـــــان فيـــه	وانطلى الزور عليــــه
مـــلأ الجـــوّ صراخًا	بحيـــــاة قــاتـلِيـــه
يا لَـهُ من بـبّـغـــاء	عقـــله في أذنـيـــــه

❁ ❁ ❁

▫ ولله در القائل:

يا إِخوة الإيمان نهر عقيـدتي	يجوى وقد شكت الجفافَ الأنهرُ
نهرٌ روافِدُه تصفِّق للنــدى	طربًا يحيط بها البســاط الأخضرُ
نهرٌ من الإســـلام يبــدأ نبعُه	وعلى مرافِـئـهِ يطيب المنظرُ[1]

▫ ويقول عن دعاة القومية والعلمانية:

غضبتُ لأمتي ممّنْ يغنّي	لها وفـؤاده دنسٌ وحِقـدُ
تُعيرهم الصّحافةُ مقْلتيْها	فهُم في عُرفهـا الركنُ الأشَـدُّ
لهُمْ عبْـر الإذاعـة ألفُ صوتٍ	وفي التِّلْفـازِ أذرعَةٌ تُمَـدُّ
على وطنيـة التفكير قامـوا	وتحت غطائها قبضـوا ومـدّوا
وباسم ثقـافة العصـر استباحـوا	حِمَى الفكر الأصـيلِ وعنـه نَدُّوا
أقول لهم ثقـافتـكم هبـاءٌ	وليس لغيمـكم بـرقٌ ورَعْـدُ

(١) من قصيدة «لا تسألوا عن أمتي» للعشماوي من ديوانه «يا أمة الإسلام» ص(٧٦) ـ الناشر مكتبة العبيكان.

أقولُ لهم: كتاب اللَّه فيكم ... إلى يَنبوعه الصافي المَرَدُّ
لنا وطنية ليست نشازًا ... فما تجفو الكتابَ ولا تَنِدُّ
لنا البيت الحرام، لنا حراءٌ ... نعم، ولنا تهامتنا ونجدُ
لنا الأقصى، لنا شام ومصر ... لنا يَمَنٌ وبغدادٌ وسِنْدُ
لنا في المغرب العربي أهلٌ ... وأحبابٌ، وفي كابول جُنْدُ
لنا الإسلامُ يجمع شمل قومي ... وإنْ ورمتْ أنوفُ من استبدُّوا
ولا وطنية لدعاة فكرٍ ... دخيلٍ، مِنْ سِوانا يُسْتَمَدُّ
إذا صارتْ روابطُنا تُرابًا ... عليه حبال أمّتنا تُشَدُّ
فلا تعجبْ إذا اضطربتْ خُطانا ... وساوَمَنا على الأمجادِ وَغْدُ
ولا تعجب إذا صارتْ رُؤانا ... تَغيمُ، وقَصْرُ فرحتنا يُهَدُّ[1]

▫ ولله دره حين يقول:

هم أيها الأقصى دُعاةُ «عروبةٍ» ... بثيابها المستوردات تسربلوا
ملئوا حقائبَهم بقوميّاتهم ... يا بئس ما حملوا، وما لم يَحمِلُوا
أفكارُ أمتنا تُصاغُ صياغَةً ... عند العدوّ، وداؤها متأصِّلُ
عُلَب يُغَلّفُها العدوُّ، وخَتْمُه ... فيها الصليبُ ونجمةٌ والمنجَلُ
يا ويحَ أمتنا ينكّس رأسُها ... عمْدًا، ومقلُتها الجميلةُ تُسْمَلُ
يا ويح أمتنا يمزّق ثوبُها ... بيد ابنها الباغي الذي لا يَعقِلُ
يا ويح أمتنا بخنجر بعضِ مَنْ ... نُسبوا إليها تُستباح وتُقتَلُ

---

(١) من قصيدة «دمعة حزن في مقلة عروس» للعشماوي ص(١٧١ ـ ١٧٣) من ديوان «يا أمة الإسلام».

يا مسـجدَ الأقصى، عروبةُ قَوْمَنا وَهْـمٌ كبير ما عليه مُـعَـوّلُ

زفّـوا إلى الأوطـان علمـانيّةً سوداءَ، بالدَّعوى تصـاغُ وتُصقَـلُ

قالوا ستمحو الجرحَ عقـلانيّـةٌ فلبئس مـا نطقـوا به وتـقوّلوا

غرسوا على درب الكرامة حنظـلاً يا ليت شعري، هَلْ يساغُ الحنظلُ

ألقوْا كتاب اللَّه خلف ظهورهم وتلاعبـوا بنصـوصه وتـأوّلوا

يا مسجد الأقصى، عواصف أمتي عصفتْ، وربّـان السـفينة أعزلُ

فإلى متى نبقى على أوهامهَا نبني، وعن نهـج العقيدة نَشْغَلُ

يا مسجد الأقصى تَراكَمَ حولنا هَمٌّ، وأوهـام، وليـلٌ أليـلُ

عُذْرًا، فقد يصحوا النَّـؤوم ويمتطي ظهرَ البطولةِ مَن لديـه المِشْعَلُ

نَسْـعَى، ونُنْـذِرُ قومَنـا، وإلهُنـا يقضي، ويكتب ما يشاء، ويفعَلُ[1]

❁ ❁ ❁

◘ **يقول أحمد فرح عقيلان:**

إنّ العروبـة روحـهـا إسـلامهـا والجسـم دون الروح معنـاه الردى

اسـأل صـلاح الدين في حطينـة متفقهًـا.. متـديّنا.. متعبـدا

---

(١) من قصيدة «وقفة على بوابة المسجد الأقصى» من ديوان «يا أمة الإسلام» للعشماوي.

من يلتمس غير الحنيفة منقذًا
فهو الذي ابتاع الضلالة بالهدى
لما تبدّلنا شرائع غيرنا
بشريعة الإسلام أصبحنا سُدى
تلك المبادئ مزّقت أعلامنا
وغدا بها الشمل الجميع مبددا
وإذا اليهوديّ الذليل يجوس في
أقداسنا متبجحًا.. متمردا
إن الذي كتب اليهود أذلّة
كتب العلاء لحزبه والسؤددا
جيش العروبة حين أعلن أنّها
دين أقام العالمين وأقعدا
واليوم أعلن أنها دنيا فما
صمدت لفئران البريّة شرّدا!! [١]

□ **ويقول:**

إن يُسلخ العُرب من إسلامهم رجعوا
على شمال المعالي بعض أصفار
اللّه يا قوم بالقرآن شرّفنا
فهل نبدّله مسموم أفكار

---

(١) ديوان «رسالة إلى ليلى» ص(٧٩).

مبـــادئ الكفر قــد جــرّت هزائمنا
وصيّرت عارنـــا نشـــرات أخبـــار
يا قـــوم لا ترتضـــوا الأصنـــام آلهـــة
فإنهـــا أهدرتنـــا أي إِهـــدار[1]

❑ **ويقول:**

هزمنـــا يـــوم ضـــاع الدين منّا
أليس الكفـــر مصـــدر الانهـــزام؟
وهمنـــا بالمناصب وهـــي غُـــلّ
وأسـلمنا الأمـــانـــة للحرامـــي!!

❑ **ويقول: أحمد فرح عقيلان مصورًا حال العرب ومنهم الشعب الفلسطيني:**

أبكي وأهلي عنّي في مخاصمـة
نيرانـهـا بسـيـاط الذّل تصليني
في كل يـــوم لهم نصرٌ ومعركة
في المهرجانـات لا في مثـــل حطّين
كم أشعلوا بينهم حقـدًا ومعركة
جيش البـــلاغـــة فيهـا بالملايـين
كم روّجوا الهدم والترويج فانشغلوا
حـــول الهـــوى بين مـاويٍّ ولينيني

---

(١) «جرح الإباء» ص(٢٤ ـ ٢٥).

لو تسمع اللعن في المذياع منهمرًا
خِلْتَ الفصاحة آلت للمجانين
وتحت ألف شعار سار موكبهم
يستنزل النصر من عند الشياطين
حتى نمت دولة الكفار واحتشدت
وكان ما كان من خزي ومن هون[١]

ويقول أحمد صدّيق:

فلسطين ضاعت يوم ضاعت عقيدة
وبات فساد الحال أقبح مقتنى![٢]

ويقول عدنان النحوي في المعنى نفسه:

لست أبكي ترابها ومروجًا
نضبت أو حجارة صمّاء!!
إنما أندبُ العقيدة تذوي
في نفوسٍ تعيسة والإباءَ
ما هجرنا ديارنا غير أنّا
قد هجرنا العقيدة السمحاءَ
لفظتنا الديار إذ ذاك لفظًا
وأحالت كرامنا غرباءَ[٣]

---

(١) «رسالة إلى ليلى» (٨٩ ـ ٩٠). (٢) «نداء الحق» لأحمد محمد الصديق ص(٢٢٦).
(٣) من ديوان «الأرض» للنحوي ص(٦٤).



❑ ويقول أحمد فرح عقيلان:

مبيناً أن النصر لا يكون إلا بوحدة في ظل العقيدة والإسلام.

أنـا مؤمن أن اليهــود وإن طغـوا
ستؤول دولتهم إلى أيدينـا

والله لن يحظـو بنـــوم هـانئ
ما دام عرق الدين ينبض فينا

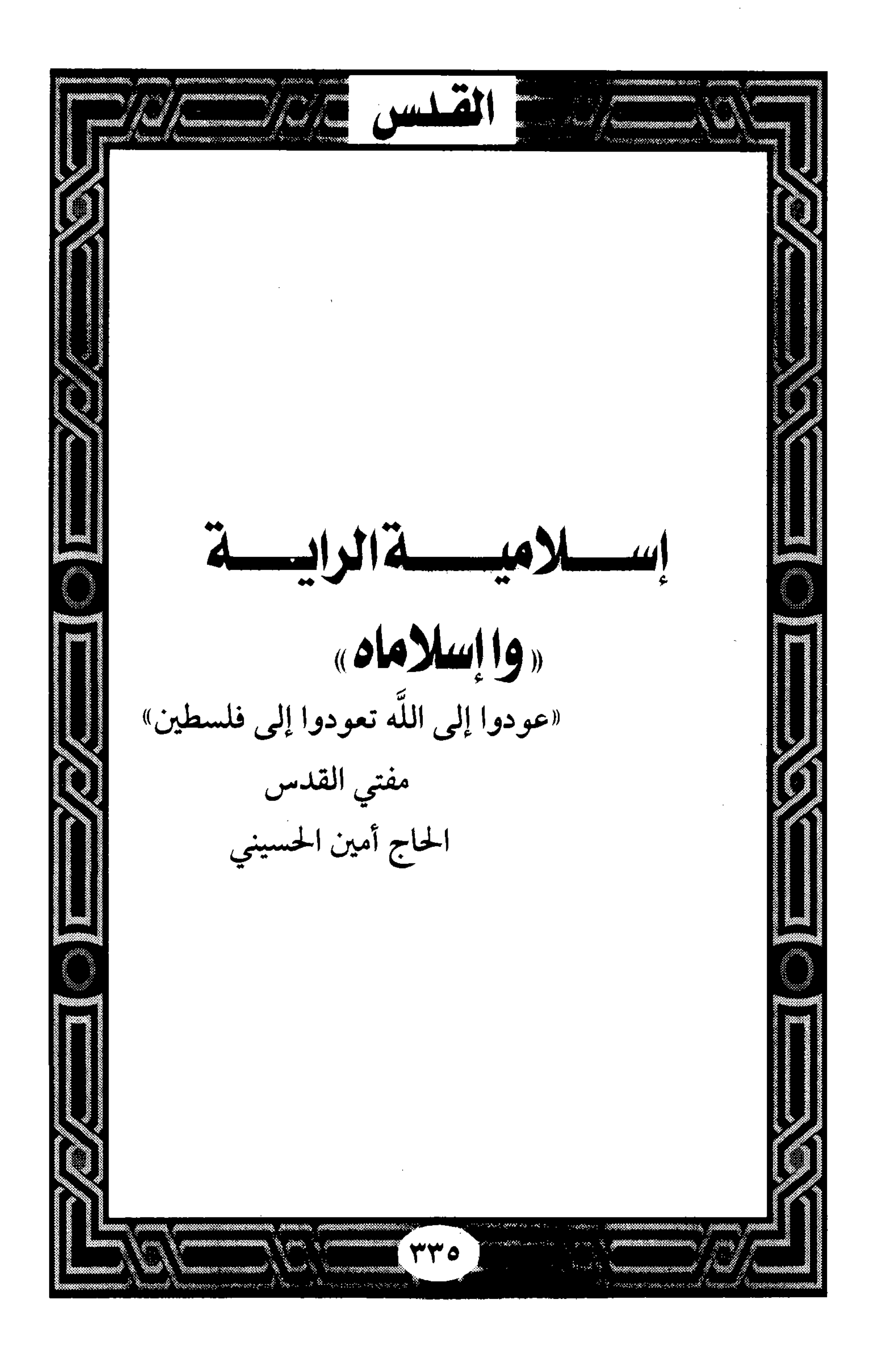
إســلامنا لا يقبـــل استسلامنا
اســـأل به كســـرى وقسطنطينا

واســأل عماد الدين عن حصن الرُّها
واسأل صــلاح الدين عن حطينـا

لا نصر إلاّ بالتضامن مبدأً
صدقًا وإلاّ بالحنيفــة دينـا[1]

❁ ❁ ❁

(١) «جرح الإباء» (٥٣ ـ ٥٤).



إسلامية الراية

«وا إسلاماه»

«عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين»

مفتي القدس

الحاج أمين الحسيني



ضاعت فلسطين براية القومية العربية والثورة العربية عام ١٩١٧م:

❑ ضاعت فلسطين يوم ضاعت الراية الإسلامية وحلّت بدلاً منها القومية العربية والعلمانية.

❑ ضاعت فلسطين يوم سقطت الثورة العربية لدعاة القومية العربية في الوحل ودخلوا مع اللنبي فلسطين عام ١٩١٧م لطرد العثمانيين... دخلوا مع اللنبي الصليبي لطرد الأتراك المسلمين!!

❑ يقول الشيخ أبو الحسن الندوي في رسالته المشهورة «اسمعوها مني صريحة أيها العرب»: «من المؤسف المحزن المخجل أن يقوم في هذا الوقت في العالم العربي رجال يدعون إلى القومية العربية المجردة من العقيدة والرسالة، وإلى قطع الصلة عن أعظم نبي عرفه تاريخ الإيمان، وعن أقوى شخصية ظهرت في العالم، وعن أمتن رابطة روحية تجمع بين الأمم والأفراد والأشتات. إنها جريمة قومية تبزّ جميع الجرائم القومية التي سجلها تاريخ هذه الأمة، وإنها حركة هدم وتخريب تفوق جميع الحركات الهدّامة المعروفة في التاريخ، وإنها خطوة حاسمة مشؤومة في سبيل الدمار القومي والانتحار الاجتماعي»[1] .اهـ.

❑ يقول الشيخ ابن باز ـ رحمه اللَّه ـ : «إن الدعوة إلى القومية العربية ـ كما أنها إساءة إلى الإسلام ومحاربة له في بلاده ـ فهي أيضًا

(١) «اسمعوها مني صريحة أيها العرب» لأبي الحسن الندوي ص(١٨).

إساءة إلى العرب أنفسهم، وجناية عليهم عظيمة لكونها تفصلهم عن الإسلام الذي هو مجدهم الأكبر، وشرفهم الأعظم، ومصدر عزهم وسيادتهم على العالم»(١) .

❐ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ : كل ما خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة، فهو من عزاء الجاهلية، بل لمّا اختصم مهاجري وأنصاري، فقال المهاجري: يا للمهاجرين، وقال الأنصاري: يا للأنصار، قال النبي ﷺ : «**أبِدَعْوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟!**»(٢) .

● وفي حديث الحارث الأشعري أن النبي ﷺ قال: «**إن اللَّه أمر يحيى بن زكريا بخمس أن يعمل بهن .. ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جُثى جهنم**»، قيل: يا رسول اللَّه وإن صلى وصام؟ قال: «**وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، فادعوا بدعوى اللَّه الذي سمّاكم المسلمين المؤمنين عباد اللَّه**» .

❐ قال الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ : «ذكر كثير من مؤرخي الدعوة إلى القومية العربية، ومنهم مؤلف الموسوعة العربية: أن أول من دعى إلى القومية العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي هم الغربيون على أيدي بعثات التبشير في سوريا، ليفصلوا الترك عن العرب، ويفرّقوا بين المسلمين، ولم تزل الدعوة إليها في الشام والعراق ولبنان تزداد وتنمو حتى عُقِد لها أول مؤتمر في باريس من نحو ستين سنة وذلك عام ١٩١٠، وكثرت بسبب ذلك الجمعيات العربية وتعددت

---

(١) «نقد القومية العربية» لابن باز ص(١٨).

(٢) المصدر السابق ص(٢١).



الاتجاهات... فهل تظن أيها القارئ أن خصومنا وأعداءنا يسعون في مصالحنا بابتداعهم الدعوة إلى القومية العربية، وعقد المؤتمرات لها وابتعاث المبشرين بها؟ لا والله... وكفى بذلك دليلاً لكل ذي لب على ما يُراد من وراء الدعوة إلي القومية العربية وأنها معول غربي استعماري يُراد به تفريقنا وإبعادنا عن ديننا»[(١)].

□يقول الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ في كتابه «مع اللَّه» عن دعاة القومية العربية:

ما هؤلاء الناس؟ إنهم ليسوا عربًا ولا عجمًا ولا روس ولا أمريكان!! إنهم مسخ غريب الأطوار صفيق الصياح، بُلِيَتْ به هذه البلاد إثر ما صبغه الاستعمار بها وترك بذوره في مشاعرها وأفكارها، فهم ـ كما جاء في الحديث ـ من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، بيْد أنهم عدو لتاريخنا وحضارتنا وعبء على كفاحنا ونهضتنا، وعون للحاقدين على ديننا والضانين بحق الحياة له ولمن اعتنقه.

إن هؤلاء الناس الذين برزوا فجأة، وملأت ضجتهم الأودية كما تملأ الضفادع بنقيقها أكناف الليل، يجب أن يمزق النقاب عن سريرتهم وأن تعرفهم هذه الأمة على حقيقتهم حتى لا يروج لهم خداع ولا ينطلي لهم زور، إن هؤلاء الذين يلبسون مسوح العروبة ويندسون خلال صفوف المجاهدين، ويزعمون أنهم مبشرون بالقومية العربية ورافعون لألويتها، وفي الوقت نفسه ينسحبون من تقاليد العروبة ويهاجمون أجلّ ما عرفت به، ويبعثرون العوائق في طريق الإيمان ورسالته. إن هؤلاء

---

(١) «نقد القومية العربية» ص(١٥ ـ ١٦).

الناس ينبغي أن يماط اللثام عن وجوههم الكالحة، وأن تُلقى الأضواء على وظيفتهم التي يسّرها الاستعمار لهم، ووقف بعيدًا يرقب نتائجها المرة، وما نتائجها إلا الدمار المنشود لرسالة القرآن وصاحبها العظيم محمد بن عبد اللّه ﷺ.

ولقد قرأنا ما يكتبون، وسمعنا ما يقولون، ولم يعوزنا الذكاء لاستبانة غاياتهم، فهم ملحدون مجاهرون بالكفر، يقولون في صراحة: إن الإسلام ليس إلا نهضة عربية فاز بها هذا الجنس العظيم في القرون الوسطى، واستطاع في فورته العامة أن يجتاح العالم بقيادة رجل عبقري هو الزعيم الكبير محمد ﷺ، أي أن هذا الدين الجليل نبت من الأرض ولم ينزل من السماء، وأنه انطلاقة شعب طامح فاتح، وليس هداية مثالية فدائية جاءت من عند اللّه لتنقذ العرب من جاهلية طامسة كانوا بها في مؤخرة البشر إلى حنيفية سمحة رفعت خسيستهم، ثم انتشر شعاعها بعد في أنحاء الأرض كما تنتشر الأضواء في عرض الأفق لدى الشروق. والفضل في ذلك كله للّه وحده الذي اصطفى محمدًا وامتنّ عليه بالهدى والحق بعد أن قال له: ﴿ **مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ** ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿ **وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ** ﴾ [النساء: ١١٣]، كما يقول في العرب الذين أُرسل فيهم: ﴿ **لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ** ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. فأي زحف عربي هنالك؟ وأي عبقرية أنشأت من عندها هذا الغيث الممرع لأهل الأرض؟ إن الزعم بأن الإسلام «فورة عربية» أكذوبة كبرى، وأضلولة شائنة، وإن هذا القول ليس تكذيبًا للإسلام

فقط، بل دعوة خطيرة إلى تكذيب الديانات كلها، وإلى إشاعة الكفر والفسوق والعصيان في أنحاء الأرض، والغريب أن هؤلاء الناس يخاصمون الإسلام بعنف، ويحاربون أمته بجبروت، ويهادنون الأديان الأخرى من سماوية وأرضية، كأن الإسلام وحده هو العدو الذي كُلِّفوا باستئصاله وحده، لا بل هو العقبة الفذة التي وُضعت المعاول في أيديهم لإهالتها ترابًا. . أجل، وهل للاستعمار عدو في هذه البلاد إلا الإسلام؟ إنه مصدر المقاومة العنيدة، وروح الكفاح الباسل الذي أعيا المهاجمين وأحبط مؤامراتهم، ومن ثمّ فعلى الاستعمار أن ينسج خيوطه حوله ليقتله ويحول بينه وبين الحياة الكريمة. ولقد ابتدع القوميات الضيّقة واستجباها بشتى الأساليب من كيان هذا الدين، فلما سقطت أمام الإسلام في المعركة دسّ أتباعه تحت لواء القومية العربية، وزوّدهم بضروب من الادّعاء ليزاحموا العرب المخلصين في هذا الميدان، ولينالوا من الإسلام بطريقة أخرى.

وتفسير القومية العربية هذا التفسير الكفور الكنود هو حرب أخرى ضد الإسلام، وإنه لجدير أن يتسمى هؤلاء بأتباع «القومية العبرية» لا العربية، أليسوا يعملون لمصلحة الاستعمار وإسرائيل؟ ولقد مرّت أربعة عشر قرنًا على اشتباك العروبة بالإسلام أو بتعبيرنا نحن أهل الإيمان على تشريف اللَّه للعرب بحمل هذه الأمانة وإبلاغها للناس، ونظرة إلى الماضي البعيد تعرّفنا بسهولة أن العرب مرت عليهم أدهار قبل الإسلام لم يكونوا فيها شيئًا مذكورًا، ثم جاء هذا الدين فدخلوا التاريخ به وطار صيتهم تحت رايته، وصدق اللَّه إذ يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، ثم أخطأ العرب فظنوا هذا الدين العالمي الذي نزلت آياته يمنحهم امتيازًا خاصًّا، ويجعلهم عنصرًا أرقى من سائر

الأجناس... ولكن المهم أن العرب الأولين لما أرادوا المفاخرة والتميّز كان الإسلام مُتّكأهم ومعقد فخارهم، فبأي شيء يملئون أفواههم إذا لم يذكروا الإسلام؟ إن وطابهم خال وتاريخهم صفر، حتى جاء الأفّاكون في هذا الزمان بالبدعة التي لم يسمع بها إنسان، فإذا العروبة في نظرهم يجب أن تتجرد من الإيمان، وزعموا ـ قبّحهم اللَّه ـ أنها بالانسلاخ عن الدين تسمو وتسير، بل إن أحد الكتاب من هذه العصابة وجد الوجه الذي يُطالع به الناس ليقول: إن الإسلام جنى على العروبة، وإن الإسلام لأنه عالمي ـ ضار بالقومية العربية. وظاهر أن هذا الكلام بقطع النظر من بطلانه، إنما يروّج لحساب الاستعمار الغربي منه والشرقي على السواء، وأن قائله يخدم أهداف الغزاة الذين عسكرت جيوشهم في بعض أقطار العروبة وأنزلت بها الهون، ووقفت على حدود البعض الآخر تتربص به الدوائر.

❑ وكاتب آخر من هذه العصابة يطلب منا بإلحاح أن ننسى التاريخ لأنه لا يضم إلا رفات الموتى، وأن نتطلع إلى المستقبل فحسب. ونسي هذا الغرّ أن اليهود في كبد الشرق الأوسط أقاموا دولتهم بأمداد من التاريخ الموحي، وأنهم جعلوا اسم إسرائيل علمًا عليها. إنه حلال للناس جميعًا أن يستصحبوا تاريخهم في كفاحهم، أما نحن المسلمين فحرام علينا أن نذكر فصلاً من هذا التاريخ؛ وأن نستوحي منه عونًا في جهاد وأملاً في امتداد. إنها «قومية عبرية لا عربية» تلك التي يبشِّر بها الملحدون وكارهو الإسلام، ولقد عرف الأولون والآخرون أننا نحن المسلمين أحنى الناس على العروبة وأوصلهم لمجدها وأخلصهم لقضاياها، وأن هؤلاء القوميين لا خير فيهم، بل إنهم مصدر شر طويل

وأذى ثقيل»[١] .

📖 القومية العربية ودعاتها والثورة العربية الكبرى ورجالها هم الذين سلّموا فلسطين لللنبي والإنجليز عام ١٩١٧م.

إن من أعظم الظلم وأسفه السَّفَه أن يقارن بين الإسلام وبين القومية العربية. وهل للقومية المجردة عن الإسلام من المزايا ما تستحق به أن تُجعل في صف الإسلام، أن يقارن بينها وبينه؟ لا شك أن هذا من أعظم الهضم للإسلام والتنكر لمبادئه السمحة وتعاليمه الرشيدة. وكيف يليق في عقل عاقل أن يقارن بين قومية، لو كان أبو جهل وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة وأضرابهم من أعداء الإسلام أحياء لكانوا هم صناديدها وأعظم دعاتها، وبين دين كريم صالح لكل زمان ومكان، دعاته وأنصاره هم محمد ﷺ، وأبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وغيرهم من الصحابة صناديد الإسلام وحماته الأبطال ومن سلك سبيلهم من الأخيار؟ لا يستسيغ المقارنة بين قومية هذا شأنها وهؤلاء رجالها[٢] ، وبين دين هذا شأنه وهؤلاء أنصاره ودعاته، إلا مصاب في عقله أو مقلد أعمى، أو عدو لدود للإسلام ومن جاء به، وما مثل هؤلاء في هذه المقارنة إلاّ مثل من قارن بين البعر والدرّ، أو بيْن الرسل والشياطين ومن تأمّل هذا المقام من ذوي البصائر وسبر الحقائق والنتائج، ظهر له أن المقارنة بين القومية والإسلام أخطر على الإسلام من المقارنة بين ما ذُكر آنفًا. ثم كيف تصح

(١) «مع اللّه» للشيخ محمد الغزالي.

(٢) ومثلهم ساطع الحصري. انظر كلام الاستاذ أنور الجندي عنه في كتابه «رجال اختلف فيهم الرأي».

المقارنة بين قومية غاية من مات عليها النار، وبين دين غاية من مات عليه الفوز بجوار الرب الكريم، في دار الكرامة والمقام الأمين»[١].

بـرئـتُ للّه مِن صَـفٍّ يوحّـــده ... ذلُّ التراب وشكل اللحم والجسدِ

□ وضاعت القدس لمّا ضاعت الراية الإسلامية لمعركتنا مع اليهود:

عروس جُلّلت بثـيـاب حُـزن ... يطوفُ بها على الشارين عبدُ

مراكبـهـا تُـسَيَّرُ في بحـار ... ولا هـدف على الشـطآن عبـدُ

□ **آه يا قدساه:**

يا درّة حُفِـظت بالأمس غاليـة ... واليـوم يرجونهـا للهو واللعب

هل يستوي مَن رسولُ اللّه قائده ... دومًـا وآخـر هـاديه أبـو لهب

□ كانت النكبة القاصمة لفلسطين يوم نُحِّي الإسلام عن قيادة المعركة، نُحِّي عنها لتتولاها الجاهلية في صورة من صورها قومية أو علمانية يتعاجب بها الأوغاد كما يتعاجب الأطفال بالثوب المبرقش، ولم يتولّى عن راية الإسلام إلا جيل منكود موكوس منكوس، سقط في المستنقع الآسن وتمرّغ في وحله، وترك راية النجاة راية الإسلام تلوح للمكدودين في هجير الصحراء المحرق، والمرتقى النظيف الوضيء يلوح للغارقين في المستنقع.

□ إن راية الإسلام راية استعلاء لا نتدسّس بها.. ليس فيها ما يشين.. بل فيها العز كل العز.

لا لن تَـذِلّ فهـذه راياتـها ... رغـم العواصف والدجى لم تحجم

ظمـأى يحركهـا نداؤك كلمـا ... عصـف الطغـاة بركبهـا المتقـدم

يا أمة هبط الزمان بمجدها ... ذلاً وكانت في المقام الأعظم
لا عزّ إلا بالكتاب يقودنا ... أكرم به من قائدٍ ومُعَلِّمِ

□ إن المسلمين في معركتهم المقبلة مع اليهود لن يستجيبوا إلا لنداء الإسلام، ولن يصلحوا إلا به، ولن يتفاعلوا إلا معه.. سيعلو نداء الإسلام ويرتفع ويقوى ويشتد، ألا بارك اللَّه في الحناجر المؤمنة التي تطلق نداء الإسلام، والأصوات المباركة التي ترتفع بنداء الإسلام، والآذان الواعية التي تسمع نداء الإسلام.

□ إن راية الإسلام أفق وضيء يطهر دنيانا ومعركتنا مع اليهود من غبش الجاهلية، والعلمانيون يفرون منها إلى موتهم: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥٠ ـ ٥١].

□ لن تعود القدس إلا براية من الكعبة، وسامها من غار حراء، نشيدها من بدر، تعاليمها من السماء.

راية للَّه، ليست لماركس ولا لينين ولا ستالين، ولا ماوتس تونج، ولا جورج واشنطن ولا ديجول.

لقد حصروا قضية القدس في مضيق القومية الضيق وما علم المنكودون أن أمتنا عالمية وقضية القدس من هذه الواجهة عالمية قضية كل مسلم، تحتل القدس من قلوبنا السويداء.. ويبكي لمصابها المتهجدون على ضفاف نهر اللوار؛ أو صحراء سنجار، أو جبال قندهار، وعلى شواطئ النيل والفرات ومضيق الدردنيل.

*** القوميون ثورة على الإسلام.. وكلهم كاذب، قالوا وما فعلوا:**

كل من وقف تحت هذه الراية: من بعثيين، وعبد الناصر وأشياعه الذين دوّت أصواتهم بأن فلسطين هي القضية المركزية للأمة العربية. نقول لهم: إن سجل «بطولتهم» بائس مخزٍ وفشلهم الفكري بصدد هذا الشعار أنكى، ونقول لهم: كيف دخل اليهود القدس وأرض فلسطين.. ألم تكن القومية العربية هي التي قطعت أوصالنا كأمة إسلامية يوم دخل اللنبي القدس تحت حراب العرب وبنادقهم؟

◻ «ولا يستطيع القوميون العرب تبرير الطبيعة الدينية للقومية اليهودية»، وكان الحل الوحيد الذي يملكه القوميون العرب في هذا المجال أن يلجئوا إلى اختراع الثنائية الشهيرة في التفرقة بين «اليهودية» و«الصهيونية» فيزعمون أن اليهودية ديانة مبرأة من هذه الشرور، وهي بهذه المثابة موضع احترام القوميين العرب العلمانيين كأي عقيدة أخرى، أما الصهيونية فهي ـ على العكس ـ حركة استعمارية داخل اليهودية، ويجب محاربة هذه الصهيونية في فلسطين بوصفها عدوة الأمة العربية...».

وكل هذا دجل وخيانة تلوح لكل أبله وساذج فضلاً عن العقلاء الشرفاء الذين يحترمون عقول الناس.

◻ يقول القرضاوي: إذا كانت أرض الإسلام هي أولى القبلتين، وثالث المسجدين المقدسين، كان الجهاد في سبيل تحريرها أوجب وأعظم وأشرف، وأعلى مكانًا في دين اللَّه.

وإذا كان مغتصبوها يحاربوننا بدوافع دينية، وأحلام دينية، كان أوجب علينا أن نحاربهم بمثل ما يحاربوننا به، فإذا حاربونا بالتوراة حاربناهم بالقرآن، وإذا رجعوا إلى تعاليم التلمود رجعنا إلى البخاري ومسلم، وإذا قالوا نعظِّم السبت، قلنا: نعظِّم الجمعة، وإذا قالوا: الهيكل، قلنا: الأقصى. وبالجملة إذا قاتلونا تحت راية اليهودية قاتلناهم تحت راية الإسلام، وإذا جندوا جنودهم باسم موسى: جندنا جنودنا باسم موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فنحن أولى بموسى منهم»[1].

*** لماذا نتدسس بالإسلام وننحّيه عن قيادة المعركة واليهود عقيدتهم تعلو على كل شيء عندهم والمعركة يديرها التلمود:**

لماذا ينحّون الإسلام عن المعركة، وكل ما عند اليهود تعلوه توراتهم ـ المحرّفة ـ والتلمود؟ «فاسم الدولة» إسرائيل على اسم نبي اللَّه إسرائيل عليه الصلاة والسلام، وعلم الدولة اليهودية له معنى، فهو يعبّر عن عقيدة اليهود، فهو عبارة عن أرضيته بيضاء يتخللها خطان أزرقان في وسطهما نجمة داود. ما اللونان الأزرقان؟ النيل والفرات، فمن النيل للفرات هذه هي المنطقة التي ترمز إليها نجمة داود. وشعار الدولة «الشمعدان».

□ «ومما يُؤسف له أنه حينما أراد العدو الصهيوني إقامة سفارة له في القاهرة أصرّ اليهود على أن يكون موقع السفارة على الجهة الغربية من النيل لماذا؟ لأن حدودهم تنتهي عند الضفة الشرقية، ولذلك رفض اليهود إقامة السفارة على الضفة الشرقية، وأصروا على أن تكون على الضفة الغربية احترامًا لعقيدتهم في أن حدود إسرائيل الكبرى تنتهي عند

---

(١) «القدس قضية كل مسلم» ص(٤٦).

الجهة الشرقية من النيل.

◘ كذلك تقدم اليهود بطلب استعمار أراضي المدينة المنوّرة وما جاورها قدّموه إلى الملك عبد العزيز أيام فقر السعودية وعدمها مقابل عشرين مليون ليرة ذهبًا، ولكن رفض الملك عبد العزيز بشدة ثم قدّموا له وسائل أخرى ففشلت.

◘ حين دخلت بعض كتائب الجيش اليهودي في أرض سيناء عام ٤٨ وقفت السيارات على الحدود وهبط منها الضباط والجنود وقبّلوا ترابها قبل أن يجتازوها لأنهم يعتبرون سيناء ملكًا لهم.

◘ وحينما وصل أوائل المهاجرين اليهود إلى فلسطين قال إسحاق شامير: «إن هجرة كبيرة كهذه تتطلّب أرض إسرائيل الكبرى»[(١)].

◘ أول سيارة جيب دخلت الأرض المصرية نزل منها حاخام يهودي ومعه نسخة كبيرة من التوراة!!

◘ تقول بنت دايان في كتابها «جندي من إسرائيل»: «إن فرائصنا كانت ترتعد بسبب أنباء تجمع جيش العدو على الجبهة الجنوبية مصر، فجاء إلينا الحاخام فصلى وقرأ نصوصًا من التوراة فانقلب الخوف أمنًا، أما الجيش المصري فكانت الإذاعة توجّهه: قاتل وأم كلثوم معك في المعركة، قاتل وعبد الحليم معك في المعركة، قاتل لأجل الربيع قاتل لأجل الحياة».

◘ أما جريدة الجيش السوري فقد كتبت قبل شهر من معركة حزيران ٦٧ بقلم «إبراهيم خلاص» يقول: «إن اللّه والرأسمالية والإمبريالية وكل

(١) غزة أريحا ـ شريط للدكتور محمد إسماعيل المقدم.

القيم التي سادت في المجتمع السابق أصبحت دُمًى محنّطة في متاحف التاريخ».

▫ «اليهودية لهم جنسية ووطن» أما نحن فعداؤنا للقومية الإسلامية:

هناك كتاب اسمه «تحطمت الطائرات عند الفجر» لباروخ نادل «يهودي كان مستشاراً لقيادة الأركان الجوية المصرية لمدة أربعة عشر عامًا، ورتّب حفلة ساهرة ليلة الخامس من يونيو ٦٧ حضرها أربعمائة طيار، وبعد الثانية ليلاً قسّم الضباط إلى قسمين:

ذكور وسمّاهم الميج المصري...، وإلى أن يقول في آخر الكلام أنهم بقوا في المستنقع الآسن الآثم لم ينصرفوا إلا بعد الرابعة فجرًا، يقول باروخ نادل: «وما غادرت سماء القاهرة إلا وقد رأيت الدخان يغطي سماءها من المطارات المحترقة التي أغارت عليها الطائرات الإسرائيلية الساعة الخامسة صباحًا.

▫ للّه در يوسف العظم حين يقول:

كان لحنُ الحيــاة فينا أذانًا ... يَتَغنَّى به الأبـــاةُ الصيـــدُ
يملئــون الوجــود بــرًّا ونورًا ... حين يصحو على الأذانِ الوجودُ
وإذا اللحن صيحةٌ من رقيعٍ ... وإذا الترس في المعامِع «عــوُد»
هجروا المصحف الطهور وحاروا ... وابن «دَايَان» قاده «التَّلمودُ»

▫ ولا فض فوه حين يقول:

كم أشرقت في سماء المجد رايات ... ورتلت في رحــاب الخير آياتُ
وكان رائدنا يحدو مسيرتنا ... اللّه غايتنا الرحمن لا اللات



ودولة الحق بالإسلام تحكمنا	واليوم تحكمنا ظلمًا دويلات
تقود أُمَّتَنا للحربِ غانيةٌ	والجيش في الزحف قد ألهتهُ مغناةُ
الزِّقُّ والرِّقُّ والمزمارُ عدتُنا	والخَصْمُ عدته علم وآلاتُ
وشِرْعةُ اللَّه في القرآن نهجرها	وشرعةُ الخصم تلمُودٌ وتوراةٌ

* **بين رجلين وكلمتين:**

لما ذهب رابين للتوقيع على اتفاق السلام المزعوم أكّد عشية سفره إلى واشنطن أن القدس ستظل عاصمة لإسرائيل وللشعب اليهودي إلى الأبد... وأكد ذلك في حفل التوقيع حين قال أمام العالم: نحن قادمون من القدس العاصمة التاريخية والأبدية للشعب اليهودي!!

يقول الدكتور القرضاوي:

«والحق أني كنت أتابع حفل التوقيع الذي يرونه عُرْسًا، ولا أرى فيه إلاّ مأتمًا! كنت أقارن بين الموقفين وبين الكلمتين: موقف عرفات ورابين، وكلمتيهما، فأجد ـ وا أسفاه ـ فرقًا شاسعًا.

كان موقف رابين موقف المتفضِّل المتنازل، وموقف عرفات موقف الممتنّ الشاكر! حتى أنه ختم كلمته بتكرار كلمة: شكرًا بالإنجليزية «ثلاث مرّات»!.

لم ينس رابين أن يتحدث عن تاريخهم القديم والحديث، وكفاحهم الطويل، وشهدائهم وضحاياهم، تمهيدًا لحديثه عن السلام، واستشهد بالتوراة، وذكر فقرات من «سفر الجامعة»، ودعا إلى الصلاة من أجل السلام، ولم يكن همّ عرفات إلا المديح والشكر والعرفان، فلم يلتفت إلى شيء من قبيل ما ذكره رابين، ولم يستشهد بآية من القرآن، ولم

يجر على لسانه كلمة واحدة عن الإسلام! ولم يذكر المسجد الأقصى بعبارة واحدة!!»[(١)] .

▫يقول الكاتب محمد حسنين هيكل في كتابه «سلام الأوهام»: «إن الضحيّة شرحت مأساتها بأسلوب الموظفين الحكوميين، وأما الجلاد فقد تحدّث عن نفسه بأسلوب الشهداء! وقال آخر: إن هناك خطأ حدث، فخطاب رابين كان في الأصل مكتوبًا لعرفات، وخطاب عرفات كان لا بد أن يكون خطاب رابين! ثم قال ثالث: إن رابين تحدّث عن المآسي الإنسانية التي عاشها الشعب الإسرائيلي. في حين أن عرفات بدا وكأنه يعتذر نيابة عن الشعب الفلسطيني وعن نفسه!»[(٢)] .

▫ولله در الشاعر حين يقول:

قد هجرنا منابع الخير فينا	وارتويْنا من كل نبعٍ مكدّرْ
وطمسنا مشاعل النور جهلاً	وتبعنا الضلال ينهى ويأمرْ

▫يقول الشاعر عن الأمة التي أضاعت رايتها الإسلامية فضاعت:

وبعثرت رايات أمجادها	ونكّستْ في العار أعلامَها
واستسلمت للكفرِ مذعورَةً	وضيّعتْ في التيه إسلامها
وألّهت جلادها وانثنت	تسجد للسوط الذي سامها
فكيف ترجو النصرَ في غَفْلةٍ	يا أمةً تصنعُ أصنامها؟

❁ ❁ ❁

---

(١) «القدس» للقرضاوي ص(١٥٠ ـ ١٥١).
(٢) «سلام الأوهام» لمحمد حسنين هيكل ص(٣٣٠).

*** لو عَلَت راية الإسلام لما كانت هذه الأرجحة من الراقصين على الحبال، فالإسلام لا يعرف التلوّن:**

الكلمة الطيبة أصلها ثابت لا تعرف الأرجحة ولا الرقص على الحبال، القوم لما نحّوا الإسلام وهو الحق صاروا في أمر مريج فكل الثوابت عندهم والمقدسات قلبوها لأنهم ابتعدوا عن أمر ربهم وراية دينهم «نحن اليوم نشهد فصلاً جديدًا لم يكن ليخطر لنا على بال، قلب كل الموازين، ونقض كل القواعد، وغيّر كل الثوابت التي أصبحنا وأمسينا عليها نصف قرن من الزمان، ونشّأنا على ذلك أطفالنا، وربّينا عليه شبابنا، فشب عليه الصغير، وهرم عليه الكبير، أن إسرائيل خطر عسكري وسياسي وديني واقتصادي وثقافي، وصنفت في ذلك مؤلفات، وأُنشئت لذلك مراكز ومؤسسات، وعُقد له ندوات ومؤتمرات.

وكم بدأنا وأعدنا في حقنا في الأرض وكل الأرض، وأن العدوان لا يكسب المعتدي شرعية، وما قام على الباطل فهو باطل... إلخ، ثم تخاذل المتخاذلون فإذا هم يرضون بالواقع بعد عدوان ٥/٦/١٩٦٧ وإذا هم يبنون سياستهم على مجرد إزاله آثار العدوان، والرضا بالعودة إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧م أي أن العدوان الجديد كأنما أضفى الشرعية على العدوان القديم! عدوان ١٩٦٧م أنسى عدوان ١٩٤٨م.

ثم زاد الطين بلة ـ كما يقولون ـ فرضي من رضي بمجرد حكم ذاتي تحت سلطان إسرائيل!!

... ثم انتهى المطاف إلى مد يد المصافحة إلى أبطال دير ياسين وصبرا وشاتيلا وغيرها.

كل هذا في مقابل ٢٪ من مجموع أرض فلسطين، على نحو ما

قال العربي قديمًا: إذا لم تكن إبل فمعزى!!

إن الشعوب قد تأتي عليها ساعات توقع فيها على هدنة أو صلح وهي كارهة مرغمة، بعد اندحارها في حرب لا تملك إلا التسليم. كما فعلت اليابان بعد ضربها بالقنابل الذرية، وكما فعلت ألمانيا بعد هزيمة هتلر.

▫ ولكن أن يستسلم الفارس، وهو شاهر سيفه، حامل رمحه، ممتط جواده، وأن يعتبر استسلامه لعدوه مجدًا وفتحًا يحسب له، ويغيظ عليه، ويعد تنازله عن جزء من وطنه مكسبًا، ويطالب الحناجر أن تهتف باسمه، والأيدي أن تصفق له فهذا ما لم نعهده في تاريخ الأبطال والفرسان إلا حين يستحيل الفارس إلى دمية، والفرس إلى حمار، والسيف إلى عُكّاز!

* **إشفاقًا على أبنائنا:**

إنني أشفق على أبنائنا وشبابنا الذين حفظناهم أناشيد الجهاد، وأغاني العودة وعلّقنا قلوبهم وعيونهم بالمسجد الأقصى وقبة الصخرة، ومسرى الرسول ﷺ، وأولى القبلتين، وصببنا في عقولهم وضمائرهم ووجدانهم كراهية بني صهيون وظلم إسرائيل التي قامت على اغتصاب الأرض، وانتهاك العرض، وتشريد الأهل، فإذا بنا ـ ما بين عشية وضحاها ـ نشطب هذا كله، وننسخه بجرة قلم، ليصبح العدو صديقًا، والاغتصاب مشروعًا، والعدوان مقبولاً، مع أن الوطن لم يتحرر، والمشرّد لم يعد إلى أرضه، والأقصى لم يزل أسيرًا، فكأننا نقول لهذا الجيل المسكين: لا تصدِّقونا فيما كنا نقول لكم، إن الذي كنا نسميه بالأمس جهادًا وبطولة ونضالاً أصبح اليوم عنفًا وإرهابًا، والذي كنا

نسميه سفّاحًا غدا اليوم شريفًا. لا يوجد شيء ثابت عندنا، كلّ ما كان حقًّا يمكن أن يكون باطلاً، افتحوا النوافذ لتهب عليكم نسمات إسرائيل، وافتحوا الأبواب لتدخل عليكم بضائع إسرائيل، وبنات إسرائيل أيضًا، و«إيدز» إسرائيل[1] !!

أُمّتي هَلْ لكِ بين الأُمَمِ ... مِنْبَرٌ للسيفِ أو للقلمِ
أَتَلَقّاكِ وطَرْفي مُطْرَقٌ ... خجلاً من أَمْسِكِ المُنْصَرِمِ
ويكادُ الدَّمْعُ يَهْمِي عابثًا ... ببقايا كبرياءِ الألمِ
أمتي كم غُصّةٍ داميةٍ ... خَنَقَتْ نجوى عُلاكِ في فمي
أيُّ جرحٍ في إبائي راعفٍ ... فاتَه الأسى فلم يلتَئِم
ألإسرائيلَ تعلو رايةٌ ... في حِمَى المَهْدِ وظِلِّ الحرمِ؟
كيف أَغْضَيْتِ على الذُّلِّ ولمْ ... تنفُضي عنك غُبار التُّهَمِ؟
أو ما كنت إذا البغي اعتدى ... موجة من لهبٍ أو من دمٍ؟
فيم أقدمتِ وأحجمت ولمْ ... يشتفِ الثأرُ ولم تنتقمي؟
اسمعي نوح الحَزَانَى واطربي ... وانظري دمْعَ اليتامى وابسُمِي
ودعي القادة في أهوائها ... تتفانى في خسيس المغنمِ
رب «وا معتصماه» انطلقتْ ... ملءَ أفواهِ الصبايا اليُتَّمِ
لامست أسماعَهُم لكنها ... لم تُلامِسْ نَخْوَةَ المعتصِمِ
أمّتي كم صنمٍ مَجّدتِه ... لم يكن يَحْمِل طُهْر الصنمِ
لا يُلامُ الذئبُ في عُدْوانِهِ ... إن يكُ الراعي عَدُوَّ الغنمِ

(١) «القدس» للقرضاوي ص(١٤٧ ـ ١٥٠).

فاحبسي الشكوى فلولاكِ لما كانَ في الحُكْمِ عبيدُ الدِّرْهَمِ

❑ لو سمع عمر صرخة طفل مجهود، أبوه مفقود، وأخوه في القيود، لجنّد الجنود، ولداس اليهود، لو طرقت سمع المعتصم «وا معتصماه» لضاقت أرضه وسماه، ولقاد الكماة ولأخرج فلسطين من زنزانة الطغاة البغاة خمسون عامًا، ونحن نرى أيتامًا، ونشاهد أيامى، ونبصر آلامًا، ثم نتعامى، ولا يحرِّك فينا هذا كله أيثامًا.

من أراد أن يطلق القدس من الأسر أو يفكّه، فليأخذ دستوره من مكّة. القدس إسلامية ما ترطن، ولا تنتظر النصر من واشنطن. القدس تقلق، إذا جئنا بجيش فيه ميشيل عفلق. يحرر الأرض، ويحمي العِرْضَ من أدّى الفرض، وخاف يوم العَرْض.

❑ ما يحرّر فلسطين إلا طلاّب العز بن عبد السلام، وتلاميذ عزالدين القسّام.

❑ ما يحرّر فلسطين طلاب سخاروف، ولا يردّها لأهلها أهل الدفوف، إنما تعود على أيدي من يصلي ويطوف ويجاهد في الصفوف.

❑ يا معشر العرب: من أصابته مصيبة، فلم يأخذ الحلّ من طَيبة، عاد بالخيبة.

سيصغى لها من عالمِ الغيب ناصرٌ ولِلّـه أوس آخـــرون وخـــزرجُ

فلسطين إسلامية النسب، وليست عربية فحسب، ولذلك كان صلاح الدين فاتح القدس من الأكراد، والسلطان عبد الحميد ناصر فلسطين من الأتراك الأجواد، وبعض العرب أيام الصليبيين باعوها في سوق المزاد:

بعها فأنت لما سواها أبيعُ لك إثمها ولها المكان الأرفعُ

◻ لا تعود فلسطين عن طريق الملحدين، ولا عن طريق الوحدويين، وإنما تعود تحت رايات الموحدين.

◻ فلسطين غاب سلاطينها، فأفلس طينها، وهي تنتظر كتائب الموحدين مع الصباح، تنادي حيّ على الفلاح، ليعود الحق إلى أصحابه، والسيف إلى نصابه، ولتعود الوديعة إلى واليها، والطفلة إلى أبيها، والدار إلى راعيها:

لا تهيئ كفني ما مِتُّ بعدُ لم يزل في أضلاعي برق ورعدٌ
أنا تاريخي ألا تعرِفُهُ خالد ينبِضُ في قلبي وسعدُ[1]

◻ يقول الدكتور النحوي:

«لما تحرّك أصحاب رسول اللّه ﷺ إلى بيت المقدس كانوا جميعهم يحملون تصوراً قرآنيًّا عن فلسطين وبيت المقدس والمسجد الأقصى. لم يتحركوا إليه في غزوة عربية كما أراد ماركس وإنجلز أن يفسّراها، ولم يتحركوا رغبة في عيش رغيد، ولا طمعًا في عدوان، ولا اغتصابًا لثروات! لا شيء من ذلك أبدًا. لقد كان هنالك باعث رئيسي لمسيرتهم كلها في الأرض، عبّر عنها المغيرة بن شعبة في ردّه على رستم قائد الفرس: «أن ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة، وقد بعث اللّه إلينا رسولاً قال له: إني سلّطت هذه الطائفة على من لم يدن بديني. وإني منتقم بهم منهم. وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحد إلا ذلّ، ولا يعتصمْ به إلا عزّ».

---

(١) «مقامات عائض القرني» ـ «المقامة الفلسطينية» ص(٥١٩ ـ ٥٢٦).

فقال له رستم: وما هو؟ فقال: «أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلا به فشهادة أن لا إله إلا اللَّه وأن محمدًا رسول اللَّه، والإقرار بما جاء به من عند اللَّه». فقال: «ما أحسن هذا!! وأي شيء أيضًا؟» قال: «وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة اللَّه!»...

هكذا كانت مسيرة الصحابة - رضي اللَّه عنهم - إلى بلاد فارس، وإلى بلاد الشام، وإلى مصر، وكذلك إلى أبواب بيت المقدس، إلى المسجد الأقصى، إلى فلسطين. ولو فقدت أي مسيرة هذه القاعدة العظيمة لفقدت كل مسوّغاتها، وكل أسباب قوّتها، وعزة النصر المتنزلة من عند اللَّه.

◘ وفلسطين لها خصائص أُخرى إيمانية أيضًا. إن المسيرة إلى فلسطين على أساس القاعدة السابقة في مسيرة الأنبياء كلهم، هي مسيرة واحدة تحمل معها رسالة الإسلام، ومنذ إبراهيم - عليه السلام - مضت مسيرة النبوة تخصّ أرض فلسطين المسلمة كلها بنورها وبركتها...

أصبحت فلسطين أمانة في عنق أُمة الإسلام، إلى يوم القيامة. إنها ليست مجرد «وقف» نفهمه من حلول أحكام فقهية اجتهادية. إنها ملك وحق وأمانة، ونصوص من آيات وأحاديث. إنها مُلك دين ورسالة، وملك أمة ممتدة. وهي ليست قضية شعب محدود، ولا قضية تاريخ مجزوء، إنها ممتدة امتداد الإسلام، وامتداد الإيمان. إنها عاطفة إيمانية صادقة، وفكر إيماني صادق يمتزجان معًا عاطفة وفكرًا ليولّدا يقينًا وإيمانًا، ورسالة وتوحيدًا.

يا ربوة الأقصى إجلالك آية الـ ... إسـلام تجـلو حقّـه المشـهـودا

فبكل رابيـــة طيـــوف صحـــابةٍ وبكل منعطفٍ ضممتِ نجيدًا
وبكل ميـــدانٍ تـــدور ملاحمٌ حملت لكِ الإسلامَ والتوحيدا[١]

*** وضاعت فلسطين.. وضاعت القدس لما أصبحت رايتها علمانية:**

ظهر تيار يدعو إلى أن القضية والعمل لها وفلسطين هي حق لكل فلسطيني، مهما كان فكره وحزبه، وجنسيته وعرقه، وكان هذا التيار يرى إمكانية التفاهم مع اليهود على صورة قريبة مما كانت تدعو له «عصبة التحرر الوطني» في فلسطين سابقًا، وعلى نحوها عبّر عنه بعض رجال هذا الاتجاه حسب ما ورد في كتاب صلاح خلف «فلسطيني بلا هوية».

ولقد صادف هذا الاتجاه فيْئًا وندًى في ظلال الدعوة إلى الاشتراكية والقومية التي كان يدعو لها جمال عبد الناصر في مصر والعالم العربي.

وكان هذا الاتجاه يرفع كل شعار يقتضيه الموقف، يدعي أنه لا يحارب الإسلام، بل ويمكن أن يهمس به إذا احتاج الإسلام والمسلمين، يفتح بابه لكل راغب. ولا عجب إذا أنت وجدت فيه أفرادًا كانت لهم جذور إسلامية..! ولكنهم قطعوا هذه الجذور مع انطلاقتهم الجديدة.

❑ قال الدكتور النحوي:

«لا بد هنا أن نقف وقفة واضحة مع هذا الاتجاه. فلو رجعنا إلى صحيفة عصبة التحرر الوطني الناطقة بلسان الحزب الشيوعي في فلسطين

---

(١) «على أبواب القدس» ص(٢٥١ - ٢٥٣).

والتي أخذت تصدر مع سنة ١٩٤٣م، لوجدنا هذا الشعار نفسه هناك. وهذا الاتجاه قد لا يصرح بأن اليهود فلسطينيون فلهم الحق في فلسطين كذلك، حتى لو كانوا قادمين من روسيا وألمانيا وتشيكوسلوفاكيا ولا علاقة لهم بأنبياء اللَّه كلهم، ولا بيعقوب خاصة. ولكنه يشير إلى ذلك على قدر ما يسمح به الموقف كلما واتته الظروف. ثم نجد هذا الاتجاه خارج التنظيم الشيوعي الرسمي. قد نجده في داخل اتجاهات يسارية مختلفة، وربما وجدته عند أناس لهم جذور إسلامية. فكرة لها دعاتها ثم أخذت تنتشر هنا وهناك. يقول أحدهم: «ولأول مرة في حياتي استشعر الإحباط والحقد على الإنجليز.. والصهيونية التي حفرت هوة بين الفلسطينيين واليهود...»[1] ، ويتكرر هذا المعنى كثيراً لنصُبَّ غضبنا على كل الناس إلا على اليهود!

ونجده كذلك عند من يقولون عن أنفسهم «وهكذا فإنهم استشفوا منذ البداية إمكانية إقامة دولة ديمقراطية في كامل فلسطين يعيش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون كمواطنين متساوين. غير أن عوامل ذات طابع سياسي كانت تمنعنا من أن نجاهر قبل عام ١٩٦٨ بالعرض الذي ينبغي لنا أن نقدمه للإسرائيليين»[2] . إذن أين الميثاق الوطني الذي استمر بريقه ربع قرن سقط من أجله مئات الألوف؟ كنا نعتب على الإنجليز الذين لم يجاهروا بحقيقة نياتهم للعرب وللمسلمين. وها نحن منا من يطوي قناعته ويعلن شعارات للناس حتى يُجْمَعُوا، فيذبَحُوا، ويفاجأ الباقون بالحسرة.

---

(١) «فلسطيني بلا هوية» ص(٢٨)

(٢) المصدر السابق ص(٦٤).

ونجد الاتجاه هذا كذلك عند من يقول: «... إذ ليس بوسعنا أن نكون مسلمين متعصبين وتقدميين في آن واحد»، ثم يقول: «...ولأن الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة قاطعة»[١].

هنا لابد من أن نتساءل كيف جاز لبعض المسلمين أن يعلنوا بوضوح عن دعمهم لهذا الاتجاه. وكيف جاز لمسلم يدعو إلى اللَّه ورسوله، يدعو إلى التوحيد كيف جاز له أن يدعو في محاضرة عامة في جامعة الكويت لهذا النهج، بعد أن جرده من كل الشوائب العلمانية والإلحاد واليسارية وطواها، ثم أبقى فيه ما يلقى من مقاومة الدولة هذه والدولة تلك، ليستدر عطف المستمعين؟! كيف جاز للداعية المسلم أن يفرق بين أناسٍ وأناس تضامنوا على نهج علماني واحد، وساروا على الدرب نفسه سنين طويلة.

وكذلك نجده عند من يقول: «... بأن هدفنا الاستراتيجي هو دعم إنشاء دولة ديمقراطية على امتداد فلسطين التاريخية (والسؤال هنا: ما هي التاريخية؟): يعيش فيها اليهود والعرب في وفاق وكمواطنين على قدر كامل من التساوي، وأوضحت أنه ليس لدي أي اعتراض بل بالعكس على التعايش مع اليهود، الشعب الذي عانى من اضطهادات بشعة...»[٢].

□ وأخيراً ومع الصفحة الأخيرة نجد من يقول: «...لسنا متعارضين للحدود المفتوحة من حيث المبدأ فنحن ما زلنا أوفياء لمثلنا أو لحلمنا الذي ينص على توحيد فلسطين في دولة علمانية ديمقراطية تضم

---

(١) المصدر السابق ص(٢٦٠).

(٢) «فلسطيني بلا هوية» ص(٢٢١).

اليهود والمسيحيين والمسلمين الذين يضربون بجذورهم في هذه الأرض المشتركة. والحال هو أن الحدود المفتوحة تقود حتمًا إلى الحوار، ثم إلى التفاهم بهدف قيام مثل هذا التوحيد، بحيث يحل بدلاً من المواجهة القومية الصراع الطبقي الذي سيواجه بين الجماهير العربية واليهودية من جهة، وبين المستغلين والإمبرياليين من جهة أخرى. أي بين هذه الجماهير وبين أولئك الذين ولّدوا الحقد بين شعبينا قبل أن يقودوهما إلى الحرب»[١].

لن نجد تعابير أدق من هذه التعابير لتدل على ذلك الاتجاه الذي أخذ يبرز مع عام ١٩٥٦م. نعم هو اتجاه قديم كانت تصر عليه القوى الشيوعية. ثم صدرت التوجيهات منذ الأربعينات إلى الحزب الشيوعي العربي في فلسطين بأن يتبنى الشعارات الوطنية حتى يتألف قلوب الناس، ثم يفجعها بنظرياته عن التعاون مع اليهود، اليهود القادمين من كل أنحاء الأرض، اليهود الذين لا علاقة لهم بفلسطين، لا تاريخًا ولا عاطفة ولا دينًا. هؤلاء الذين يقول عنهم «القائل» إنهم ذاقوا اضطهادات بشعة في أوروبا من الأوروبيين، فمن العدل إذن أن نخرج نحن من بلادنا ونقدمها لهم! ثم يقول عنهم إنهم يضربون بجذورهم في أرض فلسطين! هل يصدق أحدٌ أن عاقلاً يمكن أن يقول هذا؟!.

ويقول أحد أبناء هذا الاتجاه: «لقد حسبوا أنهم يشتمونني حين ذكروا أن أمي يهودية. لكن سوء الحظ يشاء أنها ليست كذلك...»[٢].

هؤلاء إن أخذنا عليهم كتمان أهدافهم مرحلة من الزمن، فإنهم ما زالوا

---

(١) المصدر السابق ص(٣٣٢).

(٢) المصدر السابق ص(٣٠٠).



يملكون حق الدفاع عن أنفسهم حين يقولون إنهم قد أعلنوا ذلك، ثم أعادوه، ثم أعادوه، فما ذنبهم إذا كنا لا نقرأ، أو نقرأ ولا نفهم، أو نُخْدع بمعسول الكلام والعناق والقبلة، والأعذار الواهية؟!.

وما ذنبهم إذا كان الميزان في أيدي بعض المسلمين مضطربًا، أو إذا تركوا ميزان الإسلام والإيمان!.

□ إن هذا الاتجاه الذي برز بيننا مع عام ١٩٥٦م هو امتداد لما كانت تعلنه صحيفة عصبة التحرر الوطني قبل ذلك بربع قرن تقريبًا، أي: بحدود عام ١٩٤٣م. ولكنه في الوقت نفسه يمثل اتجاه الدول الغربية، لا من حيث قناعتها به، ولكن من حيث صلاحيته في أن يكون مرحلة في مخطط عام، يمكن أن يدفعوا الناس إليه، أو أن يدفعوه إلى الناس، ثم يتجاوزوه. فالاتجاه يمثل إذن مصبَّ رغبات متناقضة، ومصالح مختلفة، قد تجد فيه لحظة توافق بينها.

□ إن الخطأ الكبير في هذا الاتجاه هو تجاهل الطرح الصحيح للحركة اليهودية. فلا فرق من حيث الأساس، وبالنسبة لنا بين اليهودي والصهيوني، ما دام جميعهم قد صبّوا جهودهم متضامنين لبناء دولتهم وارتكاب جريمتهم، حتى الحزب الشيوعي تضامن في ذلك، ولعب دورًا هامًّا في تغذية الهجرة اليهودية، وفي بناء دولة اليهود.

أما الوهم في أن اليهود غير الصهيونية والصهيونية غير اليهود اعتمادًا على اتجاه أفراد قلائل، واعتمادًا على ادعاءات مضللة من الحزب الشيوعي اليهودي الذي خدم الصهيونية، وأقر حقَّ إسرائيل، كما أَقرته الرأسمالية سواء بسواء، بل على صورة أشد وأدهى، هو وهم مضلل.

ومن ناحية أخرى يريد هذا الاتجاه أن نسدَّ آذاننا عن الدويّ الهائل الذي يردِّده اليهود كلهم عبر التاريخ كله بالعودة إلى وهمهم ومزاعمهم من النيل إلى الفرات. ويريد هذا الاتجاه أن نغلق أعيننا عن الشعار الممتد في الكنيست، ويريد أن نصمَّ آذاننا ونغلق عيوننا عن إصرار دولة اليهود على التوسع والامتداد، ونكث كل المواثيق، وارتكاب أبشع الجرائم، مع صديقهم وعدوهم، من أجل تحقيق التوسع. فاليهود إذن هم الذين يمضون في سياسة التقدم المرحليّ، ونحن نسير في سياسة التنازل المرحلي. يريد هذا الاتجاه أن ننسى هذا كله، وننسى القرآن والسنّة، وننسى تاريخ اليهود ثم نضع يدنا بيدهم، فنُحضِر الروسي والألماني والفرنسي والإفريقي ولقطاء الأرض كلها، وقد سمَّوا أنفسهم يهودًا، وأنبياء اليهود كلهم منهم بُرَآء عرقًا ودينًا وفكرًا، يريدوننا أن نُحضر هؤلاء، ونتنازل عن أرضنا المقدسة، ونتشرد نحن في الأرض ونؤويهم، لأنهم «مساكين»، «ذاقوا اضطهادات بشعة»! سبحان اللَّه! ما أسوأ التزييف، فإذا لم يكن هذا تزييفًا فماذا يكون إذن؟!

□ إن أطماع اليهود ودول الغرب والاتحاد السوفياتي في هذه المنطقة أوضح من الشمس في رأد الضحى. فسواء أخذ اليهود قسمًا من فلسطين، أو أخذوها كلها، فإنهم سيصارعون حتى يحققوا أوهامهم إن استطاعوا. هم الذين لا يريدون السلام أبدًا، هم اليهود كلهم لا عصبة منهم، كلهم يريدون الحرب ويريدون دولة اليهود، ويريدون أطماع اليهود. وليس عن عبث أن امتدّ دعم الدول الغربية والشرقية لليهود كلهم قرنًا من الزمن على الأقل، في صورة إجماع وتخطيط وتواطؤ مكشوف. وليس عن عبث يصرح وزراء خارجية الدول هذه «إسرائيل

وجدت لتبقى»[١] .

□ إلى صاحب كتاب «فلسطيني بلا هوية» وهو صلاح خلف «أبو إياد» من أبرز قادة منظمة التحرير الفلسطيني نهدي له ما قاله ريجان وأذاعه التلفزيون البريطاني: «عندما زار رئيس أمريكا «ريجان» إنجلترا سنة ١٩٨٢م أقيمت على شرفه مأدبة في أحد القصور القديمة في لندن. فوقف على رأس المائدة يُلقي كلمته ويقول ما معناه: إننا نعتز بهذا المكان فقد انطلقت منه الجيوش الصليبية!»[٢] .

إن الإنسان ليصاب بالدهشة كل الدهشة حين يرى التخبط العلماني لمنظمة التحرير منذ بدايتها والشعارات الجوفاء التي يرددونها والواقع شيء آخر، وانظر إلى صور من التخبّط:

□ صرّح أحمد الشقيري في اجتماع اللجنة السياسية العامة في جامعة الدول العربية بتاريخ ٢٦ نوفمبر ١٩٥٢، «إننا نلتزم بقرارات الأمم المتحدة»[٣] .

وفي ١٤ كانون الأول «ديسمبر» ١٩٦٢م يصرّح في اللجنة السياسية الخاصة: «إني أقبل نداء زميلنا من «الفولتا العليا» لتنفيذ مقررات الأمم المتحدة. ونحن لا نختار قرارًا منها أو نؤثره على أي قرار آخر»[٤] . ولقد سبق لأحمد الشقيري أن أعلن في دورة جمعية الأمم المتحدة لسنة ١٩٥٢ : «إني أودّ أن أعلن بصراحة أننا نقبل المباحثات المباشرة!!، بل

---

(١) «على أبواب القدس» ص(١٩٩ - ٢٠٣).

(٢) «على أبواب القدس» ص(٢٠٥).

(٣، ٤) «المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية» ص(٢٥٧، ٢٥٧، ٢٥٨) على الترتيب ـ لمهدي عبد الهادي ـ المكتبة العصرية بيروت.

إني مستعد للتفاوض مع أيّ شخص كائنًا ما كان، يحترم الميثاق ومقررات الجمعية العمومية»[١].

وهذا يعني قبول قادة المنظمة لقرار التقسيم.. فماذا بقي أيها الأشاوس بعد ذلك؟!

❑ وعلى درب الشقيري سار كل الأشاوس أبو عمار ياسر عرفات وبقية رفاقه، بل وتلا الخروج من الأردن مباشرة السفور عن الوجه العلماني الكالح المنكود. فقد تبنى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته المنعقدة في فبراير ١٩٧١م نموذج الدولة العلمانية التي تهيمن على كامل التراب الفلسطيني، ويتساوى فيها اليهود والمسلمون والمسيحيون في الحقوق والواجبات.. ووجد الصليبيون والغربيون ضالتهم في أبي عمار ورفاقه من العلمانيين.

❑ قال جاكسون ديل محلل الواشنطن بوست عن عرفات: «إنه الزعيم الوحيد القادر على جرّ الفلسطينيين نحو الحلّ المنشود»[٢]، أو كما يقول السفير المصري في واشنطن عبد الرؤوف الريدي: «لقد جرّ الفلسطينيين إلى هذا الحل عبر طريق طويل وشاق وأقنعهم بأن عليهم أن يتجرعوا الدواء المر»[٣].

❑ وقال وليم كوانت مستشار الرئيس الأمريكي للشرق الأوسط «رحيل عرفات كان سيعطّل عملية السلام حتمًا»[٤].

---

(١) «المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية» ص(٢٥٧، ٢٥٧، ٢٥٨) على الترتيب ـ لمهدي عبد الهادي ـ المكتبة العصرية بيروت.

(٢، ٣) واشنطن بوست ٩ أبريل ١٩٩٢م «المنشود من قبل أمريكا وإسرائيل وزعماء العرب».

(٤) مجلة السنة العدد (٢٤) محرم ١٤١٣هـ ص(٥١).



* **كلهم علمانيون.. وكلهم ياسر عرفات:**

سواء في ذلك التيار الموالي لسورية: فاروق قدومي، وفصائل الرفض اليسارية: جورج حبش، ونايف حواتمة، وأحمد جبريل، وخالد الفاهوم.

والتيار الموالي للأردن: كمحمود عباس «أبو مازن»، والتيار الموالي لمصر: وفيه أبو الأديب «سليم الزعنون» ونبيل شعث وسعيد كمال.

والتيار الموالي للخليج ودوله: كخالد الحسن وهاني الحسن، وعبداللَّه الأفرنجي، ورفيق النتشة وأبي هشام «خليل المزين». بخلاف أبي إياد «صلاح خلف»، وهايل عبد الحميد «أبي الهول» وأبي يوسف النجار، وماجد أبو شرار وسعد صايل.

□ يقول هاني الحسن: عضو اللجنة المركزية لحركة فتح، والمستشار السياسي لياسر عرفات في لندن أمام الجمعية الراديكالية لحزب المحافظين البريطاني والتي نشرتها صحيفة السياسة الكويتية في عددها (٧٧٣٧) للسنة (٢٤) بتاريخ ١٥ رجب ١٤١٠هـ، الموافق ١١ شباط فبراير ١٩٩٠م: «انهمكنا في صراع حياة أو موت طوال عشرين سنة للتحضير للحلّ السياسي!! المطلوب أن نقنع شعبنا بدولة فلسطينية على ٢٣٪ من أرض فلسطين»[(١)].

□ ويقول أبو إياد «صلاح خلف»: «الحركة الفلسطينية حركة علمانية بصورة قاطعة»[(٢)].

---

(١)«عبد اللَّه عزام» للدكتور عدنان النحوي ص(٧٨).
(٢)«فلسطيني بلا هوية» ص(٧٠).

◻ ويقترح خالد الحسن: «رئيس لجنة الشؤون الخارجية في المجلس الفلسطيني أن يكون هناك اتحاد كونفدرالي على النمط السويسري يضم إسرائيل وفلسطين والأردن، ودعا في محاضرة ألقاها في لندن إلى إقامة نظام كانتونان يضع حلولاً لمعظم المشاكل التي تقف في طريق تسوية النزاع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، وقال: إن اقتراحه هذا يحظى بتأييد ياسر عرفات... وأن تكون مدينة القدس عاصمة للكونفدرالية كما اقترح أن يوحد النظام الاقتصادي في الدول الثلاثة... ومما قاله في محاضرته هو اعتقاده أن الأمريكيين جدّيون في رغبتهم في حل سلمي للقضية الفلسطينية»[1].

خالد الحسن الذي يتهمه ياسر عرفات «بأنه لم يدخل معركة فلسطينية واحدة وأنه «تاجر» وليس مناضلاً، وأن هموم الشعب الفلسطيني في واد وهو في واد آخر وأن نفقاته في تنقلاته وأسفاره تكفي لإعاشة مخيم بأكمله»[2].

◻ وأما عرفات فهو كبيرهم الذي علّمهم السحر... عرفات الذي يمسك برئاسة (٣٣) لجنة داخل المنظمة ويدع للباقين اللجان الهامشية التي لا خيل فيها ولا مال!! حتى زواجه من سهى الطويل ابنة ريموندا الطويل المعروفة بعلاقاتها السرية بالأجهزة الأمريكية وبعض الشخصيات اليهودية... فهو يتم أيضًا لصالح جهات مشبوهة!!!

كم بددوا المال هدرًا في مباذلهم وفي ليالي الخنا ضاعت مُروءاتُ

---

(١) مجلة الحياة ٨/ ١١/ ١٩٩١، ومجلة السنة العدد (١٧) ـ ربيع الثاني ١٤١٢هـ ص(٣٣).
(٢) المجلة ١٣/ ٨/ ١٩، ومجلة السنة العدد (٢٤)، محرم ١٤١٣هـ ص(٥٤).

كان اليمين لنا ذُلاً يُمَزِّقنا وفي اليسار لنا بؤسٌ وويلاتُ
وقادة الشعب أمواتٌ بلا كَفَنٍ وهل يُحرّرُ أرض القدسِ أمواتُ
يا سوأةَ العمرِ في تاريخ أمتنًا لقد بدت منكمُ للعين سوءاتُ

*** من عطّروا التاريخ وزينوه... ومن ذبحوا التاريخ ودنّسوه:**

سيذكر التاريخ قادة الجهاد الفلسطيني الأوائل الذين جاهدوا صامتين، وسجّل لهم التاريخ صفحات بيضاء ناصعة البذل والفداء والجهاد في سبيل اللَّه... يكفي أن نُطالع بيانات القيادات العسكرية في الميدان لترى الصورة الإيمانية والراية الإسلامية.

❑ففي خطاب «قائد الثورة العام» في ١٩٣٨/٨/٦م:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم

وبه نستعين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين... أما بعد،،

إن اللَّه معنا أيها المجاهدون. فقد مضى على جهادكم المقدس وقت طويل واللَّه حارسكم أينما كنتم في ثباتكم كيفما اتجهتم، يا أبناء دين محمد لكم في جهادكم هذا أسوة حسنة في نبيكم محمد بن عبد اللَّه ﷺ. هذا يوم من أيام فتوحات سيدنا عمر بن الخطاب... يا أبطال الجهاد إنني أعلم ووكلكم يعلم أن السلاح الذي تحاربون به عدوكم هو إيمانكم وثباتكم ونفوسكم الطاهرة... ثم يأتي التوقيع: قائد الثورة العام: المتوكل على اللَّه. ولقد حملت الفصائل أسماءها من أمجاد الإسلام، وألقابها من معاني الإيمان.

من هذه النماذج والحقائق تستطيع أجيالنا المؤمنة أن تقارن حالاً بحال، وشعاراً بشعار: أين جيفارا، كاسترو، هوشي منه، وجياب وغيرهم ممن أصبحوا شعارات جديدة في مسيرة جديدة؟[1].

وبعد هذا... «رابين ابن عمي»... «رابين قائد شجاع»... «وإنها لثورة حتى النصر»!!!

ليت الهوان الذي قد مسّ أُمَّتنا ... قد صبَّهُ في كُئُوس الحقد غيرهم
وليت من ذبحوا التاريخ يا وطني ... وزيَّفُوه وباعــوا ســيفَهُ عجــمُ
لكنّ مَن ذبحوا التاريخ أمسِخةٌ ... باعوا الضمائر للشيطان وانهزموا
لو أن مُسْلِمَةَ الكذّابَ بينهمُ ... لكان أصــدقَ من تمــشي به قــدمُ
إن نحنُ قلنا لهم سعدٌ وعكرمةٌ ... لَوَّوْا رُءُوسهمُ العجفاءَ واتَّهموا
وإن هتفنــا بــأن اللَّه خالقنـا ... وأننا بكتــاب اللَّه نعتصِــمُ
قامت قيامتهــم وازورَّ قائدهم ... وأشرعــوا صنمًا يهفو له صنــمُ
ما عاد يسترهم شيء فقد برزوا ... والظُّفْرُ والنــابُ والطاعــون والورمُ
وضاقت الأرض غصَّت في مباذلهم ... كأنــهم فوقهــا الأدواء والرممُ
لقد تمزّقت الأثــــواب فوقهم ... وبان تحت شعـاع الشمس عُريهمُ

أو كما قال فاروق جويدة:

وطنٌ يبيع الأرضَ والتاريخَ
في سوق النِّخَاسة
والنجاسةِ والضلالْ

---

(١) «على أبواب القدس» ص(١١٤ ـ ١١٥).

وطن حزين أنت يا وطنًا
تُسَلِّمُهُ النِّعالُ
إلى النعال[1] .

* **عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين:**

في لقاء المفتي الأسبق الشيخ محمد أمين الحسيني ـ رحمه اللَّه ـ مع أبناء وطنه وجهوا إليه السؤال التقليدي الآتي:

«متى نعود إلى فلسطين»؟

فأجاب: عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين!!

فسخر سفهاؤهم من جواب المفتي، وراحوا يتساءلون: ما علاقة العودة إلى اللَّه بالعودة إلى فلسطين؟!

وهل أخرجنا من ديارنا وأوطاننا إلا اللَّه؟! ودفعهم كرههم لما يدعوا إليه الشيخ الحسيني إلى الانخراط في الأحزاب والحركات القومية واليسارية: كحزب البعث العربي الاشتراكي، والحركة الناصرية، وحركة القوميين العرب، والأحزاب الشيوعية العربية. وبعد رحلة شاقة في مسيرة هذه الأحزاب القومية العلمانية دامت أكثر من ثلاثين عامًا، ثبت بالأدلة الأكيدة أن قادة هذه الأحزاب متآمرون مخادعون... وقد استغلوا كثيرًا من أبناء فلسطين في معاركهم ضد خصومهم سواءً كانوا من الدعاة إلى اللَّه أو من غيرهم، وأخيرًا فعلوا بالفلسطينيين ما عجز اليهود عن فعله.

◻ وبعد هذه الرحلة الشاقة المضنية تذكّر العقلاء من أبناء فلسطين قولة المفتي ـ رحمه اللَّه ـ «عودوا إلى اللَّه تعودوا إلى فلسطين»[2] .

---

(١) من قصيدة «لصوص العصر» من ديوان «كانت لنا أوطان» مؤسسة غريب.

(٢) «أمل والمخيمات الفلسطينية» ص(٢٥١ ـ ٢٥٢).

*** للّه درك من امرأة..أم خالد الحسن أبعد نظراً من قادة فتح، وأكثر منهم وعياً وعمقاً:**

أما والدة خالد الحسن ـ أحد قادة منظمة التحرير ـ فكانت تؤكد منذ بداية تأسيس فتح أن فلسطين لن يحررها إلا المجاهدون المسلمون الذين يقاتلون لتكون كلمة اللّه هي العليا ذكر أحد أبنائها القصة التالية:

كان زوجها ـ والد خالد الحسن ـ أحد المجاهدين الأشداء في ثورة الشيخ عز الدين القسّام، وكانت زوجته تشاركه في آماله وآلامه، وتؤدي دورها المطلوب في معركة المصير...وفرحت المرأة عندما سمعت أبناءها يتحدثون عن تأسيس فتح، وكانت تذكرهم بجهاد أبيهم، وتطلب منهم أن يرتسموا خطاه. واجتمع قادة فتح في بيت خالد، واستمر اجتماعهم طوال ليل ذلك اليوم، وكانت الأم ترصد حركات المجتمعين وأفعالهم، وكان الأبناء يستغربون من أمهم التصاقها بباب الحجرة التي تضم معظم قادة فتح...وبعد أن انفض الاجتماع، قالت الأم لأبنائها: شتان شتان بين اجتماعكم واجتماعات أبيكم وأصحابه...كانوا يقومون الليل صلاة وذكرًا، وأنتم ما سمعت منكم إلا العبث والكلام الفارغ...وليست هذه مواصفات الذين سيحررون فلسطين من العدو المغتصب!!

ما أروع الفطرة السليمة، فهذه المرأة لم تجهد نفسها في البحث والتنظير، ولم تقرأ عشرات المؤلفات، بل لعلّها أمية لا تقرأ ولا تكتب، ومع ذلك فإنها أدركت بفطرتها التي لم تلوثها الأفكار والاتجاهات الدخيلة الشاذة بأن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وأن النصر من اللّه وحده لا شريك له، وليس من واشنطن، أو موسكو أو بكين، ومن يعتصم باللّه ويأخذ بأسباب النصر لا تهزمه أساطيل الدول

الكبرى ولا جيوشها ولا صواريخها ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

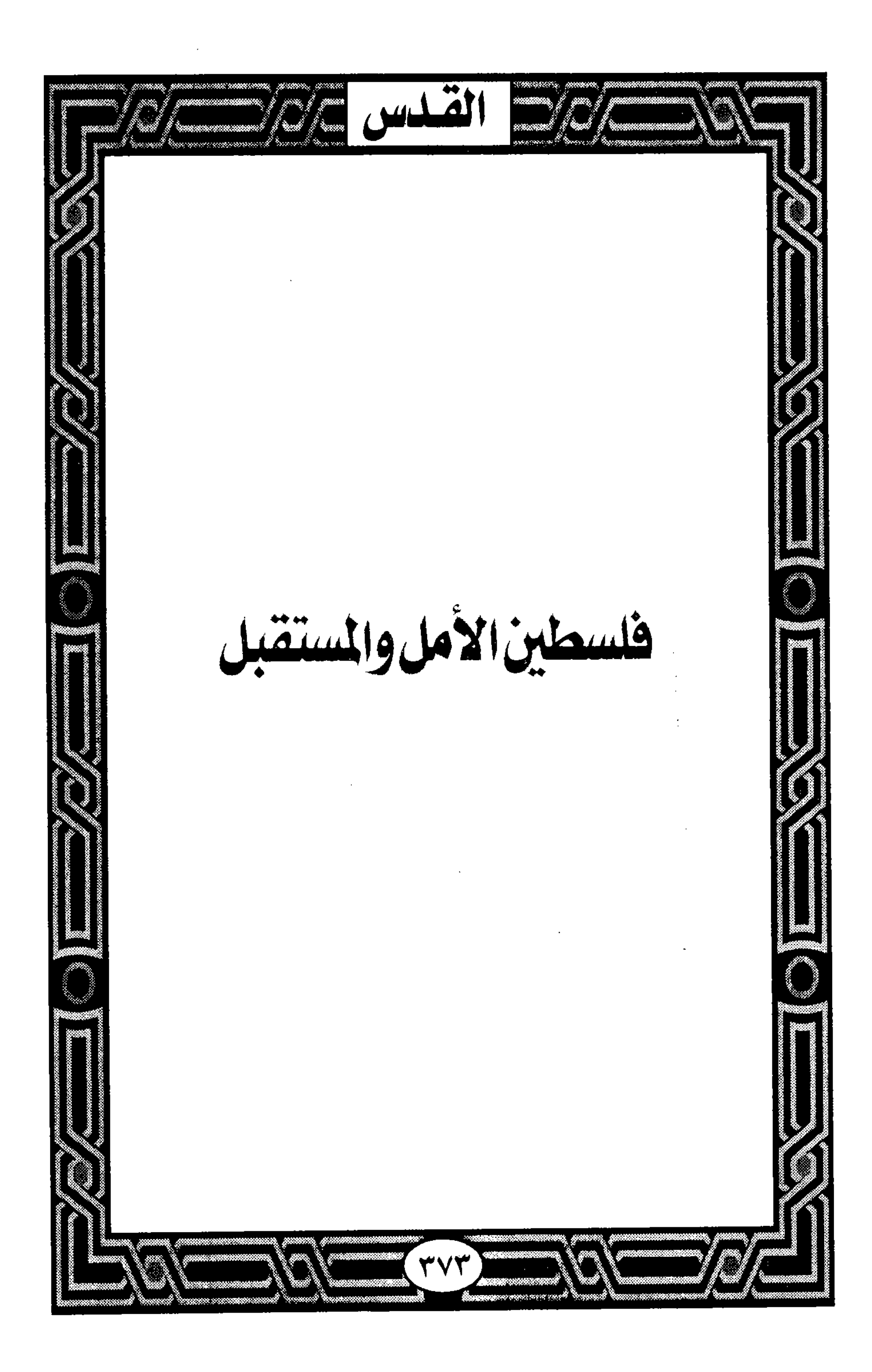
حقًّا لقد كانت والدة خالد الحسن أبعد نظرًا من أبناءها ومن معهم من قادة فتح، وأكثر منهم وعيًا وعمقًا. وتذكر أحد أبنائها نصيحة أمة بعد عقدين من الزمن، وبعد أن تعامل مع قادة المنظمة عن كثب وسبر أغوارهم، وأدرك أنهم أصحاب أهواء وطلاب زعامة، وأنهم يتاجرون بقضية فلسطين كغيرهم من الحكام العرب... تذكّر الابن نصيحة أمه فتخلّى عن المنصب المرموق الذي كان يشغله في فتح، أما أخواه فتخلّوا عن منهج أبيهم وغرقوا في أوحال السياسة[1].

«إن للإيمان نهجًا واضحًا جليًّا مشرقًا، وللضلالة نهجًا مظلمًا مضطربًا، ولن يلتقي النهجان».

نَهْجانِ قد مَيَّزَ الرحمنُ بينهما ... نَهْجُ الضلال ونهجُ الحق والرشَدِ
لا يجمعُ اللَّه نهجَ المؤمنين على ... نَهْج الفسادِ ولا صِدْقًا على فَنَدِ
بَرِئْتُ للَّه من صَفٍّ يُوَحِّدُه ... ذُلُّ الترابِ وشَكْلُ اللّحم والجسدِ
المؤمنــون هم الأنساب صادقةً ... واللَّه دونَ جميعِ الخلق مُعْتَمَدِي[2]

❁ ❁ ❁

(١) «أمل والمخيمات الفلسطينية» ص(٢٥٢ ـ ٢٥٣).
(٢) «على أبواب القدس» للنحوي ص(٢٥٩).



فلسطين الأمل والمستقبل



فلسطين الأمل والمستقبل

على أرض القدس الطاهرة المباركة بصفة خاصة، وأرض الشام المقدسة بصفة عامة، سيبزغ فجر الإسلام الندي، وسيكون المستقبل كل المستقبل للإسلام، فعلى هذه الأرض جنود مجندة لخدمة الإسلام يأتي بهم الغد، وهم من خيرة عباد اللَّه في أرضه يحفظ اللَّه بهم دينه ويجاهدون في سبيل عز الإسلام، قائمون على الحق صابرون على ما يصيبهم في ذات اللَّه، يغزلون أجمل فجر للإسلام، فهم سوط اللَّه ينتقم بهم ممن يشاء.

وسفينتنا دومًا تسري ... مجراها باسم الرحمن
وشراع الإيمان سيسري ... بالنور لداجي الشطآن
يا حمز رجالك ما ماتوا ... ما عقمت أم الفتيان
والصبح قريب يا بلدي ... والنور سيغمر أوطاني

● عن عبد اللَّه بن عمرو ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: «يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه مؤمن إلاّ لحق بالشام»[١].

□ قال عز الدين بن عبد السلام: «ومثل هذا لا يقال إلا توقيفًا، ولما علم الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم أجمعين ـ تفضيل الشام على غيره، دخل إليه منهم عشرة آلاف عين رأت النبي ﷺ على ما ذكره الوليد بن مسلم»[٢].

---

(١) موقوف صحيح: أخرجه الحاكم موقوفًا (٤/٤٥٧) وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي.
(٢) «ترغيب أهل الإسلام» ص(٣٧).

*** الفجر المسلم على أرض فلسطين المباركة والأمل الوضيء:**

على أرض زهراء المدائن.. مدينة اللّه.. بنت السماء التي ضمّت النور بالساعدين.. مسرى نبينا ﷺ.. يكحّل الأمل والفجر المسلم قلوبنا قبل أعيننا.. وتأمّل ما سيجري على أرضها وخبّرني عن وجيب قلبك بعد ذلك:

أولاً: قتال المسلمين لليهود والانتصار عليهم.

ثانيًا: الخلافة الإسلامية ونزولها ببيت المقدس.

ثالثًا: استقرار المهدي ببيت المقدس خليفة للمسلمين.

رابعًا: الملحمة العظمى.

خامسًا: فتوحات إسلامية غالية تنطلق من الأرض المقدسة «يا خيل اللّه اركبي»:

١ ـ فتح القسطنطينية.

٢ ـ فتح روما عاصمة إيطاليا.

٣ ـ فتح الهند على يد أهل الشام زمن المهدي.

سادسًا: خروج الدجال وهلاكه على أرض فلسطين المباركة.

سابعًا: نزول عيسى وإقامته في الأرض المقدسة، وقتله لمن بقي من اليهود، وإبادتهم إبادة تامة.

ثامنًا: انتهاء فتنة يأجوج ومأجوج أمة الطغيان على الأرض المقدسة.

تاسعًا: العيش الطيب بعد المسيح.

عاشرًا: خروج الريح الطيبة التي تحشر أرواح المؤمنين ـ من الأرض المقدسة، وحشر الناس إلى أرض المحشر والمنشر.

* أولاً: قتال اليهود:

اليهود إخوان الخنازير والقرود أعدى أعداء المسلمين.. أُس الفساد في الأرض، قال عنهم الملك العلام: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤].

وتاريخ اليهود كله إفساد وفساد، ويأتي النص القرآني متكلمًا عن إفسادين لليهود تكلم عنهم المفسرون، فقالوا ما قالوا واجتهدوا غاية جهدهم، واعتمدوا على روايات إسرائيلية، وليس هناك حديث واحد صحيح عن رسول اللَّه ﷺ في تحديد هذين الإفسادين.

ومع إجلالنا وتقديرنا للعلماء السابقين إلا أنا نخالفهم في فهمهم للإفسادين.

والأقوال التي ذكرت في كتب التفسير مع أنها لا تستند إلى أي دليل من الأثر الصحيح عن الرسول ﷺ؛ فإنها - مع هذا - غير منسجمة مع السياق أولاً وآخرًا.

أما أولاً: فلأن ما قبل هذه الآيات كان حديثًا عن الإسراء بالنبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وأما آخرًا: فلأنه جاء عقب هذه الآيات قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

الإفسادان مع صفة [illegible]

لقد ذكرت أن الإفساد صفة ملازمة لليهود في تاريخهم القديم، وإن إفسادات اليهود كثيرة، ولا يهم الأمة المسلمة أن تُحدّث عن هذه

الإفسادات إذ كانت لا علاقة لها بها، ولكن سياق الآيات يدل على أن هذين الإفسادين سيكون لهما علاقة بتاريخ هذه الأمة وحياتها ومستقبلها، وسيشكلان تهديدًا مباشرًا لدينها وعقيدتها، ولهذا جاءت الآيات القرآنية للتحدث عنها مباشرة في أثناء الحديث عن تكريم اللَّه لهذه الأمة برحلة الإسراء والمعراج المباركة.

❑ وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور فضل عباس ـ حفظه اللَّه ـ:

«والخلاصة أن سياق الآيات لا يمكن أن نتناساه ونتجاهله في تفسير الآيات الكريمة، فقوله سبحانه: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ [الإسراء: ٤] ينبغي أن يؤول على ما يخص هذه الأمة، وأؤكد مرة أخرى على السياق، إذ إن إفساد بني إسرائيل من قبل لا يعني هذه الأمة، ولا يتفق مع السياق، ثم لماذا حدد الإفساد بمرتين اثنتين، إذا كان ذلك يتحدث عن تاريخهم قبل الإسلام؟» إلى أن يقول: «إفساد بني إسرائيل قبل القرآن ـ إذن ـ وقبل أمة الإسلام، رغم أنه لا يتصل بشأن من شؤون المسلمين، لم يكن ينحصر في مرتين كذلك، هاتان المرتان ـ إذن ـ حري بهما ألا تكونا إلا مع هذه الأمة المسلمة. وهذا ما ترشد إليه الآيات بكلماتها وأسلوبها، وهو ما يرد كذلك على الأقوال التي ذكرت في كتب التفسير»[1].

❑ وتحت عنوان: «الحرب في الإفسادين بينهم وبين المسلمين»: يقول الدكتور صلاح الخالدي ـ حفظه اللَّه ـ:

يكشف لنا سياق الآيات السابقة عن حقيقة هادية، وهي أن الحرب

---

(١) «المنهاج نفحات من الإسراء والمعراج» للدكتور فضل عباس ص(١١٩ ـ ١٢٠).

والمعركة في الإفسادين، بين اليهود من جهة، وبين نفس الأمة من جهة أخرى، أي: أن إفساد اليهود الأول كان موجهًا إلى أمة، وأن هذه الأمة هي التي تزيل ذلك الإفساد، عندما تكون قوية، وأن الأجيال القادمة من هذه الأمة تصاب بالضعف، فيرد اللَّه لليهود الكرة على الأمة نفسها بأجيالها اللاحقة، فيغلبونهم ويتمكنون منهم، ويصبون عليهم إفسادهم الثاني، ثم تتقوى أجيال ثانية من نفس تلك الأمة، فتتمكن من اليهود، وتزيل إفسادهم الثاني.

فإذا علمنا أن إفسادهم الأول كان في المدينة، وأن المسلمين هم الذين قضوا على ذلك الإفساد، نعلم أن الكرة تعود لليهود في الإفساد الثاني على الأجيال اللاحقة من المسلمين، وهي الأجيال التي تعيش في هذا الزمان: «﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾»[1].

* الإفساد الأول كان في المدينة المنوّرة، وقضاء الرسول ﷺ والصحابة عليه:

كان فسادهم وإفسادهم عقديًّا، وأخلاقيًّا، وعلميًّا، وسياسيًّا، فلما جاء الإسلام ونبيه ﷺ تربصوا به الدوائر، وناصبوه العداء ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] أنكروا نبوّته رغم أنه كانوا يبشرون به، وألّبوا عليه الأحزاب، وحاولوا قتله والغدر به، ولما استشرى خطرهم، وعم فسادهم، وتأذى

---

(١) «حقائق قرآنية» للدكتور صلاح الخالدي ص(١٣٦).

المجتمع الإسلامي في المدينة المنورة منهم أشد الأذى سلط اللَّه عليهم الرسول ﷺ وأصحابه الكرام، فخضدوا شوكتهم، واستأصلوهم من المدينة المنورة، بل من الجزيرة العربية، وأراحوا الناس من شرورهم وكيدهم، في ضربات متتالية متتابعة قضت على شرورهم وشوكتهم، فكانت غزوات بني النضير، وبني قريظة، وبني قينقاع، وغزوة خيبر، صفحات مشرقة في تاريخ السيرة العطرة، حددت الأسلوب الناجح للتعامل مع اليهود وهو مفهوم القوة، والقوة فقط.

وفي هذا جاء النص القرآني متطابقًا مع الحدث في قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٤ - ٥].

«لقد ضمن اللَّه تحقيق وعده ببعث الصحابة على اليهود، لإزالة إفسادهم الأول في المدينة بقوله: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾، وتحقق ما وعد اللَّه به في هذه الآية الكريمة على أيدي الصحابة في المدينة، وبذلك قضوا على إفساد اليهود الأول»[1].

□ وإلى هذا مال الدكتور فضل عباس حيث قال:

«وعلى هذا تكون تلك المرة الأولى التي أفسد فيها بنو إسرائيل في الأرض، يوم أن اتصفوا بنكران الجميل، ورفضوا هذا التسامح الذي أكرمهم به النبي ﷺ والمسلمون، وتحالفوا مع الوثنية، وهموا بالقتل والسخرية والإعراض، فبعث اللَّه عليهم هؤلاء الصفوة الخيرة، عبادًا لنا

(١) «حقائق قرآنية» للدكتور صلاح الخالدي ص(١٢٥).

أولي بأسٍ شديدٍ فنفذوا حكم اللَّه فيهم، وانتهت هذه المرة الأولى»[١].

دولة اليهود اليوم هي الإفساد الثاني والأخير:

قد بينا قبل قليل أن الحرب في الإفسادين بين اليهود وبين المسلمين، وكيف أن اللَّه قد أذن بالقضاء عليهم في الإفساد الأول في المدينة المنورة على يد النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وكيف أن عجلة الزمان دارت مرة أخرى، فضعفت صلة المسلمين بربهم، وتحالف عليهم أعداؤهم من كل حدب وصوب في هذا القرن وكادوا لهم بأن أزالوا الرابطة التي تربطهم كدولة واحدة، ونظام واحد وهي الخلافة الإسلامية في بداية هذا القرن، وكيف حاول أعداؤنا من اليهود محاولاتهم الفاشلة مع السلطان عبد الحميد ـ رحمه اللَّه ـ بتقديم الإغراءات الكثيرة مقابل موضع قدم في أرض بيت المقدس ـ فلسطين ـ ولم تجد تلك المحاولات نفعًا، فتآمروا على إسقاط السلطان عبد الحميد. بل وإسقاط الخلافة الإسلامية، واستصدروا من ألد أعداء الإسلام بريطانيا وفرنسا وعد بلفور الذي أعطاهم ما لا تملكه هاتان الدولتان على أرضنا، حقًّا لإقامة وطن قومي لهم في فلسطين، ولتبدأ مقدمات المرة الثانية للإفساد في حياة المسلمين، وهذا ما تدل عليه الآية الكريمة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ [الإسراء: ٧].

□ وفي هذا يقول أستاذنا الدكتور فضل:

«وعلى هذا فقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، أي: على هؤلاء الذين جاسوا خلال الديار، لا على أشخاصهم، وإنما على

---

(١) «المنهاج» ص(١٢٠ ـ ١٢١).

ذريتهم من بعد، ويؤيد ما أقول:

أ ـ كلمة ﴿ثم﴾ وهي للتراخي ـ كما يقول علماء العربية ـ وهذا التراخي يتسع لأزمنة طويلة، ويدرك هذا من قرأ القرآن الكريم، فكلمة ﴿ثم﴾ إذن ـ تدل على المدة الزمنية الممتدة بين أولئك الصحابة، وبين عصرنا الذين نعيش فيه.

ب ـ ومن أعجب ما في الأمر، وأدل على الإعجاز والإيجاز كلمة ﴿الكرّة﴾ والكرّة يعبر بها عن الدولة، كما يقول علماء اللغة ـ والتاريخ يشهد أن لم تكن لليهود دولة في تاريخ المسلمين، والواقع يقول أن هذه الدولة إنما كانت في أيامنا هذه، وهذه هي المرة إذن التي كان لليهود فيها دولة، وهذا ما أشارت إليه كلمة ﴿الكرّة﴾»[1].

□ وفي هذا يقول الدكتور الخالدي أيضًا تحت عنوان: «ثم رددنا لكم الكرة عليهم..»: «ننظر في هذه الجملة من الآية السادسة من السورة، لنستخرج منها بعض الدلالات على ما نقول:

عبرت الآية عن الإفساد الثاني بحرف ﴿ثم﴾ وهو حرف يدل على التراخي، أي: أن إفسادهم الثاني لا يعقب إفسادهم الأول مباشرة، وإنما هو متراخ متأخر عنه، فإفسادهم الأول كان بالمدينة، وإفسادهم الثاني، الآن، وبين الإفسادين فترة زمنية تقارب أربعة عشر قرنًا.

وهذا التراخي الزمني مستفاد من حرف ثم؛ لأن المعركة في الإفسادين هي بين اليهود والمسلمين، فإذا كانت الأجيال الأولى للمسلمين قوية، بحيث تمكنت من إزالة إفسادهم الأول، فإن خطر انحدار المسلمين يحتاج إلى فترة زمنية، ينحدرون فيها ويضعفون

---

(١) «المنهاج» ص(١٢١ ـ ١٢٢).

ويذلون، فيتمكن اليهود منهم، ويمارسون عليهم إفسادهم الثاني، هذه الفترة الزمنية أخذت أربعة عشر قرنًا!!

وكل كلمة في الجملة ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ تدل على أن المعركة في الإفسادين هي بين المسلمين وبين اليهود» إلى أن يقول: «فاللَّه رد الكرة لليهود على الأجيال اللاحقة للمسلمين الأوائل، الذين أزالوا إفساد اليهود الأول، أي: أننا نحن مسلمي هذا الزمان المقصودون بالضمير في ﴿عليهم﴾، ولم يكن لليهود كرة أخرى على الأقوام السابقين، الذين حاربوهم قبل الإسلام، ودمروا كيانهم الماضي على أرض فلسطين، هل كان لليهود السابقين كرة أخرى على قوم بختنصر البابلي؟ أو سنحاريب الآشوري؟ أو تيطس اليوناني؟ وهل حاربوا في الماضي أولئك الأقوام؟ وهزموهم واحتلوا بلادهم؟»[1].

وتبرز مظاهر الإفساد بأقبح صوره في هذه الأيام في دولة اليهود.

«والحكم اليهودي يقوم على العلو وهو التكبر والانتفاش والتيه، والتبختر، والجبروت، العلو اليهودي يعني: استعباد الآخرين وإخضاعهم لليهود، وإذلالهم أمامهم، والقضاء على وجودهم وأموالهم، وأخلاقهم وإيمانهم وأعراضهم، وسحقهم أمام اليهود، وتحويلهم من بشر إلى حيوانات في صورة بشرية، ليخدموا اليهود، وإلا فما هم ببشر؛ لأنهم خلقوا من مني الحصان، كما يقول تلمود اليهود!!

إن اليهود يتعالون ويتكبرون على الشعوب الأخرى؛ لأنهم معقدون ناقصون مشوهون، مطعونون في نفسياتهم وشخصياتهم؛ لأنه لا يتكبر إلا ناقص، ولا يتعالى إلا مشوه.

---

(١) «حقائق قرآنية» ص(١٣٦ ـ ١٣٧).

وهذه الصفة والسمة لحكم اليهود: الإفساد والعلو، تدلنا أنه حكم وتحكم قصير، لزمن محدد قصير؛ لأنه لن يطول حكم يقوم على ذلك، وفق السنة الربانية القاطعة: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣][1].

*** المعركة مع اليهود ذات مرحلتين:**

إن بعض المسلمين يردد مقولة ينطوي باطنها على سلبية قائليها، وحبهم للقعود، ذلك أنهم يقولون: إننا لن ننتصر على اليهود إلا في زمن خروج الدجال. وهذا القول رغم أنه رجم بالغيب وتعطيل للشرع، فإن هناك من النصوص ما يدل على خلافه، ويثبت أن قتالاً سيخوضه المسلمون مع اليهود، وينتصرون عليهم فيه قبل زمن الدجال.

*** المرحلة الأولى: هزيمة وإزالة وليس إبادة:**

تحدثت عنها آيات سورة الإسراء، والتي توجّه إلى كيان اليهود على أرض فلسطين لتدميره، وإلى إفسادهم الثاني لإزالته، والتي تنتهي بانتصار المسلمين المجاهدين على اليهود، ويتحقق فيها تدمير كيانهما، وإزالة إفسادهم، واسترداد فلسطين كلها منهم، وتحويل اليهود بعدها إلى قوم أذلاء مستضعفين، ومجموعات مشتتة في مختلف البقاع.

* يقول اللَّه عز وجل: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [الإسراء: ٧].

إن إساءة الوجه لليهود تعني: هزيمتهم في المعركة، وإزالة فسادهم، والقضاء على علوهم وغطرستهم، إن سوء وجوههم يبدو في مرارة

---

(١) المصدر السابق ص(١٢٢ ـ ١٢٣).

الهزيمة، التي ينتج عنها زلهم وهوانهم وضعفهم.

* وقوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧] يساعد على توضيح طبيعة وسير المعركة بين المسلمين واليهود أيضًا، فهؤلاء المسلمون المجاهدون المنتصرون الذين دخلوا المسجد وغلبوا اليهود، سوف يتبرون كل ما علوا عليه تتبيرًا، وسوف يدمرون كل ما ظهروا عليه تدميرًا، وسوف يزيلون قوة وسلطان اليهود.

إنهم لا يبيدون اليهود إبادة في هذه المرحلة من معركتهم الطويلة مع اليهود، ولا يفنونهم إفناءً، وإنما يتبرون ويدمرون قوتهم، ويقضون على أسلحتهم، ويتحوّل اليهود بعد ذلك التدمير والتتبير لكل ما يملكون إلى مجموعة ذليلة مشتتة بين الشعوب والأمم.

وقد جاء عن النبي ﷺ من الأحاديث الدالة على قتال اليهود وانتصار المسلمين عليهم ما يلي:

● عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن رسول اللَّه ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة؛ حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد اللَّه! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلاّ الغرقد، فإنه من شجر اليهود»** اللفظ لمسلم.

● وفي لفظ البخاري: **«لا تقوم الساعة؛ حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي:! يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»**[1].

---

[1] أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٤١٧)، والخطيب في «التاريخ» (٧/ ٢٠٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٢٤٣)، والغرقد نوع من شجر الشوك معروف ببلاد المقدس، قال أبو حنيفة الدينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٤٤ - ٤٥).

● ومن حديث عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**تقاتلكم يهود فتسلطون عليهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله**» اللفظ للبخاري.

● وفي لفظ آخر للبخاري: «**تقاتلون اليهود حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد اللَّه! هذا يهودي ورائي فاقتله**».

● وفي لفظ لمسلم: «**لتقاتلنَّ اليهود فلتقتلنهم، حتى يقول الحجر: يا مسلم! هذا يهودي فتعال فاقتله**».

● وفي لفظ آخر لمسلم: «**تقتتلون أنتم ويهود، حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي، تعال فاقتله**»[١].

□ قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه اللَّه ـ في «فتح الباري»:

«**تقاتلون**»: جواز مخاطبة الشخص والمراد غيره ممن يقول بقوله ويعتقد باعتقاده؛ لأنه من المعلوم أن الوقت الذي أشار إليه ﷺ لم يأت بعد، وإنما أراد بقوله: «**تقاتلون**» مخاطبة المسلمين.

في الحديث إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتل الدجال، ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال»[٢].

□ وقال في موضع آخر:

وفي الحديث ظهور آيات قرب قيام الساعة من كلام الجماد من

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٢٥، ٣٥٩٣)، ومسلم (٢٩٢١)، والترمذي (٢٢٣٦)، وأبو يعلى (٥٥٢٣)، وابن حبان (٦٨٠٦ ـ الإحسان)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ٦٧، ١٢٢، ١٣١، ١٣٥، ١٤٩)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ١٧٥).

(٢) «فتح الباري» (٦/ ١٠٣).

شجرة وحجر، وظاهره أن ذلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء والأول أولى»[١].

فقد جاءت الأحاديث الشريفة مبينة وموضحة لقتال يحدث بين المسلمين وبين اليهود، ولليهود سطوة ودولة، وهم أصحاب نفوذ وسلطان، أصحاب القوة والدولة وهو ما يتناسب مع قوله ﷺ في حديث أبي هريرة: «**حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون**»، وقوله: «**حتى تقاتلوا اليهود**»، وقوله في حديث ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ: «**تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم**»، وقوله: «**تقاتلون اليهود**»، وقوله: «**لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم**»، وقوله: «**تقتتلون أنتم واليهود**».

والناظر إلى هذه العبارات بتدبر يشعر أن القتال الذي يكون بين المسلمين واليهود، إنما يحدث واليهود لهم سطوة وقوة، وشدة وبأس، وهو ما عبرت عنه الآيات بقولها: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

▫ وهناك حتمًا قتال بين المسلمين واليهود قبل قتال اليهود الذين مع الدجال، فهناك نصوص تدل على نزول الخلافة في بيت المقدس، وكيف تنزل الخلافة بيت المقدس واليهود يسيطرون عليها، وعلى أرض فلسطين، إذ إن المسلمين الذين يعينون عيسى ـ عليه السلام ـ على قتال الدجال وشيعته من اليهود تكون مقر خلافتهم في بيت المقدس، وإمامهم في ذلك الزمان المهدي ـ عليه السلام ـ والذي يستقر في بيت المقدس، ومن تلك الأحاديث قوله ﷺ فيما رواه عنه الصحابة الكرام ـ رضوان اللَّه عليهم ـ:

---

(١) «فتح الباري» (٦/ ٦١٠).

● عن ابن زغب الإيادي، قال: نزل عليَّ عبد اللَّه بن حوالة الأزدي فقال: بعثنا رسول اللَّه ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئًا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: **«اللَّهم لا تكلهم إليَّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم»**. ثم وضع يده على رأسي ـ أو قال ـ: على هامتي ثم قال: **«يا بن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذٍ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك»**[1] .

◻ فهذا الحديث يدل دلالة صريحة على أن دولة الخلافة الإسلامية ستنزل في أرض بيت المقدس، وأن الأمور العظام، ومنها الدجال سيدنو وقتها عند مجيء هذه الخلافة، فكيف ستأتي هذه الخلافة وتنزل بيت المقدس، واليهود يسيطرون على أرض فلسطين كاملة ومنها بيت المقدس؟

● ومنها ما جاء عن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : **«عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»**، ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبه، ثم قال: **«إن هذا الحق كما أنك ههنا أو كما أنك قاعد»**[2] .

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٢٥٣٥)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٨٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢٥)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٨٣٨).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٥)، وأبو داود (٤٢٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٠٨) برقم (٢١٤)، و«مسند الشاميين» رقم (٣٥١٤) وهو حديث صحيح، قال عنه ابن كثير: هذا إسناد جيد وحديث حسن، وعليه نور الصدق وجلال النبوّة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٠٩٦).

فعمران بيت المقدس بالخلافة النازلة فيها، وسيكون هذا العمران قبل خراب يثرب الذي يتم حين يرسل جيش من الشام لقتل المهدي ـ عليه السلام ـ الذي يبايع خليفة للمسلمين على أثر موت خليفة من خلفاء المسلمين، الذين تنزل خلافتهم أو تكون مقر إقامتهم في بيت المقدس؛ لأن المهدي سرعان ما يعود إلى بيت المقدس ليستقر فيها خليفة للمسلمين، وهذا قبل خروج الملحمة، وقبل فتح القسطنطينية، وقبل خروج الدجال.

فهل ستقوم تلك الخلافة في بيت المقدس، والقدس مع ذلك عاصمة موحدة لدولة اليهود، وهل ستقوم هذه الخلافة في بيت المقدس دون قتال، أو جهاد إسلامي لليهود هناك؟ وتولي المهدي ـ عليه السلام ـ الخلافة على أثر موت خليفة من خلفاء المسلمين قد جاء:

● عن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من (قريش) من أهل المدينة، هاربًا إلى مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة، والمدينة...**»[1] . وذكر الحديث .

● عن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ وذكر الدجال. . .وقال فيه «**إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص**». قالت أم شريك: فأين العرب يا رسول اللَّه يومئذ؟ قال: «**هم يومئذ قليل، وجُلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل**

---

(١) سيأتي تخريجه.

عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ ...»[١] الحديث.

● وعن جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة اللَّه لهذه الأمة»[٢].

✻ المرحلة الثانية: مرحلة الإبادة والإفناء:

وهي التي تتم بها إبادة اليهود تمامًا، وإفناؤهم نهائيًّا، وإراحة البشرية من وجودهم، بحيث لا يبقى بعدها يهودي حيًّا، وهذه المرحلة متأخرة، لعلها لا تأتي إلا في اللحظات الأخيرة من عمر الدنيا، حيث سيظهر الدجال وهو ـ يهودي ـ من جهة الشرق، وحينها سيتبعه من يهود أصبهان وحدها سبعون ألف يهودي، ثم يحارب عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ الدجال ومن معه من اليهود. ويقتل الدجال بيده الشريفة ـ عليه السلام ـ وفيها سيقضي المسلمون على كل يهودي ممن كانوا معه.

□ والأحاديث التي سنذكرها لاحقًا تدل على أن اليهود في هذه الجولة ـ المرحلة ـ سيكونون أشياعًا وأتباعًا وجنودًا، ليس لهم دولة وسطوة، والتعبيرات في هذه الأحاديث مختلفة تمامًا، عما ذكرنا في حديث ابن عمر وأبي هريرة في المرحلة الأولى، فالعبارات والكلمات في الحديثين المذكورين معبرة عن قوة وسطوة دولة اليهود بينما العبارات التي سأشير إليها في الأحاديث التالية تعبر عن وضعية التبعية، والضعف، فالسطوة والقوة للدجال، والتبعية والجندية، والتشيع من اليهود، ولذلك سنلحظ الاختلاف بين المرحلتين، ومن هذه الأحاديث التي تدل على

---

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) سيأتي تخريجه.

تبعيتهم وعدم وجود نفوذ لهم ما يلي:

● عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ينزل الدجال في هذه السبخة، بمر قناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى أن الرجل ليرجع إلى حميمه، وإلى أمه وابنته، وأخته، وعمته، فيوثقها رباطًا، مخافة أن تخرج إليه، ثم يسلط اللَّه المسلمين عليه، فيقتلونه، ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم: هذا يهودي تحتي فاقتله**»[١].

● من حديث أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا، عليهم الطيالسة**»[٢].

● من حديث سمرة بن جندب ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه: «قام يومًا خطيبًا فذكر في خطبته حديثًا عن رسول اللَّه ﷺ ......» إلى أن ذكر: «....... **أن عيسى ابن مريم ﷺ يُصبح فيهم فيهزمه-اللَّه عز وجل وجنوده حتى أن أصل الحائط أو جذم الشجر**[٣] **لينادي: يا مؤمن هذا كافر مستتر بي، تعال فاقتله....**»[٤].

● من حديث أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه عليه السلام فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال.. إلى أن قال: «... **فيقول عيسى ﷺ: إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه**

---

(١) صحيح الإسناد: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٦٧)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٥٣٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٤)، وابن حبان (٦٧٩٨ ـ «الإحسان»).

(٣) الجذم: الأصل.

(٤) سيأتي تخريجه.

عند باب لُد الشرقي فيقتله فلا يبقى شيء مما خلق اللَّه عز وجل شيئًا يتوارى به يهودي إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء، لا شجرة ولا حجر ولا دابة إلا قال: يا عبد اللَّه المسلم، هنا يهودي فاقتله ـ إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق ـ ...»[١] .

وحين نعقد مقارنة بين ألفاظ الأحاديث في المرحلتين سيتبين لنا الفارق الواضح الذي يدل على القوة والسطوة، والنفوذ والدولة، في المرحلة الأولى، وأن اليهود فيها هم أصحاب القرار في قتال المسلمين، وبين التبعية والجندية، والتشيع للدجال في المرحلة الثانية، وأنهم لا يملكون فيها إلا تنفيذ قرارات الدجال، صاحب الشأن الأول، والقرار المسيطر في المرحلة الثانية:

□ ألفاظ أحاديث ابن عمر، وأبي هريرة في المرحلة الأولى:

- **يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون.**
- **حتى تقاتلوا اليهود.**
- **تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم.**
- **تقاتلون اليهود.**
- **لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم.**
- **تقتتلون أنتم ويهود.**

□ ألفاظ أحاديث المرحلة الثانية التي مع الدجال:

- **فيقتلونه ويقتلون شيعته.**
- **يتبع الدجال من يهود أصبهان.**
- **فيهزمه اللَّه عز وجل وجنوده.**
- **فيقتله فلا يبقى شيء مما خلق اللَّه عز وجل شيئًا يتوارى به يهودي إلا**

(١) سيأتي كاملاً.

أنطق اللَّه ذلك الشيء...»[١] .

* ثانيًا: نزول الخلافة الإسلامية بيت المقدس:

● من حديث النعمان بن بشير ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: كنا قعودًا في المسجد، وكان بشير رجلاً يكف حديثه، فجاء أبو ثعلبة الخشني فقال: يا بشير بن سعد أتحفظ حديث رسول اللَّه ﷺ في الأمراء؟ فقال حذيفة: أنا أحفظ خطبته، فجلس أبو ثعلبة، فقال حذيفة، قال رسول اللَّه ﷺ: **«تكون النبوة فيكم ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا فيكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم يكون ملكًا جبريًّا فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، ثم سكت»**[٢] .

◻ ولقد تحققت كل هذه المراحل حتى سقوط الخلافة عام ١٩٢٤م، وبقيت المرحلة الأخيرة التي ستُكحل بها جفوننا، وهي مرحلة الخلافة التي على منهاج النبوة إن شاء اللَّه، وستنزل هذه الخلافة في أرض بيت المقدس، وسيكون جل أعمالها القضاء على دولة اليهود إن شاء اللَّه.

● عن ابن زغب الإيادي، قال: نزل عليّ عبد اللَّه بن حوالة

---

(١) «الأرض المقدسة» لإبراهيم العلي ملخصًا من ص(١٦٣ ـ ١٧٥).

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٣)، والبزار، والطيالسي (٤٣٨). وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٨٩): رواه أحمد والبزار أتم منه، والطبراني ببعضه في «الأوسط» ورجاله ثقات، وصححه العراقي كما نسبه إليه الألباني، وصححه أيضًا في «الصحيحة» برقم (٥).

الأزدي فقال: بعثنا رسول اللَّه ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا فلم نغنم شيئًا، وعرف الجهد في وجوهنا، فقام فينا فقال: «**اللَّهم لا تكلهم إليّ فأضعف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم**». ثم وضع يده على رأسي ـ أو قال ـ على هامتي ثم قال: «**يا بن حوالة، إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة، فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك**»[1] .

وسيكون في نزول الخلافة الإسلامية بيت المقدس عمران لها، وسبب ذلك الاهتمام الذي ستبديه الخلافة ببيت المقدس، وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ :

● عن معاذ بن جبل ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب يثرب خروج الملحمة، وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال**» .

● ثم ضرب بيده على فخذ الذي حدثه أو منكبيه ثم قال: «**إن هذا هو الحق كما أنك ههنا أو كما أنك قاعد**»[2] .

وسيمتد أمر هذه الخلافة فترة من الزمان يسعد الناس عامة بحكمها، ويشاء اللَّه أن يرزق الأمة بخليفة يحقق ما وعد رسول اللَّه بتحقيقه من فتح القسطنطينية، ويملأ الأرض عدلاً وخيرًا، كما امتلأت جورًا وظلمًا، وهو المهدي عليه السلام، ويكون ذلك على إثر موت

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سيأتي ذكر الحديث بتمامه وتخريجه.

خليفة، وهذا ما أخبر عنه النبي ﷺ كما جاء.

● عن أم سلمة - رضي اللَّه عنها - عن النبي ﷺ قال: «**يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من (قريش) من أهل المدينة، هاربًا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام، فيخسف بهم بالبيداء بين مكة، والمدينة....**»[1].

وسيبادر المهدي - عليه السلام - إلى الإقامة ببيت المقدس مقر الخلافة الإسلامية، وذلك بعد الانتهاء من البعث الذي يرسله إليه من استأثر بالأمر في الشام، وقد جاء حديث صحيح عن النبي ﷺ يخبر عن نزوله ببيت المقدس.

● عن أبي أمامة الباهلي - رضي اللَّه عنه - قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ وذكر الدجال... وقال فيه: «**إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعي ذلك اليوم يوم الخلاص**».

قالت أم شريك: فأين العرب يا رسول اللَّه يومئذ؟

قال: «**هم يومئذ قليل، وجُلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى ابن مريم - عليه السلام - ....**»[1] الحديث.

□ وسيبقى المهدي في الخلافة حتى نزول عيسى - عليه السلام - ، ويصلي المهدي بعيسى - عليه السلام - إمامًا في بيت المقدس، ثم يتعاونان معًا على قتال الدجال وأشياعه من اليهود وغيرهم، ويعيش الناس بسعادة غامرة تحت حكم عيسى ابن مريم - عليه السلام - ، وقد

---

(١) سيأتي تخريجه.

جاء هذا:

● عن جابر بن عبد اللَّه ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ينزل عيسى ابن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إن بعضهم أمير بعض، تكرمة اللَّه لهذه الأمة**».

□ قال ابن القيم: وهذا إسناد جيد.

* ثالثًا: ظهور المهدي واستقراره ببيت المقدس:

يعتقد أهل السنة والجماعة بأن رجلاً صالحًا من نسل فاطمة ـ عليها السلام ـ سيظهر في آخر الزمان ويكون خليفة للمسلمين.

□ قال السفاريني: «وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدَّ من معتقداتهم»[١].

ثم قال: «**فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرّر عند أهل العلم، ومدوّن في عقائد أهل السنة والجماعة**»[٢].

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**لتملأن الأرض جورًا وظلمًا، فإذا ملئت جورًا وظلمًا، يبعث اللَّه رجلاً مني، اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، فيملؤها عدلاً وقسطًا، كما ملئت جورًا وظلمًا، فلا تمنع السماء شيئًا من قطرها، ولا الأرض شيئًا من نباتها، يمكث فيكم سبعًا، أو ثمانيًا، فإن أكثر فتسعًا**»[٣].

● وقال ﷺ: «**لتملأن الأرض ظلمًا وعدوانًا، ثم ليخرجن رجل من**

---

(١) «لوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ٧٠).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٨١).

(٣) صحيح: رواه البزار، والطبراني في «الكبير» عن أبي سعيد الخدري كما في «صحيح الجامع»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٩)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٠٧٣).

أهل بيتي، حتى يملأها قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول اللَّه ذلك اليوم، حتى يبعث فيه رجل من أهل بيتي، يُواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت ظلمًا وجوراً»[٢] .

● وقال ﷺ : «لو لم يبق من الدهر إلا يوم، لبعث اللَّه رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً، كما ملئت جورًا»[٣] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيًا، ولا يعدُّه عدًّا»[٤] .

● «المهدي من عترتي[٥] من ولد فاطمة»[٦] .

● «المهدي منا أهل البيت، يصلحه اللَّه[٧] في ليلة»[٨] .

---

(١) صحيح: رواه الحارث عن أبي سعيد، وكذا رواه أحمد، وابن حبان، والحاكم في «المستدرك»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٥٢٩)، و«صحيح الجامع» (٥٠٧٤).

(٢) صحيح: رواه أبو داود عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٠٤)، و«تخريج المشكاة» (٥٤٥٢).

(٣) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود عن علي، كما في «صحيح الجامع»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٠٥).

(٤) رواه مسلم عن أبي سعيد. يحثو المال: أي: يغرف منه غرفًا.

(٥) عترتي أي: من نسلي وعشيرتي.

(٦) صحيح: أخرجه أبو داود (٤٢٦٤)، وابن ماجه (٤٠٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٥٥٧) عن أم سلمة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٧٣٤).

(٧) أي: يهيئه لهذا الأمر.

(٨) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه عن علي، كما في «صحيح الجامع»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٣٧١)، و«صحيح الجامع» (٦٧٣٥).

● «المهدي مني، أجلى[١] الجبهة، أقنى[٢] الأنف، يملأ الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلمًا، يملك سبع سنين»[٣] .

● «لا تذهب الدنيا، ولا تنقضي، حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»[٤] .

● «يكون في آخر الزمان خليفة، يقسم المال ولا يعده»[٥] .

● «يكون في آخر أمتي خليفةٌ، يحثي المال حثيًا، ولا يعدُّه عدًّا»[٦] .

● «يلي رجلٌ من أهل بيتي، يُواطئ اسمه اسمي، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لَطَوَّلَ اللَّه ذلك اليوم حتى يَلِيَ[٧] »[٨] .

● وفي حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه اللَّه الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا، أو ثمانيًا،

---

(١) أي: منحسر شعره عن مقدم رأسه.

(٢) يعني: طويل مع دِقّة فيه.

(٣) حسن: أخرجه أبو داود، وأحمد في «المسند» (٣/ ١٧)، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٨٢٦)، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٣٦).

(٤) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والترمذي عن ابن مسعود كما في «صحيح الجامع»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٢٧٥)، و«تخريج المشكاة» (٥٤٥٢).

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن أبي سعيد وجابر.

(٦) أخرجه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن جابر.

(٧) أي: يتولّى الخلافة.

(٨) حسن: أخرجه أبو داود عن ابن مسعود، وأخرج الترمذي الشطر الأول عن ابن مسعود، وأخرج الشطر الثاني عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٤٥٢)، و«صحيح الجامع» (٨١٦٠).

يعني: حجة»[١].

* مبايعة صاحبي الشام للمهدي ـ عليه السلام ـ :

● عن أم سلمة ـ رضي اللَّه عنها ـ عن النبي ﷺ قال: يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من (قريش) من أهل المدينة، هاربًا إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة، فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويُبْعثُ إليه بعثٌ من الشام، فيُخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك، أتاه أبدال (أهل) الشام، وعصائب أهل العراق، فيبايعونه بين الركن والمقام، ثم ينشأ رجل من قريش أخوالُه كلبٌ، فيبعث إليهم بعثًا فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، ويعملُ في الناس بسنة نبيهم ﷺ، ويُلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض، فيلبث سبع سنين، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون»[٢].

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٨، ٣٦، ٧٠)، والحاكم (٤/ ٥٥٧، ٥٥٨)، وأبو يعلى (٩٨٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣١٤) عن أسانيد أحمد وأبي يعلى رجالهما ثقات. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) حسن: أخرجه أبو داود برقم (٤٢٨٦) (٤٢٨٧)، وابن حبان كما في «الإحسان» برقم (٦٧٥٧)، وأبو يعلى (٦٩٤٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣١٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٣) رقم (٩٣١)، و«الأوسط» برقم (١١٧٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ٣١٥): رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح. وقال الحافظ ابن القيم في «المنار المنيف» ص(١٤٤): الحديث حسن، ومثله ما يجوز أن يقال فيه: صحيح. وجاء مختصراً من حديثها: أخرجه الحاكم (٤/ ٤٣١)، وابن أبي شيبة (١٥/ ٤٥ ـ ٤٦)، وأبو داود (٤٢٨٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٣/ برقم ٩٣٠)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣١٤): في «الصحيح» طرف منه، ورواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» باختصار، وفيه عمران القطّان، وثّقه ابن حبان وضعّفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح.

* نزول المهدي بيت المقدس وصلاته بعيسى ـ عليه السلام ـ إماماً:

جاء نزوله بيت المقدس، وصلاته بعيسى ـ عليه السلام ـ إمامًا من حديث عدد من الصحابة:

● من حديث أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ وذكر الدجال... وقال فيه: «.. **إن المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص**».

قالت أم شريك: فأين العرب يا رسول اللَّه يومئذ؟

قال: «**هم يومئذ قليل، وجُلهم ببيت المقدس، وإمامهم مهدي رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، حين كبر للصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص ليتقدم عيسى يصلي بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه، فيقول: تقدم فصلها، فإنها لك أقيمت، فيصلي بهم إمامهم**»[(١)].

● ومن حديث جابر ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**» قال: «**فينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فيقول أميرهم: تعال فصلِّ، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة اللَّه لهذه الأمة**»[(٢)].

❑ وقد ذكر الحافظ ابن القيم في كتابه «المنار المنيف في الصحيح

---

(١) صحيح: وسيأتي تخريجه في أحاديث خروج الدجال.

(٢) أخرجه مسلم (١٥٦)، وأبو يعلى (٢٥٧٨)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٣٤٥، ٣٦٧ ـ ٣٦٨، ٣٨٤).

والضعيف» ص(١٤٧ ـ ١٤٨): رواية أخرى لهذا الحديث عن جابر وفيها التصريح بأن الرجل الذي يصلي بعيسى ـ عليه السلام ـ هو المهدي ـ عليه السلام ـ وعزاه للحارث بن أبي أسامة في «مسنده» فقال:

● عن جابر قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**فينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة اللَّه لهذه الأمة**».

▫وقال ابن القيم عقبه: وهذا إسناد جيد.

● ومن حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه**»[(١)].

▫وقال السيوطي ـ رحمه اللَّه ـ في كتاب «العرف الوردي» بعد أن ذكر مجموعة من الأحاديث، فيها التصريح بأن الإمام الذي يصلي خلفه عيسى ـ عليه السلام ـ هو المهدي ـ عليه السلام ـ بقوله:

«عن أبي الحسين الآبري: قد تواترت الأخبار، واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بمجيء المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى ـ عليه السلام ـ فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة، وعيسى يصلي خلفه»[(٢)].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «مناقب المهدي»، كما عزاه إليه السلمي في «عقد الدرر» ص(٨٤) برقم (٣٥)، والسيوطي في «الجامع الصغير»، وصحّحه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٩٢٠).

(٢) «العرف الوردي» ص(٨١، ٨٣، ٨٤)، و«المنار المنيف» لابن القيم ص(١٤٨)، وابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٩٣).

* درر نفيسة لمحدث العصر الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ :

□ قال محدث العصر الشيخ الألباني ـ رحمه اللَّه ـ : «لا يجوز للمسلمين اليوم أن يتركوا العمل للإسلام وإقامة دولته على وجه الأرض؛ انتظارًا منهم لخروج المهدي ونزول عيسى ـ عليهما السلام ـ؛ يأسًا منهم؛ أو توهمًا أن ذلك غير ممكن قبلهما! فإن هذا توهم باطل، ويأس عاطل، فإن اللَّه تعالى أو رسوله ﷺ لم يخبرنا أن لا عودة للإسلام، ولا سلطان له على وجه الأرض إلا في زمانهما، فمن الجائز أن يتحقق ذلك قبلهما إذا أخذ المسلمون بالأسباب الموجبة لذلك، لقوله تعالى: ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، وقوله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج: ٤٠].

ولقد كان هذا التوهم من أقوى الأسباب التي حملت بعض الأساتذة المرشدين والكُتّاب المعاصرين على إنكار أحاديث المهدي، وعيسى ـ عليهما السلام ـ على كثرتها وتواترها لما رأوا أنها عند المتوهمين مدعاة للتواكل عليها وترك العمل لعز الإسلام من أجلها! فأخطئوا في ذلك أشد الخطأ من وجهين:

الأول: أنهم أقرّوهم على هذا التوهم؛ على اعتبار أن مصدره تلك الأحاديث المشار إليها؛ وإلا لم يبادروا إلى إنكارها!.

والآخر: أنهم لم يعرفوا كيف ينبغي عليهم أن يعالجوا التوهم المذكور؟ وذلك بإثبات الأحاديث، وإبطال المفاهيم الخاطئة من حولها، وما مثلهم في ذلك إلا كمثل من أنكر عقيدة الإيمان بالقدر خيره وشره؛ لأن بعض المؤمنين به فهموا منه أن لازمه الجبر، وأنّ المكلّف لا كسب له ولا

اختيار، ولما كان هذا الفهم باطلاً بداهة سارعوا إلى إنكاره، ولكنهم أنكروا معه القدر أيضًا، لتوهمهم ـ أيضًا مع المتوهمين ـ أنه يعني الجبر فوافقوهم في خطئهم في التوهم المذكور، ثم زادوا عليهم خطأً آخر ـ فرارًا من الأول ـ وهو إنكارهم للقدر نفسه! فلولا أنهم شاركوهم في فهمهم منه الجبر لما أنكروه!

□ وهذا عين ما صنعه البعض المشار إليه من الأساتذة والكُتّاب، فإنهم لما رأوا تواكل المسلمين ـ إلا قليلاً منهم ـ على أحاديث المهدي وعيسى؛ بادروا إلى إنكارها لتخليصهم ـ بزعمهم ـ من التواكل المذكور! فلم يصنعوا شيئًا؛ لأنهم لم يستطيعوا تخليصهم بذلك من جهة؛ ولا هم كانوا على هدى في إنكارهم للأحاديث الصحيحة من جهة أخرى.

والحقيقة أن هؤلاء المنكرين ـ الذين يفهمون من هذه الأحاديث ما لا تدل عليه من التواكل المزعوم، ولذلك يبادرون إلى إنكارها تخلّصًا منه ـ قد جمعوا بين المصيبتين: الضلال في الفهم، والكفر بالنص! ولكنهم عرفوا أن الفهم المذكور ضلال في نفسه؛ فأنكروه بإنكار النص الذي فهموا ذلك منه!.

وعكس ذلك العامة، فآمنوا بالنص مع الفهم المذكور، فمع كل من الفريقين هدى وضلال، والحق الأخذ بهدى كل منهما، ونبذ الضلال الذي عندهما؛ وذلك بالإيمان بالنص دون الفهم الخاطىء.

وما مثل هؤلاء وهؤلاء إلا كمثل المعتزلة من جهة؛ والمشبِّهة من جهة أخرى، فإن الأولين تأوّلوا آيات وأحاديث الصفات، بتآويل باطلة أودت بهم إلى إنكار الصفات الإلهية، وما حملهم على ذلك إلا فرارهم

من التشبيه الذي وقع فيه المشبِّهة، والحقيقة أن المعتزلة أنفسهم شاركوا المشبِّهة في فهم التشبية من آيات الصفات، ولكنهم افترقوا عنهم بإنكار التشبيه بطريق التأويل الذي هو باطل أيضًا كالتشبيه؛ لما لزم منه من إنكار الصفات الإلهية، وأما المشبِّهة فلم يقعوا في هذا الباطل، ولكنهم ثبتوا على التشبيه، والحق الجمع بين صواب هؤلاء وهؤلاء، وردّ باطل هؤلاء وهؤلاء، وذلك بالإثبات والتنزيه؛ كما قال اللَّه تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

☐ وكذلك أقول في أحاديث نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وغيرها؛ فإن الواجب فيها إنما هو الإيمان بها، وردّ ما توهمه المتوهمون منها؛ من ترك العمل والاستعداد الذي يجب القيام به في كل زمان ومكان، وبذلك نكون قد جمعنا بين صواب هؤلاء وهؤلاء، ورددنا باطل هؤلاء وهؤلاء. واللَّه المستعان»[١، ٢].

* هدنة قبل الملحمة العظمى:

عن ذي مخبر ابن أخي النجاشي ـ رضي اللَّه عنه ـ أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: **«تصالحون الروم صلحًا آمنًا حتى تغزوا أنتم وهم عدوًّا من ورائهم، فتنصرون وتغنمون، وتنصرفون حتى تنزلوا بمرج ذي تُلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قائل من المسلمين: بل اللَّه غلب. فيثور المسلم**

(١) «قصة المسيح الدّجال» للألباني ص(٣٦ ـ ٣٨).

(٢) العجيب أن ناسًا من كبار أهل السنة زلّت أقدامهم في هذه المسألة ووافقوا فيها رجالات المدرسة العقلية الحديثة، ومن هؤلاء الشيخ أبو الوفا درويش، والشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ عبد الرحمن الوكيل، ولقد عارضهم في هذه المسألة الشيخ محمد خليل هرّاس وانتصر لمذهب أهل السنة في رسالته «رفع عيسى ابن مريم عليه السلام حيًّا». رحم اللَّه الجميع وغفر لهم... وكلٌّ يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسول اللَّه ﷺ.

إلى صليبهم وهو منه غير بعيد، فيدقه، وتثور الروم إلى كاسر صليبهم، فيضربون عنقه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم اللَّه تلك العصابة من المسلمين بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك العرب، فيجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا»[1] .

* رابعًا: **الملحمة العظمى**، ونصر مسلمي الأرض المقدسة على الروم:

تحدّث رسول اللَّه ﷺ في سننه الصحيحة، عن الهدنة بين المسلمين وأعدائهم من الروم، وكيف يحاولون الغدر بالمسلمين، ويجمعون جمعًا يقارب مليون جندي، وتمتلأ قلوبهم بالأحقاد، ويقدمون إلى الأرض المقدسة ليقضوا على دولة الإسلام، وينصر اللَّه المسلمين نصرًا كبيرًا، وفي الأحاديث تفصيل ذلك:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«تكون بينكم وبين بني الأصفر هُدنة، فيغدرون بكم، فيسيرون إليكم في ثمانين غايةٍ، تحت كلِّ غايةٍ منهم اثنا عشر ألفًا»**[2] .

● وقال ﷺ: **«ستصالحون الروم صُلحًا أمْنًا، فتغزون أنتم وهم عدوًّا من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج ذي تُلول فيقوم رجل من الروم فيرفع الصليب، ويقول: غلب الصليب! فيقوم إليه رجل من المسلمين فيقتله،**

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٦٧، ٤٢٩٢، ٤٤٩٣)، وابن ماجه (٤٠٨٩)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٦٧٠٨، ٦٧٠٩)، وأحمد في «مسنده» (٤/ ٩١، ٥/ ٤٠٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢١)، والطبراني في «الكبير» برقم (٤٢٢٩، ٤٢٣٠، ٤٢٣١، ٤٢٣٢)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٢) صحيح: أخرجه ابن ماجه عن عوف بن مالك، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٩٩١).

فيغدر القوم، وتكون الملاحم، فيجتمعون لكم، فيأتونكم في ثمانين غايةً مع كلِّ غايةٍ عشرة آلاف»[١] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : **«فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بأرض يُقال لها: الغُوطة، فيها مدينة يُقال لها: دمشق، خير منازل المسلمين يومئذ»**[٢] .

• وقال ﷺ : **«إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة**[٣] **بالغوطة، إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام»**[٤] .

• وقال رسول اللَّه ﷺ : **«لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابقٍ**[٥] **فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا، قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا واللَّه لا نخلي بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب اللَّه عليهم أبدًا، ويقتل ثلث هم أفضل الشهداء عند اللَّه، ويفتتح الثلث، لا يفتنون أبدًا، فيفتتحون القسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون، إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم**[٦] **في أهليكم، فيخرجون وذلك**

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان عن ذي مخمر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦١٢)، و«تخريج المشكاة» (٥٤٢٨).

(٢) أرض واسعة ذات نبات كثير.

(٣) فسطاط المسلمين: أي: مدينتهم التي يجتمع إليها الناس للقتال.
يوم الملحمة: الخروج لقتال بني الأصفر ـ النصارى ـ والغوطة: موضع بالشام.

(٤) صحيح: أخرجه أبو داود عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢١١٦).

(٥) الأعماق أو دابق: هما موضعان بالشام، قرب حلب.

(٦) أي: جاء بعدكم؛ فأغار عليهم.

باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يُعِدُّون للقتال، يسوّون الصفوف، إذ أُقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم، فأمَّهم، فإذا رآه عدو اللَّه ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللَّه بيده، فيريهم دمه في حربته» (١).

● ومن حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أنه سمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إذا وقعت الملاحم بعث اللَّه من دمشق بعثًا من الموالي، أكرم العرب فرسًا، وأجودهم سلاحًا، يؤيد اللَّه بهم الدين**» (٢).

● ومن حديث عبد اللَّه بن مسعود - رضي اللَّه عنه - قال: «**عدو يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام**» قلت: الروم تعني؟ قال: «**نعم**» (٣).

◻ وقد تحدث النبي ﷺ عن هذه المعركة الفاصلة والمسماة بالملحمة العظمى، والملحمة الكبرى، وبأنه سيحدث فيها مقتلة لا يرى مثلها، أو مقتلة لم ير مثلها، وبأنها ستكون معركة عنيفة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، يكثر فيها القتل حتى أن الطائر يمر بجنبات المعركة وأرضها، فلا يجاوز أرض المعركة حتى يسقط ميتًا لكثرة الروائح المنبعثة من القتلى الذين ينتشرون على أرض المعركة، جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ حيث يقول:

---

(١) أخرجه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) حسن: أخرجه ابن ماجه (٤٠٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٥٤٨)، ونعيم بن حمّاد في «الفتن» (١٣٣٤)، وصححه الحاكم على شرط البخاري، وتعقّبه الذهبي: أنه على شرط مسلم، والحديث حسن فقط، كما قال الألباني في «فضائل الشام» للربعي ص(٥٩). وقال البوصيري في «الزوائد»: هذا إسناد حسن.

(٣) سيأتي تخريجه في الحديث الذي بعده.

● عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى إلا: يا عبد اللَّه بن مسعود! جاءت الساعة.

قال: فقعد وكان متكئًا فقال: «**إن الساعة لا تقوم، حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة**» ثم قال بيده: هكذا «ونحاها نحو الشام» فقال: «**عدو يجمعون لأهل الإسلام**[١] **، ويجمع لهم أهل الإسلام**، قلت: الروم تعني؟ **قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة**[٢] **، فيشترط المسلمون شرطة**[٣] **للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، على غير غالب، وتفنى الشرطة. ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يحجز الليل، فيفيء**[٤] **هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة.**

ثم يشترط المسلمون شرطة للموت، لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون، حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء، كل غير غالب، وتفنى الشرطة.

فإذا كان اليوم الرابع، نهد[٥] **إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل اللَّه الدبرة**[٦] **عليهم، فيقتلون مقتلة، إما قال: لا يُرى مثلها، وإما قال: لم ير مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم**[٧] **فما يخلفهم**[٨] **حتى يخر ميتًا، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة،**

---

(١) لأهل الإسلام: لقتال أهل الإسلام.

(٢) ردة شديدة: أي: عطفة قوية.

(٣) يشترط المسلمون شرطة: يضربون على أنفسهم الشروط والعهود للقتال حتى الموت.

(٤) يفيء: يرجع.

(٥) نهد: نهض وقام.

(٦) الدبرة: الهزيمة.

(٧) بجنباتهم: بنواحيهم.

(٨) يخلفهم: يجاوزهم.

فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح! أو أي ميراث يقاسم؟

فبينما هم كذلك، إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون[1] ما في أيديهم، ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول اللَّه ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم، وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو من خير فوارس ظهر الأرض يومئذ»[2].

● وفي رواية ابن حبان قال:

«.... ثم يلتقون في اليوم الرابع، فيقاتلونهم ويهزمونهم حتى تبلغ الدماء نحر الخيل (ويقتتلون حتى أن بني الأب، كانوا يتعادون على مئة) فيقتلون حتى لا يبقى منهم رجل واحد. فأي ميراث يقسم بعد هذا، وأي غنيمة يفرح بها؟! ثم يستفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقسمون الدنانير بالترسة، إذ أتاهم فزعٌ أكبر من ذلك: إن الدجال قد خرج في ذراريكم، فيرفضون ما في أيديهم ويُقبلون، ويبعثون طليعة فوارس، قال رسول اللَّه ﷺ: «هم يومئذ خير فوارس الأرض إني لأعلم أسماءهم وأسماء آبائهم، وقبائلهم، وألوان خيولهم».

هذا هو حديث رسول اللَّه ﷺ عن الملحمة العظمى، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

والمتتبع لما عند أعداء الأمة من اليهود والنصارى يلحظ أمرًا هامًّا،

---

(١) فيرفضون: فيتركون.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٩)، والطيالسي (٣٩٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/١٣٨ - ١٣٩)، وأبو يعلى (٥٣٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/٤٧٦ - ٤٧٧)، وأحمد في «المسند» (١/٣٨٤ - ٣٨٥، ٤٣٥).

أن من العقائد المشتركة عندهم عقيدة «الهرمجدون» وهو الاعتقاد بمجيء يوم يحدث فيه صدام بين قوى الخير وقوى الشر. وهو ما يسمى: بمعركة «مجدو» أو«الهرمجدون».

❑ وبلدة مجدو التي تنسب إليها هذه المعركة هي بلد في فلسطين، تبعد ٥٥ ميلاً عن تل أبيب، وتقع على بعد ١٥ ميلاً عن شاطئ المتوسط، وتقع جنوب شرق حيفا بمقدار ٢٠ ميلاً.

ورؤيتهم لهذه المعركة غائمة وغير واضحة المعالم.. والحديث عنها يتداول على نطاق واسع وعلى أعلى المستويات:

القسّ المبشر جيمي سواجارت، والمبشر جيري فالويل، وبيلي جريهام، والمبشر أوين، والقس ديلوتش، وآندرو لانج مدير الأبحاث في معهد الدراسات المسيحية - والمقيم بواشنطن، ووليام سافير المعلق الصحفي - في صحيفة نيويورك تايمز، ورئيس أمريكا السابق ريجان، وجيمس ملز رئيس مجلس شيوخ ولاية كاليفورنيا، وتوم داين من اللجنة المركزية الأمريكية الإسرائيلية للشئون العامة «الإيباك».

❑ قال الرئيس ريجان في اجتماع له مع اللوبي اليهودي:

«إنني أعود إلى أنبيائكم القدامى في العهد القديم، وإلى الدلائل التي تنبئ بمجدو، وأجدني أتساءل عمّا إذا كنا الجيل الذي سيشهد ذلك، لا أدري إن كنت لاحظت أيًّا من هذه التنبؤات في الأزمنة الأخيرة.... ولكن بالتأكيد هي تصف الزمن الذي نعيشه».

وفي أثناء رحلة نظمها المبشر «جيري فالويل» لزيارة الأرض المقدسة في فلسطين، التقى مع أعضاء الرحلة وزير الدفاع اليهودي آنذاك عام (١٩٨٢م). موشي آرينز وقال: «إن غزو لبنان ١٩٨٢ كانت بإرادة إلهية،

فهي حرب مقدسة مستمدة من العهد القديم، وهذا يؤكد النبوءة إذ إن هذا الغزو يمكن أن يعني أن معركة مجدو قد اقتربت.

□ نؤمن بما قال نبينا ﷺ والنصر فيها للمسلمين... أما أن تكون الملحمة هي معركة مجدو[١] أو غيرها فلا شأن لنا بهذا، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل...

* **خامسا: يا خيل الله اركبي:**

* **فتوحات إسلامية غالية تنطلق من الأرض المقدسة:**

وتنطلق خيل الله من الأرض المقدسة لتحقق أغلى الفتوحات زمن المهدي ـ عليه السلام ـ .

(أ) ـ فتح القسطنطينية:

● عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً: القسطنطينية، أو رومية؟

فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سُئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولاً، قسطنطينية أو رومية؟

● فقال رسول الله ﷺ : «**مدينة هرقل تفتح أولاً: يعني القسطنطينية**»[٢]

---

(١) يراجع كتاب «الحقيقة التوراتية للموقف الأمريكي» ـ لإسماعيل الكيلاني، وكتاب «المسيح الدجّال» ـ للأستاذ سعيد أيوب.

(٢) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٦)، والدارمي (١/ ١٢٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٢٢)، (٤/ ٥٠٨)، وأبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن» (٢/ ١١٦). وقال الهيثمي في « المجمع» (٦/ ٢١٩): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» (٦٦٤٥)، والألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٤).

◻ وقد تحقق الجزء الأول من هذا الحديث ففتحت القسطنطينية بعد ثمانية قرون، على يد السلطان العثماني محمد الفاتح ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ، ولا بد أن يتحقق ما وعد النبي ﷺ من فتح روما عاصمة إيطاليا في هذه الأيام، وهو ما سيتحقق على يد الخلافة الراشدة التي تحدثنا عنها عند نزول الخلافة بيت المقدس.

وبنص حديث رسول اللَّه ﷺ ستُفتح القسطنطينية في عهد المهدي.

ولقد تأوّل بعض الناس فتح القسطنطينية الأخير بأنه فتح روما والتي كان يُطلق عليها سابقًا (القسطنطينية الرومية) «وهو اسم أطلق عليها لأنها تقوم على الأعمدة التي أقرّها قسطنطين في مجمع نيقية، وهي التي يفتحها المسلمون مع المهدي بعد الملحمة العظمى، والتي ذكرها النبي ﷺ بقوله: «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب في البحر...**»، وهو ما يؤكده القزويني في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد» حيث قال: «روما هي مدينة لها ثلاثة جوانب في البحر والرابع في البر، وبها الآلاف من الأديرة والأسواق والتماثيل التي هي من الذهب والمرمر، وبها مرسى تقف عنده السفن، وبها كنيسة جميع أبوابها مفتوحة في اتجاه الشرق، ويوجد بها فسقية بها تمثال (راكب على بعير) ويقول أهل المدينة: إن الذي بناها قال لهم: عندما يأتيكم قوم على هذه الصفة فهم الذين يفتحونها»[١، ٢].

◻ وهذا الكلام كلام مرجوح.

● قال رسول اللَّه ﷺ: « **عمران بيت المقدس خراب يثرب، وخراب**

(١) «الأرض المقدسة» لإبراهيم العلي ص(٢٠١ ـ ٢٠٢).
(٢) «آثار البلاد وأخبار العباد» ـ للقزويني ص(٥٩١ ـ ٥٩٢).

يثرب خروج الملحمة[١] وخروج الملحمة فتح القسطنطينية، وفتح القسطنطينية خروج الدجال»[٢] .

● وقال ﷺ : «سمعتم بمدينة جانب منها في البر، وجانب في البحر؟ لا تقوم الساعة حتى يغزُوها سبعون ألفًا من بني إسحق فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيسقط أحدُ جانبيها الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا اللَّه واللَّه أكبر، فيفرج لهم، فيدخلونها، فيغنمون، فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصَّرِيخ[٣] ، فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون»[٤] .

قال النووي في شرحه على «صحيح مسلم»، قال القاضي: كذا هو في جميع أصول «صحيح مسلم». (من بني إسحاق) قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ من (بني إسماعيل) وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه؛ لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة القسطنطينية»[٥] .

● وفي حديث ابن مسعود الذي مرّ سابقًا: «.... **ثم يستفتحون القسطنطينية، فبينما هم يقسمون الدنانير بالترسة،....**» .

● وفي حديث أبي هريرة الذي مرّ: «.... **فيفتحون قسطنطينية فبينما هم يقتسمون الغنائم، قد علّقوا سيوفهم بالزيتون....**» .

---

(١) أي: خراب يثرب سبب لخروج الملحمة.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الصريخ: المنادي.

(٤) أخرجه مسلم (٢٩٢٠) عن أبي هريرة.

(٥) شرح «صحيح مسلم» للنووي (١٨/ ٤٣).

فللَّه ما أعظم هذا الفتح الذي سيكون بالذكر والتهليل والتكبير.

(ب) ـ فتح روما عاصمة إيطاليا:

يا له من يوم أغرّ.. يغزو الإسلام فيه مقر البابوية ومعقل النصرانية، وللَّه أبصار ترى هذا اليوم جهرة.. ترى راية الإسلام فوق كنائسهم، وتسمع صوت المؤذنين بدلاً، من القساقسة والرهبان.

(جـ) ـ فتح الهند على يد أهل الشام زمن المهدي ـ عليه السلام ـ:

وعد رسول اللَّه ﷺ هذه الأمة بأن يفتح اللَّه عليهم الهند. وأن يغفر اللَّه تعالى للجيش الذي يغزو الهند، وأن يحرز اللَّه هذا الجيش من النار يوم القيامة، وسيكون لأهل الأرض المقدسة دور كبير في هذا الفتح حيث سيغنمون ويفتحون تلك البلاد ويعودون، فيجدون عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ قد خرج في أرض الشام، جاء ذلك عن النبي ﷺ:

● عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: «وعدنا رسول اللَّه ﷺ في غزوة الهند، فإن استشهدت كنت من خير الشهداء، وإن رجعت فأنا أبو هريرة المحرر» اللفظ لأحمد.

● وفي رواية أخرى قال: حدثني خليلي الصادق رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند، فإن أنا أدركت، فاستشهدت فذلك، وإن أنا ـ فذكر كلمة ـ رجعت، وأنا أبو هريرة المحرر، قد أعتقني من النار**»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢٩، ٣٦٩)، والنسائي في «السنن» (٦/ ٤٢) برقم (٣١٧٣، ٣١٧٤)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥١٤)، والبخاري في «التاريخ الكبير»، ونعيم بن حمّاد في «الفتن» رقم (١٢٣٧)، وسكت الحاكم والذهبي عليه، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» برقم (٧١٢٨)، وأنكر على الذهبي قوله بأن الخبر منكر. وله متابعات عند نعيم بن حماد في «الفتن» برقم (١٢٣٦، ١٢٣٩).

● وقد جاء عنه بلفظ عند نعيم بن حماد في «الفتن» حيث قال: عن أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: ـ وذكر الهند ـ فقال: **«ليغزون الهند لكم جيش، يفتح اللَّه عليهم، حتى يأتوا بملوكهم مغللين بالسلاسل، يغفر اللَّه ذنوبهم، فينصرفون حين ينصرفون، فيجدون ابن مريم بالشام»**. قال أبو هريرة: إن أنا أدركت تلك الغزوة، بعت كل طارف لي وتالد، وغزوتها فإذا فتح اللَّه علينا وانصرفنا فأنا أبو هريرة المحرر، يقدم الشام، فيجد فيها عيسى ابن مريم، فلأحرصن أن أدنو منه فأخبره أني قد صحبتك يا رسول اللَّه. قال: فتبسم رسول اللَّه ﷺ وضحك، ثم قال: **«هيهات، هيهات»**[1].

● ومن حديث ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: **«عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام»**[2].



(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٢٣٦).

(٢) صحيح: أخرجه النسائي (٦/ ٤٢ ـ ٤٣) برقم (٣١٧٥)، وأحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير»، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ١٦١)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٩٣٤).

* سادسًا: خروج الدجّال وهلاكه بيد المسيح - عليه السلام - على أرض فلسطين المباركة:

من فضائل الأرض المقدسة فلسطين نهاية أعظم وأعم فتنة منذ خلق آدم على أرضها، ألا وهي فتنة المسيح الدجّال، فكل فتنة تتضاءل وتصغر وتتضع لهذه الفتنة:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما بينَ خَلقِ آدمَ إلى قيام الساعةِ أمرٌ أكبرُ منَ الدجّال»**[1].

● وفي رواية: **«خلق أكبر من الدجّال»**.

● وعن حذيفة بن اليمان - رضي اللَّه عنهما - قال: ذُكر الدجّال عند رسول اللَّه ﷺ فقال: **«لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجّال، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صنعت فتنة مذ كانت الدنيا، صغيرة ولا كبيرة، إلا لفتنة الدجّال»**[2].

● وفي رواية ابن حبان قال: كنا عند النبي ﷺ فذكر الدجّال، فقال: **«لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجّال، إنها ليست من فتنة صغيرة، ولا كبيرة إلا تتضع لفتنة الدجّال، فمن نجا من فتنة ما قبلها نجا منها، وإنه لا يضرّ مسلمًا، مكتوب بين عينيه: كافر مُهجّاة ك، ف، ر»**.

●وعن جابر بن عبد اللَّه - رضي اللَّه عنهما - قال: أخبرتني أمّ شريك،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٦)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٩، ٢٠، ٢١)، والحاكم (٤/ ٥٢٨)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٧٣ - ١٧٤) برقم (٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣)، عن هشام بن عامر.

(٢) إسناده صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٨٩)، والبزار، وابن حبان (٦٨٠٧)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٣٥): رواه أحمد والبزار ورجاله رجال الصحيح.

أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «**لَيفرَنَّ الناسُ منَ الدَّجالِ في الجبال**».

◻ قالت أم شريك: يا رسول اللَّه! فأين العرب يؤمئذ؟، قال: «**هم قليل**»[1].

◻ وأحاديث الدجال متواترة رواها جمع كبير من الصحابة ـ رضوان اللَّه عليهم ـ منهم: هشام بن عامر، وعبد اللَّه بن مغفل، وحذيفة بن اليمان، وجابر بن عبد اللَّه، وعبد اللَّه بن عمر، وأنس بن مالك، والنواس بن سمعان، وأبو هريرة، ونفير بن مالك، وعائشة، وأم سلمة، وعبادة بن الصامت، وعبد اللَّه بن عباس، وأبو بكرة الثقفي، وسفينة مولى رسول اللَّه ﷺ، وأبو سعيد الخدري، وفاطمة بنت قيس، وأم شريك، وعبد اللَّه بن مسعود، وعبد اللَّه بن عمرو، وأبو أمامة، وسعد ابن أبي وقاص، وسمرة بن جندب، ومجمّع بن جاريــة، وعثمان بن أبي العاص، وأسماء بنت عميس، وأسماء بنت يزيد.

◻ وظهور الدجّال ونزول عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ وقتله للدجّال أمر من أمور العقيدة، وفيصل بين عقيدة السلف وعقائد غيرهم ممن يقولون أنها أحاديث آحاد، وأن أحاديث الآحاد لا يُعمل بها في العقائد، أو يتأولون ظهور الدجّال مثلما قال الشيخ محمد عبده: «إن الدجّال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها...»[2] !!!.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٥)، والترمذي (٣٩٣٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٦٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٢٤٩).

(٢) تفسير المنار (٣/ ٣١٧) للشيخ محمد رشيد رضا. وممن يذهب إلى ضعف حديث الدجّال، وأن طرقه كلها تدور على وهب بن منبه وكعب الأحبار ـ شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت.

وتأويل أحاديث الدجّال شر مستطير، ومدخل للزنادقية والباطنية لهدم دين اللَّه، وما أمر البهاء والباب والقادياني الكذّاب منا ببعيد..

❑ وللَّه در عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ الذي ما رآه الشيطان سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا غير فجه: عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: سمعت عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ على المنبر وهو يقول: «سيكون فيكم قوم من هذه الأمة يكذّبون بالرجم، ويكذّبون بالدجّال، ويكذّبون بطلوع الشمس من مغربها، ويكذّبون بعذاب القبر، ويكذّبون بالشفاعة، ويكذّبون بقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا، فلئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد وثمود»[١].

كثير من الناس يغفل أمر الدجّال ويشككون في الأحاديث الواردة فيه، تارة في ثبوتها، وتارة في عدم ورودها بطريق التواتر ـ زعموا ـ، وتارة في دلالتها، فالواجب أن تُبيَّن للأمة هذه الفتنة العظيمة.

● عن راشد بن سعد قال: لما فُتحت اصطخر نادى منادٍ: ألا إن الدجّال قد خرج، قال: فلقيهم الصعب بن جثامة، قال: فقال: لولا ما تقولون لأخبرتكم أني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«لا يخرج الدجّال حتى يذهل الناس عن ذكره، وحتى تترك الأئمة ذكره على المنابر»**[٢].

❋ علامات خروج الدجال:

جاء في حديث فاطمة بنت قيس أخت الضحّاك بن قيس، عن

---

(١) إسناده حسن: أخرجه الداني في «الفتن»، وأحمد (١/ ٢٣) مختصرًا، وإسناده حسن كما قال الألباني في «قصة المسيح الدجال» ص(٣٠).

(٢) صحيح: رواه عبد اللَّه بن أحمد في «زوائد مسند أحمد» (٤/ ٧٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٣٥): «رواه عبد اللَّه بن أحمد من رواية بقيّة عن صفوان بن عمرو، وهي صحيحة، كما قال ابن معين، وبقية رجاله ثقات».

النبي ﷺ : «يا أيها الناسُ! هل تدرون لِمَ جمعتكم؟ إني والله ما جمعتكم لرغبةٍ ولا لرهبةٍ، ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلاً نصرانيًّا، فجاء فبايعَ وأسلَمَ، وحدثني حديثًا وافق الذي كنتُ أحدِّثكم عن المسيح الدجّال، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لَخْمٍ وجُذامٍ(١) ، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفئوا(٢) إلى جزيرةٍ في البحر حين غروب الشمسِ، فجلسُوا في أَقرُبِ(٣) السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيهم دابةٌ أهلبُ(٤) كثير الشعر، لا يدرونَ ما قُبله من دبره من كثرة الشعرِ، فقالوا: ويلكِ ما أنت؟ قالت: أنا الجسَّاسة، قالوا: وما الجسَّاسة؟ قالت: أيها القومُ انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركمْ بالأشواق(٥) ، قال: لما سَمَّت لنا رجلاً، فرِقنا(٦) منها أن تكون شيطانةً، فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا بابَ الدير، فإذا فيه أعظمُ إنسان(٧) رأيناه قطُّ خَلقًا، وأشدُّه وثاقًا، مجموعةٌ يداهُ إلى عنقه(٨) ما بين رُكبتيه إلى كعبيه بالحديد، قلنا: ويلكَ ما أنت؟ قال: قد قدرتمْ على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أُناسٌ من العرب، ركِبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم(٩) فلعبَ بنا الموجُ شهرًا ثم أرفأنا إلى جزيرتكَ هذه، فجلسنا في أقرُبها، فدخلنا الجزيرةَ فَلَقِيَتْنا دابّة أهلبُ، كثير الشعر، ما يُدرى ما قُبُله من دُبُره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلكِ ما

(١) قبيلتين من العرب.
(٢) أرفئوا أي: التجئوا إليها.
(٣) مفردها: قارب، وهو السفينة الصغيرة.
(٤) أهلب: كثير الشعر، غليظه.
(٥) أي: شديد الشوق إليه.
(٦) أي: خفنا.
(٧) أي: أكبر جثة.
(٨) قُيدت يداه إلى عنقه.
(٩) اغتلم: هاج وجاوز حدّه المعتاد.

أنت؟ قالت: أنا الجسَّاسةُ، قلنا: وما الجسَّاسة[١] ؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعًا، وفرقنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانةً، قال: أخبروني عن نخل بيسان[٢] ، قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبر[٣] ؟ قال: أسألكمْ عن نخلها هل يثمر؟ قُلنا له: نعم ، قال: أما إنها يوشك أن لا تثمر، قال: أخبروني عن بُحيرة طبرية[٤] ؟ قلنا: عن أيِّ شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ؟ قُلنا: هي كثيرة الماء، قال: إن ماءَها يوشك أن يذهب، قال: أخبروني عن عين زُغَر[٥] ؟ قُلنا: عن أيِّ شأنها تستخبرُ؟ قال: هل في العين ماءٌ؟ وهل يزرَعُ أهلها بماءِ العين؟ قُلنا له: نعم هي كثيرةُ الماء، وأَهلُها يزرعون من مائها، قال: أَخبروني عن نبيِّ الأميين ما فعلَ؟ قالُوا: قد خرج من مكَّة، ونزل بيثربَ، قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم، قال: كيفَ صنع بِهم، فأخبرْناه أنهُ قدْ ظهر على من يَليه من العربِ، وأطاعُوه، قال: قد كانَ ذلك! قلنا: نعم، قال: أما إن ذلك خيرٌ لهمْ؛ أن يَطيعوه، وإني أخبِركمْ عني، أنا المسيحُ وإني أوشك أن يؤذَن لي بالخروج فأخرج، فأسير في الأرضِ، فلا أدع[٦] قرية إلا هبطتها في أربعين ليلةً، غير مكَّة وطَيبة[٧] ، هما محرمتان عليَّ كلتاهما، كلَّما أردت أن أدخل واحدةً منهما استقبلني ملَكٌ بيده السيف صلتًا[٨] ، يصدُّني عنها، وإن على كلِّ نقْبٍ منها ملائكة يحرسونها.

---

(١) الجساسة: سُمِّيت بذلك لتجسسها الأخبار للدجّال، وقيل: إنها دابة الأرض.
(٢) بيسان: مدينة في فلسطين كثيرة النخيل.
(٣) تطلب منا أن نخبرك.
(٤) بحيرة طبرية: بحيرة موجودة في فلسطين، وهي حد فاصل بينها وبين الأردن.
(٥) عين زغر: عين ماء تقع جنوب البحر الميت، باتجاه خليج العقبة وهي بين القدس والعقبة بالجانب القبلي من الشام.
(٦) أي: أترك.
(٧) أي: المدينة.
(٨) صلتًا: مسلولاً.

ألا أُخبركم؟ هذه طَيبة، هذه طَيبة، ألا كنت حدثتكم ذلكَ؟ فإنه أعجبني حديث تميمٍ؛ أنه وافق الذي كنتُ أحدثكم عنه وعن المدينة، ومكةَ، ألا إنه في بحرِ الشامِ، أو في بحر اليمن، لا بل من قِبل المشرقِ، وما هو من قِبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو[١] »وأومأ بيده إلى المشرق». قالت: فحفظت هذا من رسول اللَّه ﷺ[٢].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «إني واللَّه ما قُمتُ مقامي لأمرٍ ينفعُكُمْ لرَغبة ولا لرَهبة، ولكنَّ تَميمًا الداريَّ أتاني فأخبرني خبرًا منعني القليولةَ من الفرحِ وقُرةَ العين، فأَحبَبْتُ أن أنشُرَ[٣] عليكُمْ فرحَ نبيِّكُمْ، ألا إنَّ تميمًا الداري أخبرني أن الرِّيحَ ألجأتْهُمْ[٤] إلى جزيرةٍ لا يعرفونَها، فقَعدُوا في قوارِبِ السَّفينة حتى خَرجُوا إلى الجزيرة، فإذا هم بشيءٍ أهلبَ[٥]، كثير الشعرِ، قالوا له: من أنتَ؟ قالتْ: أنا الجسَّاسةُ، قالوا: أخبرينا: قالت: ما أنا بمخبرتكم شيئًا؛ ولا سائلتكم شيئًا، ولكن هذا الديْرُ[٦] قد رمقتموه[٧]، فأتوه فإن فيه رجلاً بالأشواق[٨] إلى أن تُخبروه ويُخبركم، فأتوه، فدخلوا عليه، فإذا هم بشيخٍ موثَقٍ، شديد الوثاق، يُظهر

---

(١) ما هو: قال القاضي: لفظة ما هو زائدة، صلة للكلام، ليست بنافية. والمراد إثبات أنه في جهة المشرق.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٤٢)، وأبو داود (٤٣٢٦، ٤٣٢٧)، وابن ماجه (٤٠٧٤)، والترمذي (٢٢٥٣)، وابن منده في «الإيمان» برقم (١٠٥٧ حتى ١٠٧٠)، والآجري في «الشريعة»، والحميدي (٣٦٤)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٥٤ ـ ١٥٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٣٨٥ ـ ٤٠٣)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(٣) أذيع.

(٤) اضطرتهم.

(٥) كثير الشعر، غليظه.

(٦) أي: الدار.

(٧) نظرتم إليه ترقبونه.

(٨) أي: شديد الشوق.

الحزن؛ شديد التشكي؛ فقال لهم: من أين؟ قالوا: من الشام[(١)]، قال: ما فعلت العرب؟ قالوا: نحن قومٌ من العرب، عمَّ تسألُ؟ قال: ما فعل هذا الرجلُ الذي خرج فيكم؟ قالوا: خيراً، ناوَى[(٢)] قومًا، فأظهرهُ اللَّه عليهم، فأمْرُهم اليوم جميعٌ: إلههم واحدٌ، ودينهم واحدٌ، قال: ما فعلت عين زغر[(٣)]؟ قالوا: خيراً، يسقون منها زرعهم، ويستقون منها لسقيهم[(٤)]، قال: ما فعل نخل بئر عمان وبيسان[(٥)]؟ قالوا: يُطعِم ثمره كل عامٍ، قال: ما فعلت بحيرة طبرية؟ قالوا: تدفق جنباتُها[(٦)] من كثرة الماء، فزفر[(٧)] ثلاث زفرات، ثم قال: لو انفلتُّ[(٨)] من وثاقي هذا لم أدع أرضًا إلا وطئتها برجليَّ هاتين؛ إلا طَيبة، ليس لي عليها سبيل. إلى هذا انتهى فرحي، هذه طيبة، والذي نفسي بيده، ما فيها طريق ضيق ولا واسع، ولا سهل، ولا جبل، إلا وعليه ملك شاهرٌ سيفه إلى يوم القيامة»[(٩)].

● وعن أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجّال، وحذرناه، فكان

---

(١) أي: الشّمال.

(٢) عاداهم وحاربهم.

(٣) بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

(٤) لشربهم.

(٥) قرية بالشام، بين حوران وفلسطين، كثيرة النخل.

(٦) أي: فاض الماء من جوانبها.

(٧) أخرج نَفَسه بعد مدِّه إياه.

(٨) تخلصت.

(٩) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، وابن ماجه عن فاطمة بنت قيس. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٨٠٢٥)، وقال (١/ ٤٩٢): «هذا الحديث بهذا السياق ضعيف الإسناد، فيه مجالد بن سعيد وليس بالقوي، وفيه ألفاظ منكرة تفرّد بها، لكنه قد تُوبِع على سائرِه بنحوه، مع زيادات كبيرة في متنه».

من قوله أن قال: «يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض، منذ ذرأ[١] اللَّه ذرية آدم أعظم من فتنة الدجّال، وإن اللَّه عز وجل لم يبعث نبيًّا إلا حذَّر أمته الدجّال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم لا محالة[٢] فإن يخرج وأنا بين أظهركم[٣] ، فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي، فكل حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلة[٤] بين الشام والعراق. فيعيث[٥] يمينًا وشمالاً، يا عباد اللَّه! أيها الناس! فاثبتوا فإني سأصفه لكم صفةً لم يصفها إياه قبلي نبيٌّ، ...يقول: أنا ربكم، ولا ترون ربكم حتى تموتوا، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإنه مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ، يقرؤه كل مؤمنٍ، كاتبٍ أو غير كاتب.

وإن من فتنته أن معه جنةً ونارًا، فناره جنةٌ، وجنته نارٌ، فمن ابتلي بناره فليستغث باللَّه، وليقرأ فواتح الكهف،....

وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني اتبعه، فإنه ربُّك، وإن من فتنته أن يسلَّط على نفسٍ واحدةٍ فيقتلها، ينشرُها بالمنشار حتى تُلقى شقين[٦] ، ثم يقول: انظروا إلى عبديَ هذا، فإني أبعثه ثم يزعم أن له ربًّا غيري، فيبعثه اللَّه، ويقول له الخبيث: من ربك؟ فيقول: ربي اللَّه، وأنت عدو اللَّه،

---

(١) خلَق.
(٢) يعني: ولا بد.
(٣) أي: بينكم
(٤) طريق.
(٥) يُفسد.
(٦) الشق: الجنب.

أنت الدجّال، واللَّه ما كنتُ قطُّ أشد بصيرةً بك[١] مني اليوم.

وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر، فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت.

وإن من فتنته أن يمر بالحي فيكذبونه، فلا يبقى لهم سائمة[٢] إلا هلكت. وإن من فتنته أن يمر بالحي، فيصدقونه، فيأمر السماء أن تمطر فتمطر، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت، وأعظمه، وأمدَّه[٣] خواصر وأدرَّه[٤] ضروعًا. وإنه لا يبقى شيءٌ من الأرض إلا وطئه وظهره عليه، إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقبٍ[٥] من أنقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف صَلْتةٌ[٦] ، حتى ينزل عند الضريب الأحمر[٧] ، عند منقطع السبخة[٨] ، فترجف[٩] المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافقٌ ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبيثَ منها، كما ينفي الكيرُ خبث الحديد، ويدعى ذلك اليومُ يومَ الخلاص، قيل: فأين العرب يومئذ؟ قال: هم يومئذ قليلٌ،...

وإمامهم رجلٌ صالح، فبينما إمامُهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى[١٠] ليتقدم عيسى ، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلِّ؛ فإنها لك

(١) فطنة وعلمًا بحقيقة حالك.
(٢) الإبل أو المواشي تترك للرعي ولا تُعلَف.
(٣) أوسعها وأتمها. والخواصر مفردها: الخصر؛ وهو وسطها.
(٤) أكثره.
(٥) طريق ويكون بين الجبلين.
(٦) مرفوعة؛ قد أخرجت من غمدها.
(٧) موضع خارج المدينة.
(٨) تقدم بيانها.
(٩) تتزلزل.
(١٠) يرجع إلى الوراء بظهره.

أقيمت، فيُصلِّي بهم إمامهم، فإذا انصرف قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءَه الدجّال، معه سبعون ألف يهوديٍّ، كلهم ذو سيف محلًّى وساجٍ[١] ، فإذا نظر إليه الدجَّال ذاب كما يذوب الملح في الماء. وينطلقُ هاربًا،... فيدركه عند باب لُدٍّ[٢] الشرقي، فيقتله، فيهزم اليهود، فلا يبقى شيءٌ مما خلق اللَّه عز وجل يتواقى[٣] به يهوديٌّ، إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء، لا حجر ولا شجرٌ ولا حائط ولا دابة، إلا الغرقدة، فإنها من شجرهم لا تنطق، إلا قال: يا عبد اللَّه المسلم، هذا يهودي فتعال اقتله، فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا يدقُّ[٤] الصليب، ويذبح[٥] الخنزير، ويضع الجزية[٦] ، ويترك الصدقة، فلا يُسعى على شاة ولا بعيرٍ، وتُرفع الشحناء[٧] والتباغض، وتُنزع حمة[٨] كل ذات حمة، حتى يُدخل الوليدُ يده في الحية، فلا تضره، وتضرُّ الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السلم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا اللَّه، وتضع الحربُ أوزارها[٩] ، وتسلب قريشٌ ملكها[١٠] ، وتكون الأرض كفاثور[١١] الفضة، تُنبت نباتها بعهد آدم حتى

---

(١) أي: نسيج.
(٢) بلدة قريبة من بيت المقدس.
(٣) يستتر.
(٤) يكسر.
(٥) أي: يقتله كما جاء ذلك صريحًا في رواية أخرى.
(٦) أي: يسقطها؛ فما من نصراني إلا ويؤمن به، ولا يهودي إلا قُتل.
(٧) التخاصم.
(٨) أي: سُمٌّ.
(٩) أثقالها وشدتها.
(١٠) أي: سيادتها.
(١١) ـ كخِوان ـ ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. الفاثور هي: الخوان.

يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم، ويكون الثورُ بكذا وكذا من المال، ويكون الفرس بالدريهمات،...

وإن قبل خروج الدجّال ثلاث سنوات شداد[1]، يصيب الناس فيها جوعٌ شديد، يأمر اللَّه السماء السنة الأولى أن تحبسً[2] ثلث مطرها، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية، فتحبس ثُلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء، فلا يبقى ذات ظلف[3] إلا هلكت إلا ما شاء اللَّه، قيل: فما يُعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: التهليلً، والتكبير، والتحميد، ويجزئ ذلك عليهم مجزأة الطعام»[4].

* مكان خروجه:

● عن أبي بكر الصديق ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «إن الدجّال يخرج من أرض قبل المشرق، يُقال لها: خُراسانُ، يتبعه أقوام كأن وجوههم المجان المطرقة»[5].

والمجان مفردها: مجن، وهو الترس.

---

(١) أي: تمنع السماء مطرها والأرض نباتها.

(٢) تمنع.

(٣) كالبقر والجاموس والشياه.

(٤) صحيح: أخرجه ابن ماجه، وابن خزيمة في «صحيحه»، والحاكم في «المستدرك»، والضياء في «المختارة» عن أبي أمامة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٤٥٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٧٨٧٥).

(٥) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٧٠٤)، والترمذي (٢٢٣٨)، وابن ماجه (٤٠٧٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٤، ٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١٦٠٧)، و«الصحيحة» رقم (١٥٩١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**الدجّال يخرج من أرض بالمشرق يقالُ لها خرسانُ، يتبعه أقوامٌ كأن وجوههم المجانُّ المطرقة**»(١) .

※ مدة مُكْثه في الأرض :

● عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد اللَّه بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تُحدِّث به؟ تقول: إن الساعة تقومُ إلى كذا وكذا. فقال: سبحان اللَّه! ولا إله إلا اللَّه، أو كلمة نحوها، لقد هممت أن لا أحدّث شيئًا أبدًا، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا، يُحرق البيت، ويكون، ويكون، ثم قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «**يخرج الدجّال في أمتي، فيمكث أربعين** ـ لا أدري: أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا ـ ، **فيبعث اللَّه تعالى عيسى ابن مريم، كأنه عُروة بن مسعود الثقفي، فيطلبه، فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوةٌ، ثم يرسل اللَّه ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل(٢) لدخلت عليه، حتى تقبضه، فيبقى شرار الناسِ، في خفة الطَّيرِ، وأحلام(٣) السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا يُنكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان، فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: بم تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، فيعبدونها، وهم في ذلك دارٌّ(٤) رزقهم، حسنٌ عيشهم، ثم يُنفخ في الصور، فلا**

---

(١) صحيح: أخرجه الترمذي (٢٢٣٨)، والحاكم في «المستدرك» عن أبي بكر، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٤٨٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٤٠٤).

(٢) أي: في جوفه.

(٣) أي: عقولها، والمقصود أن أخلاقهم ـ عدوانهم وظلمهم ـ كأخلاق السباع.

(٤) كثير.

يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتًا[١] ، ورفع ليتًا، وأول من يسمعه رجلٌ يلوط[٢] حوض إبله، فيصعق الناس، ثم يرسل اللَّه مطرًا، كأنه الطَّلُّ[٣] ، فينبت منه أجساد الناس، ثم يُنفخ فيه أخرى، فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال: يا أيُّها الناس! هلم[٤] إلى ربِّكم ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات: ٢٤]، **ثم يقال: أخرجوا بَعْثَ النار، فيُقال: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعةٌ وتسعون، فذلك يومٌ يجعل الولدانَ شيبًا، وذلك يومٌ يُكشف عن ساقٍ»[٥] .**

● وعن النوّاس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: ذكر رسول اللَّه ﷺ الدجّال ذات غداة، فخفض فيه ورفع، حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رُحنا إليه عرف ذلك فينا. فقال: «ما شأنكم»؟ قلنا: يا رسول اللَّه، ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل. فقال: **«غير الدجالِ أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم[٦] ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ[٧] حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم؛ إنه شابٌّ قططٌ[٨] ، إحدى عينيه كأنها عنبةٌ طافيةٌ، كأني أُشبهه**

---

(١) الليت بالكسر: جانب العنق.

(٢) يطينه ويصلحه.

(٣) الطلّ: المطر الخفيف.

(٤) هلمّ: تعالوا وأقبلوا.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٤٠) ، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٦)، والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٦/ ٣٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٠ ـ ٥٥١)، (٤/ ٥٤٣)، وابن حبان كما في «الإحسان» (٧٢٥٣)، والبيهقي في «الاعتقاد» ص(٢١٣ ـ ٢١٥).

(٦) أي: مغالبه؛ بإظهار الحجة عليه.

(٧) المراد: كل امرئ.

(٨) أي: شعره شديد الجعودة ـ الالتواء ـ.

بعبد العُزّى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف[١]، إنه خارج خلَّة[٢] بين الشام والعراق، فعاث[٣] يمينًا، وعاثَ شمالاً، يا عباد اللَّه فاثبتوا، قالوا: يا رسول اللَّه ما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يومًا؛ يومٌ كسنة، ويومٌ كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم، قالوا: يا رسول اللَّه! فذلكَ اليومُ كسنةٍ أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال: لا، اقدروا له، قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث[٤] استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم، فيؤمنون به، ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم[٥] أطول ما كانت درًّا[٦] وأشبعه ضروعًا[٧]، وأمدَّه خواصر[٨]، ثم يأتي القوم فيدعوهم، فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين[٩]، ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم، ويمرُّ بالخرْبةِ[١٠]، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النَّحل[١١]، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين[١٢] رمية الغرض[١٣] ثم يدعوه، فيُقبل ويتهلَّل[١٤] وجهه

(١) المراد: أول عشر آيات منها، كما جاء صريحًا في رواية أخرى.
(٢) أي: طريقٍ.
(٣) أفسد.
(٤) المطر.
(٥) إبلهم.
(٦) أي: أكثر ما كانت حلبًا.
(٧) أي: أملأه من كثرة اللبن.
(٨) أي: أوسعها وأتمها.
(٩) قد قطع المطر عنهم. يقال: محل المكان؛ إذا أجدب.
(١٠) الموضع المحروث للزراعة.
(١١) المراد: جماعاته.
(١٢) أي: قطعتين.
(١٣) أي: يجعل بين القطعتين مقدار رمية السهم إلى الهدف.
(١٤) أي: يستنير وتظهر عليه علامات السرور.

ويضحك، فبينما هو كذلك، إذ بعث اللَّه المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهروذتين[١] واضعًا كفَّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر[٢] ، وإذا رفعه تحدَّر[٣] منه جُمانٌ كاللؤلؤ[٤] فلا يحلُّ لكافرٍ يجدُ ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه[٥] حتى يدركه بباب لدّ[٦] فيقتله، ثم يأتي عيسى قومٌ قد عصمهم اللَّه منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدِّثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هم كذلك إذ أوحى اللَّه إلى عيسى: إني أخرجت عبادًا لا يَدانِ[٧] لأحدٍ بقتالهم فحرِّز[٨] عبادي إلى الطور، ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدبٍ[٩] ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها ويمرُّ آخرهم، فيقولون: لقد كان بهذه مرَّة ماءٌ! ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخُمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلمَّ[١٠] فلنقتل من في السَّماء، فيرمون بنشَّابهم[١١] إلى السماء، فيرد اللَّه عليهم نشَّابهم مخضوبة[١٢] دمًا، ويُحصر نبي اللَّه عيسى وأصحابه، حتى

---

(١) أي: حُلَّتَيْن.

(٢) أي: ماءً.

(٣) سقط.

(٤) كحبات اللؤلؤ.

(٥) أي: يطلب المسيحُ ابن مريم عليه السلام الدجالَ لعنه اللَّه.

(٦) بلدة قريبة من بيت المقدس.

(٧) أي: لا طاقة.

(٨) احفظهم وحصنهم في جبل الطور.

(٩) ما ارتفع وغلظ من الأرض.

(١٠) تعالوا.

(١١) بسهامهم.

(١٢) ملطخة.

يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه، فيرسل اللَّه عليهم النَّغفَ[١] في رقابهم، فيصبحون فرسى[٢] كموت نفسٍ واحدةٍ. ثم يهبط نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأه زهمُهُم[٣] ونَتْنُهم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى اللَّه عز وجل، فيرسل اللَّه طيراً كأعناق البُخْتِ[٤] فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه، ثم يرسل اللَّه قطراً[٥] ، لا يكن منه[٦] بيت مدرٍ[٧] ولا وبرٍ[٨] ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزَّلَفة[٩] ، ثم يُقال للأرض أنبتي ثمرتك، ودرِّي[١٠] بركتك، فيومئذ تأكل العصابة[١١] من الرمانة، ويستظلون بقحفها[١٢] ، ويبارك في الرِّسل[١٣] ، حتى إن اللَّقحة من الإبل لتكفي الفِئام[١٤] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[١٥]

(١) دود، يكون في أنوف الإبل والغنم.
(٢) قتلى.
(٣) رائحتهم الكريهة المنتنة.
(٤) نوع من الإبل.
(٥) مطراً.
(٦) لا يخلو منه.
(٧) أي: البيوت المبنية.
(٨) أراد: خيام الأعراب من الوبر ـ الصوف ـ.
(٩) المرآة. وقيل: الحجر الأملس.
(١٠) أكثري.
(١١) الجماعة من الناس.
(١٢) أي: قشرها.
(١٣) اللبن.
(١٤) الجماعات.
(١٥) جماعة من القبيلة أقل من البطن.

من الناس. فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحًا طيبةً، فتأخذهم تحت آباطهم[١]، فتقبض روح كل مؤمنٍ وكل مسلمٍ، ويبقى شرارُ الناس يتهارجون[٢] فيها تهارج الحُمرِ، فعليهم تقوم الساعة»[٣].

* أما عن صفاته الخَلْقيّة:

● قال رسول اللَّه ﷺ: «ما بعث اللَّه من نبي إلا أنذر أمته الدجّال، أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم. فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم أنَّ ربكم ليس بأعور، وإنه أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافيةٌ، ألا إن اللَّه حرم عليكم دماءكم، وأموالكم، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، ألا هل بلَّغت: اللَّهم اشهد «ثلاثًا»، ويحكم[٤]! انظروا لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض»[٥].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «ما بعث اللَّه من نبي إلا قد أنذر أمته الدَّجال الأعور الكذاب، ألا وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافرٌ، يقرؤه كلُّ مؤمن»[٦].

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، مكتوبٌ بين عينيه «ك، ف، ر»»[٧].

(١) مفردها: إبط؛ وهو ما بين المنكب والجناح.
(٢) يتسافدون؛ من الجماع والمواقعة.
(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧)، والترمذي (٢٣٤١)، وأبو داود (٤١٥٢، ٤٢٩٩)، وابن ماجه (٤٠٧٥)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٩٢ - ٤٩٤).
(٤) كلمة توجع وترحم.
(٥) أخرجه البخاري عن ابن عمر.
(٦) رواه أحمد والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن أنس.
(٧) صحيح: أخرجه الترمذي عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٤٥٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٧٨٩).

● وقال رسول الله ﷺ: «إني لأنذركموه "يعني: الدجال"، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور»[١].

● وقال رسول الله ﷺ: «إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصيرٌ، أفحَجُ[٢]، جعدٌ[٣]، أعور، مطموس العين، ليست بناتئَة[٤]، ولا حَجراء[٥]، فإن ألبس عليكم[٦]؛ فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»[٧].

● قال رسول الله ﷺ: «إن الدجال ممسوح العين اليسرى، عليها ظَفَرةٌ[٨]، مكتوب بين عينيه كافرٌ»[٩].

● وقال رسول الله ﷺ: «ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافيةٌ، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجلٌ آدم[١٠]

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم، وأبو داود، والترمذي عن ابن عمر.

(٢) الأفحج: الذي يتدانى صدور قدميه ويتباعد عقباه.

(٣) أي: جعد الشعر، والمراد: الشعر المتجمع الملتوي.

(٤) أي: بارزة.

(٥) أي: غائرة.

(٦) أي: اختلطت صفته عليكم.

(٧) صحيح: رواه أحمد في «مسنده»، وأبو داود عن عبادة بن الصامت، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» رقم (٥٤٨٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٤٥٩).

(٨) بفتح الظاء والفاء: لحمة تنبت عند المآقى، وتمتد إلى السواد فتغشيه كما في «النهاية»، وفي حديث حذيفة وغيره «ظفرة غليظة».

(٩) صحيح: رواه أحمد عن أنس، ورواه أحمد في «مسنده» (٣/ ١١٥، ٢٠١)، (٥/ ٣٨٦، ٤٠٥)، ومسلم (٨/ ١٩٥) عن حذيفة، وأحمد (٥/ ١٣) عن سمرة، و (٥/ ٢٢١) عن سفينة.

(١٠) الأُدمة: شدة السُّمرة، وأيضًا شدة البياض، والمراد هنا: البياض الشديد.

كأحسن ما ترى من أُدمِ الرِّجالِ، تَضربُ لِمَّتُهُ[١] بين منكبيه، رَجِل الشعر[٢]، يقطر رأسه ماءً. واضعًا يديه على منكبي رجلين، وهو بينهما يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيح ابن مريم، ثم رأيت رجلاً وراءه جعدًا قططًا[٣]، أعور العين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قطن[٤]، واضعًا يديه على منكبي رجل يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: المسيحُ الدجَّال»[٥].

● قال رسول اللَّه ﷺ: «الدجال أعور العين اليسرى، جُفالُ[٦] الشعر، معه جنةٌ ونارٌ، فناره جنَّة، وجنَّتُه نارٌ»[٧].

● وقال ﷺ: «الدجال عينه خضراء»[٨].

● وقال ﷺ: «الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه كافرٌ، يقرؤه كل مسلم»[٩].

● وقال ﷺ: «لأنا أعلم بما مع الدَّجَّال من الدجال، معه نهران يجريان، أحدهما رأيَ العين[١٠] ماءٌ أبيض، والآخر رأي العين نارٌ تأجَّجُ، فإما أدركهن واحد منكم، فليأت النهر الذي يراه نارًا، ثم ليغمِض، ثم لِيُطَأطِئْ رأسه

---

(١) اللمّة: الشعر إذا تجاوز شحمة الأذن.
(٢) أي: مبلل قد سُرِّح بالمشط.
(٣) أي: شعره متجمع ملتو.
(٤) رجل من المشركين اسمه عبد العزى.
(٥) رواه البخاري ومسلم عن ابن عمرو.
(٦) أي: كثيره.
(٧) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم، وابن ماجه عن حذيفة.
(٨) صحيح: رواه البخاري في «التاريخ»، عن أُبيٍّ، ورواه أحمد، وأبو نعيم، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٦٣)، و«صحيح الجامع» (٣٤٠١).
(٩) أخرجه مسلم عن أنس.
(١٠) أي: تراه العين.

فيشرب، فإنه ماءٌ باردٌ، وإن الدَّجَّال ممسوح العين اليسرى، عليها ظفرةٌ[١] غليظة، مكتوب بين عينيه: كافرٌ، يقرؤه كل مؤمنٍ، كاتبٍ وغير كاتبٍ»[٢] .

● وفي حديث سمرة بن جندب عن الدجّال، قال رسول اللَّه ﷺ : «... وإنه واللَّه ما تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذّابًا، آخرهم الأعور الدجال، ممسوح عين اليسرى، كأنها عين أبي تحيا، شيخ من الأنصار بينه وبين حجرة عائشة ـ رضى اللَّه عنها ـ حينئذ.. فإنه متى يخرج فإنه سوف يزعم أنه اللَّه»[٣] .

* أتْباعه :

كل كافر ومنافق، وكل يهودي ويهودية:

● عن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة»[٤، ٥] .

● وعن أنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب[٦] من أنقابها إلا

---

(١) لحمة من الجانب الداخلي للعين؛ تغطيها.

(٢) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود عن حذيفة وأبي مسعود معًا.

(٣) صحيح: أخرجه أبو داود (١١٢٧)، والترمذي (٥٦٢)، والنسائي (٣/ ١٤٠، ١٤٨، ١٥٣)، وابن ماجه (١٢٦٤)، والبيهقي في «السنن» (٣/ ٣٣٩)، والطحاوي في «معاني الآثار» (١/ ١٩٧)، وابن خزيمة (١٣٩٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ١٣، ١٦، ١٩، ٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣١، ٣٣٤)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وابن خزيمة، والترمذي، وأقرّ ابن حجر تصحيح الحديث في «فتح الباري» (١٣/ ٨٥).

(٤) الطيالسة: جمع طيلسان، وهو شال يتوشح به على الكتف.

(٥) رواه أحمد ومسلم.

(٦) النقب: الطريق الضيق في الجبل.

عليه الملائكة حافِّين[١] تحرُسُها، فينزل بالسِّبخَة[٢] فَتَرْجُفُ[٣] المدينة بأهلها ثلاث رجفات، يخرج إليه منها كل كافر ومنافق»[٤].

● وقال ﷺ: «**يجيء الدجال، فيطأ الأرض إلا مكة والمدينة، فيأتي المدينة فيجد بكل نقب من أنقابها صفوفًا من الملائكة، فيأتي سبخة الجُرُف**[٥]، **فيضرب رواقه**[٦]، **فترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل منافق ومنافقة**»[٧].

● عن ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ينزل الدجال في هذه السبخة، بمر قناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى أن الرجل ليرجع إلى حميمه، وإلى أمه وابنته، وأخته، وعمته، فيوثقها رباطًا مخافة أن تخرج إليه، ثم يُسلط اللَّه المسلمين عليه، فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم: هذا يهودي تحتي فاقتله**»[٨].

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ، فكان أكثر خطبته حديثًا حدثناه عن الدجال،

---

(١) المراد: تحوطها وتدور حولها.

(٢) السبخة: موضع خارج المدينة، مرتفع، تعلوه الملوحة.

(٣) أي: تتزلزل.

(٤) متفق عليه.

(٥) موضع قرب المدينة.

(٦) أي: يضع أثقاله.

(٧) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم عن أنس.

(٨) صحيح: أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٦٧)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على «المسند» برقم (٥٣٥٣)، وله شواهد من حديث سمرة بن جندب، وأبي أمامة.

وحذرناه، فكان من قوله أن قال: «... **وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه إلا مكة والمدينة، لا يأتيهما من نقب من نقابهما، إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة، حتى ينزل عند الظريب الأحمر، عند منقطع السبخة، فترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك يوم الخلاص**»(١).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**الدجّال لا يُولد له، ولا يدخل المدينة ولا مكة**»(٢).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال، ما حدث به نبي قبلي قومه؟ إنه أعور، يجيء معه تمثال الجنة والنار، فالتي يقولُ إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه**»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه ابن ماجه (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٦) برقم (٤٠٧٧)، وأبو داود (٤٣٢٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» ص(١٢١)، والبيهقي في «البعث» برقم (١٦٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٩٣ ـ ٢٩٤)، والآجري في «الشريعة» ص(٣٧٥)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٧٢) برقم (٧٦٤٤، ٧٦٤٥)، والحاكم (٤/ ٥٣٦)، والسنة لابن أبي عاصم برقم (٣٩١)، (٤٢٩)، والمقدسي في «فضائل بيت المقدس» برقم (٣٧)، والروياني باختصار (١٠/ ١)، وصححه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقرّه الذهبي.

قال الشيخ الألباني: «وهذا من أوهامهما، فإن عمرًا الحضرمي لم يخرّج له مسلم شيئًا، وعطاء، وهو ابن أبي مسلم الخراساني، وإن أخرج له مسلم، فهو يهم كثيرًا، ويدلس، وقد عنعنه، فأنّى لإسناده بالصحة؟!.

لكن الحديث غالبه صحيح قد جاء مفرقًا في أحاديث، إلا قليلاً منه، فلم أجد ما يشهد له أو يُقوّيه».

(٢) صحيح: رواه أحمد عن أبي سعيد، كما في «صحيح الجامع» (١/ ٦٤٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٦٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٣٤٠٠).

(٣) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «إن مع الدجال إذا خرج ماءً ونارًا، فأما الذي يرى الناس أنها النار فماءٌ باردٌ، وأما الذي يرى الناس أنها ماءٌ بارد فنارٌ تُحرِقُ، فمن أدرك منكم فليقع في الذي يُرى أنه نارٌ؛ فإنه عذْب باردٌ»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «إنما يخرج الدجال من غضبة يغضبها[٢] »[٣] .

● وقال ﷺ: «يخرج الدجال، فيتوجه قِبَلَهُ رجلٌ من المؤمنين، فيلقاهُ المسالحُ[٤] ، مسالح الدجال، فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج، فيقولون له: أوما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاءٌ، فيقولون: اقتلوه، فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربُّكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟ فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس! هذا الدجال الذي ذكر رسول اللَّه ﷺ، فيأمر الدجال به فَيُشَبَّحُ[٥] ، فيقول: خذوه وشجُّوه[٦] ، فيوسع بطنه وظهره ضربًا، فيقول: أما تؤمن بي؟ فيقول: أنت المسيح الكذَّاب، فيؤمر به فَيُنْشَرُ بالمنشار، من مفرقه[٧] حتى يُفرق بين رجليه، ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم، فيستوي قائمًا، ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرةً، ثم يقول: يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس، فيأخذه الدجال

---

(١) رواه البخاري عن حذيفة.

(٢) أي: تفك قيوده وسلاسله من أجلها.

(٣) رواه أحمد في «مسنده» ومسلم عن حفصة.

(٤) أي: القوم ذوو السلاح؛ يحمون بها الثغور.

(٥) أي: يُمَدّ على بطنه للضرب.

(٦) أي: شقُّوه، والمراد اضربوه ضربًا موجعًا.

(٧) أعلى الرأس ووسطه، وهو موضع فرق الشعر.

فيذبحه، فيُجعلُ ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً، فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه في النار، وإنما أُلقي في الجنة، هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين»[١] .

● وقال ﷺ : «يأتي الدجال وهو محرَّمٌ عليه أن يدخلَ نقاب المدينة، فينزلُ بعض السباخ[٢] التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول اللَّه ﷺ حديثه: فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته؟ هل تشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله، ثم يحييه، فيقول حين يحييه: واللَّه ما كنتُ قطُّ أشدَّ بصيرةً مني[٣] اليوم، فيريد الدجال أن يقتله، فلا يُسلَّط عليه»[٤] .

● وقال ﷺ : «يخرج الدجال ومعه نهرٌ ونارٌ، فمن دخل نهره وجب وزره[٥] ، ومن دخل ناره وجب أجره، وحُطَّ وزره، ثم إنما هي قيام الساعة»[٦] .

● وقال ﷺ : «يأتي المسيح من قبل المشرق، وهمَّته المدينة، حتى ينزل دُبُر أُحدٍ[٧] ، ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهنالك يَهْلِكُ»[٨، ٩] .

---

(١) رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري.

(٢) مفردها: سبخة.

(٣) أي: بحقيقة أمرك.

(٤) رواه أحمد في «مسنده»، والبخاري ومسلم عن أبي سعيد.

(٥) أي: لزمه الإثم.

(٦) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والحاكم عن حذيفة كما في «الجامع الصغير»، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة (٥٣٩٦)، و«صحيح الجامع» رقم (٨٠٤٩).

(٧) خلف أحد.

(٨) أي: يُقتل.

(٩) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن أبي هريرة.

* ما يعصم الإنسان من فتنة الدجّال:

الأسباب التي تعصم الإنسان من فتنة الدجال، ـ وما أعظمها من فتنة ـ هي:

أولاً: الاستعاذة باللَّه من شر فتنته، والإكثار منها لا سيما في التشهد الأخير في الصلاة:

● فقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر؛ فليستعذ باللَّه من أربع، يقول: اللَّهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»**(١).

وثبت في «الصحيحين» وغيرهما عن جمع من الصحابة ـ منهم عائشة رضي اللَّه عنها ـ أن النبي ﷺ كان يستعيذ من فتنته.

بل إنه أمر بالاستعاذة من فتنته أمرًا عامًّا، كما في حديث زيد بن ثابت قال: «.. **تعوّذوا باللَّه من فتنة الدجال**»، قالوا: «نعوذ باللَّه من فتنة الدجّال».

ثانيًا: أن يحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف:

● فقد قال رسول اللَّه ﷺ: **«من حفظ عشر آيات من أول سورة «الكهف»؛ عُصِم من فتنة الدجّال»**(٢). رواه مسلم وغيره عن أبي الدرداء.

ثالثًا: أن يبتعد عنه ولا يتعرَّض له:

إلا إن كان يعلم من نفسه أنه لن يضرّه؛ لثقته بربه، ومعرفته

---

(١) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجه عن أبي هريرة كما في «الجامع الصغير»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٩٩)، و«صفة الصلاة» (١٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٨/ ١٦١)، وأحمد (٥/ ١٩٠).

بعلاماته التي وصفه النبي ﷺ بها؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من سمع بالدجال، فلينأ عنه، فوالله؛ إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه، مما يبعث به من الشبهات**»[١].

رابعاً: أن يسكن مكة والمدينة فإنهما حرمان آمنان منه، ومثلهما المسجد الأقصى والطور:

عن جنادة بن أبي أمية الأزدي قال: ذهبت أنا ورجل من الأنصار إلى رجل من أصحاب النبي ﷺ، فقلنا: حدّثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ يذكر في الدجّال، ولا تحدثنا عن غيره وإن كان مصدقًا، قال: خطبنا النبي ﷺ فقال: «**أنذرتكم الدجال ـ ثلاثًا ـ فإنه لم يكن نبي قبلي إلا قد أنذره أمته، وإنه فيكم أيتها الأمة، وإنه جعد آدم ممسوح العين اليسرى، معه جنة ونار، فناره جنّة، وجنته نار، ومعه جبل من خبز، ونهر من ماء، وإنه يمطر المطر ولا ينبت الشجر، وإنه يُسلَّط على نفس فيقتلها، ولا يُسلَّط على غيرها، وإنه يمكث في الأرض أربعين صباحًا يبلغ فيها كل منهل، ولا يقرب أربعة مساجد، مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، والمسجد الأقصى، وما يُشَبَّه عليكم فإن ربكم ليس بأعور**»[٢].

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٣١)، وأبو داود (٤٣١٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٣١)، وصححه الحاكم وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٥٤٨٨)، و«صحيح الجامع» (٦٣٠١) عن عمران بن حصين.

(٢) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٦٤، ٤٣٤ ـ ٤٣٥)، وابن أبي شيبة (١٥/ ١٤٧) برقم (١٩٣٥٢)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٥٢، ٤٥٣) برقم (١٠١٦، ١٢٣٢)، والآجري في الشريعة ص(٣٧٥)، والبيهقي في «البعث» رقم (١٤٩)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٤٣): «أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٠٥): «رواه أحمد ورجاله ثقات».

قال الألباني ـ رحمه اللَّه ـ:

«اعلم أن الأرض المقدسة إنما جعلها اللَّه عصمة من الدجال لمن سكنها وهو مؤمن ملتزم بما يجب عليه من الحقوق والواجبات تجاه ربه، وإلا فمجرد استيطانها وهو بعيد في حياته عن التأدب بآداب المؤمن فيها ـ فمِمّا لا يجعله في عصمة منه ـ فسيأتي أن الدجال ـ عليه لعائن اللَّه ـ حين يأتي المدينة النبوية وتمنعه الملائكة من دخولها، ترجف بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى فيها منافق، ولا منافقة إلا خرج إليه»(١) .

فهؤلاء المنافقون والمنافقات ـ وقد يكون نفاقهم عمليًّا ـ لم يعصمهم من الدجال سكنهم في المدينة النبوية، بل خرجوا إليه، وصاروا من أتباعه كاليهود! وعلى العكس من ذلك؛ فمن كان فيها من المؤمنين الصادقين في إيمانهم، فهم مع كونهم في عصمة من فتنته، فقد يخرج إليه بعضهم متحديًا وينادي في وجهه: هذا هو الدجّال الذي كان رسول اللَّه ﷺ يحدثنا حديثه..

فالعبرة إذن بالإيمان والعمل الصالح، فذلك هو السبب الأكبر في النجاة، وأما السكن في دار الهجرة وغيرها؛ فهو سبب ثانوي، فمن لم يأخذ بالسبب الأكبر، لم يفده تمسكه بالسبب الأصغر، وقد أشار إلى هذا النبي ﷺ بقوله للذي سأله عن الهجرة: «**ويحك! إن شأن الهجرة لشديد! فهل لك من إبل؟**» قال: نعم. قال: «**فهل تُؤتي صدقتها؟**». قال: نعم. قال: «**فاعمل من وراء البحار، فإن اللَّه لن يَتِرَك من عملك شيئًا**»(٢) .

---

(١) «قصة المسيح الدجال» ـ للشيخ الألباني ص(٣٢ ـ ٣٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٢٠٧) «الفتح»، ومسلم (٦/ ٢٨)، وأبو داود (١/ ٣٨٨)، والنسائي (٢/ ١٨٢)، وأحمد (٣/ ٦٤).

● وما أحسن ما روى الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٢٣٥) عن يحيى بن سعيد: «أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان الفارسي: أن هلمّ إلى الأرض المقدسة «يعني: الشام» فكتب إليه سلمان: «**إن الأرض لا تقدِّس أحدًا، وإنما يقدّس الإنسانَ عملُه**»[(١)] .

* قتال الطائفة المنصورة له، وحصاره لهم في بيت المقدس:

ستكون الطائفة المنصورة للدجال بالمرصاد، بالرغم من الصعاب التي ستواجهها فتقاتله وتقوم على نصرة الإسلام، وستضطر للتحصن منه في بيت المقدس، حتى يمنّ اللَّه عز وجل عليهم بالفرج بنزول عيسى ابن مريم عليه السلام، وسيحمي اللَّه بيت المقدس من الدجّال وشروره كما حمى المدينة، ومكة المكرمة.

● عن عمران بن حصين ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجّال. وأومأ بيده إلى الشام**»[(٢)] .

● ومن حديث أبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: إن رسول اللَّه ﷺ قال: «... **إذا صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدّون للقتال، يسوّون الصفوف....**»[(٣)] .

---

(١) «قصة المسيح الدجال» ـ للشيخ الألباني ص(٣٤ ـ ٣٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٣٧)، وأبو داود (٢٤٨٤)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١١١، ١١٦، ٢١١، ٢٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٥٠) (٢/ ٧١)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» برقم (٤٦)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٩٧)، وابن حبّان كما في «الإحسان» (٦٨١٣).

● ومن حديث سمرة بن جندب ـ رضي اللَّه عنه ـ في ذكر الدجّال ـ أن رسول اللَّه ﷺ قال: «...**وإنه سيظهر على الأرض كلها غير الحرم، وبيت المقدس، وأنه يسوق المسلمين إلى بيت المقدس فيحصرون حصرًا شديدًا**»[1] .

* هوان الدجّال على اللَّه عز وجل:

ورغم عظم فتنة الدجال، وأنها أكبر فتنة إلى قيام الساعة، إلا أنه هيّن القدر عند اللَّه تعالى، وكذا المتجبرون.

● عن المغيرة بن شعبة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال ما سألته، وإنه قال لي: «**ما يضرّك منه؟**». قلت: لأنهم يقولون إن معه جبل خبز ونهر ماء. قال: «**بل هو أهون على اللَّه من ذلك**»[2] .

* هلاكه على يد عيسى ـ عليه السلام ـ على أرض فلسطين المباركة:

لقد أخبرنا رسول اللَّه ﷺ أن الدجال سيهلك في مدينة اللد على أرض فلسطين، على يد عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ، فيقتله بحربته، ويقتل المسلمون من معه من اليهود والكفار.

فعن مجمع بن جارية ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: سمعت رسول اللَّه

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، وأبو داود (١١٢٧)، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، والبيهقي، والطحاوي، وابن خزيمة، وصححه الحاكم والذهبي، وابن حجر (١٣/ ٨٥) «فتح»، وقد سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢١٥٢، ٢٩٣٩)، وابن ماجه (٤٠٧٣)، وأحمد في «المسند» (٤/ ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٥٢)، وابن حبان (٦٧٨٢)، والطبراني (٢٠) من رقم (٩٥٠ حتى ٩٥٨).

ﷺ يقول: «**يقتل ابن مريم الدجّال بباب لُدّ**»[(١)] .

وعند أحمد: «**ليقتلن ابن مريم الدجال...**» .

● ومن حديث عائشة ـ رضي اللَّه عنه ـ قالت: دخل عليّ رسول اللَّه ﷺ وأنا أبكي، فقال لي: «**ما يُبكيك؟**» قلت: يا رسول اللَّه: ذكرت الدجال فبكيت، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إن يخرج الدجال وأنا حي كفيتكموه، وإن يخرج الدجال بعدي فإن ربكم عز وجل ليس بأعور، إنه يخرج في يهودية أصبهان، حتى يأتي المدينة فينزل ناحيتها، ولها يومئذ سبعة أبواب، على كل نقب منها ملكان، فيخرج إليه شرار أهلها حتى يأتي الشام مدينة بفلسطين بباب لد** ـ وقال أبو داود مرّة: **حتى يأتي فلسطين بباب لد** ـ ، **فينزل عيسى ـ عليه السلام ـ فيقتله، ثم يمكث عيسى عليه السلام في الأرض أربعين سنة، إمامًا عدلاً، وحكمًا مقسطًا**»[(٢)] . اللفظ لأحمد.

● ومن حديث سفينة مولى رسول اللَّه ﷺ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ فقال: «**ألا إنه لم يكن نبي قبلي، إلا قد حذّر الدجّال أمته ... ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذلك الرجل، ثم يسير حتى**

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٢٠)، والترمذي (٢٢٤٤)، والحميدي برقم (٨٢٨)، والطيالسي (١٢٢٧)، وعبد الرزاق (٢٠٨٣٥)، وابن حبان (٦٨١١)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٠٧٥ ـ ١٠٨١)؛ وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٤٥٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٨١٢٦).

(٢) **صحيح الإسناد**: أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٧٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ١٣٤) برقم (١٩٣٢٠)، وابن حبان برقم (٦٧٨٣)، والبيهقي في «البعث» برقم (١٩٨)، وقال الهيثمي: في «المجمع» (٧/ ٣٣٨): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير الحضرمي بن لاحق، وهو ثقة.

يأتي الشام فيهلكه اللَّه عز وجل عند عقبة أفيق»[١، ٢] .

ويُجمع بين حديث سفينة، وحديث عائشة بما قال ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ حيث قال: «**إن عيسى ـ عليه السلام ـ يدركه عند عقبة أفيق، فينهزم منه الدجال، فيلحقه عند باب مدينة اللد فيقتله بحربته وهو داخل إليها**»[٣] .

واللُدّ: مدينة تقع على مسافة ١٦ كيلو متر جنوبي شرق يافا، وحوالي خمسة أكيال شرق الرملة، وعلى مسافة ٢٦ كم شمال غرب القدس.

فهذي أرض فلسطين الطاهرة مقبرة للطواغيت، وكل من يريد بالإسلام والمسلمين شرًّا إلى آخر الزمان . . . درعًا واقيًا، حفظها اللَّه وحماها.

❁ ❁ ❁

---

(١) عقبة أفيق: هي عقبة طويلة نحو ميلين تنزل منها إلى الأردن.
(٢) إسناده لا بأس به: أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٢١ ـ ٢٢٢)، والطيالسي برقم (١١٠٦)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٩٨ ـ ٩٩)، والبيهقي في «البعث» برقم (١٥٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢٩٦)، وقال ابن كثير في «الفتن» ص(٨٦): إسناده لا بأس به، ولكن في متنه غرابة ونكارة . واللَّه أعلم.
وقال الهيثمي: في «المجمع» (٧/ ٣٤٠) بعد عزوه لأحمد والطبراني: ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر.
(٣) «الفتن والملاحم» لابن كثير (١/ ١١١).

قصة المسيح الدجّال ونزول عيسى - عليه الصلاة والسلام - وقتله إياه بفلسطين

على سياق رواية أبي أمامة

مضافًا إليها ما صحّ عن غيره من الصحابة

وهذه من نفائس الشيخ الألباني وسنخرجها بالرمز إلى مخرجيها:

آ: الآجري في «الشريعة».

ت: الترمذي.

حب: ابن حبان في «الصحيح».

حل: أبو نعيم في «الحلية».

حم: أحمد في «المسند».

حن: حنبل بن إسحاق في «الفتن».

خ: البخاري.

خب: أبو نعيم في «أخبار أصبهان».

خز: ابن خزيمة في «التوحيد».

د: أبو داود.

سع: ابن سعد في «الطبقات».

طب: الطبراني في«المعجم الكبير».

طس: الطبراني في «الأوسط».

طص: الطبراني في «الصغير».

طي: الطيالسي في «المسند».

عا: ابن أبي عاصم في «السنة».

عب: عبد الرزاق في «المصنف».

عد: ابن عدي في «الكامل».

عس: ابنهُ عبد اللَّه في «السنة».

عق: العقيلي في «الضعفاء».

ق: لهما.

ك: الحاكم في «المستدرك».

كر: ابن عساكر في «التاريخ».

م: مسلم.

ما: مالك في «الموطأ».

مت: ابن منده في «التوحيد».

مج: ابن ماجه.

من: ابن منده في «الإيمان».

مي: الدارمي.

ن: النسائي.

ني: أبو عمرو الداني في «الفتن».

ها: البيهقي في «الأسماء».

١ ـ «يا أيها الناس! إنها لم تكن فتنة على وجه الأرض منذ ذرأ اللَّه ذريَّة آدم ـ [ولا تكون حتى تقوم الساعة][1] ـ أعظم من فتنة الدجال، [ولن ينجو أحدٌ مما قبلها إلا نجا منها][2]، [وإنه لا يضر مسلمًا][3]».

---

(١) م، ك، حم، ني ـ هشام بن عامر. حم، عس ـ جابر. طب، طس ـ عبد اللَّه بن مغفل.

(٢) حم، حب ـ حذيفة.

(٣) حب ـ حذيفة.

٢ـ «وإن اللَّه لم يبعث نبيًّا إلا حذر أمته {الأعور}(١) الدجال، {إني لأنذركموه}»(٢) .

٣ ـ «وأنا آخر الأنبياء(٣) ، وأنتم آخر الأمم»(٤) .

٤ ـ «وهو خارج فيكم لا محالة، {إنه لحق، وأما إنه قريب، فكل ما هو آت قريب}(٥) . {إنما يخرج لغضبة يغضبها}(٦) ، {ولا يخرج حتى لا يقسم ميراث، ولا يفرح بغنيمة}(٧) .

٥ ـ «فإن يخرج وأنا بين ظهرانيكم؛ فأنا حجيج لكل مسلم، وإن يخرج من بعدي؛ فكل امرئٍ حجيج نفسه، واللَّه خليفتي على كل مسلم». وفي حديث أم سلمة: «وإن يخرج بعد أن أموت يكفيكموه اللَّه بالصالحين»(٨) .

٦ـ «وإنه يخرج {من {أرض} قبل المشرق}(٩) (*) {يقال لها:

---

(١) خ ـ أنس.

(٢) ق ـ أنس.

(٣) م ـ أبو هريرة.

(٤) مج ـ ابن عباس.

(٥) البزار ـ أبو هريرة.

(٦) م (٨/ ١٩٤)، حب (٦٧٥٥)، حم (٦/ ٢٨٤)، ني (١٢١/ ٢).

(٧) طب (٢٠/ ٤٠١/ ٩٥٣) ـ المغيرة . م ـ ابن مسعود.

(٨) خز، طب.

(٩) م، ع(١) ـ أبو هريرة.

(*) قلت: هذا هو الثابت في «مسلم»، وأما قول الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٧٧): «وفي رواية: أنّه يخرج من أصبهان. أخرجها مسلم». ففيه نظر؛ لأنه ليس في «مسلم» أنه يخرج منها، وإنما فيه من حديث أنس: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا**».

قلت: فهذا ليس نَصًّا بأنه يخرج منها؛ بل هو يحتمل ذلك؛ لأنه يتحدث عن أتباعه من اليهود، ولا يتحدث عنه نفسه.

---

(١) لا يوجد رمز (ع) في قائمة رموز الكتب، ولم نَدْرِ ما مقصود الشيخ به.

«خراسان»}[١] (*) في يهودية أصبهان}[٢]، {كأن وجوههم المجان المطرقة}[٣]، من خَلَّة بين الشام والعراق، فعاث يمينًا {وعاث}[٤] شمالاً، يا عباد الله! فاثبتوا. {ثلاثًا}[٥].

٧ ـ «فإني سأصفه لكم صفة لم يصفها إياه نبي قبلي». وفي حديث عبادة: «إني قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت ألا تعقلوا»[٦].

٨ ـ «إنه يبدأ فيقول: أنا نبي. ولا نبي بعدي».

٩ ـ «ثم يثني فيقول: أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا».

١٠ ـ «وإنه أعور، {ممسوح}[٧] (* *) العين اليسرى}[٨]، {عليها ظفرة (* * *) غليظة}[٩]، {خضراء كأنها كوكب دري}[١٠] (* * * *)، {عينه اليمنى كأنها عنبةٌ

---

(١) حم، ت، مج، ك ـ أبو بكر.

(*) «الأحاديث الصحيحة» (١٥٩١).

(٢) حم، عس، حب، من، ني ـ عائشة. حم، م ـ أنس.

(٣) حم، ت، مج، ك ـ أبو بكر.

(٤) م ـ النواس بن سمعان. ك ـ نفير.

(٥) ك ـ نفير.

(٦) د، آ، حل، مت.

(٧) طب، طس ـ ابن مغفل.

(* *) أي: غير بارزة.

(٨) حم، م، مج ـ حذيفة. حم، حن ـ رجل من أصحاب النبي ﷺ. حم ـ أبو بكرة.

(* * *) هي بفتح الظاء والفاء: لحمةٌ تنبت عند المآقي، وقد تمتد إلى السواد فتغشيه. «نهاية».

(٩) حم ـ الحسن البصري. طب، طس ـ عبد الله بن مغفل.

(١٠) حم، خب ـ أُبَيّ.

(* * * *) يعني: أنها شديدة الاتقاد.

طافـية}(١) (*) ليست بناتئة، ولا حـجراء}(٢) ، {جفال الشعر}(٣) ، {ألا ما خفي عليكم من شأنه؛ فلا يخفين عليكم}(٤) ، إن ربكم ليس بأعور، {ألا ما يخفى عليكم من شأنه؛ فلا يخفين عليكم أن ربكم ليس بأعور}(٥) ، {ثلاثًا}(٦) ، {وأشار بيده إلى عينيه}(٧) ، {وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا}(٨) .

١١ ـ «إنه يمشي في الأرض، وإن الأرض والسماء للَّه}(٩) .

١٢ ـ «إنه شاب قطط؛ كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن}(١٠) ، {قصير، أفحج، دعج}(١١) ، {هجان}(١٢) .

١٣ ـ «وإنه آدم، جعد(**) }(١٣) ، {جفال الشعر(***) }(١٤) .

١٤ ـ «وإنه مكتوب بين عينيه: كافر؛ يقرؤه {من كره عـمله، أو

(١) خز، طب ـ أم سلمة. خ، م، حم، عس ـ ابن عمر.
(*) أي: بارزة، وهي غير الممسوحة؛ كما قال الحافظ.
(٢) آ، حل، حن ـ عبادة.
(٣) م، حم.
(٤) حم، حب، من، مت ـ عبد اللَّه بن عمر. مت ـ رجل من الصحابة.
(٥) حم، حب، من، مت ـ عبد اللَّه بن عمر.
(٦) مت ـ رجل من أصحابه ﷺ.
(٧) خ، مت ـ ابن عمر. حم، عس، مت، ك ـ جابر.
(٨) د ـ عبادة. م ـ عمر بن ثابت.
(٩) خز، طب ـ أم سلمة.
(١٠) حم، م، د، ت، مج، آ، حن، كر ـ النواس.
(١١) د، آ، حل، مت ـ عبادة.
(١٢) حم، خز، حب، مت ـ ابن عباس.
(**) الجعد: خلاف السبط.
(١٣) حم، حن ـ رجل صحابي.
(***) أي: شعث الشعر.
(١٤) حم، م، مج ـ حذيفة.

يقـرؤه﴾[١]كل مؤمن كاتب أو غير كاتب.

١٥ ـ «وإن من فتنته أنّ معه جنةً ونارًا، ﴿ونهرًا وماء﴾[٢]، ﴿وجبل خبز﴾[٣].

﴿وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار﴾[٤]، فناره جنة، وجنته نار.

﴿وسأله المغيرة بن شعبة عنه؟ فقال: قلت: إنهم يقولون: معه جبال من خبز، ولحم ونهر من ماء؟ قال: «هو أهون على اللّه من ذلك»[٥].

● وفي حديث آخر[٦]: ﴿معه نهران يجريان، أحدهما ـ رأيَ العين ـ ماء أبيض، والآخر ـ رأي العين ـ نارٌ تأجَّجُ﴾[٧]، ﴿فمن أدرك ذلك منكم، فأراد الماء؛ فليشرب من الذي يراه أنه نار﴾[٨]، ﴿وليغمض[٩] ﴿عينيه﴾[١٠]، ثم ليطأطئ ﴿رأسه﴾[١١]؛ فإنه يجده ماءً ﴿باردًا عذبًا﴾[١٢] ﴿طيبًا﴾[١٣]، ﴿فلا تهللوا﴾[١٤]. وفي أخرى[١٥] فمن دخل نهره حُطَّ أجره، ووجب وزره، ومن دخل ناره وجب أجره

---

(١) عب، حم، م، ت، ني ـ بعض أصحابه ﷺ.
(٢) حم، حن ـ رجل. طب ـ ابن عمرو.
(٣) حم، حن ـ رجل. حم ـ جابر. طب ـ ابن عمرو.
(٤) ق ـ أبو هريرة. ني (١/١٢٧).
(٥) خ (٧١٢٢)، م(٨/ ٢٠٠)، واللفظ له، حب (٦٧٤٤ و ٦٧٦٢)، حم (٤/٢٤٦ و ٢٤٨ و ٢٥٢).
(٦) ق، حب، حم ـ حذيفة وأبو مسعود.
(٧) م.
(٨) م، حب.
(٩) م، حم.
(١٠) حم.
(١١) حم.
(١٢) م، حم.
(١٣) م، حم.
(١٤) م، حم.
(١٥) حم.

وحطّ وزره».

١٦ ـ «فمن ابتلي بناره، فليستغث بالله، وليقرأ {عليه}[(١)] فواتح سورة الكهف، {فإنها جواركم من فتنته}[(٢)] .

١٧ ـ وإن من فتنته أن يقول للأعرابي: أرأيت إن بعثتُ لك أباك وأمك؛ أتشهد أني ربك؟ فيقول: نعم. فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان: يا بني! اتبعه؛ فإنه ربك!

١٨ ـ وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها، وينشرها بالمنشار حتى تلقى شقين.

١٩ ـ وإن من فتنته أن يمر بالحي {فيدعوهم}[(٣)] ، فيكذبونه، {فينصرف عنهم}[(٤)] ، فلا تبقى لهم سائمة إلا هلكت.

٢٠ ـ {وإن من فتنته أن يمر بالحي {فيدعوهم}[(٥)] ، فيصدقونه، {ويستجيبون له}[(٦)] ، فيأمر السماء أن تمطر، فتمطر، والأرض أن تنبت، فتنبت، حتى تروح مواشيهم من يومهم ذلك أسمن ما كانت وأعظمه، وأمده خواصر، وأدَرَّه ضروعًا.

٢١ ـ {ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل}[(٧)] .

---

(١) م ـ النواس.
(٢) د ـ النواس.
(٣) م ـ النواس.
(٤) م ـ النواس.
(٥) م ـ النواس.
(٦) م ـ النواس.
(٧) حم، م، د، ت، مج، آ، حن، كر ـ النواس.

٢٢ ـ [يخرج في [زمان اختلاف من الناس، وفرقة][(١)] ،«و» بغض من الناس، وخفة من الدِّين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل، فتطوى له الأرض طيّ فروة الكبش][(٢)] .

٢٣ ـ [«ولا يخرج حتى تنزل الروم بالأعماق، أو بدابق، [يجمعون لأهل الإسلام، ويجمع لهم أهل الإسلام»][(٣)] ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلّوا بيننا وبين اللذين سبَوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا واللَّه؛ لا نخلي بينكم وبين إخواننا. فيقاتلونهم. [وتكون عند ذاكم القتال ردَّة شديدة، فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان اليوم الرابع نَهَد إليهم بقية أهل الإسلام]، فينهزم ثلث لا يتوب اللَّه عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم ـ [هم] أفضل الشهداء عند اللَّه ـ ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا، [فيجعل اللَّه الدبَّرة عليهم «أي: الروم»، فيقتتلون مقتلة؛ إما قال: لا يُرى مثلها؛ وإما قال: لم يُرَ مثلها، حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتًا، فيتعادّ بنو الأب؛ كانوا مائة؛ فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح أو أي ميراث يقاسم؟]،

(١) حب، البزار ـ أبو هريرة.
(٢) عب، ك ـ حذيفة بن أسيد.
(٣) حم، م ـ ابن مسعود.

فيبلغون قسطنطينية، فيفتحونها».

وفي رواية: «سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟ قالوا: نعم يا رسول اللَّه! قال: «لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق، فإذا جاءوها نزلوا، فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا: لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر. فيسقط أحد جوانبها الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر. فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا اللَّه، واللَّه أكبر، فيفرج لهم فيدخلوها، فيغنموا»[(١)].

فبينما هم يقتسمون الغنائم - قد علقوا سيوفهم بالزيتون - إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح [الدجال] قد خلفكم في أهليكم. [فيرفضون ما بأيديهم] فيخرجون، وذلك باطل، [فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول اللَّه ﷺ: «إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم، وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ]، فإذا جاؤوا الشام، خرج][(٢)].

٢٤ - «وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطئه وظهر عليه؛ إلا [أربع مساجد: مسجد][(٣)] مكة، و[مسجد][(٤)] المدينة، [والطور، ومسجد الأقصى][(٥)].

٢٥ - [وإن أيامه أربعون يومًا؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم].

قالوا: فذلك اليوم الذي كسنة؛ أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا؛

---

(١) م، ني - أبو هريرة.

(٢) م، ني، ك - أبو هريرة.

(٣) حم، حن - رجل من أصحابه ﷺ.

(٤) حم، حن.

(٥) حم، حن.

اقدروا له قدره». قالوا: وما إسراعه في الأرض؟ قال: [كالغيث استدبرته الريح][(١)] .

٢٦ ـ «وإن قبل خروج الدجال ثلاث سنوات شداد، يصيب الناس فيها جوع شديد، يأمر اللّٰه السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلث نباتها، ثم يأمر السماء في السنة الثانية فتحبس ثلثي مطرها، ويأمر الأرض فتحبس ثلثي نباتها، ثم يأمر اللّٰه السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله، فلا تنبت خضراء فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت؛ إلا ما شاء اللّٰه».

قيل: فما يُعِيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: «التهليل، والتكبير، والتسبيح، والتحميد، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام».

٢٧ ـ «لا يأتي مكة والمدينة من نقب من نقابها إلا لقيته الملائكة بالسيوف صلتة».

٢٨ ـ «وإنه ليس من بلدة إلا يبلغها رعب المسيح [الدجال]؛ إلا المدينة؛ [لها يومئذ سبعة أبواب][(٢)] ، على كل نقب من نقابها ملكان يذبان عنها رعب المسيح][(٣)] .

٢٩ ـ «حتى ينزل عند السبخة [سبخة الجرف][(٤)] ، [دبر أحد][(٥)] ، [فيضرب رواقه][(٦)] .

---

(١) م ـ النواس.
(٢) حم، خ، ك ـ أبو بكرة . ني (١٢٨/ ٢).
(٣) عب، حم ـ أبو بكرة.
(٤) حم، ق، حن، ني ـ أنس.
(٥) م، ع ـ أبو هريرة.
(٦) حم، ق، حن، ني ـ أنس. حم، ك ـ محجن بن الأدرع.

٣٠ ـ فترجف المدينة[١] بأهلها ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه، فتنفي الخبث منها كما ينفي الكير خبث الحديد، ويدعى ذلك اليوم يوم الخلاص، [وأكثر من يخرج إليه النساء][٢] .

٣١ ـ [فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، [ممتلئ شبابًا][٣] ، [هو يومئذ خير الناس، أو من خيرهم][٤] ، فتلقاه المسالح ـ مسالح الدجال ـ فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء! فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه؟

فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس! [أشهد أن][٥] هذا الدجال الذي ذكر «وفي طريق: الذي حدثنا»[٦] رسول الله ﷺ [حديثه][٧] قال: «فيأمر الدجال به فَيُشبح[*] ، فيقول: خذوه وشبحوه. فيوسع ظهره وبطنه ضربًا، قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟! قال: أنت المسيح الكذاب! [فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته؛ أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا][٨] . قال: فيؤمر به، فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، [فيقتله][٩] .

---

(١) ني (١٢٨/١).
(٢) حم، حن ـ ابن عمر. حم، عس ـ جابر. حم، ك ـ عثمان بن أبي العاص.
(٣) م ـ النواس.
(٤) عب، حم، ق ـ أبو سعيد.
(٥) عب، حم، ق ـ أبو سعيد.
(٦) عب، حم، ق.
(٧) عب، حم، ق.
(*) أي: يمد للضرب.
(٨) عب، حم، ق.
(٩) عب، حم، ق.

« وفي حديث النواس: فيضربه بالسيف، فيقطعه جزلتين رمية الغرض»[(١)] .
قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم. فيستوي قائمًا، قال: [ثم يدعوه، فيقبل ويتهلل وجهه يضحك][(٢)] ، ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: [واللَّه][(٣)] ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس! إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيُجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال: فيأخذ بيديه ورجليه، فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة، فقال رسول اللَّه ﷺ : «هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين»[(٤)] .

٣٢ ـ [ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام][(٥)] ، [ثم يأتي جبل إيليا، فيحاصر عصابة من المسلمين][(٦)] ، [فيلقى المؤمنون شدة شديدة][(٧)]، [ويفر الناس من الدجال في الجبال][(٨)] ، فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول اللَّه! فأين العرب يومئذ؟ قال: «هم يومئذ قليل» .

٣٣ ـ وإمامهم رجل صالح. [وقال ﷺ : «المهدي منا أهل البيت»، [من

---

(١) م.
(٢) م ـ النواس.
(٣) عب، حم، ق.
(٤) م، من، ك ـ أبو سعيد.
(٥) م، ع ـ أبو هريرة.
(٦) ك ـ حذيفة بن أسيد. حم، حن، كر ـ سفينة. عب ـ بعض أصحابه ﷺ .
(٧) البزار ـ أبو هريرة. حم ـ جابر. حم، حن، ع ـ عائشة. حم، ك ـ عثمان بن أبي العاص.
(٨) حم، م، ت ـ أم شريك.

أولاد فاطمة}[١]، يصلحه اللَّه في ليلة}[٢] [*] ، {يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي}[٣] ، {أجلى الجبهة، أقنى الأنف}[٤] ، {يملأ الأرض قسطًا وعدلاً؛ كما ملئت جورًا وظلمًا}[٥] ، {يملك سبع سنين}[٦] .

●وقال ﷺ : «عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه من النار: عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم عليه السلام»[٧] .

●وقال ﷺ : «من أدركه منكم، فليقرئه مني السلام»[٨] .

٣٤ ـ {فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح؛ إذ نزل عليهم {من السماء}[٩]عيسى ابن مريم الصبح}، {عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين

---

(١) د ـ أم سلمة[١] .

(٢) حم، مج، عق، عد، حل.

(*) أي: يتوب عليه ويوفّقه ويفهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك. قاله الحافظ ابن كثير في «النهاية» (١/ ٤٣)، ولعلَّ المقصود بذلك أنه يصلحه؛ أي: يعده لتولي قيادة المسلمين؛ لا أنه كان فاسقًا فأصلحه اللَّه وتاب عليه.

(٣) د، ت ـ ابن مسعود[٢] .

(٤) د ـ أبو سعيد[٣] .

(٥) د، ت ـ ابن مسعود. د ـ أبو سعيد.

(٦) د ـ أبو سعيد. د ـ أبو سلمة[٤] .

(٧) حم، ن، عد، عس ـ ثوبان. «الصحيحة» (١٩٣٤).

(٨) ك ـ أنس. «الصحيحة» (٢٣٠٨).

(٩) البزار، ها.

---

(١) «تخريج المشكاة» (٥٤٥٣).

(٢) «تخريج المشكاة» (٥٤٥٢).

(٣) «تخريج المشكاة» (٥٤٥٤).

(٤) «تخريج المشكاة» (٥٤٥٦).

مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نَفَسِهِ إلا مات، ونَفَسُهُ ينتهي، حيث ينتهي طرفه}.

٣٥ ـ {وقال ﷺ : «ليس بيني وبينه نبي «يعني: عيسى»، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك اللَّه في زمانه الملل كلها إلا الإسلام» .

❑ وقال : {كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم}.

وفي رواية : «وأمّكم»[١] منكم[٢] ؟ .

« قال ابن أبي ذئب: تدري ما «أمكم منكم؟» قلت: تخبرني. قال: «فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى، وسنة نبيكم ﷺ »}.

٣٦ ـ فرجع ذلك الإمام ينكص ـ يمشي القهقرى ـ ليتقدم عيسى، {فيقول: تعال صلِّ لنا}[٣] . فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: {لا؛ إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة اللَّه هذه الأمة}(٤) ، تقدم فصلِّ. فيصلي بهم إمامهم.

٣٧ ـ {ثم يأتي الدجال جبل «إيلياء»، فيحاصر عصابة من المسلمين}[٥] ، {فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذا الطاغية [إلا][*] أن تقاتلوه حتى تلحقوا

(١) م.
(٢) خ، م، حب.
(٣) م ـ جابر.
(٤) م ـ جابر.
(٥) ك ـ حذيفة بن أسيد. حم، حن، كر ـ سفينة. عب ـ بعض أصحاب النبي ﷺ
(*) زيادة يقتضيها السياق سقطت من الأصل.

باللَّه، أو يُفتح لكم. فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا}[١] .

٣٨ ـ {فبينما هم يعدون للقتال، ويسوون الصفوف؛ إذ أقيمت الصلاة}[٢]، {صلاة الصبح}[٣]، {فيصبحون ومعهم عيسى ابن مريم}[٤] ، {فيؤم الناس، فإذا رفع رأسه من ركعته قال: سمع اللَّه لمن حمده، قتل اللَّه المسيح الدجال، وظهر المسلمون}، فإذا انصرف قال: افتحوا الباب. فيفتح، ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، {فيطلبه عيسى عليه الصلاة والسلام}[٥] .

٣٩ ـ {فيذهب عيسى بحربته نحو الدجال}[٦] ، فإذا نظر إليه الدجال؛ ذاب كما يذوب الملح في الماء، {فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللَّه بيده، فيريهم دمه في حربته}[٧] ، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، {فيهلكه اللَّه عز وجل عند عقبة أفيق}[٨] [*] .

٤٠ ـ فيهزم اللَّه اليهود، {ويسلط عليهم المسلمون}[٩] ، {ويقتلونهم}[١٠] ،

---

(١) ك ـ حذيفة بن أسيد.
(٢) م، ني، ك ـ أبو هريرة.
(٣) ك ـ النواس.
(٤) ك ـ حذيفة بن أسيد.
(٥) م ـ النواس.
(٦) حم، ك ـ عثمان بن أبي العاص.
(٧) م، ني، ك ـ أبو هريرة.
(٨) حم، حن، كر ـ سفينة.
(*) قرية من حوران في طريق الغور في أول العقبة المعروفة بعقبة أفيق، والعامة تقول: «فيق»، تنزل من هذه العقبة إلى الغور وهو الأردن، وهي عقبة طويلة نحو ميلين. «معجم البلدان».
(٩) عب، حم. ق، ت أبو هريرة.
(١٠) حم، ق، ني، خط ـ أبو هريرة.

فلا يبقى شيء مما خلق اللّه يتوارى به يهودي إلا أنطق اللّه ذلك الشيء؛ لا حجر، ولا شجر، ولا حائط، ولا دابة ـ إلا الغرقدة؛ فإنها من شجرهم لا تنطق ـ إلا قال: يا عبد اللّه المسلم! هذا يهودي [ورائي] فتعال فاقتله.

٤١ ـ [ثم يلبث الناس بعده (*) سنين سبعًا ليس بين اثنين عداوة](١) .

٤٢ ـ فيكون عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ في أمتي [مصدقًا بمحمد ﷺ، على ملته](٢) حكمًا عدلاً، وإمامًا [مهديًّا](٣) مقسطًا، [فيقاتل الناس على الإسلام، فـ](٤) يدق الصليب، ويذبح الخنزير، [وتجمع له الصلاة](٥) ، ويضع الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض [والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد](٦) ، [حتى تكون السجدة

(*) أي: بعد هلاك الدجال، فلا ينافيه أن عيسى ـ عليه السلام ـ يمكث في الأرض أربعين سنة (فقرة: ٤٥)؛ كما هو ظاهر. وأمّا قول الحافظ ابن كثير (١/ ١٧٧) بعد أن ذكر الفقرة المشار إليها: وثبت في «صحيح مسلم» عن عبد اللّه بن عمر(!) أنّه يمكث في الأرض سبع سنين، فهذا مع هذا مشكل. . . ».
ونحوه قول الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٨٤): وروى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض ـ بعد نزوله ـ أنها سبع سنين.
أقول: فكل هذا لا أصل له في مسلم، وإنما فيه من حديث «ابن عمرو وليس «ابن عمر» ما ذكرناه في الأعلى: «ثم يلبث الناس بعده سنين سبعًا». فالذي يلبث هم الناس؛ وليس عيسى ـ عليه السلام ـ ؛ فلا إشكال. والحمد للّه.

(١) حم، م، ك ـ ابن عمرو.
(٢) حم ـ سمرة. طب، طس ـ عبد اللّه بن مغفل.
(٣) حم ـ أبو هريرة.
(٤) عب، حم، د، حب، آ ـ أبو هريرة.
(٥) حم ـ أبو هريرة.
(٦) حم، م، آ، من ـ أبو هريرة.

الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها}، {وتكون الدعوة واحدة لرب العالمين}[١] .

● {والذي نفسي بيده؛ ليُهِلَّنَّ ابن مريم بفج «الروحاء» حاجًّا أو معتمرًا، أو ليثنينهما}[٢] .

٤٣ ـ {ثم يأتي عيسى ابن مريم قومٌ قد عصمهم اللَّه منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة[٣] .

فبينما هو كذلك إذ أوحى اللَّه إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي لا يَدانِ لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور.

ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبريا، فيشربون ما فيها! ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء. {ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر ـ وهو جبل بيت المقدس ـ فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء. فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد اللَّه عليهم نشابهم مخضوبة دمًا}[٤] .

● «ويحصر نبي اللَّه عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه، فيرسل اللَّه عليهم النّغف في رقابهم، فيصبحون فَرْسى، كموت نفس واحدة» .

● «ثم يهبط نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم» .

---

(١) عب، حم ـ أبو هريرة.

(٢) م (٤/ ٦٠)، حب (٦٧٨١)، حم (٢/ ٢٤٠ و٢٧٢ و٢٩٠ و٥١٣ و٥٤٠).

(٣) حم، م ـ النواس.

(٤) م.

● «فيرغب نبي اللَّه وأصحابه إلى اللَّه، فيرسل اللَّه طيرًا كأعناق البخت فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء اللَّه».

● «ثم يرسل اللَّه مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة».

● «ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرك، وردِّي بَرَكَتَك».

● «فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسل، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس}[1] ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال، وتكون الفرس بالدريهمات».

●{وقال ﷺ : «طوبى لعيش بعد المسيح، طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، فلو بذرت حَبَّكَ على الصفا لنبت، ولا تشاح، ولا تحاسد، ولا تباغض»}[2] .

٤٤ ـ وتنزع حُمَةُ كل ذات حمة، {وتقع الأمنة على الأرض؛ حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم}[3] ، حتى يدخل الوليد يده في الحية فلا تضره، وتُفِرُّ الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتملأ الأرض من السِّلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يعبد إلا اللَّه، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها، {ثم يقال: تكون الأرض كفاثور الفضة تنبت نباتها بعهد آدم}.

---

(١) حم، م ـ النواس.

(٢) أبو بكر الأنباري، الديلمي ـ أبو هريرة. «الصحيحة» (١٩٢٦).

(٣) حم ـ أبو هريرة.

٤٥ ـ {فيمكث عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه المسلمون}[١] .

٤٦ ـ {فبينما هم كذلك؛ إذ بعث اللَّه ريحًا {باردة من قبل الشام}[٢] ، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم} .

● وفي حديث ابن عمرو: «فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدهم كان في كبد جبل لدخلت عليه»[٣] ، ويبقى شرار الناس {في خفة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، قال: فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيأمرهم بالأوثان فيعبدونها، وهم في ذلك دارّة أرزاقهم حسن عيشهم}[٤] ، يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة}[٥] .

٤٧ ـ {يُنفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا، ورفع ليتًا وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، فيصعق، ويصعق الناس} .

«ثم يرسل اللَّه ـ أو قال: ينزل اللَّه ـ مطرًا كأنه الطَّل أو الظِّل ـ شك من الراوي ـ فتنبت منه أجساد الناس، ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ {الزمر: ٦٨}، ثم يقال: يا أيها الناس! هلمّ إلى ربكم، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ {الصافات: ٢٤}. ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: من كم؟،

---

(١) عب، حم، د، حب، آ ـ أبو هريرة.
(٢) حم، م ـ ابن عمرو.
(٣) حم، م.
(٤) حم، م ـ ابن عمرو.
(٥) حم، م ـ النواس.

فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعةً وتسعين. فذاك يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ [المزمل: ١٧]، ذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢](١، ٢).

* سابعًا: نزول عيسى ـ عليه السلام ـ وإقامته في الأرض المقدسة، وقتله للدجال ولمن بقي من اليهود وإبادتهم إبادة تامة:

وقد مرّت الأحاديث من قبل:

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«ينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»**(٣).

● وقال ﷺ: **«كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟»**(٤).

● وقال ﷺ: **«ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجلٌ مربوعٌ(٥) إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصَّرتين(٦)، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق(٧) الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويهلك اللَّه في زمانه المِلَلَ كلها إلا الإسلام، ويُهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، فيصلي عليه**

(١) حم، م ـ ابن عمرو.
(٢) «قصة المسيح الدجال» ـ للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ص(١٢٥ ـ ١٤٩) ـ المكتبة الإسلامية ـ عمان.
(٣) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أوس بن أوس، وصححه الألباني في «تخريج فضائل الشام» (٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦)، و«صحيح الجامع» (٨١٦٩).
(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة.
(٥) أي: متوسط القامة.
(٦) الثوب الممصر: الملون بصفرة ليست مشبعة.
(٧) يدق: يكسر.

المسلمون»[١] .

● وقال ﷺ : «ليقتلن ابن مريم الدجال بباب لُدٍّ»[٢] .

● قال ﷺ : «من أدرك منكم عيسى ابن مريم، فليُقرئه منِّي السَّلام»[٣] .

● وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، وإمامًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض[٤] المالُ حتى لا يقبله أحدٌ، وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»[٥] .

● وقال ﷺ : «واللَّه، لينزلن ابن مريم حكمًا عادلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزيـــة، ولتُتركن القِـلاصُ[٦] ، فلا يُســعى عليها، ولتذهبن الشـحناءُ والتباغض والتحاســد، وليدعـون إلى المال، فلا يقبله أحدٌ»[٧] .

● وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده، ليُهِلَّنَّ[٨] ابن مريم بفجِّ الرَّوحاء[٩]

---

(١) صحيح: رواه أبو داود عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٣٨٩)، و«السلسلة الصحيحة» رقم (٢١٨٢).

(٢) صحيح: رواه أحمد في «مسنده عن مجمع بن جارية، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٤٦٢).

(٣) حسن: رواه الحاكم في «المستدرك» عن أنس، وحسنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٣٠٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٠٠١).

(٤) يكثر ويزيد.

(٥) رواه أحمد، والبخاري ومسلم والترمذي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٦) نوع من أجود أنواع الإبل.

(٧) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٨) كأن يقول: لبيك بحجة وعمرة.

(٩) يقع بين مكة والمدينة.

حاجًّا، أو معتمرًا، أو ليثنينهما»[١، ٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «**يقتل ابن مريم الدجال بباب لُدًّ**»[٣] .

فحياة عيسى ـ عليه السلام ـ ورفع اللَّه له حيًّا في السماء، ونزوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ آخر الزمان من عقيدة السلف الصالح:

◻ قال الإمام الطحاوي: «ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ من السماء»[٤] .

◻ وقال الإمام المفسر ابن عطية الأندلسي ـ رحمه اللَّه:

«وأجمعت الأمة على ما تضمنه الحديث المتواتر من أن عيسى ـ عليه السلام ـ في السماء حي، وأنه ينزل في آخر الزمان يقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويقتل الدجال، ويفيض العدل وتظهر به ملة محمد ﷺ ، ويحج البيت ويعتمر»[٥] .

◻ قال الإمام السفاريني ـ رحمه اللَّه ـ:

«أجمعت الأمة على نزول عيسى ـ عليه السلام ـ ولم يخالف فيه أحد من أهل الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة ممن لا يعتد بخلافه، وقد انعقد الإجماع أنه ينزل ويحكم بهذه الشريعة المحمدية، وليس ينزل بشريعة مستقلة عند نزوله من السماء»[٦] .

---

(١) أي: يقرن بينهما.

(٢) رواه أحمد في «مسنده»، ومسلم عن أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) «شرح الطحاوية» ص(٥١٤).

(٥) «البحر المحيط» نقلاً عن ابن عطية (٢/ ٤٧٣).

(٦) «لوامع الأنوار» للسفاريني (٢/ ٩٤ ـ ٩٥).

◻ قال الإمام ابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ في تفسير سورة الزخرف عند قوله تعالى: ﴿وإنه لعلم للساعة﴾: «وقد تواترت الأحاديث عن رسول اللَّه ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى ـ عليه السلام ـ قبل يوم القيامة إمامًا عدلاً، وحكمًا مقسطًا»(١) .

وقد أطال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية القول في أن «ابن مريم ـ عليه السلام ـ حي في السماء، وسينزل قبل قيام الساعة»(٢) .

◻ وقال العلامة الشيخ محمد بن جعفر الكتاني ـ رحمه اللَّه ـ :

«وقد ذكروا أن نزول سيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ ثابت بالكتاب والسنة والإجماع». ثم قال: «والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجال، وفي نزول عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ»(٣) .

وغير هؤلاء العلماء كثير منهم: ابن جرير الطبري، وابن حجر العسقلاني، ومحمود الآلوسي، والشوكاني، وأحمد شاكر، والألباني، والغماري، وعشرات غيرهم.

◻ وهذي خلاصة أعمال المسيح عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ حين ينزل في آخر الزمان، ويا لها من أعمال عظيمة، ولقد ذكرها الرسول ﷺ في أحاديثه الصحيحة.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٣٢).

(٢) «الفتاوى الكبرى» (٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣).

(٣) «نظم المتناثر من الحديث المتواتر» ص(١٤٧). يراجع كتاب «التصريح بما تواتر في نزول المسيح» للكشميري، و«رفع عيسى حيًّا» للهراس.

وسأورد فيما يلي خلاصة لأعمال المسيح عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - حين ينزل في آخر الزمان، وهي أعمال جليلة وخطيرة، ذكرها الرسول ﷺ في أحاديثه الصحيحة:

١ - كسر الصليب واستئصال عبادة النصرانية.

٢ - قتل الخنزير.

٣ - مقاتلة الدجال وأعوانه من اليهود.

٤ - قتله من بقي من اليهود حتى لا يجد أحد منهم ملاذًا يلجأ إليه.

٥ - عدم قبوله إلا دين الإسلام وانتهاء الملل كلها.

٦ - مقاتلة يأجوج ومأجوج.

٧ - انتهاء الجهاد في عصره لزوال راية الكفر والكفار.

٨ - انتهاء حكم الجزية.

٩ - يؤم المسلمين بعد أن يصلي وراء إمام المسلمين.

١٠ - الحج من فج الروحاء.

١١ - السفر للسلام على رسول اللَّه وصلاته في روضته الشريفة.

١٢ - الدعوة إلى القرآن والسنة والحكم بهما[١].

* قتله الدجّال في منطقة اللد بفلسطين:

● ومن حديث النواس بن سمعان - رضي اللَّه عنه - في حديثه الطويل عن الدجال قال رسول اللَّه ﷺ: «... **فبينما هو كذلك، إذ بعث اللَّه المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين،**

---

(١) «الأرض المقدسة» ص(٢٤٣ - ٢٤٤).

واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله...»[١] .

* قتله لمن بقي من اليهود من أتباع الدجال :

● فمن حديث ابن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «.... ثم يسلط اللَّه المسلمين عليه، فيقتلونه، ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر، فيقول الحجر أو الشجر للمسلم: هذا يهودي تحتي، فاقتله»[٢] .

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: خطبنا رسول اللَّه ﷺ فكان أكثر خطبته ما يحدثنا عن الدجال... إلى أن قال: «..... فيقول عيسى ﷺ : إن لي فيك ضربة لن تفوتني بها، فيدركه عند باب لُد الشرقي فيقتله، فلا يبقى شيء مما خلق اللَّه عز وجل شيئًا يتوارى به يهودي إلا أنطق اللَّه ذلك الشيء، لا شجرة ولا حجر ولا دابة إلا قال: يا عبد اللَّه المسلم: هنا يهودي فاقتله ـ إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق...»[٣] .

● وقال ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله»[٤] .

● وقال ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) صحيح: سبق تخريجه.
(٤) رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبد اللَّه! هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله. إلا الغرقد[١] ؛ فإنه من شجر اليهود»[١] .

● وقال ﷺ : «تقاتلون اليهود، فتسلطون عليهم، حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد اللَّه هذا يهودي ورائي، فاقتله»[٢] .

● وعن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - عن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات، دينهم واحد، وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة، والبياض، سبط كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل بين ممصرتين، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويعطل المِلَلَ حتى تهلك في زمانه كلها غير الإسلام، ويهلك اللَّه المسيح الدجال الكذاب، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعًا، والنمور مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضًا، فيمكث ما شاء اللَّه أن يمكث، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه»[٣] .

● ومن حديث أبي أمامة الباهلي - رضي اللَّه عنه - في حديث الدجال الطويل قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «.... فيكون عيسى ابن مريم في أمتي حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا، يدق الصليب، ويذبح الخنزير، ويضع

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري، ومسلم والترمذي عن ابن عمر.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٢٢، ٢٤٧٦، ٣٤٤٨، ٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥)، والترمذي (٢٢٣٣)، وابن ماجه (٤٠٧٨)، والطيالسي (٢٢٩٧)، وأبو يعلى (٥٨٧٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٤٠، ٢٧٢، ٢٩٠، ٢٩٤، ٤٠٦، ٤١١، ٤٨٢، ٤٩٤، ٥٣٨).

الجزية، ويترك الصدقة، فلا يسعى على شاة ولا بعير، وترفع الشحناء والتباغض، وتنزع حمة كل ذات حمة، حتى يدخل الوليد - أي الطفل الصغير - يده في الحية - أي: في فمها - فلا تضره، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها، وتُملأ الأرض من السلم، كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة، فلا يعبد إلا اللَّه، وتضع الحرب أوزارها، وتسلب قريش ملكها»[١] .

* إخراج الأرض بركاتها في زمانه - عليه السلام - :

● فمن حديث النواس بن سمعان - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «.... ثم يرسل اللَّه مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة. ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردّي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس ...»[٢] .

* حفظ الطائفة التي تقاتل معه من النار:

● فمن حديث ثوبان - رضي اللَّه عنه - مولى رسول اللَّه ﷺ عن النبي ﷺ : «عصابتان من أمتي أحرزهما اللَّه تعالى من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم - عليه السلام -»[٣] .

* زيارته لقبر الرسول ﷺ :

● من حديث أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه

---

(١) مر تخريجه من قبل، وهو حديث الدجال الطويل الذي صححه الشيخ الألباني.
(٢) أخرجه مسلم، والترمذي، وأبو داود، وابن ماجه، والحاكم، وأحمد في «المسند».
(٣) سبق تخريجه.

ﷺ: «**ليهبطن عيسى بن مريم حكمًا عدلاً، وإمامًا مقسطًا، وليسلكن فجًا حاجًّا أو معتمرًا، أو ليثنينهما، وليأتين قبري حتى يسلم عليَّ ولأردن عليه**».

قال أبو هريرة: «أي: بني أخي إن رأيتموه فقولوا أبو هريرة يقرئك السلام»[1].

* ثامناً: نهاية فتنة يأجوج ومأجوج على الأرض المقدسة:

وعلى هذه الأرض المقدسة ستكون نهاية أقوى أمة تخرج في آخر الزمان وهي فتنة يأجوج ومأجوج.

وقد استعاذ رسول اللَّه ﷺ من شرهم:

فعن زينب بنت جحش، زوج النبي ﷺ قالت: «خرج رسول اللَّه ﷺ فزعًا، محمرًّا وجهه، يقول: **لا إله إلا اللَّه، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بأصبعه الإبهام، والتي تليها.

قالت: فقلت: يا رسول اللَّه، أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»[2].

● وفي رواية: «**فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وعقد بيده تسعين**».

ولتعلم كثرة عددهم وأنهم أكثر الأمم عددًا وأنهم أكثر أهل النار،

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٩٥)، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥)، ومسلم (٢٢٨٠)، وأحمد في «المسند» (٦/ ٤٢٨، ٤٢٩)، والترمذي (٢١٨٧)، وابن ماجه (٣٩٥٣)، وابن أبي شيبة (١٩٠٦١)، والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٩٣). والرواية الأخرى: عند أحمد، والبخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة.

انظر إلى حديث أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ.

● عن أبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: عن النبي ﷺ قال: «**يقول اللَّه تعالى: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، والخير في يديك. فيقول: أخرج بعث النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فعنده يشيب الصغير، وتضع كل ذات حملٍ حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى ولكن عذاب اللَّه شديد.** قالوا: يا رسول اللَّه: وأيّنا ذلك الواحد؟ قال: «**أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف**» ثم قال: «**والذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكونوا رُبع أهل الجنة**»، فكبرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة**»، فكبرنا، فقال: «**أرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة**»، فكبرنا، فقال: «**ما أنتم في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود**»(١).

* كون خروجهم من علامات الساعة الكبرى:

● عن حذيفة بن أسيد ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: كان النبي ﷺ في غرفة ونحن أسفل منه، فاطلع إلينا فقال: «**ما تذاكرون؟**». قلنا: الساعة. قال: «**إن الساعة لا تكون حتى تكون عشر آيات، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب، والدخان، والدجال، ودابة الأرض، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، ونارٌ تخرج من قعرة عدن ترحل الناس**».

● وفي لفظ آخر قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٨، ٤٧٤١، ٦٥٣٠، ٧٤٨٣)، ومسلم (٢٢٢)، وأحمد (٣/ ٣٢ ـ ٣٣)، وابن منده في «الإيمان» رقم (٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١).

الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم»[1] .

* قوتهم وبطشهم الشديد الذي لا قدرة لأحد به :

● فمن حديث النواس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال رسول اللَّه ﷺ : «.... فبينما هو كذلك، إذ أوحى اللَّه إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أني قد أخرجت عباداً لي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء.

ويحصر نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه إلى اللَّه تعالى، فيرسل اللَّه عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى، كموت نفس واحدة.

ثم يهبط نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم! فيرغب نبي اللَّه عيسى ـ عليه السلام ـ وأصحابه إلى اللَّه، فيرسل اللَّه طيراً كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه» .

● وفي رواية أخرى لمسلم قال: «.... لقد كان بهذه مرة ماء، ثم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٠١)، وأبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، وابن ماجه (٤٠٤١)، وابن أبي شيبة (١٥/١٦٣)، والطبراني برقم (٣٠٢٩، ٣٠٣٠، ٣٠٣١، ٣٠٣٢، ٣٠٣٣).

يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخُمُر[١] وهو جبل ببيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد اللَّه عليهم نشابهم مخضوبًا دمًا ....»[٢] .

● وفي رواية ابن ماجه قال: «سيوقد المسلمون من قسي يأجوج ومأجوج ونشابهم، وأترستهم سبع سنين»[٣] .

● قال رسول اللَّه ﷺ: «إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا، فيعيده اللَّه أشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم[٤] ، وأراد اللَّه أن يبعثهم على الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا إن شاء اللَّه، واستثنوا، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس، فينشِّفون الماء[٥] ، ويتحصن الناس منهم في حصونهم، فيرمون سهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم الذي احفظَّ[٦]، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء! فيبعث اللَّه عليهم نغفًا[٧] في أقفائهم فيقتلهم بها، والذي نفسي بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرًا[٨] من لحومهم ودمائهم»[٩] .

---

(١) جبل الخُمر: هو جبل بيت المقدس، وسُمي بذلك لكثرة أشجاره الملتفة.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٤٠)، وابن ماجه (٤٠٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٦٧٣).
(٤) أي: حان وقت خروجهم.
(٥) أي: يشربونه عن آخره.
(٦) انتفخ.
(٧) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم.
(٨) أي: تسمن وتمتلئ شحمًا.
(٩) **صحيح**: أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود، والحاكم، وابن حبان عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٧٦)، و«السلسلة الصحيحة» (١٧٣٥).

● «تفتح يأجوج ومأجوج، فيخرجون على الناس كما قال اللَّه عز وجل: ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ[١] يَنسِلُونَ ﴾ فيغشون الناس[٢] ، وينحاز[٣] المسلمون عنهم إلى مدائنهم[٤] وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض،حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسًا، حتى إن من يمر من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان ههنا ماء مرَّةً، حتى إذا لم يبق من الناس أحدٌ إلا أحدٌ في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم، بقي أهل السماء! ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع إليه مختضبة[٥] دمًا للبلاء والفتنة، فبينما هم على ذلك إذ بعث اللَّه عز وجل دُودًا في أعناقهم كنغف[٦] الجراد الذي يخرج في أعناقه فيصبحون موتى لا يسمع لهم حسٌّ، فيقول المسلمون: ألا رجل يشري[٧] لنا نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟ فيتجرد[٨] رجلٌ منهم محتسبًا نفسه، قد أوطنها[٩] ، على أنه مقتول، فينزل، فيجدهم موتى بعضهم على بعضٍ، فينادي : يا معشر المسلمين ألا أبشروا، إن اللَّه عز وجل قد كفاكم عدوَّكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم، ويسرحون مواشيهم، فما يكون لهم مرعى إلا لحومهم، فتشكر[١٠] عنه كأحسن ما شكرت

(١) الحدب: ما ارتفع من الأرض وغلظ.
(٢) أي: يحيطون بهم.
(٣) أي: يلجأ.
(٤) مدنهم.
(٥) ملطخة.
(٦) كدود.
(٧) أي: يبيع نفسه للَّه.
(٨) أي: يقوم مستعدًّا لذلك.
(٩) مهّدها وأرضاها.
(١٠) أي: تسمن وتمتلئ لحمًا .

عن شيء من النبات أصابته قط»(١) .

* هلاّ اتعظ اليهود إخوان الخنازير والقرود :

هلاّ اتعظ اليهود بحديث يأجوج ومأجوج، وهؤلاء الذين يظنون أنهم انتصروا على أهل الأرض ويستطيعون قتال أهل السماء فيذلهم اللَّه ويبيدهم بأضعف شيء وهو الدود، ويفنيهم ويقتلهم جميعًا كنفس واحدة. حين لا يقدر أحد على دفع فتنتهم يلجأ عيسى - عليه الصلاة والسلام - ومن معه ويرفعون أكف الضراعة، ويستغيثون بربهم وهم في الأرض المقدسة، فيبيد اللَّه هؤلاء الجبابرة وتكون نهايتهم فيها ... فيا لها من مكرمة لهذه الأرض الطيبة المباركة.

* تاسعًا: طِيب العيش بعد المسيح - عليه السلام - في الأرض المقدسة بل والأرض بأسرها :

● عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«طوبى لعيش بعد المسيح، يؤذن للسماء في القطر، ويؤذن للأرض في النبات، حتى لو بذرت حبك على الصفا لنبت، وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره، ويطأ على الحية فلا تضره، ولا تشاح، ولا تحاسد، ولا تباغض»**(٢) .

---

(١) حسن: أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/ ٧٧)، وابن ماجه (٤٠٧٩)، وابن حبان (٦٨٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٨٩ - ٤٩٠)، وأبو يعلى (١١٤٤) عن أبي سعيد، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وقال البوصيري في «الزوائد» هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، وقال ابن كثير في «النهاية» (١/ ١٨١): إسناده جيد، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٩٣)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٩٧٣).

(٢) صحيح: عزاه الألباني في «الصحيحة» (١٩٢٦) إلى أبي بكر الأنباري في حديثه، والديلمي (٢/ ١٦١)، والضياء في «المنتقى» من مسموعاته بمرو، وابن المحب في «صفات رب العالمين»، وصحح الحديث الشيخ الألباني في «الصحيحة»، و«صحيح الجامع».

* عاشراً: خروج الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين من الأرض المقدسة:

● عن يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي قال: سمعت عبد اللَّه بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تُحدِّث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا.

فقال: سبحان اللَّه! ولا إله إلا اللَّه، أو كلمة نحوها، لقد هممت أن لا أحدث شيئًا أبدًا، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا، يُحرق البيت، ويكون، ويكون، ثم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، (لا أدري أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا). فيبعث اللَّه عيسى ابن مريم، كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل اللَّه ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، فيبقى شرار الناس، في خفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم، حسن عيشهم....**»[1].

● وفي حديث النواس بن سمعان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**.... فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحًا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس! يتهارجون**

(١) أخرجه مسلم، وأحمد، والبيهقي في «الاعتقاد»، والنسائي في «الكبرى»، والحاكم في «المستدرك»، وابن حبان.

فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»[1] .

وأخيراً: حشر الناس إلى بيت المقدس أرض المحشر والمنشر :

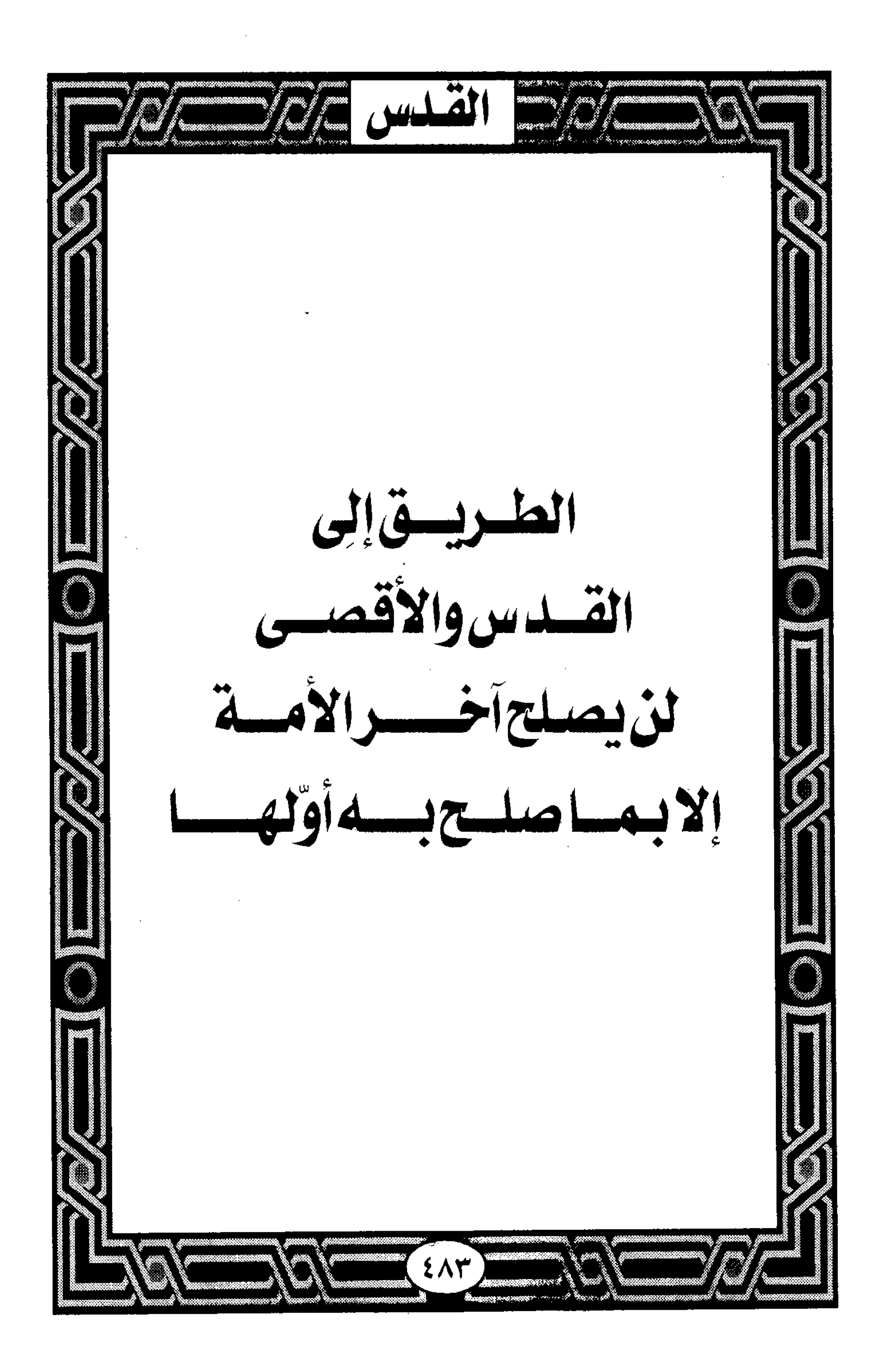
● لقد مرّ من حديث أبي ذر - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ : « ... **ولنعم المصلى في أرض المحشر والمنشر**» .

◻ لقد اختار اللَّه بيت المقدس لتكون المكان الذي يُحشر الناس إليه، ويحاسبهم فيه، وهذه فضيلة ما بعدها فضيلة نختم بها فضائل بيت المقدس الثابتة على مدار التاريخ .



(١) سبق تخريجه .





الطريق إلى القدس والأقصى لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أوّلها



الطريق إلى القدس والأقصى

طريقنا إلى القدس والأقصى واضح المعالم.. وللنصر أسبابه.. إن المشوار شاق وطويل، والجهد المطلوب غاية في الضخامة.. وأول الطريق خطوة.. وأول الغيث قطرة.. وأسباب الفوز سلسلة مترابطة لا تنفك واحدة منها عن بقية السلسلة..

حتى تعود لنا القدس والأقصى ويدوي تكبيرنا على الصخرة، والمآذن والجبال وفي ربوع الأرض المقدسة المباركة هناك مقومات للنصر:

(١) توبة الأمة الإسلامية وعودتها إلى اللَّه عز وجل وبعدها عن المعاصي، فإنما تنصر الأمة بالطاعة:

لا يتنزّل النصر على أمة ماجنة عابثة لاهية غافلة شاردة بعيدة عن اللَّه ورسوله.. يسب بعض أفرادها اللَّه جهرة، بل بعض مقاتليها - إي واللَّه - أمثال منظمات نايف حواتمة وجورج حبش وغيرهم..

أمجاهدون، وما استقام ولاؤهم — للَّه، وما بال المجاهد يشطح؟؟
أمجاهدون، وما أقاموا مسجدا — للَّه، أو رفعوا الأذان وسبّحوا؟؟
لغة الجهاد يجيد نظم حروفها — رجل إذا نزل ابتلاء ينجح
ويلوذ باللَّه العظيم ويرعوي — عن غيّه لا يستبدّ ويجمح

أمة لا تغوص في مستنقع المعاصي الآسن.. ولا تتمرد على منهج ربها أمة لا تقلب الموازين، ولا تسير ضد السنن الربانية.

فيا أمة.. قصّفت في ساحك القنا — وأحنيت للأوثان هامةَ خاسرِ
بَعُدتِ عن الرحمن فاشْقَيْ وَوَلْولِي — على غُصَصٍ مَلأى بقيح الجرائرِ
نشيدك أحزانُ المآتم فادمعي — ومجدُكِ طيّاتُ الثَّرَى والمقابرِ

إن النصر من عند اللَّه تُكَحَّلُ به أفئدة أمة صابرة تعلم أنها إنما تنصر على عدوها بطاعتها للَّه، ومعصية عدوها له.. أمة تعلم أن اللَّه أعزها بالإسلام، فإن ابتغت العزة في غيره أذلها اللَّه عز وجل.

النصر يحتاج إلى تبتل ودمع وقنوت وضراعة إلى اللَّه وسلوا ليلة بدر عن بكاء النبي ﷺ وصلاته وسلوا ليلة الأحزاب وكل معارك الأمة.

(٢) إخلاص النية للَّه سبحانه وتعالى والصدق معه:

هذه الأمة لن تنصر إلا بإخلاص رجالاتها وقياداتها للَّه عز وجل.

● قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنما ينصر اللَّه هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»[١].

● وعن أبيّ بن كعب ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**بَشِّرْ هذه الأمة بالسناء والدين والرفعة والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا؛ لم يكن له في الآخرة من نصيب**»[٢].

● وعند البيهقي: «**بشِّرْ هذه الأمة بالتيسير والسناء والرفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا؛ فليس له في الآخرة من نصيب**».

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف**

---

(١) **صحيح**: رواه النسائي وغيره، وهو في البخاري وغيره دون ذِكْر الإخلاص، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب» (١/ ٦).

(٢) **صحيح**: رواه أحمد وابن حبان في «صحيحه» والحاكم والبيهقي، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ١٥ ـ ١٦).

رجل»[١] . وذاك لصدقه وإخلاصه وإرادته وجه اللَّه عز وجل.

● وقال رسول اللَّه ﷺ : **«كم منْ أشعث أغبر ذي طُمرين، لا يؤبه له، لو أقسم على اللَّه لأبرّه، منهم البراء بن مالك»**[٢] .

النصر يحتاج إلى أكف ضارعة من أنفس مخلصة، مثل البراء بن مالك، والعلاء الحضرمي، وعبد اللَّه بن المبارك ومحمد بن واسع، ومعاذ بن جبل، وأبي عبيدة الأمين وقادة تعلم أن هذا طريق النصر مثلما قال قتيبة بن مسلم قائد الجيش الذي فتح كابل «أين محمد بن واسع؟».

قالوا في أقصى الميمنة فارد أصبعه إلى السماء؟

قال: أبشروا بالنصر.. هذه الأصبع الفاردة أحبّ إليّ من ألف سيف شهير وشاب طرير» فلما جاءه قال له: ما كنت تصنع؟

قال: كنتُ آخذ لك بمجامع الطرق: الدعاء.

كم من القادة يحتاجون إلى التطامن والمسكنة وترك الأبهة والجاه.. سقطوا في وحل الرياء وحب المنزلة حتى ولو ضاعت الأمة..

دلّني على قائد كخالد بن الوليد يتنازل عن أمرة الجيش وهو من هو في فتوحات الشام!!

إن للنيـة الصـادقة أمارات ودلائـل، وللنيـة المضطربة إشارات وعلامات. فكيف تكون النية خالصة للَّه في حمّى تنافس على الدنيا، وجنون سباق على مكاسب؟ وهل ضاعت الأمة إلا بأمثال أبي إياد.. أبي الهول.. أبي عمار وغيرهم؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم عن جابر، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٩٥٧).

(٢) حسن صحيح: أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك.

(٣) تربية جيل النصر على عقيدة أهل السنة والجماعة:

الدعاة إلى الإسلام، والناشدون لتحرير القدس والأقصى لا بد لهم من تربية جيل النصر المنشود على العقيدة التي كان عليها الرسول وأصحابه.. عقيدة السلف، وتصفية العقيدة مما شابها من العقائد الباطلة والفاسدة والخرافيات والشركيات والبدع.. وأن يفهّموا الأجيال الدين الذي جاء به الرسول ﷺ المُستقى من الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

◻ ولله در مالك بن أنس إمام دار الهجرة القائل: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

◻ وما أجمل قول القائل: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تُقم لكم على أرضكم»..

ما سقطت القدس إلا على أيدي أهل البدع الفاطميين، وما ضاعت إلا لما ضاع الولاء وتحالف رجال الثورة العربية مع الإنجليز ضد المسلمين من الأتراك.. ما سقطت القدس إلا بعد أن انحرف الناس عن الجادة، وصار ربان السفينة علماني، يساري، أو قومي بعثي، أو ملاحدة، أو زنادقة.

◻ ومحال أن تعود القدس على أيدي أهل البدع من الرافضة من رجال حزب الله وغيرهم فقد قال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ وأي نصر لله ولدينه يأتي على أيدي أناس يسبون صحابة رسول الله ﷺ ويكفرونهم ويطعنون في الثوابت من هذا الدين.. وهم ومن على شاكلتهم كانوا الخنجر الذي طُعنت به الأمة «والله يفتح مغاليق الأمور

لمن علم في قلبه الصدق والعزيمة، وسلامة النهج وصفاء التوحيد والولاء»[(١)].

(٤) وحدة الأمة الإسلامية على أساس من وحدة العقيدة يعني كلمة التوحيد مع توحيد الكلمة:

الأمة المتراصة أقوى عند النزال من جبهات تلتقي وتفترق، وتسير وتقف، تجمعها مصالح آنيّة، وتفرقها مصالح آنيّتي. إنها سنّة اللَّه في الحياة الدنيا، أن تكون الأمة أقوى وأعزّ، حتى ولو قلّ العدد.

من الأساس العقائدي السليم.. من القاعدة الإيمانية الرّبانية انطلقت كتائب الإسلام وتواثبت أمة الإسلام، لا يثقل مسيرتها «أحلاف وطنية» تضيّع معالم الإيمان، ولا يبطل صدقها «مسارعة» في «المحدِثين» والعائمين»، والذين يحاربون اللَّه ورسوله حينًا، ويتسترون حينًا آخر، صفّ واحد نقيّ لم يخالطه دَخل ولا ريبة ولا وهن ولا بدع.

شتان بين مسيرة يدفعها هوى وتصورات بشرية، وبين مسيرة تدفعها قواعد ربانية. شتان بين أمة ينير منهاج اللَّه دربها، وأقوام يعطيهم الهوى بصيصًا من نور ثم ينطفئ..

* قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

ولا عبرة بقول الدكتور القرضاوي: «لا مجال لإثارة الخلافات الدينية: سنة وشيعة، ولا الخلافات العرقية: عرب وأكراد، أو عرب وبربر، ولا الخلافات الأيديولوجية يمين ويسار، ولا الخلافات الطبقية:

---

(١) «عبد اللَّه عزام» للنحوي ص(٣٢).

أغنياء وفقراء»[١].

◻ونقول للشيخ القرضاوي وهو من الدعاة إلى التقريب بين السنة والشيعة ـ: أنت تعلم دور الباطنية والرافضة في خيانة الأمة وقتل مجاهديها وعرقلة الحركات الجهادية ضد الصليبيين على مدار التاريخ الإسلامي. . .

ويكفي للرد على القرضاوي ما قاله شيخ الإسلام البربهاري في كتابه القيم «شرح السنة»: «واعلم أنه مَنْ تناول أحدًا من أصحاب محمد ﷺ فاعلم أنه إنما أراد محمدًا، وقد آذاه في قبره»[٢] فكيف ورجال حزب اللَّه يفسّقونهم ويكفرونهم؟!

◻قال البربهاري ـ رحمه اللَّه ـ: «مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب، ويخرجون أذنابهم، فإذا تمكّنوا لدغوا. وكذلك أهل البدع، هم مختفون بين الناس. فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون»[٣] اهـ.

إن وحدة الأمة الإسلامية: «مليار وربع مليار مسلم» كفيل بالقضاء على إسرائيل «خمسة مليون يهودي».

القدس شأن الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ولو أن الفلسطينيين تخاذلوا وسلّموا في شأنها لوجب على مسلمي العالم أن يرفضوا ذلك، ويقاوموا الفلسطينيين أنفسهم.

---

(١) «القدس» للقرضاوي ص(١٦٢).

(٢) «شرح السنة» للبربهاري ص(١٢٣).

(٣) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (٢/ ٤٤)، و«المنهج الأحمد» (٢/ ٣٧).

(٥) تحرير الولاء لله ورسوله والمؤمنين وبغض اليهود والنصارى والشيوعين وكل الكافرين:

وهذا بيت القصيد لا بد أن يعلمه القاصي والداني، الصغير والكبير من هذه الأمة.. وبغض لهؤلاء لكفرهم أولاً، ولأنهم اغتصبوا ديارنا ثانية.

«يا مسلمون.. هذه هي أمريكا؟» «تقرير بدون تعليق»:

«بمناسبة مرور خمسين عامًا على إنشاء دولة إسرائيل، أصدرت جريدة هيرالد تريبيون الدولية تقريرًا خاصًّا في عددها رقم ٣٥٨١٨ بتاريخ ٢٩/٤/١٩٩٨م ونشرت فيه كلمات لعشرة رؤساء لأمريكا، على مدى خمسين عامًا منذ نشأة إسرائيل حتى الآن..

ويؤكدون في كلماتهم ضمانهم لأمن إسرائيل. وذكرت الجريدة في تعليقها «منذ تحقيق الاستقلال سنة (١٩٤٨م)، كان لإسرائيل مكان خاص في قلوب الأمريكيين، وفي قلوب رؤساء أمريكا، ففي كل إدارة، كان الرئيس يعترف بأهمية أمن إسرائيل بالنسبة للأهداف القومية الأمريكية.

نص ترجمة كلماتهم تحت عنوان

«الرؤساء الأمريكيون يتحدثون: ماذا تعني إسرائيل بالنسبة لي؟»

(١) بيل كلينتون:

أمريكا وإسرائيل يربطهما ميثاق خاص وعلاقتنا فريدة من نوعها بين كل الأمم.

فكما هو الحال في أمريكا، فإن إسرائيل تتمتع بديمقراطية قوية،

كرمز للحرية، وهي واحة للاستقلال، وملجأ للمظلومين والمضطهدين!!.

(٢) جورج بوش:

لقد تمتعت الولايات المتحدة وإسرائيل لأكثر من أربعين سنة بصداقة مبنية على احترام متبادل، والتزام بمبادئ الديمقراطية. ويبدأ استمرارنا بالبحث عن السلام في الشرق الأوسط بإدراك أن الروابط التي تُوحِّد بين دولتينا لا يمكن أن تنفصم.

(٣) رونالد ريجان:

يُثبت الرجال والنساء الأحرار بإسرائيل كل يوم قوة الشجاعة والإيمان، وبالرجوع لسنة ١٩٤٨م عندما وُجدت إسرائيل، ادّعى النقّاد أن الدولة الجديدة لا يمكن أن تستمر، والآن لا يشك أحد أن إسرائيل هي أرض الاستقرار والديمقراطية في منطقة الطغيان والاضطرابات.

(٤) جيمي كارتر:

بقاء إسرائيل ليس مجرد قضية سياسية، ولكنه التزام أدبي، وهذا هو إيماني العميق الذي أرتبط به، وهو الإيمان الذي يشاركني فيه الأغلبية العظمى من الشعب الأمريكي؛ فإن إسرائيل القوية الآمنة ليست مجرد اهتمام الإسرائيليين، ولكنه اهتمام الولايات المتحدة، والعالم الحر كله.

(٥) جيرالد فورد:

التزامي بأمن ومستقبل إسرائيل مبنيّ على مبادئ أساسية؛ وهو اهتمام شخصي؛ كإنسان متنور «مثقف»؛ كما أن دورنا في مساندة إسرائيل يُشرِّف تراثنا الوطني!!

(٦) ريتشارد نيكسون:

الأمريكيون يعجبون بالشعب الذي يحفر الصحراء ويحوّلها لحدائق؛

لقد أثبت الإسرائيليون بدلالات يقبلها الأمريكيون أن لديهم الشجاعة والوطنية والمثالية، والولع بالحرية، لقد رأيت ذلك وأؤمن بذلك.

(٧) ليندون جونسون:

إن مجتمعنا مُضاء بالإدراك الروحاني للأنبياء العبريّين؛ كما أن أمريكا وإسرائيل لديهم حب عام للحرية الإنسانية، ولديهم إيمان بالأسلوب الديمقراطي للحياة.

(٨) جون كينيدي:

إسرائيل لم تُخلق لتختفي، بل ستبقى وتزدهر؛ إنها وليد الأمن والوطن للشجعان، ولن تنكسر بالافتراءات، أو بإفساد معنوياتها؛ إنها تحمل درع الديمقراطية، وتشهر سيف الحرية.

(٩) دوايت إيزنهاور:

لقد أنقذت قواتنا بقايا الشعب اليهودي بأوربا من أجل حياة جديدة، وأمل جديدة في الأرض المتجددة، ونحن مع كل الرجال ذوي العزيمة الصادقة، وأُحيي الدولة الصغيرة، وأتمنى لها الفلاح.

(١٠) هاري ترومان:

لديّ إيمان بإسرائيل قبل تأسيسها؛ كما أن لدي إيمانًا بها الآن، وأعتقد أنه سيكون لها مستقبل متألق أمامها، ليس لمجرد أمة مستقلة جديدة، ولكن تجسيد للمثاليات العظمى لمدنيّتنا»[١].

☐ وقد مرّت بك تصريحاتهم من قبل وأن الحرب بيننا وبينهم

---

(١) «مقوّمات النصر وملحمة الملأ من بني إسرائيل» لصالح الحديدي ص(١١٠ ـ ١١٥) ـ مركز الإعلام العربي.

دينية، وأن حبهم وولائهم لإسرائيل من منطلق ديني توراتي بحت، فهم يُقدّسون التوراة «العهد القديم» مثلما يقدّسون الإنجيل «العهد الجديد».. وقيام إسرائيل وحمايتها قام على أساس التزام ديني من إنجلترا وأمريكا.. ومن قال بغير هذا فهو خائن للَّه ورسوله وعامة المؤمنين، لا يحل لأمة أنعم اللَّه عليها نعمة الإسلام أن تُعطي ولاءها لأعداء اللَّه ورسوله والمؤمنين. عار على أمة أن تسلم رقابها ورقاب أبنائها وثرواتها وأرضها إلى أعدائها.

عار على الأمة أن تتنكر لإسلامها وتتسوّل نفايات الفكر اليوناني الروماني العفن عار على الغني أن يتسوّل.

(٦) الراية الإسلامية لمعركتنا القادمة:

هذه الراية هي حياتنا.. أملنا.. نور أبصارنا وبصيرتنا، وهي الراية الوحيدة لمعركتنا القادمة مع اليهود.. ليس لهذه الأمة الإسلامية إلا راية واحدة وشعار واحد لا يتبدّل مع المصالح الطارئة والرغبات الآنيّة، والارتجال والتقليد والتبعية. ولكنها راية الإيمان تخفق بالعزة والاستقلال، وشعار الإسلام يموج بالحرية والوعي. وأهم ما يميّز راية الإيمان وشعاره هو مطابقتهما للممارسة الواقعية، فلا يتناقض وعمل، ولا تتعارض راية مع خطوة ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٣ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصف: ٢ ـ ٤].

إن راية القومية وراية العلمانية لا تجديان شيئًا في معركتنا القادمة مع اليهود.

إن اليهود والنصارى يحاربونا بالتوراة المحرّفة حربًا دينية تحت شعار الصليب والنجمة فلا نحاربهم إلا بالقرآن، وإذا رجعوا إلى تعاليم التلمود رجعنا إلى البخاري ومسلم، وإذا قالوا: نعظِّم السبت، قلنا: نعظِّم الجمعة، وإذا قالوا: الهيكل، قلنا: الأقصى، وإذا قاتلونا تحت راية اليهودية والنصرانية قاتلناهم تحت راية الإسلام.

❑ قال اللواء أركان حرب فوزي محمد طايل:

«إن فكرة القومية العربية هي فكرة خالية من العقيدة، بل من الأيديولوجية، فهي ليست إلا نعرة فارغة لا يقرها الإسلام تمخّضت عن جسد ميت يُدعى «الجامعة العربية» يحاول البعض ـ لأغراض خفيّة ـ نفث الروح فيه دون جدوى، فكان التسليم لإسرائيل وأطماعها خطوة خطوة، منذ عام ١٩٤٧م وحتى الآن».

*** العالم المصري الفذ جمال حمدان(١) وقوله عن الإسلام:**

«ما دخل العرب التاريخ إلا بفضل الإسلام».

❑ يقول الدكتور جمال حمدان(٢):

«ما دخل العرب التاريخ إلا بفضل الإسلام بعد أن حاربوه طويلاً وبضراوة، قَبِل العرب الإسلام، وأقبلوا عليه بحماس لا يقلّ هوادة، ربما لأنهم أدركوا أنه أعظم استثمار قومي أتيح لهم في التاريخ. ولعلهم

(١) قال محمد حسنين هيكل في كتابه «أكتوبر ٧٣ والسلاح والسياسة» عن جمال حمدان: «لقد خطر لي منذ البداية أن أهدي هذا الكتاب ـ وهو الرابع من مجموعة «حرب الثلاثين سنة» إلى «جمال حمدان» ذلك العالم المصري الفذّ».

(٢) انظر كتاب «جمال حمدان صفحات من أوراقه الخاصة» للدكتور عبد الحميد صالح حمدان ص(٩٢).

انقضّوا عليه لينشروه بقوة وعنف خارج الجزيرة، فعن طريقه فرضوا سيادتهم ولسانهم على المنطقة وعلى عالم بأسره، وكوّنوا لأنفسهم رصيداً تاريخيًّا قوميًّا يعيشون عليه إلى الأبد فضلاً عن المكاسب المادية البحتة».

«لقد خرج العرب من الصحراء، ودخلوا التاريخ بفضل الإسلام، وما كان لهم هذا ولا ذاك بدونه، لم يكن الإسلام بالنسبة للعرب رسالة من السماء فقط، ولكن أيضًا نجدة من السماء».

«قَبْل الإسلام لم يكن عرب الجزيرة أمة، ولا كان لهم تاريخ، حتى أمة بلا تاريخ لم يكونوا، بل مجرد حفنة أو شرذمة من القبائل المتحاربة المتعاركة، المتطاحنة المتعددة اللهجات وأحيانًا اللغات، وهي إن لم تكن تقع خارج التاريخ، فإن لها تاريخ فولكلوري على أكثر تقدير».

❑ ويقول: الإسلام جاء ليبقى.

❑ ويقول: عودة الإسلام ليقود من جديد[1]:

«عودة الإسلام أصبحت حقيقة واقعة في أكثر من مكان».

هذا قول الكبار أما الصغار من الزنادقة الذين يشوّهون الإسلام ويبرزونه على أنه مصدر للتخلف[2]، وغير قادر على التعامل مع العالم المعاصر فهؤلاء وأقوالهم مصيرهم إلى مزبلة التاريخ.

❑ وما أصدق قول الشاعر فيهم:

يرمرمُ من فتات الكفر قوتًا	ويلعق من كؤوسهم الثمالة
يُقبّلُ راحة الطاغوت حينًا	ويلثم دونما خجل نعاله

---

(١) المصدر السابق ص(١٣٣ ـ ١٣٤).

(٢) انظر إلى كتاب «نقد الخطاب الديني» لنصر حامد أبو زيد ـ سينا للنشر طبعة ١ عام ١٩٩٢م، وكتاب فرج فودة «الملعوب» دار مصر الجديدة للنشر ـ طبعة ١٩٨٨م، وكتب سعيد العشماوي ومنها «الإسلام السياسي» الأهرام للإعلان ١٩٩٢م، وكتب حسن حنفي.

(٧) تبصير المؤمنين بحال وحقيقة اليهود المجرمين:

قال اللواء أركان حرب «د. فوزي محمد طايل أستاذ الاستراتيجية الشاملة بأكادمية ناصر العسكرية في كتابه «النظام السياسي في إسرائيل» تحت عنوان (هل يمكن لإسرائيل أن تقيم سلامًا؟) يقول: «قامت إسرائيل على أيدي مقاتلي عصابات مسلحة، وأقامت هيكل الدولة على أساس أنها أمة مسلحة» ومزجت في المستعمرات بين «الزراعة والدفاع» وجعلت من «نظرية الأمن» أسلوبًا لإدارة الدولة، وأقامت نظامًا للحكم يوصف بأنه «ديمقراطية الدولة المعسكر».

وجعلت اقتصادها عسكريًّا «قلبًا وقالبًا» وجعلت من فكرة «الخطر الدائم» الوسيلة الرئيسية لإحداث التماسك الاجتماعي، وأفرز مجتمعها «نخبة عسكرية خالصة» وربطت بين «الهجرة والاستيطان والاغتصاب بالقوة».

فإسرائيل كما يقول «بن جوريون»: «لا يمكن أن تبقى إلا بقوة السلاح»[١].

يقول جابوتنسكي: إن التوراة والسيف أنزلتا علينا من السماء.

ويقول تلميذه مناحيم بيجين الذي وقّع اتفاقية السلام: إن قوة التقدم في التاريخ ليست للسلام وإنما للسيف. وانطلاقًا من هذه الخلفية الثقافية أيضًا يؤمن قادة إسرائيل جميعًا بلا استثناء سواء ما يسمونهم الصقور أو ما يسمونهم الحمائم، أن الوسيلة الوحيدة لتحقيق أمن إسرائيل جميعًا هي الهجوم والتوسع على حساب الأرض العربية والسكان العرب»[٢].

---

(١) «النظام السياسي في إسرائيل» للواء فوزي محمد طايل ص(٣٠٦ ـ ٣١١) ـ دار الوفاء.

(٢) انظر هامش ص(١١) من كتاب «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية ـ الجولة الإسرائيلية ـ العربية السادسة».

ولقد عرض اللواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل لأسلوب تفكير القادة الصهاينة من خلال كتاب (ريموند كوهين) «الثقافة والصراع في العلاقات المصرية الإسرائيلية».

وذكر ما قاله (إسحاق شامير) لجريدة ها آرتس في يناير سنة ١٩٨٧م: «لا سلام يدوم مع الأبد، إن الاستقرار الدولي والإقليمي يقوم على قواعد لِلُعبة قوامها «الردع المستمر».

❑ يقول فوزي طايل: «قد أزعم أني لا أتجاوز الحقيقة إذا قلت: إنه بينما كان العرب في غفلة قامت إسرائيل بتمهيد الظروف الدولية ـ الإقليمية والمحلية ـ وقامت بدعم قواتها البشرية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية استعدادًا لجولة عقد التسعينات وربما لا أتجاوز الحقيقة إن قلت: إن هذا الاستعداد الضخم قد استغرق أكثر من عشرين عامًا من العمل المتواصل لتحقيق أهداف محددة»[(١)] .

❑ يقول اللواء فوزي طايل: «لقد بدأت إرهاصات هذه الجولة تتكشّف، بل وبدأت إجراءات «الحرب النفسية» السابقة عليها من خلال مجموعة من التصريحات التي تهدف إلى «الردع» من خلال «الإخافة» أو «الغموض» ولعل أشهر وأهم التصريحات هي ما أعلنه مساعد رئيس الأركان الإسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٩٥م أن حربًا مع الدول العربية المجاورة لإسرائيل سوف تقع حتمًا، وعندها لن تتوقف قوات جيش الدفاع عند الضفة الشرقية لقناة السويس، بل سوف تتجاوزها إلى الغرب!

---

(١) مجلة «استراتيجيا» العدد ١٠٩ ـ السنة التاسعة ص(٢٨ ـ ٣٣) ـ انظر مقال «الجولة الإسرائيلية العربية السادسة» للواء فوزي محمد طايل من كتاب «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية» الكتاب الأول.

وصرّح الرئيس الإسرائيلي (حاييم هرتزوغ) في الثالث عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٩٥م ولأول مرة أن إسرائيل تمتلك سلاحًا نوويًّا، وقد كرر إسحاق رابين وزير الدفاع الإسرائيلي هذا الإعلان في محاضرة ألقاها في جامعة «حيفا» ضمن ندوه أقيمت في الأسبوع الأول من حزيران (يونيو) عام ١٩٩١م أن بلاده تمتلك أسلحة نووية، وأسلحة دمار شاملة قادرة على إبادة أي دولة، وأنه يتعين على جيش الدفاع الإسرائيلي، أن يظل هجوميًّا بكل ما في الكلمة من معنى، وأنه قادر على بقاء القوات الإسرائيلية الأقوى والأفضل تسليحًا بالمنطقة»[1] .

□ويواصل اللواء حديثه فيقول:

«تعتنق إسرائيل مبدأ «دفع الحدود إلى الأمام»، وذلك استنادًا إلى «معيار القوة المتقدمة»، ومفاده أن القوة التي لا تتقدم فلا بد أن تتقهقر، وأن الدولة التي لا تنمو من كل النواحي «بشريًّا وجغرافيًّا وعسكريًّا» تنهار تدريجيًّا، ولهذا فهي تخوض جولة كل عقد من الزمان، وتصاحب هذه الجولة عملية طرد تدريجي للسكان، واستيلاء على الأراضي، انطلاقًا من فكرة أن أرض «إسرائيل الكبرى» لا بد من أن تخلص لليهود وحدهم، فهي لا تتسع لحضارتين أو لعقيدتين دينيتين، لا يمكن قيام تصالح بينهما، وأن حل هذه المشكلة لا يكون إلا بالوسائل العسكرية على حد تعبير يوسف أولمرت».

---

(١) المصدر السابق ص(١٨ ـ ١٩).

* معرفتنا للعدو وامتثال لأمر ربنا ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥]:

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

ومن باب التعرّف على خطط أعدائنا التي وضعوها للاستحواذ على بلاد المسلمين وردّهم عن دينهم.

❑ يقول الأستاذ الدكتور حامد ربيع رئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد جامعة القاهرة سابقًا في مقال له تحت عنوان «مصر والحرب القادمة»: «إن قادة الصهيونية بصفة عامة، والإسرائيليين بصفة خاصة، لا يرون تناقضًا بين عرض السلام في الوقت الذي يعدّون فيه لاستخدام القوة، بل إنهم لا يرون أن أي اتفاقية للسلام ـ بما في ذلك الاتفاقية الإسرائيلية المصرية ـ ليست سوى مجرد نصوص لوقف مؤقت لإطلاق النار.. لا تعدو قيمتها قيمة قصاصة من الورق، وإن قيمتها الحقيقية ستظهر أثناء الحرب القادمة»(١).

❑ يقول الأستاذ الدكتور حامد عبد اللَّه ربيع أنه بإمكاننا هزيمة العدو إذا أخذنا بزمام المبادرة، ولم ننتظر الضربة الأولى والقاضية(٢).

* عوامل الضعف الخطيرة التي تهدد الكيان الإسرائيلي بالهزيمة:

❑ يقول اللواء د. فوزي طايل ـ رحمه اللَّه ـ:

«سوف يظلّ العامل البشري أخطر نقاط الضعف في إسرائيل، حتى

---

(١) «قراء في فكر علماء الاستراتيجية» مصر والحرب القادمة» أ.د حامد ربيع ص(٢٣) ـ دار الوفاء.

(٢) «مصر والحرب القادمة» أ.د حامد ربيع ص(١٣٠).

لو هاجر إليها كل يهود الاتحاد السوفيتي، لذا فهناك حساسية شديدة لدى إسرائيل تجاه الخسائر البشرية، وقد حاولوا التغلّب على هذه النقطة من خلال توفير أقصى وقاية ممكنة للدبابات (ميركافا) وبتوفير درع المشاة، ومهمات الوقاية «التقنية الحديثة» والطائرات من دون طيار، وتكتيكات جديدة، بيد أن هذه الأمور جميعها لم تقلّل من نقطة الضعف هذه كثيرًا».

❏ «يقع ٩٠٪ من سكان إسرائيل، ٩٠٪ من منشآتها للصواريخ أرض/أرض على بقعة محدودة من الأراضي، يمكن أن تصل إليها الصواريخ من أراضي العراق أو سوريا خلال بضع دقائق.. كما يمكن أن تحقق المفاجأة، إذا ما وجهّت دول أخرى كإيران والمملكة العربية السعودية ومصر صواريخها بشكل مكثف إلى هذه الأهداف».

«تشكل قوات الاحتياط الإسرائيلية ٨٠ ـ ٨٥٪ من إجمالي قواتها، وهذه تحتاج قرابة ٤٨ ساعة كي تُعبّأ وتنضم إلى صفوف القوات العاملة، فإذا ما وُجِّهت «ضربة إحباط» Premptive Strike أو تم شن «هجوم استباقي» من الجبهة السورية أو الأردنية خلال هذه المدة فسوف تتغيّر نتيجة المعركة».

* «نحو استراتيجية لمواجهة الخطر الصهيوني»:

❏ تحت هذا العنوان واصل (فوزي طايل) الحديث بقوله:

«ليست إسرائيل سوى الكيان الدولي الرسمي الظاهر للحركة الصهيونية العالمية ذات القدرة على الحركة (الكوكبية)، وعلى هذا فمواجهة إسرائيل والتغافل عن النشاط الصهيوني العالمي لن يكون له نتيجة تذكر، وبالتالي فلا بد من تحرك استراتيجي (كوكبي) أيضًا لمواجهة ذلكم الخطر الصهيوني».

«مثل هذه الاستراتيجية يستحيل على دولة عربية واحدة، أو تجمّع عربي فرعي أو شبه إقليمي أن يقوم بها، إذن فلا بديل عن وحدة الأمة»[(١)].

* صدام محتمل من أجل القدس:

يقول اللواء أ.ح.د. فوزي محمد طايل[(٢)]:

«إذا ما حاولنا التعرّف على ما يجري على الساحة الدولية ـ إعدادًا لصدام محتمل من أجل القدس ـ نجد أن القوات الأمريكية تقوم ـ لمصلحة الصهيونية العالمية ـ بتأمين البحر المتوسط والبلقان، وتأمين الخليج والبحر الأحمر، فضلاً عن أمرين آخرين هامين:

ـ غرس ثقافة السلام.

ـ استعداء العالم على الإسلام.

* ثقافة السلام:

ثقافة السلام تعني محاولة تبديل سنة اللّه تعالى..

* قال تعالى: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. ومهما فعلوا فلن تجد لسنة اللّه تبديلا، ولن تجد لسنة اللّه تحويلا، من أجل ذلك يحاولون استبدال

---

(١) وهذا ما طالب به الدكتور فوزي طايل في كتابه «نحو نهضة أمة، كيف نفكر استراتيجيًا» طبعة مركز الإعلام العربي ص(١٣٤).

(٢) هذه المقالة كانت آخر الكلمات لعالم الاستراتيجية الشاملة أ.ح.د. فوزي طايل الذي التحق بالرفيق الأعلى في ليلة الجمعة ١٣ رمضان ١٤١٦هـ، فبراير ١٩٩٢م وكأنها وصية مودّع إلى علماء وجماهير الأمة.

الصراع من أجل السيطرة على البيئة، بالصراع الذي تحرّكه العقيدة؛ لأن ثقافة السلام تعني فرض الاسترخاء التام بين الناس، ودفعهم إلى التمتع بالمتع الحسية غير المشروعة، وبثّ شعور عام: أنه لا يوجد ما يستحق أن يضحي الإنسان من أجله بماله أو بنفسه.

يعني باختصار إلغاء فريضة الجهاد من خلال القفز فوق سنة التدافع التي جعلها اللَّه تعالى بين البشر وإلا فسدت الأرض، وهُدِّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم اللَّه كثيرًا.

فثقافة السلام هي بمثابة دعوة لأن (يسود الفساد الأرض) وأن يبلغ التسامح بين البشر حدّ نبذ العقيدة.

لذا ففي ظل ثقافة السلام لا يكون لهدم المسجد الأقصى أي مدلول، ولا يكون للأرض المقدسة حرمة.

◻ويفهم الإسرائيليون ثقافة السلام كما يلي:

أ ـ إحداث تغيير في التوجهات والمفاهيم والقيم[1].

ب ـ أو كما يقول (موردخاي جور) النائب السابق لوزير الدفاع الإسرائيلي: «إدارة أعمال سياسية قادرة على إيجاد مثل هذه الحلول». وقد ذكرت دراسة بمركز جافي للدراسات الاستراتيجية في ١٥/ ١٢/ ١٩٨٩م عن نزع السلاح: إن ثقافة السلام المزعومة لتستهدف عقيدة المسلمين بالدرجة الأولى، فهي صد عن سبيل اللَّه، ومحاولة لنزع شوكة المسلمين وإبعادهم عن أداء فريضة الجهاد، والتي لا تسقط عن هذه الأمة حال

(١) يراجع في ذلك كتاب «ثقافتنا في ظل النظام العالمي». للواء أ.ح.د. فوزي طايل ـ مركز الإعلام العربي.

ضعفها ولا حال قوتها، فالجهاد ماض إلي يوم القيامة. صدق رسول الله ﷺ.

ولو راجعنا كلمات (موردخاي جور) التي قرأتها حالاً؛ لوجدناها هي نفس الكلمات التي ألقيت للأبواق الموجودة في بلادنا، فرددوها كما هي.

* **استعداء العالم على الإسلام:**

لو اجتمعت الإنس والجن على تجفيف منابع عقيدتنا الإسلامية، فلن يستطيعوا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ولذا فإذا لقينا المجترئين على دين الله كفانا ﴿**قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ [الأنعام: ٩١].

❏ يقول اللواء فوزي طايل ـ رحمه الله ـ:

الولايات المتحدة الأمريكية هي مقر الجسم الرئيسي للصهيونية العالمية، منذ بدأت تلكم الحركة.

تغلغل الصهيونية في المجتمع الأمريكي (من مؤسسة الرئاسة وحتى الكنائس، مرورًا بالإعلام والاستخبارات والقوات المسلحة وغيرها).

❏ مثال: «التصويت على قرار الكونجرس بخصوص نقل السفارة الأمريكية إلى القدس في أكتوبر ١٩٩٥م كان بأغلبية ٩٣٪ عضو مجلس شيوخ.

وبالبحث وُجِد أن هؤلاء جميعًا ما بين يهودي، وبين ما يُشكِّل نسبة ١٠٠٪ كل أعضاء مكتبه الاستشاري (السفير د. عمر عامر نائب مساعد وزير الخارجية المصري في ندوة القدس بجامعة الأزهر يوم ١٢/ ١١/ ١٩٩٥م.

❏ مثال ثان على مدى هيمنة الصهيونية على عقلية المفكر

الاستراتيجي الأمريكي: مراكز الدراسات الاستراتيجية بالولايات المتحدة كلها تابعة لمجلس رؤساء المنظمات الصهيونية بأمريكا وأهمها: مركز الدراسات الاستراتيجية للشرق الأدنى.

◻ مثالث ثالث: أحد إصدارات معهد بحوث القوات الجوية الأمريكية تحت عنوان (Respoding tolow- Tutensity conflict chal- lenges) وفيه تناول الدكتور (Levis ware) موضوع «الصراع منخفض المستوى في الشرق الأوسط»، في بدايته يحاول أن يبرّر لماذا العداء للإسلام؟ فيقول: تميّز الإسلام بنظرة شاملة للكون ولمكان الإنسان فيه فهو بذلك يشكل تحديًا أمام انتشار الثقافة والقيم الغربية.. ثم ينهي بحثه بقوله:

{«إن خطورة الإسلام هي خطورة دائمة وممتدة، تهدد إسرائيل والحضارة الغربية»، ويقول: «إن العرب هم أداة الشر المطلق الذي يسعى إلى إفساد برنامج الرب لشعبه المختار في أرض الميعاد. هناك حكمة يهودية تقول: «إذا أمسكت بالأسد فلا تدعه يفلت منك وإلا التهمك». وهذا هو ما نادى به ريتشارد نيكسون في كتابه المشهور «انتهزوا هذه اللحظة»}.

فهلاّ أبطلنا هذه المقولة، وفوّتنا عليهم فرصتهم المتوهمة؟

وواصل اللواء فوزي كلمته: **«لكن القدس ستكون سبب وحدة المسلمين بإذن الله»**.

فما من شيء يستنفر إرادة الأمم ويوّحد صفها بقدر ما تفعل الأخطار... خاصة إذا اقتربت من أمور تمس العقيدة، والأمة مهددة في مقدساتها، وقيمها، وثرواتها، وأراضيها وأبنائها.. فماذا يبقى منها؟

ومتى يكون الجهاد في سبيل اللَّه إن لم يكن الآن؟

* طبيعة الجولة القادمة مع الصهيونية:

□ يقول اللواء أ.ح.د فوزي طايل:

«هناك جولة قادمة لا محالة.. وهي قريبة، كما أن أمامنا عمل جاد طويل وشاق؛ لنمحو به ما علق بحياتنا من شوائب، ولنخطو أول خطواتنا نحو نهضة شاملة بإذن اللَّه.

فأما عن طبيعة الحركة في المدى القريب، فالجولة القادمة مع الصهيونية هي جولة قتال متلاحم أشبه بقتال العصر الأول في الإسلام.

والعدو يدافع عن عقيدة ـ وإن كانت فاسدة ـ إلا أنه يؤمن بها إيمانًا راسخًا، ويعلم أنه يخوض من أجلها معركة حياة أو موت. والحقيقة أنهم ليسوا على حق، فهم لا يتمنون الموت أبدًا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٧].

أي أن طبيعة الجولة القادمة مع الصهيونية كالآتي:

أ ـ حرب شاملة عامة على طول الأرض، وعرضها.

ب ـ ليست ككل الحروب التقليدية، ولا يمكن أن تلعب الأسلحة النووية فيها أي دور.

جـ ـ وقد أتصور أن استعادة القدس تحتاج إلى تعبئة عامة للأمة، وعدم التحويل على ما كان يُسَمّى «الرأي العام العالمي» ولا المجتمع الدولي، ولا الشرعية الدولية لماذا؟ لأن كل هذه العناصر صهيونية أكثر من اليهود[١] .

---

(١) «حصر الأستاذ فهمي هويدي في مقاله «دعوة للفهم وليس لليأس» الأهرام في ٣ ديسمبر

ولا سبيل إلا بانتفاضة إسلامية تشمل الأرض كلها، تتحوّل إلى ثورة بكل مفهوم هذه الكلمة.. ثورة تُغيّر «النظام العالمي الجديد» أُسسه، وأفكاره، ومبادئه، ومؤسساته، ورموزه، من خلال الجهاد في سبيل اللَّه، وهو أمر يتحسّب له التحالف الصهيوني الصليبي المعادي، ويعمل على إقامة تحالف دولي جديد من أجل خوضه»[١] .

*** كيف تفكر إِسرائيل؟ للأستاذ الدكتور حامد ربيع:**

هذا الكتاب هام جدًّا لمعرفة سبيل المجرمين من اليهود أعداء الدين، وهو لعالم متخصص في العلوم السياسية شغل من قبل (رئيس قسم العلوم السياسية بكلية الاقتصاد جامعة القاهرة)، وننصح بقراءته وهو يتناول: الاستراتيجية الإسرائيلية، وخصائصها الحركية، والمنطق العسكري والحرب القادمة، وميدان المعركة، ومفاهيم اليهود للسيطرة على المنطقة، والسلاح الصاروخي وموازين القوى في الشرق الأوسط وعملية تخريب إسرائيل للمجتمع العربي من الداخل ومن حرب على الإسلام من داخل المجتمع العربي[٢] .

= ١٩٩١م ص(٧) الفريق الأمريكي للإشراف على المفاوضات فوجده: رئيس الفريق (دينيس روس)، ومعه (دانيال كورتسر) و(أرون ميلر) و(ريتسارد هاس) ـ وجميعهم من اليهود ـ، و(ويليام بيرنز) وهو النصراني الوحيد في الفريق!!» ا.هـ.
انظر هامش ص(١٣١) من كتاب «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية ـ مصر والحرب القادمة» أ.د حامد ربيع.

(١) «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية» الجولة الإسرائيلية ـ العربية السادسة».

(٢) «قراءة في فكر علماء الاستراتيجية» كيف تفكر إسرائيل للواء فوزي طايل ص(٢٧ ـ ٢٨).

* انهيار الولايات المتحدة قريبًا جدًّا:

ومن معرفة سبيل المجرمين معرفة مآل الحضارة الأمريكية عدوة المسلمين الأولى، وكلام علماء الاستراتيجية حولها:

❏ يقول الدكتور جمال حمدان تحت عنوان: «انهيار الولايات المتحدة قريبًا جدًّا»: «الآن تتصارع الولايات المتحدة للبقاء على القمة، ولكن الانحدار لأقدامها سارٍ وصارم، والانكشاف العام تمّ، الانزلاق النهائي قريبًا جدًّا في انتضار أي ضربة من المنافسين الجدد ـ أوربا، ألمانيا، اليابان».

«وأمريكا تختلف عن كل دول الاستعمار السابق، لا في أنها فقط تنكر أي علاقة لها بالاستعمار، ولكن أساسًا في أنها أول مستعمر وقح متبجّح بصورة علنية فاجرة، فالمستعمرون قبلها كانوا يعرفون أنهم لصوص، ولكن لا يدّعون حقًّا في اللصوصية، إلا أمريكا فإنها لأول مرة تعلن بكل وقاحة أنها لصة ولها حق اللصوصية»[1].

* هل تمثل أمريكا اليوم مرحلة احتضار الحضارة؟

❏ يقول الدكتور جمال حمدان: «بداية نهاية الاتحاد السوفيتي ـ نقولها للمرة الألف بعد المليون! كانت هزيمة يونيو ١٩٦٧م. منذ ذلك التاريخ أصبح خطر الإتحاد السوفيتي في الصراع العالمي مع أمريكا في النازل، ويدها السفلى المهتزة المنكسرة بل المكسورة.

ولذا من السفه النظرية المجنونة إن السوفيت هم الذين خدعوا

---

(١) انظر كتاب: «جمال حمدان صفحات من أوراقه الخاصة» للدكتور عبد الحميد صالح حمدان ـ دار الغد العربي ص(١٦٤).

مصر والعرب استدرجوهم إلى الحرب والهزيمة، حتى لو كانت نواياهم غير طيبة (ومن المسلم به أنهم لم يكونوا معنا قط ١٠٠٪، ولا حتى ٥٠٪، وكانت إسرائيل عندهم فوق العرب قطعًا، وأهم وأبقى وأقرب).

«الإتحاد السوفيتي والولايات المتحدة كما قاما معًا في غفلة من الزمن ستسقطان معًا في ساعة الحقيقة، ولقد سقط الاتحاد، والدور الآن على الولايات المتحدة والأيام بيننا».

ثم يقول الدكتور جمال حمدان:

«النظام العالمي الجديد[١] لا يوجد في عقل العالم، وإنما في «فراغ» عقل العالم العربي فقط، ولربما لو لم يوجد، لأوجده العرب»[٢].

(٨) استراتيجية إسلامية بعيدة المدى وكوادر علمية تحيط بالواقع علماً:

المسيرة نحو القدس لها خطها ونهجها، ولها أهدافها ووسائلها، وكلها أهداف ووسائل ربانية إيمانية، ولكنها لا يمكن أن تسير دون نهج مفصّل واضح، يسمح لأفرادها أن يعرفوا ماذا يريدون، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٠].

لا بد من توضيح جملة حقائق:

---

(١) أي: أمريكا.

(٢) «جمال حمدان ـ صفحات من أوراقه الخاصة» ص(١٨٠ ـ ١٨٢).

أ ـ من هم أعداؤنا؟

ب ـ كيف يفكر كل عدو من أعدائنا، وما هي إمكانياتهم؟

جـ ـ ماذا أعدّ كل عدو من أعدائنا؟

د ـ هل أعددنا أنفسنا لمواجهة هذه التحديات؟ لماذا نجح العدو في تحقيق أهدافه؟

س ـ لماذا نجح العدو في تكبيل الأمة بالأغلال؟ وإجبارها على التسليم له وقد اغتصب مقدساتها وأرضها وثرواتها، وسخر من عقيدتها؟

س ـ لماذا تقف الأمة موقف السلبية تجاه هذا الخطر الماحق الذي يتهدّد وجودها؟

ص ـ لماذا أصبحت الأمة لا تغار على عرض ولا دين ولا على مقدسات؟

❏ والسبب في ذلك كله: جهل الأمة بالإسلام والمقاصد الشرعية لهذا الدين، وبُعد الأمة عن ربها، وضعف الإيمان باللَّه في قلوب أبنائها. الفساد العقدي، والفساد السياسي والسلوكي والأخلاقي، والوقوع في الحرام.. وأكل الحرام، وتعطيل فرائض اللَّه وخاصة فريضة الجهاد في سبيل اللَّه، وعدم تحرير الولاء والبراء.

إن السبب يكمن في جهل الأمة بدينها، وبرسالتها التي من أجلها خُلِقت واستُخلفت في هذه الأرض.

لقد ضُربت خلافتها، ومُزّقت وحدتها، وعُطِّلت شريعتها، وتسلط عليها الأعداء، وهي لا تحرك ساكنًا ﴿**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾ [الأنفال: ٥٣].

◻ والحل سهل مع صدق النية واللجوء إلى اللَّه عز وجل:

ـ تحصيل العلوم الشرعية النافعة.

ـ تحصيل العلوم الكونية والعسكرية ومواكبة العصر الحديث وإعداد كوادر علمية وعسكرية على مستوى العصر.

◻الإيجابية في مواجهة تحديات العصر، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، وإعداد الكوادر القيادية يضع كل فرد من أفرادها في اعتباره أن نصرة دينه، ونصرة أمته وتحرير القدس فريضة في رقبته.

* قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ...﴾ [النساء: ٨٤].

وهذه التحديات تستلزم جهدًا جماعيًّا.

هذه الكوادر تضع نصب عينيها أن قضية فلسطين والقدس هي شغلها الشاغل بعد توحيد اللَّه وعبادته.. لهذه القضية تحيا وتعيش، وتوالي وتعادي، يقول الدكتور الفذ جمال حمدان:

«إن قبول العرب نهائيًّا بضياع فلسطين نهائيًّا، وتثبيت إسرائيل، وهو مقابل الخروج الأندلسي مع فروق، سيكون اعترافًا من العرب عن إنهاء وحلّ العروبة نهائيًّا وإلى الأبد، بمعنى أن أمة قرّرت حل نفسها، واعتبار ذاتها ليست أمة ـ تمامًا ـ كما أعلن الاتحاد السوفيتي حل نفسه وإنهاء وجوده كدولة».

«وفي الحالين فإنه انتحار سياسي وقومي على مبدأ «بيدي لا بيد عمرو» والعدو المضاد في حالتنا هو إسرائيل، وفي حالة الاتحاد السوفيتي أمريكا، وفي الحالين فإن أمريكا هي القاتل النهائي عن بُعد».

«إذا كان اليهود يقولون: لا معنى لإسرائيل بدون القدس، فنحن نقول لهم: لا معنى للعرب بدون فلسطين».

* تعبئة الموارد الإسلامية وتحقيق الاكتفاء الذاتي في مجال الطعام والسلاح:

لأنه أنّى لأمة أن تنتصر على عدو تتسوّل منه رغيف الخبز والسلاح!!؟

* استراتيجية إسلامية طويلة المدى:

ومن الإعداد لا بدّ أن تكون لنا خطة استراتيجية طويلة المدى في مواجهة هذه التحديات المعاصرة[1]، استراتيجية مستمدة من «هوية الإسلام» التي ضعنا يوم أن ضيّعناها، قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨].

❑ وينبغي أن يُسمع لأهل الرأي والذكر في كل موقع من مواقع الحياة.. وأن تحترم التخصصات، وخاصة في المجالات العسكرية، وتكون الصدارة والمكانة فيها لأصحاب الكفاءات والجندية والتجرد لا للولاءات الشخصية التي دمّرت الأمة في أكبر نكبة حلت بها في يونيو ١٩٦٧م.

❑ لا بد من تفريغ كوادر علمية في المجال النووي والكيمائي وإنشاء الصواريخ والطائرات كفيلة لإنهاء غطرسة اليهود والصليبيين في هذا المجال.

---

(١) انظر كتاب «كيف نفكّر استراتيجيًّا» للواء أ. ح. د. فوزي طايل ـ الناشر الإعلام للنشر والتوزيع.

❑ **حظر البترول، واستخدام هذا السلاح الفتّاك ضد أمريكا والصليبيين**؛ لشل حركة الحياة عند الصليبيين، وهذا السلاح سلاح فتاك فعّال يصيب أمريكا ودول الغرب في مقتل إذا أُجيد استخدامه.

❑ **سحب الأموال العربية والإسلامية من بنوك أمريكا والغرب**: فليس من المعقول أن أموال العرب والمسلمين تستخدم لضربهم، من يتصور أن شركة «لوكهيد» التي تصنع طائرات الفانتوم التي قتلتنا معظم رأس مالها من أموال العرب المسلمين!!

يكفيك أن عدانا أهدروا دمنا ... ونحن مِن دمنا نحسو ونحتلبُ

❑ **قيام سوق اقتصادية إسلامية:**

لتحقيق التكامل بين الدول الإسلامية وسدّ احتياجاتها.

(٩) المقاطعة التامة لبضائع اليهود وأمريكا الصليبية:

لقد تزامنت المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل مع بداية الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وفي عام ١٩٢٢م طالب المؤتمر العربي الخامس، والذي عقد في مدينة نابلس الفلسطينية بمقاطعة جميع البضائع اليهودية، ثم تلا ذلك المؤتمر الإسلامي العالمي الذي عُقِد في عام ١٩٣١م، ومع انطلاق ثورة ١٩٣٦م تزايدت الحملة الشعبية للمنتجات اليهودية.

«وقد قدّرت مجموعة اقتصادية إسرائيلية خسائر إسرائيل من جرّاء المقاطعة منذ عام ١٩٤٨م بأكثر من ٧٦ مليار دولار أمريكي»[١].

وفي عام ١٩٧٩م نصت معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية صراحة

---

(١) صحيفة نيويورك تايمز ٢٥/٧/١٩٩١م.

على إنهاء المقاطعة الاقتصادية بين مصر وإسرائيل. وأغرقت البضائع الإسرائيلية الأسواق العربية.

❑ لقد وقفت المقاطعة العربية لإسرائيل ومنذ نشأتها حائلاً أمام تحقيق إسرائيل لأطماعها وأهدافها الاقتصادية في المنطقة، وحرمتها من الاستفادة من المقدرات والثروات الطبيعية التي حبا اللَّه بها هذه المنطقة.

وهذا السلاح هو سلاح مؤثر فعال. بل هو السلاح الوحيد المؤثر نسبيًّا في سجل المواجهة مع إسرائيل في وقتنا الحاضر.

❑ يقول روجيه جارودي: «يجب أن نلتزم بمقاطعة جذرية لكل ما هو أمريكي، سواء كانت منتجات صناعية بدءًا من الكوكاكولا.. إلى أفلام، وكذلك مقاطعة إسرائيل.. أعتقد أن هذا هو السلاح الوحيد المتاح»[١، ٢] الآن.

❑ ويقول شاؤول مزراحي ـ وهو أحد كبار الاقتصاديين الإسرائيليين ـ بأنه لا يمكن لإسرائيل أن تجد وسيلة لاستكمال إمكانيات صناعاتها بزيادة الصادرات إلى البلدان السائرة في طريق النمو ما دامت مبتورة عن بلدان المنطقة الذين هم أقرب جيرانها ويشكلون بذلك سوقًا طبيعيًّا لمنتجاتها.

❑ قال إسحاق رابين في تصريح له في الكنيست في عام ١٩٧٥م: «بأن المقاطعة العربية إذا ما استمرت لسنوات أخرى، فإنها سوف تؤثر وبشكل كبير على قدرة إسرائيل في اجتذاب الاستثمارات الخارجية،

---

(١) «الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية» لروجيه جارودي ص(٣٦٩).

(٢) شركة كوكاكولا يملكها الثري اليهودي روبرت ماكسويل.

لذا فيجب علينا مواجهتها وتحطيمها[١].

□ ويقول أحد الخبراء الاقتصاديين الأمريكيين: «بأن الأثر الأكبر على إسرائيل من جراء المقاطعة هو في مجال الاستثمار وليس في مجال التبادل التجاري، ويكفي أن المقاطعة الهزيلة في السنوات الماضية أفزعتهم حتى أن الرئيس الأمريكي يصرّح لصحيفة لوفيجارو ١٠/٧/١٩٩١م، وصحيفة النيويورك تايمز ويقول: «إنني أود أن أرى نهاية المقاطعة العربية لإسرائيل».

□ ورئيس الوزراء الإسرائيلي السابق «بعث برسالة إلى قادة الدول الصناعية السبع الكبرى قبل اجتماعهم في لندن يحثهم فيها على اتخاذ موقف حازم ضد المقاطعة العربية لإسرائيل، وعلى وضع قانون يحظر على المؤسسات الخاصة في هذه الدول الخضوع لقرارات المقاطعة العربية»[٢].

□ يقول الدكتور القرضاوي في فتواه بمقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية: «ها نحن نرى اليوم إخواننا وأبناءنا في القدس الشريف، وفي أرض فلسطين المباركة يبذلون الدماء بسخاء.. فعلينا نحن المسلمون في كل مكان ـ أن نعاونهم بكل ما نستطيع من قوة ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾.

ومن وسائل هذه المعاونة مقاطعة البضائع الإسرائيلية والأمريكية مقاطعة تامة، فإن كل ريال أو درهم أو قرش، أو فلْس نشتري به سلعهم

---

(١) «حتى تكون مقاطعة العرب لإسرائيل سلاحًا إيجابيًّا» ـ مقال عبد المنعم سليم ـ مجلة الدعوة المصرية العدد (١٥) أغسطس ١٩٧٧م.

(٢) وكالات الأنباء ١٣/٧/١٩٩١م، مجلة السنة العدد (١٧) سنة ١٤١٢هـ ص(٥٢ ـ ٥٣).

يتحوّل إلى رصاصة تُطلق في صدور إخواننا وأبنائنا في فلسطين.

لهذا وجب علينا ألا نعينهم على إخواننا بشراء بضائعهم؛ لأنها إعانة على الإثم والعدوان. لما أسلم ثمامة بن أثال الحنفي ـ رضي اللَّه عنه ـ ثم خرج معتمرًا، فلما قدم مكة قالوا: أصبوت يا ثمامة؟ فقال: لا، ولكني اتبعت خير الدين، دين محمد، ولا واللَّه لا تصل إليكم حبّة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول اللَّه ﷺ، ثم خرج إلى اليمامة، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئًا، فكتبوا إلى رسول اللَّه ﷺ: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف، والأبناء بالجوع، فكتب رسول اللَّه ﷺ إليه أن يخلّي بينهم وبين الحمل»!

والبضائع الأمريكية مثل البضائع الإسرائيلية في حرمة شرائها والترويج لها، فأمريكا اليوم هي إسرائيل الثانية، ولولا التأييد المطلق والانحياز الكامل للكيان الصهيوني الغاصب لما استمرت إسرائيل تمارس عدوانها على أهل المنطقة، ولكنها تصول وتُعربد ما شاءت بمال الأمريكي، والسلاح الأمريكي، والفيتو الأمريكي.

وأمريكا تفعل ذلك منذ عقود من السنين، ولم تر أي أثر لموقفها هذا ولا أي عقوبة من العالم الإسلامي.

وقد آن الأوان لأمتنا الإسلامية أن تقول: لا لأمريكا ولبضائعها التي غزت أسواقنا، حتى أصبحنا نأكل ونشرب، ونلبس ونركب مما تصنع أمريكا.

❑ إن الأمة الإسلامية التي تبلغ اليوم مليارًا وثلث الميار من المسلمين في أنحاء العالم يستطيعون أن يوجعوا أمريكا وشركاءها بمقاطعتها، وهذا ما يفرضه عليهم دينهم وشرع ربهم.

«فكل من اشترى البضائع الإسرائيلية والأمريكية من المسلمين فقد ارتكب حرامًا، واقترف إثمًا مبينًا، وباء بالوزر عند اللَّه والخزي عند الناس.

◘ إن المقاطعة سلاح فعّال من أسلحة الحرب قديمًا وحديثًا، وقد استخدمه المشركون في محاربة النبي ﷺ وأصحابه فأذاهم إيذاءً بليغًا، وهو سلاح في أيدي الشعوب والجماهير وحدها، لا تستطيع الحكومات أن تفرض على الناس أن يشتروا بضاعة من مصدر معين، فلنستخدم هذا السلاح لمقاومة أعداء ديننا وأمتنا حتى يشعروا بأننا أحياء، وأن هذه الأمة لم تمت، ولن تموت بإذن اللَّه.

◘ على أن في المقاطعة معاني أخرى غير المعنى الاقتصادي: إنها تربية للأمة من جديد على التحرر من العبودية لأدوات الآخرين الذين علّموها الإدمان لأشياء لا تنفعها، بكل كثيرًا ما تضرها.. وهي إعلان أخوة الإسلام، ووحدة أمته، وأننا لن نخون إخواننا الذين يقدّمون الضحايا كل يوم، بالإسهام في أرباح أعدائهم، وهي لون من المقاومة السلبية يُضاف إلى رصيد المقاومة الإيجابية، التي يقوم بها الإخوة في أرض النبوّات، أرض الرباط والجهاد.

وإذا كان كل يهودي يعتبر نفسه مجندًا لنصرة إسرائيل بكل ما يقدر عليه، فإن كل مسلم في أنحاء الأرض مجندًا لتحرير الأقصى، ومساعدة أهله بكل ما يمكنه من نفس ومال، وأدناه مقاطعة بضائع الأعداء، وقد قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الأنفال: ٧٣].

◘ وإذا كان شراء المستهلك للبضائع اليهودية والأمريكية حرامًا وإثمًا، فإن شراء التجار لها ليربحوا من ورائها، وأخذهم توكيلات شركائهم

أشد حرمة، وأعظم جرمًا، وأعظم إثمًا، وإن تخفّت تحت أسماء يعلمون أنها مزوّرة، وأنها إسرائيلية الصنع يقينًا.

* قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾»[١] ا.هـ.

(١٠) الزهد وقصر الأمل والبعد عن الترف واللهو وحب الموت وكراهية الدنيا:

□ رحم اللَّه إمام دار الهجرة مالك بن أنس إذ يقول: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، وقد بيّن رسولنا ﷺ كيف صلح أول هذه الأمة.

● فعن عبد اللَّه بن عمرو - رضي اللَّه عنهما - عن النبي ﷺ قال: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»[٢].

فبالزهد تستقر الأقدام على الأرض، وتنزع الأرواح إلى السماء وترفرف إلى الآفاق اللائقة بكمال المسلم.

بالزهد يعلم المسلمون المعاصرون خسّة الدنيا وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها، ويقيم اللَّه في قلوبهم شاهدًا يعاينون به حقيقة الدنيا والآخرة. فلا يرضونها ولا يرضون نقصها وهبوطها ولا يستغرقون فيها، فلا تهبط بهم، فيرفعون رؤوسهم إلى القمة التي أرادها لهم دينهم، ويتركون لهو الدنيا ولعبها وفخرها وتكاثرها، وترفها، ولا تتشعّب

---

(١) مجلة القدس - العدد ٢٤ - ص(١٨ - ١٩).

(٢) حسن: رواه أحمد في «الزهد»، والطبراني في «الأوسط»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٨٤٥).

قلوبهم في أودية الدنيا ولا يتأرجحون ولا يتذبذبون، ولا تشتت قلوبهم، ولا تهن بالسعي وراء الشهوات والحزن على فقدها وضياعها.

وبقصر الأمل تطلب قلوبهم الجنّة في غدوّهم ورواحهم طلب من لا بد لهم منها فيتركون الدنيا قبل أن تتركهم، ويوجهون الهمّ إلى ما ينفعهم عند اللَّه عز وجل.. وتتبدّل حياتهم وتتغيّر فيكون النصر.

□ أما المترفون الذين قال الشاعر يصف واحدًا منهم:

كهوف الليل في باريس قد قتلت مروءاتك

تغوص القدس في دمها وأنت صريع شهواتك

على أقدام مومسة هناك دفنت ثاراتك

فبعت الدين.. بعت القدس.. بعْت رماد أمواتِكْ

* **خدِّريهم يا كوكب الشرق:**

في أعقاب الكارثة المدمرة، في الخامس من حزيران ١٩٦٧م، وقفت أم كلثوم تغني للمترفين، والدم البريء يسيل على كل رابية، والعار الأسود يجلِّل جباه المخدّرين والمخدرات، ممن راحت تصنع وجوههم ولا يشعرون «هذه ليلتي وحلم حياتي».

لعل هذا الضياعَ الذي أصاب الأمة، وهذا الخدر الذي سرى في أعصابها هو الذي دعا صحفيًّا إلى القول في صحيفته البيروتيَّة، مُباهيًا دون خَجَلٍ: «إني أعرفُ مكانة أمِّ كلثوم عند العرب، وأعرفُ كذلك، أن حبَّ الكثيرينَ لها يُوازي حُبَّهم لفلسطينَ».

«كوكبَ الشَّرقِ» لا تَذُوبِي غَرَامَا وَدَلالاً وَحُرقَةً وَهُيَامَا

لاَ ولا تَنفُثِي الضَّيَاعَ قَصِيدًا عَبْقَرِيًّا أوْ تُرسِلِي الأنْغَامَا

فَدِمَاءُ الأَحبَابِ فِي كُلِّ بَيْتٍ ... تَتَنَــزَّى وَتَبْعَـثُ الآلامَـا
وَجِرَاحُ «الأقْصَى» جِرَاحُ الثَّكَالَى ... وَدُمُوعُ «الأَقْصَى» دُمُـوعُ الْيَتَامَى
أَيُّهَا الشَّعْبُ خَدَّرَتْهُ «اللَّيَالِي» ... مُثْقَـلاتٍ تَفَجَّـرَتْ آثَـامَا
فَعَنِ الْحَـقِّ تَـارَةً يَتَلَهَّـى ... وَعَنِ النُّـورِ تَـارَةً يَتَعَـامَى
يَتَهَـاوَى عَلَى ذِرَاعِ طَرُوبٍ ... أَوْ لَعُوبٍ فِي حُضْنِـهَا يَتَرَامَى
وَإِذَا الشِّـعْرُ بِالكُئُـوسِ تَغَـنَّى ... «وَالنُّوَاسِـيُّ عَانَـقَ الْخَيَّـامَا»
وَأَنِـينُ الكَمَـانِ صَـارَ أَذَانًـا ... فِي حِمَى البَيْتِ وَالنَّـدِيمُ إِمَامَا
وَإِذَا لَيْـلَتِي وَحُـلْمُ حَيَـاتِي ... لَمْ نُحَطِّمْ فِي فَجْرِهَـا الأَصْنَامَا
فَإِلامَ الجِهَـادُ يَا «كَوْكَبَ الشَّـرْ ... قِ» وَمَا بَالُنَا نَهُزُّ الْحُسَامَا؟
لا تُغَنِّي الْخِيَـامَ يَا «كَوْكَبَ الشَّرْ ... قِ» وَتَسْقِي مِنْ رَاحَتَيْـهِ الْمُدَامَا
فَفِلَسْـطِينُ لاتُحِـبُّ السُّكَارَى ... وَرُبَى الْقُدْسِ لا تُرِيـدُ النِّيَـامَا
وَلَوَ انَّ الخَيَّـامَ يُبْعَثُ حَيًّـا ... هَوَتِ الْكَأْسُ مِنْ يَدَيْهِ حُطَامَا
«كَوْكَبَ الشَّـرْقِ» ضَاعَ قَوْمِيَ لَمَّا ... تَاهَ فِي حُبِّـكِ الْقَطِيـعُ وَهَامَا

❁ ❁ ❁

- كيف يأتي النصر بالمترفين المارقين الذين نسوا السلاح، من الذين يعيشون عيشة الأباطرة والقياصرة.. في أفخم القصور على شواطئ الريفيرا والريف الإنجليزي من أقزام منظمة التحرير الفلسطينية.

- أيرجى النصر ومن أغنياء الفلسطينيين من مات عنده الإحساس فاشترى مخلّفات عربة ديانا المحطمة بأربعة ملايين دولار.. تكفي لإطعام مخيم سنة كاملة؟! أو المترفين..

هناك في بعض الجهاتْ
يغفو الوُلاةْ
يغفو الوُلاةُ على سرير الطيِّباتْ
كل يُجالسُ عِجْلَهُ الذهبيَّ
يسألُهُ صكوكَ المغفرةْ
حينًا ويغفو كالصَّنَمْ
ما بينهم يوم الكريهة خالدٌ أو مُعْتصِمْ

● أخرج أبو داود في «سننه» عن ثوبان ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: قال رسول اللَّه : «**يُوشكُ أن تَدَاعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: وَمِن قِلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل، ولينزعنَّ اللَّه من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ اللَّه في قلوبكم الوَهْنَ**»، فقال قائل: يا رسول اللَّه، وما الوهن؟ قال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**».

(١١) دور العلماء الربانيين في إيقاظ الأمة... نحن بحاجة إلى مثل سلطان العلماء وبائع الملوك والأمراء عز الدين بن عبد السلام:

إن الأمة في حاجة لمن يوقظها ويكون لها قدوة وأسوة حسنة. وليس هناك بعد رسول اللَّه ﷺ من نبيّ، فمن أجدر من العلماء وهم ورثة الأنبياء للقيام بهذا الدور؟

إن علماءنا يحتاجون إلى أن تكون لهم مصداقية، وهذه تأتي بأن يطوّع كل منهم نفسه ويقصرها على الحق قصراً.

على كل عالم في هذه الأمة أن يكون إسلامًا يمشي على قدمين، يضرب المثل في إيمانه واعتصامه بحبل اللَّه، لا يأمر بالمعروف إلا وقد أمر نفسه به أولاً والتزم به، أن يكون مثالاً في الزهد والتواضع والتضحية والإيثار. . أن يتقدّم الصف حتى يتّبعه الناس.

❑ إن تربية جيل النصر على العقيدة الصحيحة، واستعادة القيم الإسلامية وتربية الأجيال القادمة على قيم الإسلام على حب الجهاد في سبيل اللَّه، وعلى طلب العلم، والإقبال على العمل وإتقانه، وعلى الاعتصام بحبل اللَّه ونبذ الفرقة، والاهتمام بعظائم الأمور، وعدم الانشغال بتوافهها، وألا تتولى إلا اللَّه ورسوله والذين آمنوا، والغيرة على الحرمات، وإعادة بناء الإنسان المسلم على أساسها دور كبير ينتظر العلماء الصادقين.

❑ الدور الأكبر الذي ينتظر العلماء الربانيين تصفية عقيدة الأجيال القادمة مما شابها من العقائد الباطلة والفاسدة والخرافات والشركيات، وتصفية السنّة مما شابها، وتصفية التاريخ الإسلامي مما شابه من الغش لإبراز لآلئ تاريخ أمتنا العظيم لاستخلاص العبر، وتصفية الفقه مما شابهُ من الآراء والمحدثات المخالفة، وتصفية الوعظ مما شابه من الإسرائيليات والخرافات وأحاديث القُصّاص، وتربية الأجيال على هذا، هذا هو أسّ أي إصلاح لإقامة دولة الإسلام.

❑ وينبغي على العلماء أن يوجّهوا المربين إلى إصلاح مناهج التعليم والتربية لإعداد النشء على حب الجهاد، وأن يضع نصب عينيه تاريخ القادة العظام الذين دوّخوا الكافرين. أمثال أبي عبيدة ومعاذ وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة ونور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي

وقطز وبيبرس، وأن يدرس لهذا النشء، معارك الإسلام الفاصلة، وإلهاب عاطفتهم من الصغر على حب البذل والعطاء لدينهم.

الواجب على العلماء الربانيين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر، ويواجهوا الشر وهبوط الأرواح، وكلل العزائم، ويصونوا الأمّة أن يعبث بها كل ذي هوى، وكل ذي شهوة.

لا بد أن يُصلح العلماء اعوجاج الأمة وقادتها وفيهم الجبار الغاشم، والمتسلِّط، وفيهم الهابط الذي يكره الصعود، والمسترخي الذي يكره الاشتداد، والمنحلّ الذي يكره الجدّ، والظالم الذي يكره العدل، وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة وفيهم وفيهم، ممن ينكرون المعروف، ويعرفون المنكر، ولن تعود القدس إلاّ أن يقود العلماء الربانيين مسيرة الأمة ويوجهون الحكام إلى الخير.

* عز الدين بن عبد السلام ينكر على ملك دمشق التنازل عن ديار المسلمين، وعقد الصلح مع الفرنجة الصليبيين المعتدين:

لا بد أن يرفع العلماء لواء الخير في الأمة ويجهروا بكلمة الحق أمام من يتنازل عن ديار المسلمين، أو يعقد صلحًا مع اليهود المعتدين.. ولهم قدوة وأسوة بعز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء، فإنه لما تحالف الصالح إسماعيل حاكم دمشق مع الصليبيين، وأسلمهم قلعة صَفْد، وقلعة الشقيف، وصيدا، وبعض ديار المسلمين اختيارًا؛ لينجدوه على الصالح نجم الدين أيوب، ودخل الصليبيون دمشق لشراء السلاح، لقتال أهل مصر، واستفتى أهل دمشق الشيخ في مبايعة الفرنج السلاح قال سلطان العلماء: يحرُم عليكم مبايعتهُم؛ لأنكم تتحققون أنهم يشترونه

ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين.

وترك عز الدين الدعاء للحاكم في الخطبة، وجدّد دعاءه في الجامع الذي كان يدعو به إذا فرغ من الخطبتين: «اللَّهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد تُعِزّ فيه وليّك، وتُذِلُّ فيه عدوّك، ويعمل فيه بطاعتك، ويُنهى فيه عن معصيتك».

والناس يبتهلون بالتأمين والدعاء للمسلمين والنصر على أعداء اللَّه واعتُقِل الشيخ، وبقي مدة معتقلاً، وأُخرج الشيخ من معتقله فأقام مدة في دمشق، ثم انتزح عنها إلى بيت المقدس، وجاء الصالح إسماعيل والملك المنصور صاحب حمص وملوك الفرنج بعساكرهم وجيوشهم إلى بيت المقدس يقصدون الديار المصرية، فسيّر الصالح إسماعيل بعض خواصه إلى الشيخ بمنديله، وقال له: تدفع منديلي إلى الشيخ وتتلطّف به غاية التلطّف وتستنزله، وإن خالفك فاعتقله في خيمة إلى جانب خيمتي، فلما اجتمع الرسول بالشيخ شرع في مُسايسته وملاينته، ثم قال له: بينك وبين أن تعود إلى مناصبك وما كنت عليه وزيادة أن تنكسر للسلطان، وتُقَبِّل يده لا غير.

وهنا قال سلطان العلماء كلماته النيّرَة، فيها استعلاء أهل العلم، قال: «واللَّه يا مسكين، ما أرضاه أن يقبِّل يدي، فضلاً أن أقبِّل يده. يا قوم، أنتم في وادٍ، وأنا في وادٍ، الحمد للَّه الذي عافاني مما ابتلاكم به»[1].

عزّة سلطان العلماء بربه.. يصون يده المتوضئة عن ملامسة عميل للصليبيين، وإن كان سلطان دمشق.. يصون يده التي تكتب العلم

---

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤).

وتسجد لمولاها.

«فقال له: قد رُسِم لي إن لم توافق على ما يُطلب منك وإلا اعتقلتك.

فقال: افعلوا ما بدا لكم. فأخذه واعتقله في خيمة إلى جانب خيْمة السلطان. وكان الشيخ يقرأ القرآن والسلطان يسمعه، فقال يومًا لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟ قالوا: نعم. قال: هذا أكبر قسوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره عليّ تسليمي لكم حصون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس، وقد جدّدت حبسه واعتقاله لأجلكم.

فقالت له ملوك الفرنج: لو كان هذا قسيسنا لغسلنا رجليْه، وشربنا مرقتها»[(١)].

هذه شهادة الكفار في حق العلماء الربانيين[(٢)].

الأمة تحتاج إلى مثال عبد اللَّه بن محيريز، وسعيد بن المسيب وجهبذ العلماء سعيد بن جبير والأوزاعي والثوري إمام الدنيا الذي كان يبول الدم إذا رأى المنكر ولم يتكلم، وابن أبي ذئب والعمري،

---

(١) «طبقات الشافعية» (٨/ ٢٤٤).

(٢) أين هذا من «فتوى تبيح الصلح مع إسرائيل من لجنة من علماء مصر برئاسة الشيخ محمد متولي الشعراوي!!» بل ويشبهون كامب ديفيد بأنها مثل صلح الحديبية!!!، ويقول الشيخ محمد الغزالي في المؤتمر الديني الذي عُقِد في جامعة القاهرة: «إن تعاليم الإسلام تدعونا لمحاورة اليهود وأخذ حقوقنا منهم، وأنه لا حقّ لما يردّده بعض شباب الجماعات الإسلامية بتحريم الجلوس معهم على مائدة المفاوضات، وقال: إن الرأي العام الإسلامي يرفض التفريط في شبر واحد من القدس أو أرض فلسطين!!!» ا.هـ من «الشرق الأوسط» ٢٨/ ١٠/ ١٩٩١م.

وأبي حــازم الأعرج، وطـاووس، وزيـــاد العبدي، وعطــاء بن أبي ربــاح، والطرطوشي، وشيخ الإسلام ابن تيمية.

إن أمة يقودها علماؤها الربانيون بكتاب اللَّه وسنة رسوله، ويخضع لهم القاصي والداني والصغير والكبير.. لن تُخطئ الطريق إلى القدس والأقصى.. مثلما قاد الشيخ آق شمس الدين تلميذه محمد الفاتح إلى فتح القسطنطينية.

(١٢) التوكل على اللَّه وحده:

وأعلى التوكل التوكل على اللَّه في نصرة دينه، ودفع فساد اليهود المفسدين، واسترجاع القدس درة بلاد المسلمين، هذا التوكل يجعل المتوكلين من جيل النصر يلهجون بما قاله محمد ﷺ حين قالوا له: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

❑ عندما يتوكل القلب على اللَّه، ويتصل باللَّه، وينفض يده من كل الأشباح الزائفة والأسباب الباطلة للنصرة والحماية والالتجاء، ويتوكل على اللَّه وحده يأتي نصر اللَّه ومدده وفرجه.

❑ يتوكل المؤمن على اللَّه وحده، وهو مطمئن إلى موقفه وطريقه، مالئ يديه من وليّه وناصره، يعلم أن اللَّه الذي يهدي السبيل لا بد أن ينصر ويعين ويُثبِّت، يحسّ القلب أن عناية اللَّه سبحانه تقود خطاه وتهديه السبيل.

❑ تستشعر القلوب التي وجهت وجهها لفاطر السماوات والأرض ترجوا رحمته في نصرة دينه أن الأمر كله بيد اللَّه، وعموم قدرته،

وكمال ملكه، وتمام عدله وعظم إحسانه، فتتفتح كوى النور أمامها، وتبصر الآفاق المشرقة، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة، فلا تتخلى عن دربها وطريقها.. تضع أمامها قول نبيها ﷺ: **«يا أبا بكر ما ظنك باثنين اللَّه ثالثهما»**، وقول أم إسماعيل: **«إذن لا يضيّعنا»**، وقول جبريل - عليه السلام - لأم إسماعيل: **«إلى من وكلكما؟» قالت: إلى اللَّه. قال: وكلكما إلى خير كاف.. لا تخشي الضَّيْعة.. إن اللَّه لا يُضيِّع أهله».**

(١٣) بالدعاء والعبرات يتنزَّل النصر من السماوات:

● عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ سَرّه أن يستجيب اللَّه له عند الشدائد والكُرَب فليُكثر الدعاء في الرخاء»**[1].

وهذا الطريق عرفه السابقون من كرام الأمة.. بكى النبي ﷺ ليلة بدر وتضرّع إلى ربه حتى أصبح فكان النصر.

□ ودعا محمد بن واسع عند فتح كابل؛ فكان النصر.

إنما يتنزل النصـر على الأتقيـاء.. من سـاروا على طريق الذل والانكسار والافتقار إلى اللَّه.. وهو أقرب من كل طريق، وما أدنى النصر والرحمة والرزق من قلوب منكسرة.. وما أنفع هذا الذل لملك الملوك لها، وأجداه عليها.

إذا استكان العبد، ووضع خده على عتبة العبودية، ونظر بقلبه إلى ربه ووليّه نظر الذليل إلى العزيز الرحيم، وتملق لربه خاضعًا له، باكيًا مستعطفًا. أمات بالذل عزته، وجعل إلى اللَّه وحده حاجته، وأرسل على الوجنة عبرته، وسأل بالدعاء رحمته، وشكا إلى اللَّه غربته نزل

(١) حسن: رواه الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٢٩٠).

النصر من السماء وأعزّ اللَّه دينه وملته، ورجعت القدس لؤلؤة المسلم ودرّته.

(١٤) الجهاد في سبيل اللَّه سبيلنا الوحيد.. سبيل المتقين لعودة القدس وفلسطين:

إنه جوهر الأمن في أمتنا.. إنه ذروة سنام ديننا.. إنه باب من أبواب الجنة.. إنه انطلاق من قيد الأرض، وارتفاع من ثقلة اللحم والدم.. إنه الطريق الذي تجزع منه الأرواح الهزيلة المنخوبة.. إنه الأفق العالي الذي تتخاذل دونه النفوس الصغيرة المهزولة.. الجهاد شرف للذين يسيرون على طريقه الصاعد إلى الآفاق الكريمة، أما الذين يعيشون على حاشية الحياة، وإنْ خُيِّلَ إليهم أنهم بلغوا منافع ونالوا مطالب، واجتنبوا أداء الثمن الغالي، فالثمن القليل لا يشتري سوى التافه الرخيص، فما لهؤلاء والجهاد.

* قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٠ ـ ١٢].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ

وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

* وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨ - ٣٩].

□ كيف تنام الأمة عن الجهاد في سبيل اللَّه والأحاديث النبوية تحدو بها ليل نهار:

• قال رسول اللَّه ﷺ: **«أفضل الناس مؤمن يجاهد في سبيل اللَّه بنفسه وماله، ثم مؤمن في شِعْبٍ من الشِّعاب يتَّقي اللَّه ويَدَع الناس من شرِّه»**(١).

• وقال ﷺ: **«أفضل العمل الصلاة لوقتها، والجهاد في سبيل اللَّه»**(٢).

ويكفي الجهاد فضلاً تَمَنِّي الرسول ﷺ ألا يقعد خلف سريّةٍ، ويكفي الشهادة فخرًا تمنّي رسول اللَّه ﷺ لها.

• قال رسول اللَّه ﷺ: **«انتَدَبَ اللَّه لمن خرج في سبيله، لا يُخرجه إلا إيمانٌ بي، وتصديقٌ برسلي، أن أرجعه بما نال من أجرٍ أو غنيمة، أو أُدخله الجنة، ولولا أن أشُقّ على أُمتي، ما قعدتُ خلفَ سريّة، ولوددتُ أن أُقتل في سبيل اللَّه، ثم أحيا ثم أُقتل، ثم أحيا ثم أُقتل»**(٣).

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه البيهقي في «شعب الإيمان» عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (١١٢٣) رقم (١١٢٣)، وعند البخاري ومسلم: **«ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل اللَّه»**.

(٣) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

ولما تمنى سليمان ـ عليه السلام ـ كثرة الأولاد؛ ليكونوا فرسانًا يجاهدون في سبيل اللَّه.

● عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**قال سليمان بن داود: لأطُوفنَّ الليلة على سبعين امرأة، تحمل كلُّ امرأة فارسًا يُجاهد في سبيل اللَّه. فقال له صاحبُه: إن شاء اللَّه. فلم يقُل، ولم تحمل شيئًا، إلا واحدًا ساقطًا أحَدُ شقَّيْه**»، فقال النبي ﷺ: «**لو قالها لجاهدوا في سبيل اللَّه**». رواه البخاري ومسلم.

قال شعيب وابن أبي الزِّناد: «تِسْعِين». وهو أصحُّ.

● وقال ﷺ: «**إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف**»(١).

● وقال ﷺ: «**إن سياحة أُمتي الجهاد في سبيل اللَّه**»(٢).

● وقال رسول اللَّه ﷺ لأبي ذرّ: «**أُوصيك بتقوى اللَّه تعالى، فإنه رأس كل شيءٍ، وعليك بالجهاد، فإنه رهبانية الإسلام، وعليك بذكْر اللَّه تعالى، وتلاوة القرآن، فإنه رَوْحُكَ في السماء وَذِكْرك في الأرض**»(٣).

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أيّما مسلم رمى بسهمٍ في سبيل اللَّه، فبلغ مخطئًا أو مُصيبًا، فله من الأجر كرقبةٍ أعْتَقَهَا مَن ولد إسماعيل...**»(٤).

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والترمذي عن أبي موسى.

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود، والحاكم في «المستدرك» وصححه، والبيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي أُمامة، وأخرجه ابن عساكر وابن المبارك عن سعد بن مسعود الكِندي، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٠٩٣).

(٣) حسن: رواه أحمد عن أبي سعيد، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (٥٥٥)، و«صحيح الجامع» رقم (٢٥٤٣).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن عمرو بن عبسة، وأحمد في «مسنده»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٧٣٩)، و«الصحيحة» رقم (١٧٥٦).

● وقال ﷺ: «تكفَّل اللَّه لمن جاهد في سبيله، لا يُخرجه من بيته إلا الجهادُ في سبيله، وتصديق كلماته، بأن يُدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غنيمة»(١) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «ثلاثة كلّهم ضَامنٌ على اللَّه: رجلٌ خرج غازيًا في سبيل اللَّه، فهو ضامن على اللَّه حتى يتوفَّاه، فُيدخله الجنة أو يرُدّه بما نال من أجرٍ أو غنيمةٍ...»(٢) .

● وقال ﷺ: «ثلاثة في ضمان اللَّه عز وجل: رجل خرج إلى مسجدٍ من مساجد اللَّه عز وجل، ورجل خرج غازيًا في سبيل اللَّه تعالى، ورجل خرج حاجًّا»(٣) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «عليكم بالجهاد في سبيل اللَّه، فإنه بابٌ من أبواب الجنة، يُذهِب اللَّه به الهمَّ والغمَّ»(٤) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «الرَّوْحة والغَدْوة في سبيل اللَّه، أفضل من الدنيا وما فيها»(٥) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ: «غَدْوَة في سبيل اللَّه أو رَوْحَة، خيرٌ مما

---

(١) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

(٢) صحيح: رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم وصححه عن أبي أُمامة، وصححه الألباني في «تخريج المشكاة» (٧٢٧)، وصحيح الجامع» رقم (٣٠٥٣).

(٣) صحيح: رواه أبو نعيم في الحلية عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٠٥١)، و«الصحيحة» رقم (٥٩٨).

(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أبي أمامة، وأحمد والحاكم والهيثم، وابن بشران والضياء عن عبادة، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٩٤١)، و«صحيح الجامع» (٤٠٦٣).

(٥) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، عن أبي سعيد.

طلعتْ عليه الشمسُ وغربتْ»[١] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «قيام ساعة في الصف للقتال في سبيل اللَّه، خير من قيام ستين سنة»[٢] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «موقفُ ساعةٍ في سبيل اللَّه، خيرٌ من قيامِ ليلة القَدْر عند الحجر الأسود»[٣] .

● وقال ﷺ في حديث معاذ: «وَذِرْوَة سَنَامه: الجهاد».

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «ما اغبرَّتْ قدما عبدٍ في سبيل اللَّه، إلا حرَّم اللَّه عليه النار»[٤] .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «مَثَلُ المجاهد في سبيل اللَّه ـ واللَّه أعلم بمن يُجاهد في سبيله ـ كمثل الصائم الدائم، الذي لا يفتُر من صيامٍ ولا صدقة، حتى يرجع، وتوكَّل اللَّه للمجاهد في سبيله إنْ توفّاه أن يُدخله الجنة، أو يرجعه سالمًا مع أجرٍ أو غنيمة»[٥] .

● وقال ﷺ : «مثل المجاهد في سبيل اللَّه ـ واللَّه أعلم بمن يجاهد في

---

(١) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي عن أبي أيوب.

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن عدي، وابن عساكر عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٢٩).

(٣) **صحيح**: رواه ابن حبان، والبيهقي في «الشعب» عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٦٣٦).

(٤) **صحيح**: رواه الشيرازي في «الألقاب» عن عثمان، والبخاري، والترمذي، والنسائي، وأحمد عن عبد الرحمن بن جبر، وأحمد والدارمي عن مالك بن عبد اللَّه، والطيالسي وأحمد عن جابر.

(٥) رواه البخاري، ومسلم، والنسائي، والترمذي عن أبي هريرة.

سبيله ـ كمثل الصائم القائم الخاشع الرّاكع الساجد»[١] .

● وقال ﷺ : «ما خالط قلبَ امرئ مسلم رَهْجٌ في سبيل اللَّه، إلا حرّم اللَّه عليه النار»[٢] .

● وقال ﷺ : «من راح رَوْحَة في سبيل اللَّه، كان له بمثْل ما أصابه من الغُبار مسكًا يوم القيامة»[٣] .

● وقال ﷺ : «من قاتل في سبيل اللَّه فُواق ناقة، فقد وجبتْ له الجنة، ومن سأل القتْل في سبيل اللَّه من نفسه صادقًا، ثم ماتٍ، أو قُتل، فإنّ له أجر شهيد، ومن جُرح جرحًا في سبيل اللَّه، أو نُكب نَكْبَةً، فإنها تجيء يوم القيامة كأغْزَرِ ما كانت، لونها لون الزَّعْفَران، وريحها ريح المسك، ومن خرج به خُرَّاج في سبيل اللَّه، كان عليه طابع الشهداء»[٤] .

● وقال ﷺ : «والذي نفسي بيده، لو أن رجالاً من المؤمنين لا تطيب أنفسُهم أن يتخلَّفوا عني، ولا أجد ما أحْملُهم عليه، ما تخلَّفتُ عن سريّة تغزو في سبيل اللَّه، والذي نفسي بيده، لوددتُ أني أُقتل في سبيل اللَّه ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل»[٥] .

---

(١) صحيح: رواه النسائي عن أبي هريرة، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٨٥٠).

(٢) صحيح: رواه أحمد عن عائشة، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٢٧)، و«صحيح الجامع» رقم (٥٦١٦).
والرهج: الغُبار.

(٣) حسن: رواه ابن ماجه والضياء عن أنس، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٣٣٨)، و«صحيح الجامع» رقم (٦٢٦٠).

(٤) رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان عن معاذ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤١٦).

(٥) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي عن أبي هريرة.

● وقال ﷺ : «لا تفعل، فإن مقام أحدكم في سبيل اللَّه، أفضل من صلاته في بيته سبعين عامًا، ألا تُحبُّون أن يغفر اللَّه لكم ويُدخلكم الجنة؟ اغْزوا في سبيل اللَّه، من قاتل في سبيل اللَّه فُواق ناقة، وجبتْ له الجنة»(١) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «يا أبا سعيد، من رضي باللَّه ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا، وجبتْ له الجنة. وأُخرى يُرفع بها العبد مائة درجة في الجنة، ما بين كلِّ درجتين كما بين السماء والأرض؛ الجهاد في سبيل اللَّه، الجهاد في سبيل اللَّه»(٢) .

* قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التوبة: ١٩ ـ ٢٢].

● وقال ﷺ : «إن أرواح الشهداء في جوف طيرٍ خُضرٍ، لها قناديلُ معلَّقةٌ تحت العرش، تسرح من الجنة حيث شاءتْ، ثم تأوي إلى تلك القناديل، فاطَّلع إليهم ربُّهم اطِّلاعة فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أيّ شيءٍ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ فيفعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلمّا رأوْا أنهم لم يُتركوا من أن يُسألوا، قالوا: يا ربّ، نريد أن تردّ أرواحنا في أجسادنا، حتى نرجع

---

(١) حسن: رواه الترمذي، والحاكم عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧٣٧٩)، و«تخريج المشكاة» (٣٨٣٠).

(٢) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي عن أبي سعيد.

إلى الدنيا فَنُقتل في سبيلك مرةً أُخرى. فلمَّا رأى أنْ ليس لهم حاجة تُركوا»(١) .

● وقال ﷺ : «للشهيد عند اللَّه سبع خصال: يُغفر له في أوّل دَفْعة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُحَلَّى حُلَّة الإيمان، ويُزوَّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويُجار من عذاب القبر، ويأمن من الفَزَع الأكبر، ويُوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويشفع في سبعين إنسانًا من أهل بيته»(٢) .

● وقال ﷺ : «ما من مكلومٍ يُكْلَم في سبيل اللَّه، إلا جاء يوم القيامة وكَلْمُه يَدْمَى، اللّونُ لونُ الدمِ، والرِّيح ريح المسك»(٣) .

● وقال ﷺ : «من سأل اللَّه الشهادة بِصِدْقٍ، بَلَّغَه اللَّه منازل الشهداء وإن مات على فراشه»(٤) .

● وقال ﷺ : «يُؤْتى بالرجل يوم القيامة من أهل الجنة، فيقول له: يا بن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أيْ ربّ، خير منزل. فيقول: سَلْ وتَمَنَّ. فيقول: يا ربّ، ما أسأل ولا أتمنّى إلا أن تُردَّني إلى الدنيا، فأُقتل في سبيلك عشر مرارٍ؛ لما يرى من فَضْلِ الشهادة...»(٥) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «يضحك اللَّه إلى رَجُلَيْن قتلَ أحدُهما الآخَرَ، يدخُلان الجنة، يُقاتل هذا في سبيل اللَّه فيُقْتَل، ثم يتوب اللَّه على القاتلِ

---

(١) رواه مسلم، والترمذي عن ابن مسعود.

(٢) صحيح: رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن المقدام بن معدي كرب، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥١٨٢)، و«أحكام الجنائز» (٣٥ ـ ٣٦).

(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة.

(٤) رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن سهل بن حنيف.

(٥) رواه أحمد، ومسلم، والنسائي عن أنس.

فُسلِم، فيُقاتِل في سبيل اللَّه فيُستَشْهَد»(١) . وإنا لنرجو أن يكون عكاشة بن محصن وطليحة الأسدي من هؤلاء.

● وقال ﷺ : «يُغفر للشهيد كل ذنبٍ إلاَّ الدَّيْن»(٢) .

● وقال ﷺ : «لما أُصيب إخوانكم بأُحد، جعل اللَّه أرواحهم في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أنهار الجنة، تأكُل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهبٍ، معلَّقة في ظلِّ العرش، فلمَّا وجدوا طِيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: مَنْ يُبَلِّغُ عنّا أنَّا أحياء في الجنة نُرزق؛ لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتّكِلُوا عند الحرب؟ فقال اللَّه تعالى: أنا أُبلِّغهم عنكم»(٣) .

● وقال رسول اللَّه ﷺ : «عَجب ربُّنا من رَجُلٍ غزا في سبيل اللَّه، فانهزم أصحابُه، فَعَلِمَ ما عليه، فرجع حتى أُهريق دمُه، فيقول اللَّه عز وجل لملائكته: انظروا إلى عبدي، رجع رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي، حتى أُهريق دمه»(٤) .

● وقال ﷺ : «عينان لا تَرَيَانِ النار: عينٌ بَكَتْ وَجَلاً من خشية اللَّه، وعين باتتْ تَكْلأ في سبيل اللَّه»(٥) .

---

(١) رواه أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد، ومسلم عن ابن عمرو.

(٣) صحيح: رواه أحمد، وأبو داود، والحاكم عن ابن عباس، وصححه الحاكم، والألباني في «صحيح الجامع» رقم (٥٢٠٥).

(٤) صحيح: رواه أبو داود عن ابن مسعود، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٨١).

(٥) صحيح: رواه الطبراني في «الأوسط» عن أنس، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤١١١).

● وبَيّنَ ﷺ أن الشهيد لا يُفتن في قبره فقال: «كفى ببارِقَةِ السيوف على رأسه فتنة»[١] .

● وقال رسول اللّه ﷺ : « رِبَاطُ شهرٍ خير من صيام دهر، ومن مات مُرابطًا في سبيل اللّه أمِنَ من الفزع الأكبر، وغُدِّيَ[٢] عليه برزقه، ورِيحَ[٣] من الجنة، ويُجرى عليه أجر المرابط حتى يبعثه اللّه»[٤] .

● وقال ﷺ : «رباط يومٍ في سبيل اللّه خيرٌ من الدنيا وما عليها، وموضع سَوْطِ أحدكم من الجنة خيرٌ من الدنيا وما عليها، والرَّوْحَة يَرُوحها العبد في سبيل اللّه أو الغَدْوَة خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٥]

● وقال رسول اللّه ﷺ : «القتلى ثلاثة: رجلٌ مؤمنٌ جاهَدَ بنفسه وماله في سبيل اللّه، حتى إذا لَقِيَ العدو قاتَلَهم حتى يُقتل، فذلك الشهيد المُمْتَحَن في خيمة اللّه تحت عرشه، ولا يَفْضُلُه النبيون إلا بِفَضْلِ درجةِ النُّبوَّة. ورجل مؤمن قرف على نفسه من الذنوب والخطايا، جاهد بنفسه وماله في سبيل اللّه حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قُتل، فتلك مصمصةٌ محتْ ذنوبه وخطاياه؛ إن السيف محَّاءٌ للخطايا، وأُدْخِلَ من أيِّ أبواب الجنة شاء، فإن لها ثمانية أبواب ـ ولجهنم سبعة أبواب ـ وبعضها أفضلُ من بعضٍ. ورجل منافق، جاهد بنفسه وماله في سبيل اللّه، حتى إذا لقي العدو قاتل حتى قُتل، فذلك في النار، إن السيف لا يمحو

(١) صحيح: رواه النسائي عن رجل، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٤٤٨٣).
(٢) مُرَّ عليه برزقه.
(٣) طُيِّب.
(٤) صحيح: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٤٧٩).
(٥) رواه مسلم عن سلمان.

النفاق»(١) .

● وقال ﷺ : **«أفضل الشهداء من سُفِكَ دمه وعُقِر جواده»**(٢) .

● وقال ﷺ : **«أفضلُ الشهداء الذين يُقاتلون في الصَّفِّ الأوَّل، فلا يَلْفِتُون وجوههم حتى يُقتلوا، أولئك يتلبَّطُون**(٣) **في الغُرَف العُلا من الجنة، يضحك إليهم ربُّك، فإذا ضحك ربُّك إلى عبدٍ في موطنٍ، فلا حساب عليهم»**(٤) .

اللَّهم اضحكْ إلينا، وارزقنا أعلى درجات الشهداء، واحشُرنا إليك من حواصل الطيور.

يا وَيْحَ نَفْسي وما ارتفعتْ بنا هِمَمٌ ... إلى الجنانِ وتالي القــومِ أوّابُ
إلى كَوَاعِب للأطرافِ قاصِرَة ... وَظِلٍّ طُوبَى وَعِطْرُ الشَّدْو يَنْسَابُ
إلى قنــاديــل عُلِّــقتْ شــرفًــا ... بعرشِ ربي لمن قُتِلُوا وما غَابُوا

□ قال أنس: أنزل اللَّه في الذين قُتلوا ببئر معونة قرآنًا قرأناه حتى نُسِخَ بعدُ: (أن بَلِّغوا قومَنَا أن قد لَقِينا ربَّنا فَرَضِيَ عنّا وَرَضِينَا عنه)(٥) .

---

(١) إسناده حسن: رجاله ثقات رجال الصحيح غير أبي المثنى ـ فقد روى عنه اثنان. أخرجه ابن حبان واللفظ له، والطيالسي ومن طريقه البيهقي، وأخرجه أحمد والدارمي، والطبراني، وقال الهيثمي: ورجال أحمد رجال الصحيح خلا أبي المثنى وهو ثقة.
والشهيد المُمتَحَن: المصفّى المهذّب، وعند أحمد والطبراني «المفتخر»، وقرف: أي كسب، ومصمصة: أي مطهرة من دنس الخطايا.

(٢) **صحيح**: رواه الطبراني في «الكبير» عن أبي أُمامة، وأحمد، وأبو داود، عن عبد اللَّه بن حبشي، وصححه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٥٠٤)، و«صحيح الجامع» رقم (١١٠٨).

(٣) أي: يتمرَّغون.

(٤) **صحيح**: رواه أحمد، والطبراني في الكبير عن نعيم بن همار، وأخرجه أبو يعلى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٧ ـ ١١).

(٥) رواه البخاري، ومسلم، والبغوي، وابن حبان.

• وقال ﷺ : «أنا زعيمٌ - والزعيم: الحميل - لمن آمن بي وأسلم وهاجر ، ببيتٍ في ربض الجنة، وببيتٍ في وسطة الجنة، وأنا زعيمٌ لمن آمن بي وأسلم وجاهد في سبيل اللَّه، ببيت في ربض الجنة، وببيت في وسط الجنة، وببيت في أعلى غُرَف الجنة، فمن فعل ذلك، لم يَدَع للخير مطلبًا، ولا من الشَّرِّ مهربًا، يموت حيث شاء أن يموت».

والزعيم هو الحميل، هو الكفيل، وهو مدرج في الحديث[1] .

فمتى يُشنّف أسماعنا خفق البنود وزئير الأسود من رجال اللَّه لفك القيود عن قدسنا الحبيب. . متى نسمع صوت المعركة ؟

ترنَّمْ وجَلْجِلْ
وبالنور أقبلْ
وَهَاتِ الطُّبُولَ، وَهَاتِ الْخُيُولَ
وَهَاتِ الْبيَارِقْ
وَهَاتِ الصَّدَى مِنْ مَزَامِيرِ «طَارِقْ»
وَأَيْقظْ عَمُورِيَّةً مِنْ كَرَاهَا
وَذُقْ نَارَهَا، وَاسْقِني مِنْ لَظَاهَا
بَقَايَا ضُحَاهَا
وَخُذْ نَغْمَةً مِنْ سَمَاوَاتِ حِطِّينَ

---

(١) إسناده صحيح: رواه ابن حبان واللفظ له، والنسائي، والطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «السنن»، والحاكم في «المستدرك» وصححه، ووافقه الذهبي.

وَاخْضِبْ نِدَاءَكْ
وَأَوْغِلْ مَعَ الرِّيحِ فِي كُلِّ أُفْقٍ
وَفَجِّرْ إِبَاءَكْ
وَدُرْ بِالْعُصُورِ، وَبُوقِ النُّشُورِ
عَلَى الْهَامِدِينَ
وَأَنْشِبْ هَدِيرَكَ فِي كُلِّ كَهْفٍ عَلَى الشَّامِتِين
وَلاَ تَخْشَ لَيْلاً بِغَفْلاَتِنَا قَدْ نَسَجْنَا ظَلاَمَهْ
وَرُحْنَا مِنَ الْوَهْمِ نَشْكُو دُجَاهُ وَنَبْكِي خِيَامَهْ
وَنَحْنُ الَّذِينَ افْتَرَقْنَا فَتُهْنَا ضَيَاعًا بِدَرْبِهْ
وَدُسْنَا بِأَقْدَامِنَا كُلَّ نُورٍ هَدَانَا بِرَكْبِهْ
فَكَمْ صَحْوَةٍ لِلشُّعُوبِ تَرُدُّ مِنَ الْمَوتِ صَحْوَ الْحَيَاهْ
وَكَمْ يَقْظَةٍ مِنْ رَمَادِ الزَّوَالِ
هِيَ الْفَجْرُ تَخْضَرُّ مِنْهَا رُبَاهْ
صَحَوْنَا وَلاَ بُدَّ نَسْحَقُ بِالنُّورِ لَيْلَ الطَّرِيقِ
وَنَصْمُدُ، حَتَّى نَرُدَّ مِنَ اللَّيْلِ ضَوْءَ الشُّرُوقِ
فَزَمْجِرْ كَمَا كُنْتَ
حَتَّى تَرُدَّ إِبَاءَ السِّنِين
وَشُقَّ الصُّدُورَ

وَأَضْرِمْ بِهَا غَفْلَةَ الْوَاقِفِين
وَغَيِّرْ هَوَانَا
وَغَيِّرْ رُؤَانَا
وَأَشْعِلْ بِنَا ثَوْرَةَ لِلْيَقِيْن
وَلَنْ يَغْسِلَ الْعَارَ
إلاَّ امْتِدَادُكَ فِي كُلِّ شَيْ
وَلَنْ يُرْجِعَ الثَّارَ
إلاَّ انْتِفَاضُكَ فِي كُلِّ حَيْ
وَلَنْ يُرْجِعَ الدارَ
إلاَّ اقْتِحَامُكَ ذُلَّ الْخَلِيَّهْ
وَمَحْوُكَ لِلْيَأْسِ مِنْ كُلِّ رُوحٍ غَبِيَّهْ
فَصَوْتُكَ فِي كُلِّ رُوحٍ حَيَاهْ
وَصَوْتُكَ لِلنَّصْرِ أَتْقَى صَلاَهْ
فَقَاتِلْ بِهِ فِي الْعُرُوقِ دَمَ الْيَائِسِيْن
وَأَيْقِظْ بِهِ فِي الدِّمَاءِ رُؤَى الْهَامِدِيْن
وَأَعْجِلْ بِهِ النَّصْرَ لِلصَّامِدِيْن
وَيَوْمَ نَرُدُّ التُرَابَ الْحَبِيبَ لأَقْدَامِنَا
وَصَوْتُكَ بِالنَّصْرِ يَجْرِي نَشِيدًا لأَيَّامِنَا

سَتَسْمَعُ مَعْ كُلِّ أُفْقٍ أَذَانًا يَهُزُّ الشُّهُبْ
وَيَخْضَرُّ فِي الأَرْضِ لَحْنُ الْبُطُولَةِ
نَحْنُ الْعَرَب(1) .

(١٥) الثقة واليقين بنصر اللَّه للمؤمنين، وأن شمس الإسلام لا تغيب، والغد كل الغد لنا في القدس والأقصى:

لا مكان لليأس فسيبزغ الفجر. . لا مكان له في زمن اللَّه القادم، الثقة واليقين بوعد اللَّه لعباده المؤمنين تملأ نفوسنا بالأمل بأن المستقبل كل المستقبل لنا في قدسنا الحبيب، فلا عذر لمتخاذل كسول قانط يائس.

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل»**(2) .

* قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

* وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

* وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢ - ٣٣].

---

(١) من قصيدة «صوت المعركة» لمحمود حسن إسماعيل.
(٢) حسن: رواه ابن أبي الدنيا.

* وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠ - ٢١].

* وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

* وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ...﴾ [المجادلة: ٥].

□ والمبشرات من السنة النبوية كثيرة كثيرة..

وقد أفردنا فصلاً كاملاً لمستقبل فلسطين الزاهر.. وأن أرض فلسطين ستكون أرض الخلافة في المستقبل، وسيهلك الدجال على أرض الصدق أرض فلسطين.. وعلى هذه الأرض الطاهرة ستكون نهاية يأجوج ومأجوج أكبر المفسدين في الأرض.

واللَّه لكأني أشم عبير فجرنا الصادق في قدسنا الحبيب.. يملأ أنفي أريجه الطاهر وعبقه الشذي.. وكأني أسمع من يحمل الراية، ويقول: يا خيل اللَّه، اركبي.

فانهضْ فهاتيك الرُّبى قدْ فوّحتْ ... بالعِطْرِ من عَبَق الجهـاد المُلْهِمِ

أمجادُ تـاريخٍ ووحـيُ نُبُـوّةٍ ... وجـلالُ إسـراءٍ وعِزَّةُ مسلِمِ

ورفيفُ آيـاتٍ تَمُوجُ بسـاحِها ... نُورًا فيغْمُـر من رُبًى أو مَعْـلَمِ

فانهضْ إذا أَوْفَيْتَ خُطّةَ مُؤْمِنٍ ... وصدقْتَ نهـجَ الفـارس المُتَرسِّمِ

وتحفَّزَتْ كلُّ الرُّبى! يا حُسْنَها ... والغارُ فوقَ جبينِها والمِعْصَمِ
وازَّيَّنَتْ بالزاحفين كَأَنَّهُمْ ... فَلَقُ الصَّبَاحِ جَلا عبيرَ العَنْدَمِ
كُلُّ الميادينِ التي هَيَّجْتَها ... هَبَّاتُ خَطَّارٍ وَلَهْفَةُ مُعْلَمِ
أَمَلٌ على أجفانِنا وكُبودِنا ... وعَلَى مُحَيَّانَا وفَوْقَ المَبْسَمِ
أملٌ كأن الفجرَ في بَسَمَاتِه ... ورفيفُه بين الطُّيوفِ الحُوَّمِ
ونَضُمُّ في أحنائِنا شَرَفَ الهوى ... والشوقَ بين مُجَنَّحٍ ومُكَتَّمِ
للَّه ما تَهْفُو القلوبُ إلى غدٍ ... زاهٍ على مَرِّ الزمان مُوَسَّمِ
ومواكِبُ الإِيمانِ تجلو نصرَها ... لتعيدَ لألْأَةَ الفُتُوحِ اليُتَّمِ[1]

❁ ❁ ❁

(١) من قصيدة «فلق الصباح» من «ملحمة فلسطين» للدكتور عدنان النحوي.



فهرس الموضوعات



الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع | الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الصفحة | الموضـــوع

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضوع	الصفحة



الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الصفحة | الموضـــوع

الموضــوع	الصفحة

الصفحة | الموضـــوع

الموضـــوع	الصفحة

* * *